

التفسيّر المبين

ألفه وكتبه:
الفقير إلى عفو ربه

الدكتور/ عبد الرحمن بن حسن النفيسة

صاحب
مجلة البحوث الفقهية المعاصرة

المجلد السادس

٢٢٧٠٦ : هاتف

٤٩٢٤٧٠٦ : هاتف

٢٢٧٠٦ : هاتف

٢٢٧٠٦ : هاتف

٢٢٧٠٦ : هاتف

٢٢٧٠٦ : هاتف

٢٢٧٠٦ : هاتف

٢٢٧٠٦ : هاتف

٢٢٧٠٦ : هاتف

٢٢٧٠٦ : هاتف

٢٢٧٠٦ : هاتف

٢٢٧٠٦ : هاتف

٢٢٧٠٦ : هاتف

٢٢٧٠٦ : هاتف

٢٢٧٠٦ : هاتف

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

سورة الأنبياء

مكية وآياتها مائة واثننا عشرة آية

﴿اقْتَرَبَ لِلنَّاسِ حِسَابُهُمْ وَهُمْ فِي غَفْلَةٍ مُّعْرِضُونَ ﴿١﴾ مَا يَأْتِيهِمْ مِّنْ ذِكْرٍ مِّن رَّبِّهِمْ يُخَدِّثُ إِلَّا أَسْتَمَعُوهُ وَهُمْ يَلْعَبُونَ ﴿٢﴾ لَاهِيَةً قُلُوبُهُمْ وَأَسْرَأُ النَّجْوَى الَّذِينَ ظَلَمُوا هَلْ هَذَا إِلَّا بَشَرٌ مِّثْلُكُمْ أَفَتَأْتُونَ السَّحَرَ وَأَنْتُمْ تَبْصُرُونَ ﴿٣﴾ قَالَ رَبِّي يَعْلَمُ الْقَوْلَ فِي السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ وَهُوَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ ﴿٤﴾ بَلْ قَالُوا أَضْغَتْ أَحْلَمٌ بَلْ أَفْتَرَنَاهُ بَلْ هُوَ شَاعِرٌ فَلْيَأْنِزْنَا نَبَايَةً كَمَا أُنْزِلَ الْأَوَّلُونَ ﴿٥﴾ مَا آمَنَتْ قَبْلَهُمْ مِّنْ قَرْيَةٍ أَهْلَكْنَاهَا أَفَهُمْ يُؤْمِنُونَ ﴿٦﴾﴾

بيان الآيات:

﴿اقْتَرَبَ لِلنَّاسِ حِسَابُهُمْ﴾ هذا بيان من الله عز وجل أن حساب الناس قد اقترب والمراد به يوم القيامة ﴿وَهُمْ فِي غَفْلَةٍ مُّعْرِضُونَ﴾ أي: وهم ساهون عنها غير مستعدين لأحوالها ﴿مَا يَأْتِيهِمْ مِّنْ ذِكْرٍ مِّن رَّبِّهِمْ يُخَدِّثُ إِلَّا أَسْتَمَعُوهُ﴾ أي: ما يأتيهم من قرآن حديث النزول إلا استمعوا إليه ﴿وَهُمْ يَلْعَبُونَ﴾ أي: مستهزؤون به معرضون عنه، وإذا كان المراد الناس هنا في عمومهم، فالمراد به

كفار مكة في خصوصهم ﴿لَا هِيَ قُلُوبُهُمْ﴾ أي: مشغولة عقولهم بالباطل والإعراض عن الحق ﴿وَأَسْرُوا النَّجْوَى الَّذِينَ ظَلَمُوا﴾ أي: تناجى المشركون بينهم بتكذيب رسول الله ﷺ والكيد له وإيذائه ﴿هَلْ هَذَا إِلَّا بَشَرٌ مِثْلُكُمْ﴾ المراد به: رسول الله ﷺ والمعنى قولهم إنه ليس بنبي لأنه بشر مثلكم وليس له من ميزة أو صفة عنكم ﴿أَفَتَأْتُونَ السَّحَرَ وَأَنْتُمْ تَبْصِرُونَ﴾ أي: إن ما جاء به محمد هو سحر فكيف تأتون إليه وتصدقونه وأنتم تبصرون أنه بشر مثلكم.

﴿قَالَ رَبِّي يَعْلَمُ الْقَوْلَ فِي السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ﴾ أي: قال محمد ربي الذي لا تخفى عليه خافية في السماء ولا في الأرض يعلم سرهم ونجواهم وتكذيبكم وكيدكم ﴿وَهُوَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ﴾ أي: لكل ما قلتم، وهذا توبيخ ووعيد لهم ﴿بَلْ قَالُوا أَضْغَتْ أَحْلَامٌ بَلْ أَفْتَرَاهُ﴾ هذا بيان عن اصرارهم على أقوالهم وكذبهم، فتارة يقولون عن رسول الله ﷺ إنه كاهن، وتارة يقولون إنه ساحر، وتارة يقولون: إن القرآن الذي يقوله هو أوهام من الأحلام وأنه كذب من عنده. وتارة يقول فريق منهم إنه شاعر وإن ما يقوله مجرد شعر من عنده ﴿فَلْيَأْنِزْنَا بِآيَةٍ كَمَا أُرْسِلَ الْأَوَّلُونَ﴾ أي: إن كان صادقاً فليأت لنا بآية، كما أتى موسى بالعصا وأتى غيره من الأنبياء

بِالآيَاتِ وَالْمُعْجَزَاتِ الدَّالَّةِ عَلَى صِدْقِهِمْ ﴿مَا آمَنَتْ قَبْلَهُمْ مِنْ قَرْيَةٍ أَهْلَكْنَاهَا﴾ أي: ما آمنت القرى التي أرسل إليها الرسل كقوم هودٍ وصالح بل كذبوا فأهلكناهم ﴿أَفَهُمْ يُؤْمِنُونَ﴾ أي: هل يؤمن هؤلاء بالآيات لو جاءتهم؟ كلا لن يؤمنوا وإنما هم يدعون ذلك ولو كانوا يؤمنون حقا كما ادعوا لوجدوا أن الآيات والبراهين قد جاءتهم على يد رسول الله ﷺ فما آمنوا وما اهتدوا.

أحكام ومسائل الآيات:

في هذه الآيات بيان عن قرب قيام الساعة كما قال عز وجل: ﴿اقْتَرَبَتِ السَّاعَةُ وَانْشَقَّ الْقَمَرُ﴾^(١). وقوله ﴿لَا تَأْتِيَكُمْ إِلَّا بَغْةٌ﴾^(٢). ومن الأحكام: بيان عداوة المشركين للرسالة وتكذيبهم لرسول الله ﷺ ووصفهم له بأسوأ الأوصاف وادعائهم عدم وجود آية يصدقونها كما قال تعالى: ﴿أَنْظِرْ كَيْفَ ضَرَبُوا لَكَ الْأَمْثَالَ فَضَلُّوا فَلَا يَسْتَطِيعُونَ سَبِيلًا﴾^(٣). ومنها: أن الأمم قد لا تصدق بالمعجزات التي تأتي بها رسلهم فيكون ذلك سببا في هلاكهم كما حدث للأمم البائدة.

﴿وَمَا أَرْسَلْنَا قَبْلَكَ إِلَّا رِجَالًا نُوْحِي إِلَيْهِمْ فَاسْأَلُوا أَهْلَ الذِّكْرِ

(١) سورة القمر الآية ١ .

(٢) سورة الأعراف من الآية ١٨٧ .

(٣) سورة الفرقان من الآية ٩ .

إِنْ كُنْتُمْ لَا تَعْلَمُونَ ﴿٧﴾ وَمَا جَعَلْنَاهُمْ جَسَدًا لَا يَأْكُلُونَ الطَّعَامَ
وَمَا كَانُوا خَالِدِينَ ﴿٨﴾ ثُمَّ صَدَقْتَهُمُ الْوَعْدَ فَأَنْجَيْنَاهُمْ وَمَنْ نَشَاءُ
وَأَهْلَكْنَا الْمُسْرِفِينَ ﴿٩﴾ لَقَدْ أَنْزَلْنَا إِلَيْكُمْ كِتَابًا فِيهِ ذِكْرُكُمْ أَفَلَا
تَعْقِلُونَ ﴿١٠﴾

بيان الآيات:

﴿وَمَا أَرْسَلْنَا قَبْلَكَ إِلَّا رَجُلًا نُوحِيَ إِلَيْهِمْ﴾ لما قال المشركون:
كيف نؤمن بمحمد وهو بشر مثلنا؟ فند الله قولهم بأن الرسل التي
أرسلت قبله كانوا رجالا ولم يكونوا ملائكة ﴿فَسْأَلُوا أَهْلَ الذِّكْرِ
إِنْ كُنْتُمْ لَا تَعْلَمُونَ﴾ أي: اسألوا أهل التوراة والإنجيل وغيرهم
من الأمم التي أرسلت لهم الرسل الذين كنتم تسألونهم عن محمد،
وسخبرونكم أن رسلهم كانوا بشرا وليسوا ملائكة ﴿وَمَا جَعَلْنَاهُمْ
جَسَدًا لَا يَأْكُلُونَ الطَّعَامَ﴾ أي: لم نجعل لهم صفة غير صفة
البشر، فكانوا يأكلون الطعام ويشربون الماء ويعملون ويسيرون
في الأسواق مع الناس كما قال عز وجل ﴿وَمَا أَرْسَلْنَا قَبْلَكَ
مِنَ الْمُرْسَلِينَ إِلَّا إِنْهُمْ لِيَأْكُلُوا الطَّعَامَ وَيَمْشُوا فِي
الْأَسْوَاقِ﴾^(١). قوله ﴿وَمَا كَانُوا خَالِدِينَ﴾ أي: ولم يكونوا مخلدين
في الدنيا، بل يموتون مثلهم مثل سائر البشر كما قال عز وجل

(١) سورة الفرقان من الآية ٢٠.

﴿وَمَا جَعَلْنَا لِشَرٍّ مِّنْ قَبْلِكَ الْخُلْدَ﴾^(١). وقوله عز ذكره ﴿إِنَّكَ مَيِّتٌ وَإِنَّهُمْ مَّيِّتُونَ﴾^(٢).

﴿ثُمَّ صَدَقْنَاهُمُ الْوَعْدَ فَأَنْجَيْنَاهُمْ﴾ المراد الأنبياء أي: أنجيناهم من شرار قومهم ونصرناهم وأهلكنا الذين كذبوهم ﴿وَمَنْ نَّشَاءُ﴾ أي: وأنجينا أتباعهم الذين صدقوهم وآمنوا بما جاؤوهم به ﴿وَأَهْلَكْنَا الْمُسْرِفِينَ﴾ أي: أهلكنا الذين كذبوهم ﴿لَقَدْ أَنْزَلْنَا إِلَيْكُمْ كِتَابًا فِيهِ ذِكْرُكُمْ﴾ المراد به القرآن العظيم وفيه خيركم وأحكامكم وشرعكم ومحاسن أخلاقكم، بل وشرفكم في الدنيا والآخرة ﴿أَفَلَا تَعْقِلُونَ﴾ أي: أفلا تشكرون هذه النعمة التي أنعم الله بها عليكم لكي يزيدكم عليها.

أحكام ومسائل الآيات:

في هذه الآيات عدة أحكام: منها: أن الله ما أرسل رسلا إلى الناس إلا بشرا مثلهم، ولا يختلفون عنهم إلا في أن الله اصطفاهم لإبلاغ رسالته إلى أممهم. ومنها: وجوب سؤال أهل العلم عما لا يعلمه السائل من أمر الدنيا أو الآخرة. ومنها: أن الله قد صدق رسله وأتباعهم ما وعدهم به من النصر على أعدائهم وإهلاك الذين كذبوهم. ومنها: أن الله عز وجل أنزل القرآن على رسوله ليكون شرعا ومنهاجا لأُمَّته

(١) سورة الأنبياء من الآية ٣٤ .

(٢) سورة الزمر من الآية ٣١ .

في قضاياها ونوازلهـا ومحاسن أعمالها وفيه تشريف لها كما قال عزوجل ﴿وَإِنَّهُ لَذِكْرٌ لَّكَ وَلِقَوْمِكَ﴾ (١).

﴿وَكَمْ قَصَمْنَا مِنْ قَرْيَةٍ كَانَتْ ظَالِمَةً وَأَنْشَأْنَا بَعْدَهَا قَوْمًا آخَرِينَ﴾ (١١) ﴿فَلَمَّا أَحَسُّوا بَأْسَنَا إِذَا هُمْ مِنْهَا يَرْكُضُونَ﴾ (١٢) ﴿لَا تَرْكُضُوا وَارْجِعُوا إِلَى مَا أُتْرِفْتُمْ فِيهِ وَمَسْكِنِكُمْ لَعَلَّكُمْ تَسْأَلُونَ﴾ (١٣) ﴿قَالُوا يَوَيْلَنَا إِنَّا كُنَّا ظَالِمِينَ﴾ (١٤) ﴿فَمَا زَالَتْ تِلْكَ دَعْوَاهُمْ حَتَّى جَعَلْنَاهُمْ حَصِيدًا خَمِيدِينَ﴾ (١٥).

بيان الآيات:

﴿وَكَمْ قَصَمْنَا مِنْ قَرْيَةٍ كَانَتْ ظَالِمَةً﴾ أي: لقد أهلكنا قرى كثيرة كانت ظالمة بما كذبت به رسلها وتولت عن آيات الله ﴿وَأَنْشَأْنَا بَعْدَهَا قَوْمًا آخَرِينَ﴾ أي: أتينا بعد هلاكهم بأمم أخرى ﴿فَلَمَّا أَحَسُّوا بَأْسَنَا﴾ أي: لما رأوا العذاب قد حاق بهم ﴿إِذَا هُمْ مِنْهَا يَرْكُضُونَ﴾ أي: يهربون ﴿لَا تَرْكُضُوا وَارْجِعُوا إِلَى مَا أُتْرِفْتُمْ فِيهِ وَمَسْكِنِكُمْ﴾ المراد أن الملائكة تقول لهم حينئذٍ استهزاء بهم لا تهربوا من العذاب، وعودوا إلى ما كنتم فيه من الرفاهية في المأكل والمسكن ﴿لَعَلَّكُمْ تَسْأَلُونَ﴾ أي: تقول لهم استهزاء بهم لعلكم تؤمنون كما كنتم تسألون ذلك قبل أن ينزل العذاب بكم ﴿قَالُوا﴾

يَوَلِّينَا إِنَّا كُنَّا ظَالِمِينَ ﴿١٧﴾ هذا ندم منهم على ما ارتكبوه من الذنوب.

﴿فَمَا زَالَتْ تِلْكَ دَعْوَتُهُمْ﴾ أي: ما زالوا يقولون يا ويلنا إنا كنا

ظالمين. ﴿حَتَّى جَعَلْنَاهُمْ حَصِيدًا خَمِيدِينَ﴾ أي: ميتين لا حراك لهم.

أحكام ومسائل الآيات:

في هذه الآيات أحكام عدة: منها: سوء عاقبة الظلم وما يصيب أصحابه من الهلاك، سواء كانوا أفراداً أم أمماً. ومنها: مشروعية السخرية والتشفي من الظلمة إذا حل بهم العذاب. ومنها: حسرة الظلمة عندما يرون العذاب يحيق بهم ويعرفون أنهم لا محالة ملاقوه.

﴿وَمَا خَلَقْنَا السَّمَاءَ وَالْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا لِعَيْنٍ ﴿١٨﴾ لَوْ أَرَدْنَا أَنْ نَتَّخِذَ لَهْوًَا لَأَتَّخِذْتَهُ مِنْ لَدُنَّا إِنْ كُنَّا فَعَلِينَ ﴿١٩﴾ بَلْ نَقْذِفُ بِالْحَقِّ عَلَى الْبَاطِلِ فَيَدْمَغُهُ فَإِذَا هُوَ زَاهِقٌ وَلَكُمْ الْوَيْلُ مِمَّا تَصِفُونَ ﴿٢٠﴾ وَلَهُ مَنْ فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَمَنْ عِنْدَهُ لَا يَسْتَكْبِرُونَ عَنْ عِبَادَتِهِ وَلَا يَسْتَحْسِرُونَ ﴿٢١﴾ يُسَبِّحُونَ اللَّيْلَ وَالنَّهَارَ لَا يَفْتُرُونَ﴾.

بيان الآيات:

﴿وَمَا خَلَقْنَا السَّمَاءَ وَالْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا لِعَيْنٍ﴾ في هذا بيان من

الله عز وجل أنه ما خلق السموات والأرض عبثاً كما زعم الذين كفروا،

وإنما خلقهما لإقامة العدل والحق ﴿لَوْ أَرَدْنَا أَنْ نَتَّخِذَ لَهْوًَا﴾ أي: لو

أردنا أن نتخذ زوجة وولداً كما زعم المشركون أن الملائكة بنات الله

﴿لَا تَخْذَنْهُ مِنْ لَدُنَّا﴾ أي: من عندنا ﴿إِنْ كُنَّا فَاعِلِينَ﴾ أي: ما كنا فاعلين ذلك ﴿بَلْ نَقْذِفُ بِالْحَقِّ عَلَى الْبَاطِلِ﴾ أي: نرمي بالحق على الباطل ﴿فَيَدْمَغُهُ فَإِذَا هُوَ زَاهِقٌ﴾ أي: زائل ﴿وَلَكُمْ الْوَيْلُ مِمَّا نَصِفُونَ﴾ أي: لكم الويل - وهو واد في جهنم - أيها القائلون إن لله ولدا ﴿وَلَهُ مَنْ فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ﴾ أي: له كل شيء فيهما يتصرف فيه بإرادته وحكمته ﴿وَمَنْ عِنْدَهُ لَا يَسْتَكْبِرُونَ عَنْ عِبَادَتِهِ﴾ المراد بهم الملائكة الذين لا يستنكفون عن عبادته ﴿وَلَا يَسْتَحْسِرُونَ﴾ أي: لا يملون من التسبيح بحمده، فهم يعبدونه ليلا ونهارا. ﴿يُسَبِّحُونَ اللَّيْلَ وَالنَّهَارَ لَا يَفْتُرُونَ﴾ أي: يذكرون الله في الليل والنهار دون أن يملوا ويسأموا فلا يشغلهم شاغل عن التسبيح والتحميد.

أحكام ومسائل الآيات:

في هذه الآيات بيان من الله عز وجل أنه ما خلق السموات والأرض وما بينهما عبثا بل خلق ذلك لحكمة أحكمها وقدر قدره وهو مقدس ومنزه عن العبث كما قال تعالى ﴿وَمَا خَلَقْنَا السَّمَاءَ وَالْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا بَطْلًا ذَٰلِكَ ظَنُّ الَّذِينَ كَفَرُوا فَوَيْلٌ لِلَّذِينَ كَفَرُوا مِنَ النَّارِ﴾^(١). ومن الأحكام: أن الله قذف بالحق وهو القرآن على الباطل، فاندحض وزال وهو عبادة الأصنام والأوثان.

ومنها: تقرير أن الملائكة يعبدون الله ويسبحونه لا يكلون ولا يفترون
كما قال تعالى ﴿لَا يَعْصُونَ اللَّهَ مَا أَمَرَهُمْ وَيَفْعَلُونَ مَا يُؤْمَرُونَ﴾^(١).

﴿أَمْ اتَّخَذُوا إِلَهًا مِّنَ الْأَرْضِ هُمْ يُنْشِرُونَ﴾^(٢١) لَوْ كَانَ فِيهِمَا
إِلَهَةٌ إِلَّا اللَّهُ لَفَسَدَتَا فَسُبْحَانَ اللَّهِ رَبِّ الْعَرْشِ عَمَّا يَصِفُونَ ﴿٢٢﴾ لَا يُسْأَلُ
عَمَّا يَفْعَلُ وَهُمْ يُسْأَلُونَ ﴿٢٣﴾ أَمْ اتَّخَذُوا مِن دُونِهِ إِلَهًا قُلْ هَاتُوا
بُرْهَانَكُمْ هَذَا ذِكْرٌ مِّن مَّعِيَ وَذِكْرٌ مِّن قَبْلِي بَلْ أَكْثَرُهُمْ لَا يَعْلَمُونَ الْحَقَّ فَهُمْ
مُعْرِضُونَ ﴿٢٤﴾ وَمَا أَرْسَلْنَا مِن قَبْلِكَ مِن رَّسُولٍ إِلَّا نُوحِي إِلَيْهِ أَنَّهُ لَا
إِلَهَ إِلَّا أَنَا فَاعْبُدُونِ ﴿٢٥﴾

بيان الآيات:

﴿أَمْ اتَّخَذُوا إِلَهًا مِّنَ الْأَرْضِ﴾ في هذا إنكار من الله عز وجل
على من اتخذ آلهة يعبدها من دونه ﴿هُمْ يُنْشِرُونَ﴾ أي: هل اتخذ
هؤلاء المشركون آلهة يحيون الموتى وينشرونهم، ولما كانت هذه الآلهة
لا تقدر على ذلك فكيف بهؤلاء يعبدونها ﴿لَوْ كَانَ فِيهِمَا إِلَهٌ إِلَّا اللَّهُ
لَفَسَدَتَا﴾ أي: لو كان في السموات والأرض آلهة غير الله لفسدتا؛ لما
سينشأ عن ذلك من الاختلاف والتنازع بين الآلهة، فافتضى ذلك أنه
ما من إله إلا إله واحد هو الله - إذ لم يحصل التنازع - وهذا هو دليل

التمانع ﴿فَسُبْحَنَّ اللَّهَ رَبَّ الْعَرْشِ عَمَّا يَصِفُونَ﴾ أي: تنزهه وتقدس عما يفتريه المفترون ويفعله المشركون.

﴿لَا يُسْأَلُ عَمَّا يَفْعَلُ وَهُمْ يُسْأَلُونَ﴾ أي: هو الخالق المدبر المتصرف في ملكوته العلوي والسفلي، لا يسأله أحد عما يفعل، بل هو يسأل خلقه عما يفعلون كما قال عز وجل ﴿فَوَرَبِّكَ لَنَسْأَلَنَّهُمْ أَجْمَعِينَ﴾^(١). ﴿عَمَّا كَانُوا يَعْمَلُونَ﴾^(٢).

﴿أَمِ اتَّخَذُوا مِنْ دُونِهِ ءَالِهَةً﴾ هذا إعادة للتوكيد على توبيخ المشركين في عبادتهم الأوثان والأصنام ﴿قُلْ هَاتُوا بُرْهَانَكُمْ﴾ أي: قل لهم يا محمد هاتوا حجتكم ودليلكم على ما تزعمون ﴿هَذَا ذِكْرٌ مَن مَّعِيَ﴾ أي: هذا ما ورد في القرآن من وجوب إخلاص العبادة لله وحده ونفي الشرك عنه ﴿وَذِكْرٌ مِّن قَبْلِي﴾ أي: كذلك ما ورد في التوراة والإنجيل وما جاء به كافة الرسل الذين أرسلوا إلى أممهم، يدعونهم إلى توحيد الله وإخلاص العبادة له وحده لا شريك له. ﴿بَلْ أَكْثَرُهُمْ لَا يَعْلَمُونَ الْحَقَّ﴾ أي: لا يعلمون ما يجب عليهم من توحيد الله ﴿فَهُمْ مُّعْرِضُونَ﴾ أي: عن القرآن ﴿وَمَا أَرْسَلْنَا مِن قَبْلِكَ مِن رَّسُولٍ إِلَّا نُوحِي إِلَيْهِ أَنَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا أَنَا فَاعْبُدُونِ﴾ في هذه الآية يخبر الله رسوله محمدا ﷺ أنه سبق أن أوحى إلى الرسل الذين أرسلوا إلى

(١) سورة الحجر الآية ٩٢.

(٢) سورة الحجر الآية ٩٣.

أهمهم قبله أنه ليس في الوجود إله غيره، وأنه المختص وحده بالعبادة وأن عبادة غيره باطلة.

أحكام ومسائل الآيات:

في هذه الآيات نفي قاطع لتعدد الآلهة في الوجود؛ لأنه لو كان فيه إلهان لأدى ذلك إلى التنازع والشقاق بينهما فيفسد الوجود، وهذا هو ما يسمى دليل التمانع؛ إذ يمتنع عقلا وحسا أن يكون فيه إله آخر غير الله. وفيها: أنه لا دليل على الشرك، وكل الكتب السماوية متفقة على إفراد العبادة لله وحده كما قال عز وجل ﴿وَسَأَلَ مَنْ أَرْسَلْنَا مِنْ قَبْلِكَ مِنْ رُسُلِنَا أَجَعَلْنَا مِنْ دُونِ الرَّحْمَنِ إِلَهَةً يُعْبَدُونَ﴾ (١). وقوله عز ذكره ﴿وَلَقَدْ بَعَثْنَا فِي كُلِّ أُمَّةٍ رَسُولًا أَنْ ابْعُدُوا اللَّهَ وَاجْتَنِبُوا الطَّاغُوتَ﴾ (٢).

﴿وَقَالُوا اتَّخَذَ الرَّحْمَنُ وَلَدًا سُبْحَنَهُ بَلْ عِبَادٌ مُكْرَمُونَ﴾ (١) لَا يَسْبِقُونَهُ بِالْقَوْلِ وَهُمْ بِأَمْرِهِ يَعْمَلُونَ ﴿٢﴾ يَعْلَمُ مَا بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَمَا خَلْفَهُمْ وَلَا يَشْفَعُونَ إِلَّا لِمَنْ ارْتَضَى وَهُمْ مِنَ خَشْيَتِهِ مُشْفِقُونَ ﴿٣﴾ وَمَنْ يَقُلْ مِنْهُمْ إِنِّي إِلَهٌ مِّنْ دُونِهِ فَذَلِكَ نَجْزِيهِ جَهَنَّمَ كَذَلِكَ نَجْزِي الظَّالِمِينَ ﴿٤﴾

(١) سورة الزخرف الآية ٤٥ .

(٢) سورة النحل من الآية ٣٦ .

بيان الآيات:

﴿وَقَالُوا اتَّخَذَ الرَّحْمَنُ وَلَدًا﴾ أي: قال بعض المشركين إن الملائكة بنات الله فرد عليهم عز وجل نافيا ومنكرا مقولتهم الشنعاء بقوله ﴿سُبْحَنَهُ، بَلْ عِبَادٌ مُّكْرَمُونَ﴾ أي: تقديس وتنزه عن الولد وأن الملائكة عبادهم مكرمون عنده ومقربون إليه ﴿لَا يَسْبِقُونَهُ، بِالْقَوْلِ - وَهُمْ بِأَمْرِهِ يَعْمَلُونَ﴾ أي: لا يقولون شيئا قبل أن يقوله ولا يفعلون إلا ما يأمرهم به وهم يعملون بطاعته ﴿يَعْلَمُ مَا بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَمَا خَلْفَهُمْ﴾ أي: يحيط بعلمهم فلا يخفى عليه شيء منهم ﴿وَلَا يَشْفَعُونَ إِلَّا لِمَنِ ارْتَضَى﴾ أي: لا يشفعون إلا لمن أذن الله له ورضي عنه من أهل التقوى والإيمان ﴿وَهُمْ مِّنْ خَشْيَتِهِ مُشْفِقُونَ﴾ أي: إنهم منه خائفون ﴿وَمَنْ يَقُلْ مِنْهُمْ إِنِّي إِلَهٌ مِّنْ دُونِهِ﴾ أي: من زعم منهم أنه إله من دون الله أو من غيرهم من عباد الله الصالحين - وقيل: المراد به إبليس - ﴿فَذَلِكْ نَجْزِيهِ جَهَنَّمَ كَذَلِكَ نَجْزِي الظَّالِمِينَ﴾ أي: تكون عاقبته جهنم، وهذا هو حال الظالمين الذين جعلوا مع الله إلهًا يعبدونه.

أحكام ومسائل الآيات:

في هذه الآيات عدة أحكام: أولها: نفي زعم المشركين وكذبهم في نسبتهم الولد إلى الله، بل هو مقدس ومنزه عن الصاحبة والولد؛ لأن الخلق كلهم ملكه وعبيده. ومنها: أن الملائكة عباد الله مكرمون

ومقربون عنده يأتَمرون بأمره فلا يسبقونه بقول أو فعل بل هم تحت تصرفه. ومن هذه الأحكام إثبات الشفاعة عند الله على أن تكون بإذنه ورضاه، وأن يكون المشفوع له من أهل الإيمان والتوحيد الذين رضي عنهم.

﴿أَوَلَمْ يَرِ الَّذِينَ كَفَرُوا أَنَّ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ كَانَا رَتْقًا فَفَتَقْنَاهُمَا وَجَعَلْنَا مِنَ الْمَاءِ كُلَّ شَيْءٍ حَيٍّ أَفَلَا يُؤْمِنُونَ﴾ (٢٠) وَجَعَلْنَا فِي الْأَرْضِ رَوَاسِيَ أَنْ تَمِيدَ بِهِمْ وَجَعَلْنَا فِيهَا فِجَاجًا سُبُلًا لَّعَلَّهُمْ يَهْتَدُونَ ﴿٢١﴾ وَجَعَلْنَا السَّمَاءَ سَقْفًا مَحْفُوظًا وَهُمْ عَنْ آيَاتِهَا مُعْرِضُونَ ﴿٢٢﴾ وَهُوَ الَّذِي خَلَقَ اللَّيْلَ وَالنَّهَارَ وَالشَّمْسَ وَالْقَمَرَ كُلٌّ فِي فَلَكٍ يَسْبَحُونَ ﴿٢٣﴾

بيان الآيات:

﴿أَوَلَمْ يَرِ الَّذِينَ كَفَرُوا﴾ أي: ألم يعلم الذين كفروا ألوهية الله وحده ﴿أَنَّ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ كَانَا رَتْقًا﴾ أي: شيئاً متلاحقاً مسدوداً ﴿فَفَتَقْنَاهُمَا﴾ أي: فتحناهما فجعلنا سبع سموات وسبع أرضين وجعلنا بينهما فاصلاً مشهوداً ﴿وَجَعَلْنَا مِنَ الْمَاءِ كُلَّ شَيْءٍ حَيٍّ﴾ أي: وجعلنا الماء يحفظ كل شيء، وقد يكون المراد خلقنا كل شيء من الماء ﴿أَفَلَا يُؤْمِنُونَ﴾ أفلا يعقلون بما يرونه من الآيات الدالة على

عظمة الله فيؤمنوا به ويوحده ﴿وَجَعَلْنَا فِي الْأَرْضِ رَوَاسِيَ أَنْ تَمِيدَ بِهِمْ﴾ أي: جعلنا فيها جبالا راسية حتى لا تميد الأرض وتضطرب ﴿وَجَعَلْنَا فِيهَا فِجَاجًا سُبُلًا﴾ أي: جعلنا فيها طرقا؛ للسير عليها والتنقل فيها ﴿لَعَلَّهُمْ يَهْتَدُونَ﴾ أي: إلى السير في الأرض.

﴿وَجَعَلْنَا السَّمَاءَ سَقْفًا مَحْفُوظًا﴾ أي: وضعنا السماء فوق الأرض وحفظناها من السقوط عليها كما قال عز وجل ﴿وَمِمَّا يُكِّدُ السَّمَاءَ أَنْ تَقَعَ عَلَى الْأَرْضِ إِلَّا بِإِذْنِهِ﴾ (١). وهم عن عاينها معرضون المراد بهم الكفار أي: معرضون عما يشاهدونه من الآيات والنظر إلى ما في الكون من الأفلاك والرياح والسحاب وتناوب الليل والنهار وطلوع الشمس وغروبها وغير ذلك من الآيات والمعجزات الدالة على حسن صنعه وقدرته ووجوب إفراده عز وجل بالعبادة. ﴿وَهُوَ الَّذِي خَلَقَ اللَّيْلَ وَالنَّهَارَ﴾ وهذا أيضا من النعم التي أنعم الله بها على عباده، حيث جعل الليل راحة وسكنا لنفوسهم وأجسامهم، وجعل النهار زمنا لطلب عيشهم وقوتهم هم وذرياتهم وأنعامهم وَالشَّمْسُ وَالْقَمَرُ وهذه أيضا نعمة يذكر الله بها عباده، فلولا الشمس لكان الوجود ظلما لا يستطيع الخلق الحركة فيه، ولولا ضوء القمر لما استطاع من يسير في الليل الاهتداء إلى ما يريد كُلُّ فِي فَلَاكٍ

يَسْبَحُونَ ﴿١٧﴾ أي: إن الليل والنهار والشمس والقمر تسير وتدور في الأفلاك بسرعة قدرها وأحكمها الله عزوجل.

أحكام ومسائل الآيات:

في هذه الآيات بيان من الله عز وجل عن الكيفية التي كانت عليها السموات والأرض قبل فتقهما، وبيان منه عز وجل عن صنعه وقدرته في جعل الماء محيياً للأشياء وعن قدرته في تثبيت الأرض وترسيته بالجبال وحفظ السماء من السقوط عليها. وفيها: بيان منه عز ذكره عن خلقه الليل والنهار والشمس والقمر وسائر الأفلاك، وكونها تدور في سرعة أحكمها وقدرها بقدرته وحكمته.

﴿وَمَا جَعَلْنَا لِبَشَرٍ مِّن قَبْلِكَ الْخُلْدَ أَفَإِن مَّتَّ فَهُمْ الْخَالِدُونَ
كُلُّ نَفْسٍ ذَائِقَةُ الْمَوْتِ وَنَبْلُوكُم بِالشَّرِّ وَالْخَيْرِ فِتْنَةً وَإِلَيْنَا
تُرْجَعُونَ ﴿٢٠﴾ وَإِذَا رَأَوْاكَ الَّذِينَ كَفَرُوا إِن يَتَّخِذُونَكَ إِلَّا
هُزُوءًا أَهَذَا الَّذِي يَذْكُرُ آلِهَتَكُمْ وَهُمْ بِذِكْرِ الرَّحْمَنِ هُمْ
كَافِرُونَ ﴿٢١﴾﴾

بيان الآيات:

﴿وَمَا جَعَلْنَا لِبَشَرٍ مِّن قَبْلِكَ الْخُلْدَ﴾ أي: ما جعلنا لأحد من البشر الخلد في الدنيا ﴿أَفَإِن مَّتَّ﴾ يا محمد ﴿فَهُم الْخَالِدُونَ﴾ أي: هل

يظنون أنهم مخلصون في الدنيا؟ ذلك أن المشركين كانوا يتمنون موت رسول الله ﷺ ويقولون نترصد به ريب المنون فلعله يموت ونستريح منه ﴿كُلُّ نَفْسٍ ذَائِقَةُ الْمَوْتِ﴾ أي: ما من نفس إلا وتتجرع مرارة الموت وتفارق الدنيا لا محالة ﴿وَنَبْلُوكُم بِالشَّرِّ وَالْخَيْرِ فِتْنَةً﴾ أي: نبتليكم بالمرض والصحة والفقر والغنى والشدة والرخاء والحلال والحرام ﴿وَالَيْنَا تُرْجَعُونَ﴾ أي: سترجعون إلينا في نهاية الأمر، ثم تحاسبون وتجزون بما كنتم تعملون .

﴿وَإِذَا رَأَوْا الَّذِينَ كَفَرُوا﴾ المراد بهم كفار قريش كأبي لهب وأبي جهل والنضر بن الحارث ﴿إِن يَنْخِذُونَكَ إِلَّا هُزُوًا﴾ أي: يستهزؤون بك ويقولون على وجه السخرية ﴿أَهَذَا الَّذِي يَذْكُرُ آلِهَتَكُمْ﴾ أي: أهذا محمد الذي يسب آلهتكم ويتنقصكم ﴿وَهُمْ بِذِكْرِ الرَّحْمَنِ هُمْ كَافِرُونَ﴾ أي: إنهم كافرون بالله مشركون به ويستهزؤون برسوله.

أحكام ومسائل الآيات:

في هذه الآيات الحكم بأنه ما من بشر مخلص في الدنيا كما قال عز وجل ﴿كُلُّ مَنْ عَلَيْهَا فَانٍ﴾^(١). ﴿وَيَبْقَى وَجْهُ رَبِّكَ ذُو الْجَلَالِ

(١) سورة الرحمن الآية ٢٦ .

وَالْإِكْرَامِ ﴿١﴾. وفيها: الحكم بأن الله يختبر عباده بأنواع الرخاء وأنواع الشدة في أجسامهم وأقواتهم؛ ليرى من هو المحتسب، ومن هو الصابر منهم كما قال عز وجل ﴿وَلَنَبْلُوَنَّكُمْ حَتَّى نَعْلَمَ الْمُجْتَهِدِينَ مِنْكُمْ وَالصَّابِرِينَ وَنَبْلُوا أَخْبَارَكُمْ﴾ ﴿٢﴾.

﴿خُلِقَ الْإِنْسَانُ مِنْ عَجَلٍ سَأُورِيكُمْ آيَاتِي فَلَا تَسْتَعْجِلُونِ﴾ ﴿٣٧﴾ وَيَقُولُونَ مَتَى هَذَا الْوَعْدُ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ ﴿٣٨﴾ لَوْ يَعْلَمُ الَّذِينَ كَفَرُوا حِينَ لَا يَكْفُوتُ عَنْ وُجُوهِهِمُ النَّارَ وَلَا عَنْ ظُهُورِهِمْ وَلَا هُمْ يُنْصَرُونَ ﴿٣٩﴾ بَلْ تَأْتِيهِمْ بَغْتَةً فَتَبْهَتُهُمْ فَلَا يَسْتَطِيعُونَ رَدَّهَا وَلَا هُمْ يُنْظَرُونَ ﴿٤٠﴾.

بيان الآيات:

﴿خُلِقَ الْإِنْسَانُ مِنْ عَجَلٍ﴾ أي: إن الإنسان بطبعه عجول يستعجل ما قد يكون فيه ضرره، ولعل المؤمنين كانوا يستعجلون نزول عذاب الله بالمشركين الذين آذوا رسول الله ﷺ واستهزؤوا به وتربصوا به الموت فقال عز وجل ﴿سَأُورِيكُمْ آيَاتِي﴾ أي: جزائي وعذابي للظالمين ﴿فَلَا تَسْتَعْجِلُونِ﴾ أي: لا تتعجلوا ذلك فلكل أجل كتاب. ﴿وَيَقُولُونَ مَتَى هَذَا الْوَعْدُ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ﴾ أي: يقول المشركون متى

(١) سورة الرحمن الآية ٢٧ .

(٢) سورة محمد الآية ٣١ .

موعد العذاب الذي تدَّعونه إن كنتم صادقين؟ وقولهم هذا على سبيل
التكذيب وعدم التصديق بوقوع العذاب بهم ﴿لَوْ يَعْلَمُ الَّذِينَ كَفَرُوا
حِينَ لَا يَكْفُرُونَ عَنْ وُجُوهِهِمُ النَّارَ وَلَا عَنْ ظُهُورِهِمْ وَلَا هُمْ
يُنْصَرُونَ﴾ أي: لو يعلم المستعجلون للعذاب الوقت الذي سيلاقونه
فيه حين لا يستطيعون أن يكفوا عن وجوههم ولا عن ظهورهم النار
ولا ناصر حينئذٍ ينصرهم لما استعجلوه، ولكن استعجالهم دليل على
سفه أخلاقهم وسوء تقديرهم ﴿بَلْ تَأْتِيهِمْ بَغْةٌ﴾ أي: سوف
تأتيهم الساعة فجأة ﴿فَتَبْهَتُهُمْ﴾ أي: تجعلهم حيارى مندهشين
﴿فَلَا يَسْتَطِيعُونَ رَدَّهَا﴾ أي: لا يجدون لهم حينئذٍ حيلة في دفعها
﴿وَلَا هُمْ يُنْظَرُونَ﴾ أي: لا يؤجل عنهم العذاب؛ لكي يتوبوا.

أحكام ومسائل الآيات:

في هذه الآيات: ذم العجلة لقول رسول الله ﷺ: (العجلة من
الشيطان)^(١). وقوله عليه الصلاة والسلام: (إن الرفق لا يكون في شيء
إلا زانه ولا ينزع من شيء إلا شانه)^(٢). وفيها: أن الساعة لا تأتي إلا
بغته كما قال تعالى ﴿لَا يُجْلِيهَا لَوْفَهَا إِلَّا هُوَ﴾^(٣).

(١) أخرجه الترمذي في كتاب البر والصلة، باب ما جاء في التأنى والعجلة، برقم (٢٠١٢) سنن الترمذي ج ٤ ص ٣٢٢.

(٢) أخرجه مسلم في كتاب البر والصلة، باب فضل الرفق، برقم (٢٥٩٤)، صحيح مسلم بشرح النووي ج ١٠ ص ٦٦١٤.

(٣) سورة الأعراف من الآية ١٨٧.

﴿وَلَقَدْ أَسْتَهْزَيْتُمْ بُرْسُلِي مِّن قَبْلِكَ فَحَاقَ بِالَّذِينَ سَخِرُوا مِنْهُمْ مَا
كَانُوا بِهِ يَسْتَهْزِءُونَ﴾ (١) قُلْ مَن يَكْلُؤُكُمْ بِاللَّيْلِ وَالنَّهَارِ مِنَ الرَّحْمَنِ
بَلْ هُمْ عَنْ ذِكْرِ رَبِّهِمْ مُّعْرِضُونَ (٢) أَمْ لَهُمْ ءَالِهَةٌ تَمْنَعُهُمْ
مِّنْ دُونِنَا لَا يَسْتَطِيعُونَ نَصْرَ أَنْفُسِهِمْ وَلَا هُمْ مِنَّا يُصْحَبُونَ
﴿بَلْ مَنَعَنَا هَؤُلَاءُ وَءَابَاءَهُمْ حَتَّى طَالَ عَلَيْهِمُ الْعُمُرُ أَفَلَا يَرَوْنَ
أَنَّا نَأْتِي الْأَرْضَ نَنْقُصُهَا مِنْ أَطْرَافِهَا أَفَهُمُ الْغَالِبُونَ﴾ (٣) ﴿٤﴾

بيان الآية:

﴿وَلَقَدْ أَسْتَهْزَيْتُمْ بُرْسُلِي مِّن قَبْلِكَ﴾ هذا بيان من الله لرسوله
محمد ﷺ يسليه فيه عما أصابه من الأذى والاستهزاء به وتكذيبه من
كفار قريش وأن الرسل صبروا على ما كذبوا ﴿فَحَاقَ بِالَّذِينَ سَخِرُوا
مِنْهُمْ مَا كَانَ لَهُمْ يَسْتَهْزِءُونَ﴾ أي: أحاط العذاب بالمستهزئين بهم
كما قال عز وجل ﴿وَلَقَدْ كَذَّبْتَ رَسُولٌ مِّن قَبْلِكَ فَصَبْرُوا عَلَى مَا كُذِّبُوا
وَأُودُوا حَتَّى أَنَّهُمْ نَصَرْنَا وَلَا مَبْدَلَ لِكَلِمَتِ اللَّهِ وَلَقَدْ جَاءَكَ مِنْ نَّبَائِ
الْمُرْسَلِينَ﴾ (١).

﴿قُلْ مَن يَكْلُؤُكُمْ بِاللَّيْلِ وَالنَّهَارِ مِنَ الرَّحْمَنِ﴾ أي: هل أحد
يحرسكم غير الرحمن في الليل إذا سكنتم فيه، وفي النهار إذا قمتم

تعملون فيه ﴿بَلْ هُمْ عَنْ ذِكْرِ رَبِّهِمْ مُعْرِضُونَ﴾ أي: إنهم عن القرآن وآيات ربهم غافلون.

﴿أَمْ لَهُمْ ءَالِهَةٌ﴾ أي: هل لهم آلهة ﴿تَمْنَعُهُمْ مِّنْ دُونِنَا﴾ أي: ترد عذابنا عنهم، وهذا على سبيل الاستفهام الإنكاري ﴿لَا يَسْتَطِيعُونَ نَصْرَ أَنفُسِهِمْ﴾ أي: إن هذه الأصنام التي زعموا أنها تنفعهم لا تستطيع أن تنفعهم مثقال ذرة ﴿وَلَا هُمْ مِنَّا يُصْحَبُونَ﴾ أي: يمنعون ﴿بَلْ مَتَّعْنَا هَؤُلَاءِ وَءَابَاءَهُمْ﴾ أي: أنعمنا على أهل مكة وأبائهم ﴿حَتَّى طَالَ عَلَيْهِمُ الْعُمُرُ﴾ وهم ممتنعون بهذه النعماء فظنوا أنها تدوم لهم ﴿أَفَلَا يَرَوْنَ أَنَّا نَأْتِي الْأَرْضَ نَنْقُصُهَا مِنْ أَطْرَافِهَا﴾ أي: ألا يتفكرون أننا نزيل عنهم هذه النعم وننصر أوليائنا عليهم ﴿أَفَهُمُ الْغَالِبُونَ﴾ والمعنى: لا بل سيكونون هم المغلوبين الأذلين وقد حدث لهم هذا في غزوة بدر؛ لأن النصر والغلبة لا تكون إلا لأولياء الله المتقين.

أحكام ومسائل الآيات:

في هذه الآيات تقرير أن الذين يستهزؤون برسول الله لابد أن يحق بهم العذاب لا محالة كما قال عز وجل ﴿وَإِذَا رَأَوْكَ إِن يَخِذُّوْكَ إِلَّا هُزُوًا هَٰذَا الَّذِي بَعَثَ اللَّهُ رَسُولًا﴾ (١). ﴿إِنْ كَادَ لَيُضِلَّنَا

عَنْ إِلَهَتِنَا لَوْلَا أَنْ صَبَرْنَا عَلَيْهَا وَسَوْفَ يَعْلَمُونَ حَيْثُ يَرَوْنَ
الْعَذَابَ مَنْ أَضَلُّ سَبِيلًا ﴿١﴾. وفيها: وجوب عدم الاغترار بالسعة في
الرزق وطول العمر؛ لأن كل شيء مردود إلى النقص مما يقتضي العمل
من أجل الصالحات والاستعداد لليوم الآخر.

﴿قُلْ إِنَّمَا أُنذِرُكُمْ بِالْوَحْيِ وَلَا يَسْمَعُ الصُّمُّ الدُّعَاءَ إِذَا مَا
يُنذَرُونَ﴾ ﴿٤٥﴾ وَلَئِنْ مَسَّتْهُمْ نَفْحَةٌ مِّنْ عَذَابِ رَبِّكَ لَيَقُولُنَّ
يَوْنِلَنَّا إِنَّا كُنَّا ظَالِمِينَ ﴿٤٦﴾ وَنَضَعُ الْمَوَازِينَ الْقِسْطَ لِيَوْمِ الْقِيَمَةِ
فَلَا تَظْلَمُ نَفْسٌ شَيْئًا وَإِنْ كَانَ مِثْقَالَ حَبَّةٍ مِّنْ خَرْدَلٍ أَتَيْنَا
بِهَا وَكَفَىٰ بِنَا حَاسِبِينَ﴾ ﴿٤٧﴾.

بيان الآيات:

﴿قُلْ إِنَّمَا أُنذِرُكُمْ بِالْوَحْيِ﴾ أي: قل يا محمد للمشركين
إنما أنا رسول أبلغكم ما أوحاه الله إلي فأنذركم عن سوء عاقبتكم
إذا لم توحداوا لله وتخلصوا له العبادة ولا تشركوا به ﴿وَلَا يَسْمَعُ
الصُّمُّ الدُّعَاءَ إِذَا مَا يُنذَرُونَ﴾ أي: لا يسمع البشارة والندارة من
أعمى الله قلبه وختم على سمعه وجعل على بصره غشاوة ﴿وَلَئِنْ
مَسَّتْهُمْ نَفْحَةٌ مِّنْ عَذَابِ رَبِّكَ﴾ أي: إن مس هؤلاء المشركين أقل

شيء من عذاب ربك يا رسولنا محمداً ﴿لَيَقُولُنَّ يَنْوِيلُنَا إِنَّا كُنَّا ظَالِمِينَ﴾ أي: يعترفون بذنوبهم، وحينئذ لا ينفعهم الاعتراف في الآخرة ﴿وَنَضَعُ الْمَوَازِينَ الْقِسْطَ لِيَوْمِ الْقِيَمَةِ﴾ أي: توضع الموازين يوم القيامة لوزن الأعمال بالعدل. والموازين: جمع ميزان وقد يكون المراد أن لكل إنسان ميزاناً أو أنها ميزان واحد ورد بصيغة الجمع، لكون الأعمال التي توزن فيه كثيرة ﴿فَلَا نُظْلَمُ نَفْسٌ شَيْئاً﴾ أي: لا يبخس من أعمالها شيء فلا ينقص من حسناتها ولا يزداد في سيئاتها ﴿وَإِنْ كَانَ مِثْقَالَ حَبَّةٍ مِنْ خَرْدَلٍ﴾ أي: مهما كان صغر الأعمال ولو كان موزون حبة من خردل ﴿أَتَيْنَا بِهَا وَكَفَى بِنَا حَاسِبِينَ﴾ أي: حاسبين لكل عمل من أعمال العباد.

أحكام ومسائل الآيات:

في هذه الآيات: تقرير أن من أعرض عن ذكر الله يصاب في سمعه وبصره وعقله فلا يستجيب إلا لهواه، مهما كانت النذارة له. ومن الأحكام: أن الله يضع ميزان العدل يوم القيامة لحساب العباد فلا يظلم أحداً أحسن في عمله فينقص من حسناته، أو يظلم أحداً أساء في عمله فيزيد في سيئاته كما قال تعالى ﴿إِنَّ اللَّهَ لَا يَظْلِمُ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ﴾ وَإِنْ تَكُ حَسَنَةً يُضْعِفْهَا وَيُؤْتِ مِنْ لَدُنْهُ أَجْرًا عَظِيماً^(١).

(١) سورة النساء من الآية ٤٠ .

﴿وَلَقَدْ آتَيْنَا مُوسَىٰ وَهَارُونَ الْفُرْقَانَ وَضِيَآءَ وَذِكْرًا لِّلْمُتَّقِينَ
 الَّذِينَ يَخْشَوْنَ رَبَّهُم بِالْغَيْبِ وَهُمْ مِّنَ السَّاعَةِ مُشْفِقُونَ
 وَهَذَا ذِكْرٌ مُّبَارَكٌ أَنزَلْنَاهُ أَفَأَنْتُمْ لَهُ مُنْكَرُونَ﴾

بيان الآيات:

﴿وَلَقَدْ آتَيْنَا مُوسَىٰ وَهَارُونَ الْفُرْقَانَ﴾ أي: أنزلنا على موسى وأخيه هارون التوراة فيها أحكام الحلال وأحكام الحرام ﴿وَضِيَآءَ وَذِكْرًا لِّلْمُتَّقِينَ﴾ أي: فيها نور وعظة للمتقين ﴿الَّذِينَ يَخْشَوْنَ رَبَّهُم بِالْغَيْبِ وَهُمْ مِّنَ السَّاعَةِ مُشْفِقُونَ﴾ هذا نعت للمتقين بأنهم يخافون ربهم، وهم لا يرونه بأعينهم في الدنيا، وإنما يرونه بقلوبهم وإيمانهم، وهم كذلك خائفون من يوم القيامة وأهواله.

﴿وَهَذَا ذِكْرٌ مُّبَارَكٌ أَنزَلْنَاهُ﴾ المراد به القرآن بما فيه من آيات الله وبياناته ﴿أَفَأَنْتُمْ لَهُ مُنْكَرُونَ﴾ استفهام إنكاري أي: كيف تنكرونه وفيه الضياء والهدى للمؤمنين.

أحكام ومسائل الآيات:

في هذه الآيات: المقارنة بين ما أنزل الله تعالى على رسله من الكتب وأنها متفقة في الدعوة إلى الله، وتحكيم كتبه وتصديق رسله وأنها هدى للمتقين الذين يخشون الله بما جعل الله في قلوبهم من الإيمان

فيخافونه دون أن يروه ويخافون من هول عذابه يوم القيامة. ومن أحكام هذه الآيات: بيان أن الله أنزل القرآن العظيم مشتملاً على أحكام الدين والدنيا وإيضاح الحق ونفي الباطل كما قال عز وجل ﴿لَا يَأْتِيهِ الْبَاطِلُ مِنْ بَيْنِ يَدَيْهِ وَلَا مِنْ خَلْفِهِ تَنْزِيلٌ مِّنْ حَكِيمٍ حَمِيدٍ﴾^(١).

﴿وَلَقَدْ آتَيْنَا إِبْرَاهِيمَ رُشْدَهُ مِن قَبْلُ وَكُنَّا بِهِ عَالِمِينَ﴾^(٥١) إِذْ قَالَ لِأَبِيهِ وَقَوْمِهِ مَا هَذِهِ التَّمَاثِيلُ الَّتِي أَنْتُمْ لَهَا عَاكِفُونَ ﴿٥٢﴾ قَالُوا وَجَدْنَا آبَاءَنَا لَهَا عَابِدِينَ ﴿٥٣﴾ قَالَ لَقَدْ كُنْتُمْ أَشْوَءَ آبَاءٍ وَكُنتُمْ فِي ضَلَالٍ مُّبِينٍ ﴿٥٤﴾ قَالُوا احْجِثْنَا بِالْحَقِّ أَمْ أَنْتَ مِنَ اللَّاعِينَ ﴿٥٥﴾ قَالَ بَلْ رَبُّ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ الَّذِي فَطَرَهُمْ وَأَنَا عَلَىٰ ذَلِكُمْ مِنَ الشَّاهِدِينَ ﴿٥٦﴾

بيان الآيات:

﴿وَلَقَدْ آتَيْنَا إِبْرَاهِيمَ رُشْدَهُ مِن قَبْلُ﴾ في هذا بيان من الله عز وجل أنه أتى إبراهيم رشده، وهو في صغره، وقبل نبوته ﴿وَكُنَّا بِهِ عَالِمِينَ﴾ أي: كنا نعلم أنه أهل لأن يؤتى النبوة ﴿إِذْ قَالَ لِأَبِيهِ وَقَوْمِهِ مَا هَذِهِ التَّمَاثِيلُ الَّتِي أَنْتُمْ لَهَا عَاكِفُونَ﴾ أي: استنكر على أبيه وقومه عبادة الأصنام وأقام الحجة عليهم بفساد عبادتهم لها واعتكافهم عليها كما قال عز وجل ﴿وَتِلْكَ حُجَّتُنَا آتَيْنَاهَا إِبْرَاهِيمَ عَلَىٰ قَوْمِهِ﴾^(٢).

(١) سورة فصلت الآية ٤٢ .

(٢) سورة الأنعام من الآية ٨٣ .

﴿قَالُوا وَجَدْنَا آبَاءَنَا هَآءِهِمْ﴾ أي: عبدناها؛ لأن آباءنا كانوا يعبدونها ونظيره قوله عز وجل ﴿إِنَّا وَجَدْنَا آبَاءَنَا عَلَىٰ أُمَّةٍ وَإِنَّا عَلَىٰ آثَرِهِمْ مُّهْتَدُونَ﴾^(١).

﴿قَالَ لَقَدْ كُنْتُمْ أَنْتُمْ وَآبَاؤُكُمْ فِي ضَلَالٍ مُّبِينٍ﴾ أي: قال لهم إبراهيم إنكم أنتم وآبائكم خاسرون بعبادتكم لها؛ لأنها أحجار وأخشاب لا تنفع ﴿قَالُوا أَجِئْنَا بِالْحَقِّ أَمْ أَنْتَ مِنَ اللَّاعِينَ﴾ أي: قال قوم إبراهيم هل ما تقوله عن أصنامنا حق أم أنك تمزح علينا بما تقول، فنحن وآبائنا من قبل نعبد هذه الأصنام ولم نسمع أن أحدا جاء بمثل ما تقول ﴿قَالَ بَلْ رَبُّكُمْ رَبُّ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ الَّذِي فَطَرَهُمْ﴾ أي: إن ربكم الذي يجب أن تعبدوه هو الله الذي خلق السموات والأرض وما فيهن، وهو الذي أوجدكم من العدم إلى الوجود ورزقكم وهو الذي يميّتكم ثم يحييكم فكيف تعبدون غيره؟ ﴿وَأَنَا عَلَىٰ ذَٰلِكُمْ مِنَ الشَّاهِدِينَ﴾ وأنا أشهد أنه لا إله إلا هو ولا معبود بحق سواه.

أحكام ومسائل الآيات:

في هذه الآيات: بيان أن الله يختار من يشاء من عباده لحمل رسالته. وفيها: تقرير ذم من يقلد غيره وهو لا يدري أكان هذا على حق أم على باطل. ومنها: وجوب إقامة الداعي الحجة على من يدعوه

وبيان الحق له من الباطل. وفيها: الحكم بوجوب شهادة ألا إله إلا الله وأن من قالها مؤمناً ومخلصاً بها مقيماً أركانها فقد وجب له رضا الله لحديث أبي هريرة: (من لقيت وراء هذا الحائط يشهد أن لا إله إلا الله مستيقناً بها قلبه فبشره بالجنة ..) الحديث^(١).

﴿وَتَاللَّهِ لَأَكِيدَنَّ أَصْنَمَكُمْ بَعْدَ أَنْ تُولُوا مُدِيرِينَ ﴿٥٧﴾ فَجَعَلَهُمْ جُذُذًا إِلَّا كَبِيرًا لَهُمْ لَعَلَّهُمْ إِلَيْهِ يَرْجِعُونَ ﴿٥٨﴾ قَالُوا مَنْ فَعَلَ هَذَا بِآلِهَتِنَا إِنَّهُ لَمِنَ الظَّالِمِينَ ﴿٥٩﴾ قَالُوا سَمِعْنَا فَتًى يَذْكُرُهُمْ يُقَالُ لَهُ إِبْرَاهِيمُ ﴿٦٠﴾ قَالُوا فَاتُّوبُ بِهِ عَلَى أَعْيُنِ النَّاسِ لَعَلَّهُمْ يَشْهَدُونَ ﴿٦١﴾ قَالُوا ءَأَنْتَ فَعَلْتَ هَذَا بِآلِهَتِنَا يَا إِبْرَاهِيمُ ﴿٦٢﴾ قَالَ بَلْ فَعَلَهُ كَبِيرُهُمْ هَذَا فَاسْأَلُوهُمْ إِنْ كَانُوا يَنْطِقُونَ ﴿٦٣﴾﴾

بيان الآيات:

﴿وَتَاللَّهِ لَأَكِيدَنَّ أَصْنَمَكُمْ بَعْدَ أَنْ تُولُوا مُدِيرِينَ﴾ هذا قسم من نبي الله إبراهيم أمام بعض قومه أنه سيعمل على إيذاء أصنامهم بتكسيرها بعد أن يذهبوا عنها؛ ذلك أنه حاجهم بلسانه عن فسادها فلم يجيبوا فأراد أن يفعل ما يراه مناسباً لتكون دعوته أبلغ فيهم ﴿فَجَعَلَهُمْ جُذُذًا إِلَّا كَبِيرًا لَهُمْ﴾ أي: حطاماً بتكسيرها وترك

(١) صحيح مسلم بشرح النووي ج ١ ص ٢٢٧، والترغيب والترهيب للمنزري ج ٢ ص ٤١٤ ومجمع الزوائد ج ١ ص ١٨ وغيرها.

كبيرها ﴿لَعَلَّهُمْ إِلَيْهِ يَرْجِعُونَ﴾ أي: يرجعون إليه فيظنون أنه الذي كسرها ﴿قَالُوا مَنْ فَعَلَ هَذَا بِآلِهَتِنَا إِنَّهُ لَمِنَ الظَّالِمِينَ﴾ لما رجعوا إلى الأصنام لعبادتها وشاهدوا حطامها تساءلوا بينهم عن من فعل هذا ووصفوه بالظلم ﴿قَالُوا سَمِعْنَا فَتًى يَذْكُرُهُمْ يُقَالُ لَهُ إِبْرَاهِيمُ﴾ أي: قال الذين سمعوه يهدد بتكسيورها إن الذي فعل ذلك شاب يسمى إبراهيم ﴿قَالُوا فَأَتُوا بِهِ عَلَى أَعْيُنِ النَّاسِ﴾ أي: قال نمرود وأكابر قومه: أحضروا إبراهيم على مرأى من الناس ﴿لَعَلَّهُمْ يَشْهَدُونَ﴾ أي: يشهدون عليه بما قال؛ فيعاقب حينئذٍ على فعله ﴿قَالُوا ءَأَنْتَ فَعَلْتَ هَذَا بِآلِهَتِنَا يَا إِبْرَاهِيمُ﴾ هذا استفهام منهم لإبراهيم عما إذا كان هو الذي حطم الأصنام ﴿قَالَ بَلْ فَعَلَهُ كَبِيرُهُمْ هَذَا﴾ المراد به الصنم الذي تركه فلم يحطمه ﴿فَسَأَلُوهُمْ إِنْ كَانُوا يَنْطِقُونَ﴾ وهذا حجة منه عليه السلام عليهم حتى يعرفوا أن هذه الأصنام جماد لا يتكلم ولا يسمع، وعندئذٍ يكتشفون سفاهة عقولهم وأنهم يعبدون شيئاً لا يملك لنفسه نفعا ولا ضرا.

أحكام ومسائل الآيات:

في هذه الآيات: دلائل على أن الناس تعارفوا منذ الأزل على سوء الظلم وعاقبته لكون النفس بطبيعتها تأباه ويكون الوصف له حسب عقيدة الواصف فقوم إبراهيم -مثلا- يرون تحطيم أصنامهم ظلما

ولكنه في عقيدة نبي الله إبراهيم ليس بظلم؛ لأن الأصنام ليست حقا يجب احترامه، بل هي باطل يجب إزالته، والمراد أن الفعل لا يوصف بالظلم إلا إذا كان اعتداء على حق معلوم ومشروع. ومن هذه الدلائل أن الناس تعارفوا كذلك على الإشهاد وعلى الفعل المنسوب إلى فاعله، وهذا مما أقرته الشرائع كلها. ومنها: سؤال المتهم عما وجه إليه من التهم وهذا مما أقرته الشرائع كذلك.

﴿فَرَجَعُوا إِلَىٰ أَنفُسِهِمْ فَقَالُوا إِنَّكُمْ أَنْتُمُ الظَّالِمُونَ﴾ (٦٤) ثُمَّ
 نَكِسُوا عَلَىٰ رُءُوسِهِمْ لَقَدْ عَلِمْتَ مَا هَؤُلَاءِ يَنْطِقُونَ ﴿٦٥﴾ قَالَ
 أَفَتَعْبُدُونَ مِن دُونِ اللَّهِ مَا لَا يَنْفَعُكُمْ شَيْئًا وَلَا يَضُرُّكُمْ ﴿٦٦﴾
 أَفِ لَكُمْ وَلِمَا تَعْبُدُونَ مِن دُونِ اللَّهِ أَفَلَا تَعْقِلُونَ ﴿٦٧﴾

بيان الآيات:

﴿فَرَجَعُوا إِلَىٰ أَنفُسِهِمْ﴾ أي: باللوم ﴿فَقَالُوا إِنَّكُمْ أَنْتُمُ
 الظَّالِمُونَ﴾ لاموا أنفسهم على عبادتهم أصناما لا تنطق ﴿ثُمَّ
 نَكِسُوا عَلَىٰ رُءُوسِهِمْ﴾ المعنى أنهم عادوا إلى شركهم رغم اعترافهم
 عن حال أصنامهم ثم قالوا لإبراهيم ﴿لَقَدْ عَلِمْتَ مَا هَؤُلَاءِ
 يَنْطِقُونَ﴾ أي: إنك تعلم أن هذه الأصنام لا تنطق فكيف تطلب
 منا سؤالهم؟ فأجابهم إبراهيم بقوله ﴿أَفَتَعْبُدُونَ مِن دُونِ اللَّهِ﴾

مَا لَا يَنْفَعُكُمْ شَيْئًا وَلَا يَضُرُّكُمْ ﴿٦٨﴾ أَي: لما عرفتُم أنها لا تنطق فكيف تعبدونها ؟ وهي لا تجلب لكم نفعا ولا تدفع عنكم ضرا ﴿٦٩﴾ أَفَ لَكُمْ وَلِمَا تَعْبُدُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ أَفَلَا تَعْقِلُونَ ﴿٧٠﴾ أَي: السوء والقبح لكم وأصنامكم أفلا تتفكرون بعقولكم وتدركون أن فعلكم هذا ضلال مبين لا يفعله إلا السفهاء.

أحكام ومسائل الآيات:

في هذه الآيات: أدلة وبيّنات: منها: أن الظالم قد يعترف بظلمه فيتوب منه فيكون في ذلك خير له، وقد يعترف به ويصر عليه، وهذا قمة الشقاء. ومنها: أهمية قوة الداعي وحبته في دعوته إلى الحق وهو ما كان عليه إبراهيم عليه السلام، فقد حجهم بقوة حبه ومنطقه وشرعية دعوته. ومنها: وجوب تأنيب أهل الباطل وتوبيخهم على فعلهم.

﴿قَالُوا حَرِّقُوهُ وَانصُرُوا آلِهَتَكُمْ إِنْ كُنْتُمْ فَاعِلِينَ﴾ ﴿٦٨﴾ قُلْنَا يَنَارُ كُونِي بَرْدًا وَسَلَامًا عَلَىٰ إِبْرَاهِيمَ ﴿٦٩﴾ وَأَرَادُوا بِهِ كَيْدًا فَجَعَلْنَاهُمُ الْأَخْسَرِينَ ﴿٧٠﴾

بيان الآيات:

﴿قَالُوا حَرِّقُوهُ وَانصُرُوا آلِهَتَكُمْ إِنْ كُنْتُمْ فَاعِلِينَ﴾ ﴿٦٨﴾ هذا بيان من الله لرسوله محمد ﷺ أن قوم إبراهيم لما عجزوا عن دفع حبه

وعرفوا أنه سيفسد عليهم ما هم فيه من الشرك تنادوا بينهم على تحريقه والخلاص منه، فجمعوا حطباً كثيراً وألقوه في حفرة كبيرة من الأرض، ثم أوقدوا النار على نحو لا مثيل له ووضعوا إبراهيم في المنجنيق، فلما ألقوه فيها قال: حسبي الله ونعم الوكيل ﴿قُلْنَا نَارُ كُوْنِي بَرْدًا وَسَلَامًا عَلَىٰ إِبْرَاهِيمَ﴾ لما كان إبراهيم عليه السلام في حرز الله أمر الله النار أن تتحول إلى برد وسلام عليه فجعل السلام مقروناً بالبرد حتى لا يكون في البرد أذى له عليه السلام. ﴿وَأَرَادُوا بِهِ كَيْدًا فَجَعَلْنَاهُمُ الْأَخْسَرِينَ﴾ أي: أرادوا إيذاء إبراهيم بتحريقه بالنار فكانت العاقبة السيئة لهم وأصبحوا من الخاسرين في دنياهم بفشلهم فيما أرادوه وفي آخرهم بما يلاقونه فيها من العذاب.

أحكام ومسائل الآيات:

في هذه الآيات: معجزة وبيئات؛ أما المعجزة فهي تحول النار التي أراد قوم إبراهيم إحراقه فيها إلى برد وسلام عليه. وأما البيئات فإن توكل إبراهيم على الله وإخلاصه العبادة له كانت حاجزاً له من النار إذ قال عليه السلام لما رموه فيها: حسبي الله ونعم الوكيل وفيها: أن كيد الكائدين يرتد عليهم بسوء العاقبة.

﴿وَبَجَّيْنَاهُ وَلُوطًا إِلَى الْأَرْضِ الَّتِي بَارَكْنَا فِيهَا لِلْعَالَمِينَ﴾

وَوَهَبْنَا لَهُ إِسْحَاقَ وَيَعْقُوبَ نَافِلَةً ۖ وَكُلًّا جَعَلْنَا صَالِحِينَ ﴿٢٥﴾
 وَجَعَلْنَاهُمْ أَيْمَةً يَهْدُونَ بِأَمْرِنَا وَأَوْحَيْنَا إِلَيْهِمْ فِعْلَ الْخَيْرَاتِ
 وَإِقَامَ الصَّلَاةِ وَإِيتَاءَ الزَّكَاةِ وَكَانُوا لَنَا عَبِيدِينَ ﴿٢٦﴾ وَلُوطًا
 إِذْ آتَيْنَاهُ حُكْمًا وَعِلْمًا وَنَجَّيْنَاهُ مِنَ الْقَرْيَةِ الَّتِي كَانَتْ تَعْمَلُ الْخَبِيثَ
 اتِ ۖ إِنَّهُمْ كَانُوا قَوْمَ سَوْءٍ فَاسِقِينَ ﴿٢٧﴾ وَأَدْخَلْنَاهُ فِي رَحْمَتِنَا إِنَّهُ مِنْ
 الصَّالِحِينَ ﴿٢٨﴾

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

وَنَجَّيْنَاهُ وَلُوطًا إِلَى الْأَرْضِ الَّتِي بَارَكْنَا فِيهَا لِلْعَالَمِينَ ﴿٢٥﴾ أي:
 أنقذنا إبراهيم وسلمناه من النار كما نجينا لوطا ابن أخيه والمراد
 بالأرض المباركة بلاد الشام حيث رحلا من العراق إلى الشام فاستقر
 إبراهيم في فلسطين، واستقر لوط في قرية سدوم التي تحولت بعد
 هلاك قومه إلى بحيرة غير صالحة ﴿وَوَهَبْنَا لَهُ إِسْحَاقَ وَيَعْقُوبَ
 نَافِلَةً﴾ أي: زيادة؛ ذلك أنه دعا بإسحاق، فزيد له يعقوب ليكون ولد
 ولده ﴿وَكُلًّا جَعَلْنَا صَالِحِينَ﴾ أي: إن إبراهيم وإسحاق ويعقوب
 قوم صالحون ﴿وَجَعَلْنَاهُمْ أَيْمَةً يَهْدُونَ﴾ أي: جعلناهم قادة
 يهتدى بهم ﴿بِأَمْرِنَا﴾ أي: بما جاءهم من الوحي من ربهم، والمعنى
 يدعون الناس إلى ديننا ﴿وَأَوْحَيْنَا إِلَيْهِمْ فِعْلَ الْخَيْرَاتِ﴾ أي:

أمرناهم أن يفعلوا طاعة الله ﴿وَأَقَامَ الصَّلَاةَ وَآتَى الزَّكَاةَ﴾ أي: وأوحينا إليهم أن يقيموا الصلاة ويؤدوا الزكاة ويدعون الناس إلى ذلك ﴿وَكَانُوا لَنَا عَبِيدِينَ﴾ أي: مطيعين وممتهلين لأمرنا وداعين الناس إليه.

﴿وَلُوطًا ءَاتَيْنَاهُ حُكْمًا وَعِلْمًا﴾ المراد به لوط بن هاران بن أزر ابن أخي إبراهيم، وكان ممن آمن بإبراهيم وهاجر معه فأعطاه الله علما وحكمة وجعله نبيا وبعثه إلى قرية سدوم فكفرت بما جاء به من تحريم الفواحش فأهلكها الله ﴿وَنَجَّيْنَاهُ مِنَ الْقَرْيَةِ الَّتِي كَانَتْ تَعْمَلُ الْخَبِيثَ﴾ أي: كان أهلها يفعلون اللواط ﴿إِنَّهُمْ كَانُوا قَوْمَ سَوْءٍ فَاسِقِينَ﴾ أي: كانوا عصاة منكرين لأحكام الله منتهكين لمحارمه ﴿وَادْخَلْنَاهُ فِي رَحْمَتِنَا إِنَّهُ مِنَ الصَّالِحِينَ﴾ أي: نجاه الله من كيد قومه وجعله من الصالحين كما قال عز وجل ﴿قَالُوا لَئِنْ لَمْ تَنْتَهِ يَلُوطُ لَتَكُونَنَّ مِنَ الْمُخْرَجِينَ﴾ (١).

أحكام ومسائل الآيات:

في هذه الآيات عدة أحكام ومسائل: منها: فضيلة الدعوة إلى الله والاحتساب فيها والصبر عليها. ومنها: أن الله يتولى أوليائه الصالحين فينجيهم من شرور أعدائهم ويسبغ عليهم فضائله. ومنها: وجوب

إقامة الصلاة وإيتاء الزكاة. ومنها: الحكم بأن ارتكاب المعاصي وانتهاك محارم الله سبب لهلاك الأمم ودمارها، وهذا هو ما حدث للأمم الفاسدة كقوم هود وصالح ولوط ومن كان على شاكلتهم.

﴿وَنُوحًا إِذْ نَادَىٰ مِنْ قَبْلُ فَاسْتَجَبْنَا لَهُ، فَجَعَلْنَاهُ وَاهِلَةً،
مِنَ الْكَرْبِ الْعَظِيمِ ﴿٢٦﴾ وَنَصَرْنَاهُ مِنَ الْقَوْمِ الَّذِينَ كَذَبُوا
بِآيَاتِنَا إِنَّهُمْ كَانُوا قَوْمَ سَوْءٍ فَأَغْرَقْنَاهُمْ أَجْمَعِينَ ﴿٢٧﴾﴾

بيان الآيتين:

﴿وَنُوحًا إِذْ نَادَىٰ مِنْ قَبْلُ﴾ في هذا بيان من الله عز وجل لنبيه ورسوله محمد ﷺ أن نوحا نادى ربه أي: دعاه لما يئس من قبول قومه لدعوته مما حكاه الله عنه بقوله عز ذكره ﴿وَقَالَ نُوحٌ رَبِّ لَا تَذَرْنِي عَلَى الْأَرْضِ مِنَ الْكَافِرِينَ دَيَّارًا﴾ (١). ﴿إِنَّكَ إِن تَذَرْنَاهُمْ يَضِلُّوا عِبَادَكَ وَلَا يَلِدُوا إِلَّا فِاجِرًا كَفَّارًا﴾ (٢). ﴿فَاسْتَجَبْنَا لَهُ، فَجَعَلْنَاهُ وَاهِلَةً، أَي: استجبنا دعوته ونجيناه ومن آمن من أهله ﴿مِنَ الْكَرْبِ الْعَظِيمِ﴾ أي: من الغرق وما أصابه من الغم بسبب تكذيب قومه له.

﴿وَنَصَرْنَاهُ مِنَ الْقَوْمِ الَّذِينَ كَذَبُوا بِآيَاتِنَا﴾ أي: نجيناه وانتصرنا له من قومه الذين كذبوه لما جاءهم بآياتنا ﴿إِنَّهُمْ كَانُوا قَوْمَ

(١) سورة نوح الآية ٢٦ .

(٢) سورة نوح الآية ٢٧ .

سَوْءٌ ﴿١﴾ أَي: إنهم كانوا أهل معاص وكفر ﴿فَأَغْرَقْنَاهُمْ أَجْمَعِينَ﴾
 أَي: أهلكناهم كافة فلم يبق منهم أحد وذلك استجابة لدعائه.

أحكام ومبادئ الآيتين:

في الآيتين: تقرير إجابة دعوة الداعي إذا دعى الله مخلصاً من قلبه
 كما قال عز وجل ﴿وَإِذَا سَأَلَكَ عِبَادِي عَنِّي فَإِنِّي قَرِيبٌ أُجِيبُ
 دَعْوَةَ الدَّاعِ إِذَا دَعَانِ فَلْيَسْتَجِيبُوا لِي وَلْيُؤْمِنُوا بِي﴾ (١). ومنها:
 انتصار الله لأوليائه وإهلاك الظالمين بعد أن تقوم الحجة عليهم.

﴿وَدَاوُدَ وَسُلَيْمَانَ إِذْ يَحْكُمَانِ فِي الْحَرْثِ إِذْ نَفَشَتْ فِيهِ غَنَمُ
 الْقَوْمِ وَكُنَّا لِحُكْمِهِمْ شَاهِدِينَ﴾ (٧٨) فَفَهَمْنَاهَا سُلَيْمَانُ وَكُلًّا
 ءَاتَيْنَا حُكْمًا وَعِلْمًا وَسَخَّرْنَا مَعَ دَاوُدَ الْجِبَالَ يُسَبِّحْنَ وَالطَّيْرَ
 وَكُنَّا فَاعِلِينَ (٧٩) وَعَلَّمْنَاهُ صَنْعَةَ لَبُوسٍ لَّكُمْ لِنُحْصِنَكُمْ
 مِّنْ بَاسِكُمْ فَهَلْ أَنْتُمْ شَاكِرُونَ (٨٠) وَلِسُلَيْمَانَ الرِّيحَ عَاصِفَةً تَجْرِي بِأَمْرِهِ
 إِلَى الْأَرْضِ الَّتِي بَارَكْنَا فِيهَا وَكُنَّا بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمِينَ (٨١) وَمِنَ
 الشَّيَاطِينِ مَن يَغُوصُونَ لَهُ وَيَعْمَلُونَ عَمَلًا دُونَ ذَلِكَ وَكُنَّا
 لَهُمْ حَافِظِينَ﴾ (٨٢)

بيان الآيات:

﴿وَدَاوُدَ وَسُلَيْمَانَ إِذْ يَحْكُمَانِ فِي الْحَرْثِ﴾ هذا بيان من الله

عزوجل أن داود وسليمان حكما في الزرع أو في كرم بدت عناقيده ﴿إِذْ نَفَسَتْ فِيهِ غَنَمُ الْقَوْمِ﴾ أي: رعت فيه في الليل ﴿وَكُنَّا لِحُكْمِهِمْ شَاهِدِينَ﴾ أي: مطلعين على حكمهم في هذه القضية ﴿فَفَهَّمْنَاهَا سُلَيْمَانَ﴾ أي: فهمناه معرفة الحكم فيها؛ ذلك أن داود قضى بالغنم لصاحب الكرم فقال سليمان لأبيه داود: إني أرى غير هذا ليكون أرحم للجميع قال: وما هو؟ قال: تدفع الكرم إلى صاحب الغنم فيقوم عليه حتى يعود إلى حالته السابقة وتدفع الغنم إلى صاحب الكرم لينتفع منها حتى إذا عاد الكرم إلى حالته التي كان عليها دفعت الكرم إلى صاحبه ودفعت الغنم إلى صاحبها فكان هذا فهما صائباً من سليمان بين الله عزوجل أنه علّمه إياه ﴿وَكُلًّا ءَاتَيْنَا حُكْمًا وَعِلْمًا﴾ أي: أعطينا كلا من داود وسليمان النبوة وفهما لأحكام الله.

﴿وَسَخَّرْنَا مَعَ دَاوُدَ الْجِبَالَ يُسَبِّحْنَ وَالطَّيْرَ﴾ كان لداود عليه السلام صوت يؤثر في نفس من يسمعه، فإذا قرأ كتابه سبحت معه الجبال والطير وردت عليه تأويها كما قال تعالى ﴿يَجِبَالُ أَوتِىْ مَعَهُ﴾ (١). أي: رجّعي معه التسبيح ﴿وَكُنَّا فَاعِلِينَ﴾ أي: قادرين على أن تسبح الجبال والطير.

﴿وَعَلَّمْنَاهُ صَنْعَةَ لَبُوسٍ لَّكُمْ﴾ المراد به معرفته لصناعة الدروع

كما قال عز وجل ﴿وَالنَّالَهُ الْحَدِيدَ﴾^(١). ﴿أَنْ أَعْمَلَ سَبِغَتٍ وَقَدَّرَ فِي السَّرْدِ﴾^(٢). قوله ﴿لِنُحْصِنَكُمْ مِنْ بَأْسِكُمْ﴾ أي: تقيكم في زمن القتال ﴿فَهَلْ أَنْتُمْ شَاكِرُونَ﴾ أي: هل تشكرون الله على نعمه.

﴿وَلِسُلَيْمَانَ الرِّيحَ عَاصِفَةً﴾ المراد وسخرنا لسليمان الريح العاصفة الشديدة ﴿تَجْرِي بِأَمْرِهِ إِلَى الْأَرْضِ الَّتِي بَرَكْنَا فِيهَا﴾ المراد بها أرض الشام قيل: إنه إذا أراد الغزو وضع له بساط من خشب يوضع له ما يريد ثم يأمر الريح أن تدخل تحته فتحمله وتسير به إلى حيث يشاء^(٣). كما قال عز وجل ﴿فَسَخَّرْنَا لَهُ الرِّيحَ تَجْرِي بِأَمْرِهِ رُجَاءَ حَيْثُ أَصَابَ﴾^(٤). ﴿وَكُنَّا بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمِينَ﴾ هذا إخبار من الله عز وجل أنه يعلم كل ما في الكون في ظواهره وبواطنه لا تخفى عليه خافية.

﴿وَمِنَ الشَّيَاطِينِ مَنْ يَغُوصُونَ لَهُ﴾ أي: وسخرنا له من يغوص في الماء ليخرج له اللالئ ﴿وَيَعْمَلُونَ عَمَلًا دُونَ ذَلِكَ﴾ أي: يعملون له عملاً غير استخراج اللالئ كالبناء وغيره ﴿وَكُنَّا لَهُمْ حَافِظِينَ﴾ حافظين لهم من إفساد أعمالهم فيتعرضوا لسليمان بشرٍّ وإنما هم تحت قهره كما قال عز وجل ﴿وَأَخْرَيْنَ مُقَرَّنِينَ فِي الْأَصْفَادِ﴾^(٥).

(١) سورة سبأ من الآية ١٠.

(٢) سورة سبأ من الآية ١١.

(٣) تفسير البغوي ص ٨٤٣.

(٤) سورة ص الآية ٣٦.

(٥) سورة ص الآية ٣٨.

أحكام ومسائل الآيات:

في هذه الآيات عدة أحكام: أولها: أن للحاكم المجتهد إذا أخطأ أجراً لما رواه عمرو بن العاص أنه سمع رسول الله ﷺ يقول: (إذا حكم الحاكم فاجتهد ثم أصاب فله أجران وإذا حكم فاجتهد ثم أخطأ فله أجر)^(١). وهذا إذا كان عالماً بالاجتهاد وشروطه وأحكامه، وأما إن كان غير ذلك فلا عذر له في الخطأ.

ومنها: أن على الحاكم المجتهد إذا تبين له أن هناك اجتهداً أعدل من اجتهداه أن يرجع إليه، وهو ما فعله داود عليه السلام حين وافق ابنه سليمان على اجتهداه في رعي الغنم في الكرم.

وفي شرعنا أن على أصحاب البساتين حفظ بساتينهم وزرعهم في النهار؛ لما صح أن ناقة البراء بن عازب دخلت حائط رجل فأفسدت فيه فقضى رسول الله ﷺ أن على أهل الحوائط حفظها بالنهار، وأن ما أفسدت المواشي بالليل ضامن على أهلها^(٢). وقد أخذ بهذا الجمهور، وذهب الإمام أبو حنيفة إلى أن هذا الحكم منسوخ بحديث (العجماء جرحها جبار)^(٣). وأن البهائم إذا أفسدت في الليل أو النهار لا يلزم صاحبها شيء.

(١) أخرجه البخاري في كتاب الاعتصام بالكتاب والسنة، باب أجر الحاكم إذا اجتهد فأصاب أو أخطأ، برقم (٧٣٥٢)، صحيح البخاري مع فتح الباري ج ١٣ ص ٣٣٠.

(٢) أخرجه الإمام مالك مرسلاً في الموطأ، في كتاب الأفضية، باب القضاء في الضواري والحريسة، برقم (١٤٣١)، الموطأ ص ٥٣٠، والإمام أحمد في مسنده ج ٥ ص ٤٣٦.

(٣) أخرجه البخاري في كتاب الديات، باب المعدن جبار والبتير جبار، برقم (٦٩١٢)، صحيح البخاري مع فتح الباري ج ١٢ ص ٢٦٥.

قلت: وقول الجمهور أصح، لموافقته لحديث البراء رضي الله عنه ناهيك منه أنه مما يقتضيه العدل؛ ذلك أن أهل الزروع مسؤولون عن حفظ زروعهم في النهار لقدرتهم على حفظها وعدم قدرتهم على حفظها في الليل؛ لكونهم نياماً مما يوجب على أهل البهائم حفظها في الليل لكونه سكناً.

ومن الأحكام: تقرير أن الجبال والطير تسبح لله كما قال عز وجل ﴿وَإِنْ مِنْ شَيْءٍ إِلَّا يَسْبُحُ بِحَمْدِهِ وَلَكِنْ لَا تَفْقَهُونَ تَسْبِيحَهُمْ﴾ (١). ومنها: وجوب الاستعداد للحرب بصنع آلاته، ووجوب الحذر والوقاية من أضراره، وقد بين الله ذلك في كتابه الكريم بقوله عز وجل ﴿وَأَعِدُّوا لَهُمْ مَا اسْتَطَعْتُمْ مِنْ قُوَّةٍ وَمِنْ رِبَاطِ الْخَيْلِ تُرْهَبُونَ بِهِ عَدُوَّ اللَّهِ وَعَدُوَّكُمْ﴾ (٢).

ومن الأحكام: تقرير أن كل ما يحدث في السموات والأرض إنما هو بعلم الله وقدرته وتسخيره كما قال تعالى ﴿وَكُنَّا بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمِينَ﴾. ﴿وَكُنَّا لَهُمْ حَفِظِينَ﴾.

﴿وَأَيُّوبَ إِذْ نَادَىٰ رَبَّهُ أَنِّي مَسَّنِيَ الضُّرُّ وَأَنْتَ أَرْحَمُ الرَّاحِمِينَ﴾ ﴿فَاسْتَجَبْنَا لَهُ فَكَشَفْنَا مَا بِهِ مِنْ ضُرٍّ وَآتَيْنَاهُ

(١) سورة الإسراء من الآية ٤٤ .

(٢) سورة الأنفال من الآية ٦٠ .

أَهْلَهُ وَمِثْلَهُمْ مَعَهُمْ رَحْمَةً مِّنْ عِندِنَا وَذِكْرَىٰ لِلْعَابِدِينَ ﴿١٢٥٠﴾

بيان الآيتين:

﴿وَأَيُّوبَ إِذْ نَادَىٰ رَبَّهُ﴾ أي: اذكر يا محمد شكر عبدنا أيوب الذي صبر على ذهاب ولده وماله وما تعرض له من المرض في جسده وابتعاد الناس عنه فقد دعا ربه ﴿أَنِّي مَسْنِي الضُّرُّ وَأَنْتَ أَرْحَمُ الرَّاحِمِينَ﴾ أي: نزل الضر بي واشتدت وطأته علي فارحمني فأنت أرحم الراحمين، وقيل: إن الضر الذي أصابه أنه قام ليصلي فلم يستطع وقيل: المراد انقطاع الوحي عنه، وقيل: تمزق بعض لحمه ﴿فَاسْتَجَبْنَا لَهُ، فَكَشَفْنَا مَا بِهِ مِنْ ضُرٍّ﴾ أي: قبلنا دعوته ﴿وَأَتَيْنَاهُ أَهْلَهُ وَمِثْلَهُمْ مَعَهُمْ﴾ قال مجاهد: قيل له يا أيوب إن أهلك لك في الجنة فإن شئت أتيناك بهم وإن شئت تركناهم لك في الجنة وعوضناك مثلهم قال: لا بل اتركهم لي في الجنة، فتركوا له في الجنة وعوض مثلهم في الدنيا^(١) ﴿رَحْمَةً مِّنْ عِندِنَا﴾ أي: كان ذلك رحمة له ولطفًا به ﴿وَذِكْرَىٰ لِلْعَابِدِينَ﴾ أي: أردنا أن يكون في صبره قدوة للعباد المخلصين الذين إذا ذكروا بلاءه وصبره عليه اقتدوا به في الصبر في الضراء.

أحكام ومسائل الآيتين:

في هاتين الآيتين: تقرير عظم الصبر على البأساء والضراء والشكر

(١) الجامع لأحكام القرآن للقرطبي ج ١١ ص ٣٢٦، وتفسير القرآن العظيم ج ٣ ص ١٨٥.

لله على البلوى كما قال عز وجل ﴿وَبَشِّرِ الصَّابِرِينَ﴾^(١). ﴿الَّذِينَ إِذَا أَصَابَتْهُمْ مُصِيبَةٌ قَالُوا إِنَّا لِلَّهِ وَإِنَّا إِلَيْهِ رَاجِعُونَ﴾^(٢). ﴿أُولَئِكَ عَلَيْهِمْ صَلَوَاتٌ مِنْ رَبِّهِمْ وَرَحْمَةٌ وَأُولَئِكَ هُمُ الْمُهْتَدُونَ﴾^(٣). وقوله عز ذكره ﴿وَالْعَصْرِ﴾^(٤). ﴿إِنَّ الْإِنْسَانَ لِفِي خُسْرٍ﴾^(٥). ﴿إِلَّا الَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ وَتَوَاصَوْا بِالْحَقِّ وَتَوَاصَوْا بِالصَّبْرِ﴾^(٦). وفيهما: تقرير وجوب الشكوى الى الله ودعائه في رفع الضر إذا نزل بالعبد. وفيهما تقرير وجوب الاعتبار بما يحدث من البلاء والمصائب وفضل الصبر عليها والاعتداء بالصالحين الذين يصبرون على ما يصيبهم من النوازل والفواجع.

﴿وَإِسْمَاعِيلَ وَإِدْرِيسَ وَذَا الْكِفْلِ كُلٌّ مِنَ الصَّابِرِينَ﴾^(١)
 وَأَدْخَلْنَاهُمْ فِي رَحْمَتِنَا إِنَّهُمْ مِنَ الصَّالِحِينَ^(٢).

بيان الآيتين:

﴿وَإِسْمَاعِيلَ وَإِدْرِيسَ﴾ هو إسماعيل الذبيح عليه السلام وهو أبو العرب وأمه هاجر المصرية، وإدريس وهو أخنوخ ﴿وَذَا الْكِفْلِ﴾

(١) سورة البقرة من الآية ١٥٥ .

(٢) سورة البقرة الآية ١٥٦ .

(٣) سورة البقرة الآية ١٥٧ .

(٤) سورة العصر الآية ١ .

(٥) سورة العصر الآية ٢ .

(٦) سورة العصر الآية ٣ .

رجل صالح قال ابن كثير: الظاهر من السياق أنه ما قرن مع الأنبياء إلا وهو نبي^(١) ﴿كُلُّ مِّنَ الصَّابِرِينَ﴾ أي: المراد أنهم صبروا على طاعة الله والقيام بما أمرهم به ﴿وَأَدْخَلْنَاهُمْ فِي رَحْمَتِنَا إِنَّهُمْ مِّنَ الصَّالِحِينَ﴾ أي: كتبنا لهم الجنة بسبب صلاحهم.

أحكام ومسائل الآيتين:

تقرير فضل الصبر وثناء الله على الصابرين من أنبيائه ورسله وعباده الصالحين؛ ذلك أن في الصبر على النوائب دليلاً على قوة الإيمان والثبات والرضا بقضاء الله وقدره في السراء والضراء ولهذا كتب الله الجنة للصابرين.

﴿وَذَا النُّونِ إِذْ ذَهَبَ مُغْضِبًا فَظَنَّ أَن لَّنْ نَّقْدِرَ عَلَيْهِ فَنَادَىٰ فِي الظُّلُمَاتِ أَن لَا إِلَهَ إِلَّا أَنْتَ سُبْحَانَكَ إِنِّي كُنْتُ مِنَ الظَّالِمِينَ﴾ ﴿فَاسْتَجَبْنَا لَهُ وَنَجَّيْنَاهُ مِنَ الْغَمِّ وَكَذَلِكَ نُخْرِجُ الْمُؤْمِنِينَ﴾

بيان الآيتين:

﴿وَذَا النُّونِ إِذْ ذَهَبَ مُغْضِبًا﴾ المراد به يونس بن متى فقد بعث - كما أشير من قبل - إلى أهل نينوى في العراق فدعاهم إلى

(١) تفسير القرآن العظيم ج ٣ ص ١٨٥ .

الله تعالى فأبوا فذهب منهم مغاضبا لله عز وجل ووعدهم بالعذاب فخافوا مما وعدهم به فدعوا الله بنسائهم وأطفالهم أن يدفع عنهم العذاب فتاب الله عليهم كما قال عز وجل ﴿فَلَوْلَا كَانَتْ قَرِيَةً ءَامَنَتْ فَنَفَعَهَا إِيمَنُهَا إِلَّا قَوْمٌ يُوَسُّوْنَ لِمَآ ءَامَنُوا كَشَفْنَا عَنْهُمْ ءَذَابَ الْخِزْيِ فِي الْحَيَوةِ الدُّنْيَا وَمَتَّعْنَاهُمْ إِلَىٰ حِينٍ﴾^(١). وأما يونس فقد فر منهم بسبب كفرهم ولم يعلم بتوبتهم وكان عليه أن يصبر عليهم ولا يتركهم إلا بإذن ربه.

وقد ركب مع قوم في سفينة، فلما أثقلها الراكبون وخافوا من الغرق استهموا أن يلقي أحدهم في البحر، فكان السهم يقع عليه ثلاث مرات كما قال عز وجل ﴿فَسَاهَمَ فَكَانَ مِنَ الْمُدْحَضِينَ﴾^(٢). ثم ألقي في البحر فالتقمه الحوت كما قال عز وجل ﴿فَالنَّعْمَةُ الْحَوْتُ وَهُوَ مُلِيمٌ﴾^(٣).

قوله ﴿فَظَنَّ أَن لَّنْ نَّقْدِرَ عَلَيْهِ﴾ أي: لن نحبسه في بطن الحوت من أجل مغاضبته لله ﴿فَكَادَىٰ فِي الظُّلُمَاتِ أَن لَّا إِلَهَ إِلَّا أَنْتَ سُبْحَانَكَ إِنِّي كُنْتُ مِنَ الظَّالِمِينَ﴾ أي: دعا ربه وهو في ظلمة بطن الحوت، وظلمة الليل، وظلمة البحر. ﴿فَاسْتَجَبْنَا لَهُ وَنَجَّيْنَاهُ مِنَ الْغَمِّ﴾ أي: استجبنا دعاءه وأخرجناه من بطن الحوت كما قال

(١) سورة يونس الآية ٩٨ .

(٢) سورة الصافات الآية ١٤١ .

(٣) سورة الصافات الآية ١٤٢ .

عزوجل ﴿فَلَوْلَا أَنَّهُ كَانَ مِنَ الْمُسَبِّحِينَ﴾^(١). ﴿لَلَيْثِ فِي بَطْنِهِ إِلَى يَوْمِ يُبْعَثُونَ﴾^(٢). ﴿وَكَذَلِكَ نُنْجِي الْمُؤْمِنِينَ﴾ أي: كما نجينا يونس ننجي المؤمنين إذا دعوا الله مخلصين.

أحكام ومسائل الآيتين

في هاتين الآيتين: تقرير أن الله يستجيب دعاء عباده الصالحين عندما يكونون في الشدائد، وفي حديث سعد بن أبي وقاص الطويل أن رسول الله ﷺ ذكر لنا أول دعوة، ثم جاء أعرابي فشغله حتى قام رسول الله ﷺ فاتبعته فلما أشفقت أن يسبقني إلى منزله ضربت بقدمي على الأرض، فالتفت إلي رسول الله ﷺ فقال: (من هذا أبو إسحاق؟) قال: قلت نعم يا رسول الله قال: (فمه) قلت: لا والله إنك ذكرت لنا أول دعوة، ثم جاء هذا الأعرابي فشغلك قال: (نعم دعوة ذي النون إذ دعاه وهو في بطن الحوت لا إله إلا أنت سبحانك إني كنت من الظالمين فإنه لم يدع بها رجل مسلم في شيء قط إلا استجاب الله له)^(٣).

﴿وَزَكَرِيَّا إِذْ نَادَىٰ رَبَّهُ رَبِّ لَا تَذَرْنِي فَرْدًا وَأَنْتَ خَيْرُ الْوَارِثِينَ﴾ ﴿فَاسْتَجَبْنَا لَهُ، وَوَهَبْنَا لَهُ، يَحْيَىٰ وَأَصْلَحْنَا

(١) سورة الصافات الآية ١٤٣.

(٢) سورة الصافات الآية ١٤٤.

(٣) أخرجه الترمذي في كتاب الدعوات، باب ٨٢، برقم (٣٥٠٥)، سنن الترمذي ج ٥ ص ٤٩٥، والمتقي الهندي في كنز العمال برقم (٤٩٩١)، ج ٢ ص ٦٥٣.

لَهُ زَوْجُهُۥ إِنَّهُمْ كَانُوا يُسْرِعُونَ فِي الْخَيْرَاتِ وَيَدْعُونَنَا رَغَبًا وَرَهَبًا وَكَانُوا لَنَا خَشِيعِينَ ﴿٢٠﴾

بيان الآيتين:

﴿وَزَكَرِيَّا إِذْ نَادَىٰ رَبَّهُ﴾ هذا بيان من الله عز وجل أن زكريا دعاه أن يهب له ولدا كما في قوله ﴿رَبِّ لَا تَذَرْنِي فَرْدًا﴾ أي: بلا ولد يولد لي ولا وارث يرثني في النبوة ﴿وَأَنْتَ خَيْرُ الْوَارِثِينَ﴾ أي: أتوسل إليك وأدعوك حق دعائك ألا تقطع النبوة عن عقبي ﴿فَاسْتَجَبْنَا لَهُ﴾ أي: أجبنا دعاءه ﴿وَوَهَبْنَا لَهُ يُحْيِي﴾ أي: مننا عليه بولد اسمه يحيى ﴿وَأَصْلَحْنَا لَهُ زَوْجَهُ﴾ أي: جعلناها تلد بعد أن كانت عاقرا ﴿إِنَّهُمْ كَانُوا يُسْرِعُونَ فِي الْخَيْرَاتِ﴾ المراد بهم زكريا ويحيى وامراته ﴿وَيَدْعُونَنَا رَغَبًا وَرَهَبًا﴾ أي: كانوا يدعوننا رغبة فيما عندنا ورهبة مما عندنا ﴿وَكَانُوا لَنَا خَشِيعِينَ﴾ أي: متواضعين.

أحكام ومسائل الآيتين:

في هاتين الآيتين: تقرير مشروعية طلب الذرية الصالحة. وفيهما: تقرير سؤال الله الزوجة الولود الصالحة. وفيهما: وجوب المسارعة إلى فعل الخير ودعاء الله، رغبة فيما عنده من الثواب ورهبة مما عنده من العقاب. وفيهما: تقرير فضيلة الخشوع لله في السر والعلن.

﴿وَالَّتِي أَحْصَنَتْ فَرْجَهَا فَنَفَخْنَا فِيهَا مِنْ رُوحِنَا وَجَعَلْنَاهَا
وَأَبْنَاهَا آيَةً لِلْعَالَمِينَ﴾

بيان الآية:

﴿وَالَّتِي أَحْصَنَتْ فَرْجَهَا﴾ أي: اذكر يا محمد مريم ابنة عمران التي
حفظت فرجها وصانته من الدنس ﴿فَنَفَخْنَا فِيهَا مِنْ رُوحِنَا﴾
أي: أمرنا جبريل أن ينفخ في كُمِّ ثوبها فحملت من جراء ذلك النفخ
بعيسى ﴿وَجَعَلْنَاهَا وَأَبْنَاهَا آيَةً لِلْعَالَمِينَ﴾ أي: جعلنا حملها
وولادتها آية للعالمين أي: دلالة لهم على قدرتنا أن تحمل المرأة دون زوج
كما فعلنا من قبل، فولدت زوجة زكريا يحيى وكانت عاقرا.

أحكام ومسائل الآية:

في هذه الآية: وجوب العفة وإحصان الفرج. وتقرير قدرة الله
عز وجل على فعل المعجزات؛ ليكون في ذلك عظة وذكرى لعباده أنه
القادر والمتصرف فيهم، وأن عليهم أن يعبدوه ويوحدوه.

﴿إِنَّ هَذِهِ أُمَّتُكُمْ أُمَّةً وَاحِدَةً وَأَنَا رَبُّكُمْ فَاعْبُدُونِ
وَتَقَطَّعُوا أَمْرَهُمْ بَيْنَهُمْ كُلُّ إِلَهِنَا زَجَعُوتَ ﴿٩٢﴾ فَمَنْ
يَعْمَلْ مِنَ الصَّالِحَاتِ وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَلَا كُفْرَانَ لِسَعِيدِهِ وَإِنَّا لَهُ
كَاتِبُونَ﴾

بيان الآيات

﴿إِنَّ هَذِهِ أُمَّتُكُمْ أُمَّةً وَاحِدَةً﴾ لما ذكر الله عز وجل الأنبياء قال: إن أمتكم أي دينكم دين واحد هو الاستسلام لله تعالى بتوحيده وطاعته ﴿وَأَنَا رَبُّكُمْ فَاعْبُدُونِ﴾ أي: لا رب لكم ولا إله لكم إلا أنا فاعبدوني ﴿وَتَقَطَّعُوا أَمْرَهُمْ بَيْنَهُمْ﴾ أي: اختلفت الأمم في الدين، فمنهم من عبد الله ووحده وأطاعه، ومنهم من أشرك به وعصاه ﴿كُلُّ إِلَيْنَا رَاجِعُونَ﴾ أي: كل منهم سيرجع إلينا يوم القيامة فنجازيه بما عمل من عمل صالح أو عمل سيئ ﴿فَمَنْ يَعْمَلْ مِنَ الصَّالِحَاتِ وَهُوَ مُؤْمِنٌ﴾ أي: من يعمل عملاً صالحاً وهو مسلم موحد ﴿فَلَكَفْرَانِ لِسَعِيهِ﴾ أي: لن يبخس أو يجحد عمله ﴿وَأَنَّا لَهُ كَاشِبُونَ﴾ أي: كاتبون لعمله محافظون عليه ليجزى به.

الحكم المستفاد من الآيات

في هذه الآيات: الحكم بأن دين العباد واحد هو الإسلام وهو توحيد الله وطاعته ونفي الشرك عنه. وفيها: تقرير أنه لا رب ولا إله في الوجود إلا الله وهو وحده المستحق للعبادة. وفيها: تقرير أن الأمم اختلفت في أديانها، فمنهم المسلم ومنهم الكافر ومنهم المشرك. وفيها: تقرير أن من يعمل العمل الصالح لا يجحد عليه بل يكتب ويحفظ له ليجزى عليه.

﴿وَحَرَّمْ عَلَى قَرْيَةٍ أَهْلَكْنَاهَا أَنَّهُمْ لَا يَرْجِعُونَ﴾ **حَقَّ**
 إِذَا فُتِحَتْ يَأْجُوجُ وَمَأْجُوجُ وَهُمْ مِّن كُلِّ حَدَبٍ يَنْسِلُونَ ﴿٢٢﴾
 وَأَقْتَرَبَ الْوَعْدُ الْحَقُّ فَإِذَا هِيَ شَاخِصَةٌ أَبْصَرُ الَّذِينَ كَفَرُوا يَتَوَلَّوْنَآ
 قَدْ كُنَّا فِي غَفْلَةٍ مِّنْ هَذَا بَلْ كُنَّا ظَالِمِينَ ﴿٢٣﴾

يُورِثُ الْوَارِثِينَ

﴿وَحَرَّمْ عَلَى قَرْيَةٍ أَهْلَكْنَاهَا أَنَّهُمْ لَا يَرْجِعُونَ﴾ **أَي:** حق
 على أهل كل قرية حدث لها هلاك في الدنيا أنهم لا يرجعون إليها قبل
 أن تقوم الساعة، وقد يكون الأصح أنهم لا يتوبون؛ لأنهم هلكوا قبل
 توبتهم فحينما تقوم عليهم الساعة لن يكون لهم توبة؛ لأن القيامة
 حساب بلا عمل **حَقَّ** إِذَا فُتِحَتْ يَأْجُوجُ وَمَأْجُوجُ سبق الحديث
 عنهم والمراد أنهم قوم يخرجون قبل قيام الساعة حين ينكسر السد
 الذي يمنعهم **وَهُمْ مِّن كُلِّ حَدَبٍ يَنْسِلُونَ** **أَي:** من كل
 مرتفع من الأرض يسرعون في المشي للسعي فيها فسادا **وَأَقْتَرَبَ**
الْوَعْدُ الْحَقُّ **أَي:** قرب يوم القيامة **فَإِذَا هِيَ شَاخِصَةٌ أَبْصَرُ**
الَّذِينَ كَفَرُوا **أَي:** بارزة أبصار الكافرين مما يشاهدونه من هول
 يوم القيامة وشدته **يَتَوَلَّوْنَآ** **أَي:** يدعون بالويل **قَدْ كُنَّا فِي**
غَفْلَةٍ مِّنْ هَذَا **أَي:** كنا ساهين في الدنيا **بَلْ كُنَّا ظَالِمِينَ**
أَي: لقد ظلمنا أنفسنا بما ارتكبناه من معصية الله.

أحكام ومسائل الآيات:

في هذه الآيات: تقرير أن من يهلكه الله من الأمم لم يعد له توبة؛ إذ إن التوبة مشروطة بالوجود في الحياة، فإذا انتهت الحياة الدنيا فلا توبة حينئذٍ. وهذا حكم عام فيمن يهلكه الله بعذاب كحال الأمم التي أهلكها بسبب عصيانها أو من يموت بانقضاء أجله المسمى كما قال عزوجل ﴿وَلَيْسَتِ التَّوْبَةُ لِلَّذِينَ يَعْمَلُونَ السَّيِّئَاتِ حَتَّى إِذَا حَضَرَ أَحَدَهُمُ الْمَوْتُ قَالَ إِنِّي تُبْتُ الْكُفْرَ﴾ الآية (١).

﴿إِنَّكُمْ وَمَا تَعْبُدُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ حَصَبُ جَهَنَّمَ أَنْتُمْ لَهَا وَرَدُونَ﴾ (١٨) لَوْ كَانَهُنَّ أَهْلَةً مَا وَرَدُوها وَكُلٌّ فِيهَا خَالِدُونَ ﴿١٩﴾ لَهُمْ فِيهَا زَفِيرٌ وَهُمْ فِيهَا لَا يَسْمَعُونَ ﴿٢٠﴾ إِنَّ الَّذِينَ سَبَقَتْ لَهُمْ مِنَّا الْحُسْنَىٰ أُولَٰئِكَ عَنْهَا مُبْعَدُونَ ﴿٢١﴾ لَا يَسْمَعُونَ حَسِيسَهَا وَهُمْ فِي مَا أُشْتَهَتْ أَنْفُسُهُمْ خَالِدُونَ ﴿٢٢﴾ لَا يَحْزَنُهُمُ الْفَزَعُ الْأَكْبَرُ وَتَتَلَقَّاهُمُ الْمَلَائِكَةُ هَذَا يَوْمُكُمْ الَّذِي كُنْتُمْ تُوعَدُونَ ﴿٢٣﴾

بيان الآيات:

﴿إِنَّكُمْ وَمَا تَعْبُدُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ حَصَبُ جَهَنَّمَ﴾

لما ذكر الله عز وجل اقتراب الساعة وشخص أبصار الكافرين من هولها خاطب الله المشركين في مكة وكل عبدة الأوثان والأصنام بأنهم سيكونون وقود جهنم أو حطبها ﴿أَنْتُمْ لَهَا وَارِدُونَ﴾ أي: مقبلون عليها داخلون فيها ﴿لَوْ كَانَتْ هَتُولَاءَ إِلَهَةً مَا وَرَدُوهَا﴾ المراد بالآلهة الأصنام فإنها ستلقى في النار معهم كما قال تعالى ﴿وَقُودُهَا النَّاسُ وَالْحِجَارَةُ﴾ ^(١) ولو أنها تستحق العبادة ما دخلوها، أما الملائكة والأنبياء الذين يُعْبَدُونَ من دون الله فلا يدخلون في عموم الآية والمعنى لو كانت هذه الأوثان المعبودة صحيحة لما دخلوا النار ﴿وَكُلٌّ فِيهَا خَالِدُونَ﴾ أي: العابدون والمعبودون ﴿لَهُمْ فِيهَا زَفِيرٌ﴾ المراد بهم الذين دخلوا النار والزفير الأثين الذي يخرج من القلب ضيقاً وحسرة ﴿وَهُمْ فِيهَا لَا يَسْمَعُونَ﴾ أي: لكونهم صمّاً كما قال عز وجل ﴿وَنَحْشُرُهُمْ يَوْمَ الْقِيَمَةِ عَلَىٰ وُجُوهِهِمْ عُمِيَآ وَبُكْمًا وَصُمًّا﴾ ^(٢).

﴿إِنَّ الَّذِينَ سَبَقَتْ لَهُمْ مِنَّا الْحُسْنَىٰ﴾ أي: الذين كتبنا لهم الجنة ﴿أُولَٰئِكَ عَنْهَا مُبْعَدُونَ﴾ أي: أنهم مبعدون عن جهنم ﴿لَا يَسْمَعُونَ حَسِيسَهَا﴾ أي: حركتها وصوتها ﴿وَهُمْ فِي مَا أَشْتَهَتْ أَنْفُسُهُمْ خَالِدُونَ﴾ أي: مقيمون فيها أبداً ولهم فيها ما تشتهي

(١) سورة البقرة من الآية ٢٤ .

(٢) سورة الإسراء من الآية ٩٧ .

أنفسهم من اللذات ﴿لَا يَحْزَنُهُمُ الْفَزَعُ الْأَكْبَرُ﴾ أي: لا يحزنون ولا يخافون من أهوال يوم القيامة ﴿وَنُلَقَّاهُمُ الْمَلَكَةَ﴾ أي: تتلطفهم عند أبواب الجنة، وقيل: عند النفخة للنشور تبشرهم برضا الله عنهم وتقول لهم ﴿هَذَا يَوْمُكُمْ الَّذِي كُنْتُمْ تُوعَدُونَ﴾ أي: هذا اليوم الذي وعدكم الله فيه بالثواب وحسن الجزاء.

أحكام ومساائل الآيات:

في هذه الآيات: تقرير ما للمشركين عبدة الأصنام من العذاب المهين خلافا للمؤمنين الذين سبقت لهم رحمة الله فأبعدهم عن العذاب، وجعل لهم الخلود في الجنة، وهياً لهم فيها ما تشتهيهِ نفوسهم من اللذات ووقاهم أهوال يوم القيامة.

﴿يَوْمَ نَطْوِي السَّمَاءَ كَطَيِّ السِّجِلِّ لِلْكُتُبِ كَمَا بَدَأْنَا أَوَّلَ خَلْقٍ نُعِيدُهُ وَعَدَّا عَلَيْنا إِنَّا كُنَّا فاعِلِينَ﴾

بيان الآية:

﴿يَوْمَ نَطْوِي السَّمَاءَ كَطَيِّ السِّجِلِّ لِلْكُتُبِ﴾ هذا بيان من الله عز وجل أنه يطوي يوم القيامة السماء كما تطوى الكتب كما قال عز وجل ﴿وَالسَّمَوَاتُ مَطْوِيَّاتٌ بِيَمِينِهِ﴾^(١). قوله ﴿كَمَا

(١) سورة الزمر من الآية ٦٧ .

بَدَأْنَا أَوَّلَ خَلْقٍ نُعِيدُهُ، وَعَدَّا عَلَيْهَا ۖ أَي: نعيد الخلاق كما كانوا في أول الخلق فنبعثهم من قبورهم ليوم الحساب والجزاء ۖ إِنَّا كُنَّا فَاعِلِينَ ۖ أَي: قادرين على ذلك.

أحكام ومبادئ (١٢)

في هذه الآية: تقرير أن الساعة اذا قامت طوى الله السماء كما تطوى الكتب، ويحيي الخلاق، كما أحياهم في بداية خلقهم وفي حديث ابن عباس قال: خطب رسول الله ﷺ فقال: إنكم محشورون إلى الله عز وجل حفاة عراة غرلا ۖ كَمَا بَدَأْنَا أَوَّلَ خَلْقٍ نُعِيدُهُ، وَعَدَّا عَلَيْهَا ۖ إِنَّا كُنَّا فَاعِلِينَ (١).

﴿وَلَقَدْ كَتَبْنَا فِي الزَّبُورِ مِنْ بَعْدِ الذِّكْرِ أَنَّ الْأَرْضَ يَرِثُهَا عِبَادِيَ الصَّالِحُونَ﴾ ۖ إِنَّ فِي هَذَا لَبَلَاغًا لِقَوْمٍ عَابِدِينَ ﴿وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلَّا رَحْمَةً لِّلْعَالَمِينَ﴾ .

بيان الآيات

﴿وَلَقَدْ كَتَبْنَا فِي الزَّبُورِ﴾ ۖ هذا بيان من الله عز وجل أنه كتب في الكتب المنزلة على أنبيائه ورسله كالطورا والإنجيل وصحف إبراهيم وموسى والقرآن ۖ مِنْ بَعْدِ الذِّكْرِ ۖ أَي: بعد ما كتب ذلك وقرره في

(١) أخرجه البخاري في كتاب التفسير، باب قوله تعالى: كَمَا بَدَأْنَا أَوَّلَ خَلْقٍ نُعِيدُهُ، وَعَدَّا عَلَيْهَا ۖ برقم (٤٧٤٠)، صحيح البخاري مع فتح الباري ج ٨ ص ٢٩٢ .

اللوح المحفوظ ﴿أَنْتَ الْأَرْضُ يَرِثُهَا عِبَادِيَ الصَّالِحُونَ﴾ قيل:
 الأرض أرض الجنة^(١) ولعل المراد الأرض في الدنيا يرثها عباد الله
 الذين صدقوه وآمنوا به وأحلوا ما أحله وحرّموا ما حرّمه واتبعوا ما
 جاءهم من عنده ﴿إِنَّ فِي هَذَا لَبَلَاغًا لِّقَوْمٍ عٰكِدِينَ﴾ أي: إن
 في هذا القرآن الذي أنزلناه نفعا وخيرا للذين يعبدون الله كما أمرهم
 به وينتھون عما نهاهم عنه ﴿وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلَّا رَحْمَةً لِّلْعٰلَمِينَ﴾
 هذا بيان من الله عز وجل أنه أرسل نبيه ورسوله محمداً ﷺ
 رحمة للعالمين؛ لأنه يبلغهم عن الله ما يدلهم إلى نفعهم في الدنيا
 والآخرة، فمن آمن بما جاء به فقد ربح دنياه وآخرته ومن عصاه
 فقد خسرهما.

أحكام ومسائل الآيات:

في هذه الآيات عدة أحكام: منها: أن الله كتب فيما أنزل على
 أنبيائه ورسله وفيما حفظه عنده في اللوح المحفوظ أن الأرض
 يرثها عباده الصالحون والإرث هنا بمعنى السيادة فيها لقول الله
 عز وجل ﴿أَنْتَ الْأَرْضُ لِلّٰهِ يُورِثُهَا مَنْ يَشَآءُ مِنْ عِبَادِهِۦ ۗ وَالْعَاقِبَةُ
 لِلْمُتَّقِينَ﴾^(٢). وقوله جل شأنه ﴿وَعَدَ اللّٰهُ الَّذِيْنَ ءَامَنُوْا مِنْكُمْ وَعَمِلُوا

(١) زاد المسير لابن الجوزي ص ٩٤٥ .

(٢) سورة الأعراف من الآية ١٢٨ .

الْصَّالِحَاتِ لِيَسْتَخْلِفَنَّهُمْ فِي الْأَرْضِ كَمَا اسْتَخْلَفَ الَّذِينَ
مِنْ قَبْلِهِمْ وَلِيُمَكِّنَنَّ لَهُمْ دِينَهُمُ الَّذِي ارْتَضَى لَهُمْ وَلِيُبَدِّلَنَّهُمْ مِنْ بَعْدِ
خَوْفِهِمْ أَمْنًا ﴿١﴾

قلت: وقد يقال إن الأرض يرثها المؤمن والكافر، وهذا صحيح،
غير أن ولاية الكافر ولاية دنيا، سرعان ما تنتهي وتؤول إلى الخراب
وهذا هو ما حصل للأمم الكافرة التي ورثت الأرض ثم سرعان ما
أهلكت. أما ولاية المؤمنين فهي ولاية أبدية تدوم إلى أن تقوم الساعة
وهذا هو حال أمة محمد ﷺ لا تزال ولن تزال إن شاء الله أمة باقية
إلى أن يرث الله الأرض ومن عليها ولو عادت هذه الأمة إلى ما كان
عليها سلفها الصالح من الصدق في الإيمان والعزيمة في العمل لكانت
قد ورثت الأرض كلها.

ومن الأحكام في الآيات: أن في القرآن الكريم ما يكفي لمن آمن بما
فيه واتبع أحكامه أن يصل إلى مبتغاه في الدارين. ومن الأحكام فيها:
فضل رسول الله ﷺ وأن الله قد أرسله رحمة للعالمين إنسهم وجنهم
وكبيرهم وصغيرهم ذكرهم وأنثاهم كما قال عز وجل ﴿حَرِيصٌ
عَلَيْكُمْ بِالْمُؤْمِنِينَ رَءُوفٌ رَحِيمٌ﴾ (٢).

نعم: كان عليه الصلاة والسلام رحيمًا بمن أرسله الله إليهم

(١) سورة النور من الآية ٥٥ .

(٢) سورة التوبة من الآية ١٢٨ .

فرغم ما تعرض له من الأذى والكيد فقد امتنع عن الدعاء عليهم وقال: (بل أرجو أن يخرج الله من أصلابهم من يعبد الله) ^(١). ولما قيل له ادع عليهم قال: (إني لم أبعث لعانا وإنما بعثت رحمة) ^(٢). وفي حديث أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: (إنما أنا بشر فأیما رجل من المسلمين سببته أو لعنته أو جلده فاجعلها له زكاة ورحمة) ^(٣).

﴿قُلْ إِنَّمَا يُوحِي إِلَيَّ أَنَّمَا إِلَهُكُمُ إِلَهٌُ وَاحِدٌ فَهَلْ أَنْتُمْ مُسْلِمُونَ ﴿٦٦﴾ فَإِنْ تَوَلَّوْا فَقُلْ ءَاذَنْتُكُمْ عَلَىٰ سَوَاءٍ وَإِنْ أَدْرَىٰ أَقْرَبُ أَمْ بَعِيدُ مَا تُوعَدُونَ ﴿٦٧﴾ إِنَّهُ يَعْلَمُ الْجَهْرَ مِنَ الْقَوْلِ وَيَعْلَمُ مَا تَكْتُمُونَ ﴿٦٨﴾ وَإِنْ أَدْرَىٰ لَعَلَّهُ فِتْنَةٌ لَّكُمْ وَمَنْعٌ إِلَىٰ حِينٍ ﴿٦٩﴾ قُلْ رَبِّ أَحْكُم بِالْحَقِّ وَرَبُّنَا الرَّحْمَنُ الْمُسْتَعَانُ عَلَىٰ مَا تَصِفُونَ ﴿٧٠﴾﴾

بيان الآيات:

﴿قُلْ إِنَّمَا يُوحِي إِلَيَّ أَنَّمَا إِلَهُكُمُ إِلَهٌُ وَاحِدٌ فَهَلْ أَنْتُمْ

(١) أخرجه البخاري في كتاب بدء الخلق، باب إذا قال أحدهم «آمين» والملائكة في السماء فوافقت إحداهما الأخرى غفر له ما تقدم من ذنبه، برقم (٢٢٣١)، صحيح البخاري مع فتح الباري ج ٦ ص ٣٦٠.

(٢) أخرجه مسلم في كتاب البر والصلة، باب النهي عن لعن الدواب وغيرها برقم (٢٥٩٩) صحيح مسلم بشرح النووي ج ١٠ ص ٦٦١٨.

(٣) أخرجه مسلم في كتاب البر والصلة، باب من لعنه النبي ﷺ أو سبه أو دعا عليه وليس أهلاً لذلك كان له زكاة وأجراً ورحمة، برقم (٢٦٠١)، صحيح مسلم بشرح النووي ج ١٠ ص ٦٦٢١.

مُسْلِمُونَ ﴿١٢﴾ أَي: قل يا محمد للمشركين إِنَّ مَا أَقُولُهُ لَكُمْ هُوَ وَحْيٌ
 مِنَ اللَّهِ أَنَّهُ لَيْسَ لَكُمْ إِلَهٌ إِلَّا إِلَهُ وَاحِدٌ هُوَ الَّذِي خَلَقَكُمْ وَيَحْيِيكُمْ
 وَيُمِيتُكُمْ ثُمَّ إِلَيْهِ تَرْجِعُونَ ﴿١٣﴾ فَإِنْ تَوَلَّوْا ﴿١٤﴾ أَي: أَعْرَضُوا عَمَّا تَقُولُهُ
 لَهُمْ ﴿١٥﴾ فَقُلْ ءَاذَنْتُكُمْ عَلَىٰ سَوَاءٍ ﴿١٦﴾ أَي: أَعْلَمْتُكُمْ أَنِّي بَرِيءٌ مِنْكُمْ
 وَأَنْتُمْ بَرِيئُونَ مِنِّي وَلَكُمْ عَمَلُكُمْ وَلِي عَمَلِي كَمَا قَالَ عَزَّوَجَلَّ ﴿١٧﴾ وَإِنْ
 كَذَّبُوكَ ﴿١٨﴾ فَقُلْ لِي عَمَلِي وَلَكُمْ عَمَلُكُمْ أَنْتُمْ بَرِيئُونَ مِمَّا أَعْمَلُ وَأَنَا
 بِرِيءٌ مِّمَّا تَعْمَلُونَ ﴿١٩﴾ وَقَوْلُهُ ﴿٢٠﴾ قُلْ يَتَأَيَّهَا الْكَافِرُونَ ﴿٢١﴾ (٢).
 ﴿٢٢﴾ لَا أَعْبُدُ مَا تَعْبُدُونَ ﴿٢٣﴾ وَلَا أَنْتُمْ عَابِدُونَ مَا أَعْبُدُ ﴿٢٤﴾ (٤).
 ﴿٢٥﴾ وَإِنْ أَدْرِىَ أَقْرَبُ أَمْ بَعِيدُ مَا تُوعَدُونَ ﴿٢٦﴾ أَي: لَا أَدْرِىَ مَتَى
 يَحِينُ الْوَقْتُ الَّذِي تُوْعَدُونَ بِهِ؟ لِأَنَّ عِلْمَهُ عِنْدَ اللَّهِ وَلَكِنَّهُ سَيَقَعُ لَا
 مُحَالَةً.

﴿٢٧﴾ إِنَّهُ يَعْلَمُ الْجَهْرَ مِنَ الْقَوْلِ ﴿٢٨﴾ أَي: إِنَّ اللَّهَ هُوَ الَّذِي يَعْلَمُ
 الْجَهْرَ وَالسِّرَ مِنْ أَقْوَالِ خَلْقِهِ وَأَفْعَالِهِمْ ﴿٢٩﴾ وَيَعْلَمُ مَا تَكْتُمُونَ ﴿٣٠﴾
 أَي: يَعْلَمُ مَا فِي ضَمَائِرِكُمْ، وَمَا تَبْدُونَ، وَمَا تَخْفُونَ ﴿٣١﴾ وَإِنْ أَدْرِىَ

(١) سورة يونس الآية ٤١ .

(٢) سورة الكافرون الآية ١ .

(٣) سورة الكافرون الآية ٢ .

(٤) سورة الكافرون الآية ٣ .

لَعَلَّهُ فِتْنَةً لَّكُمْ وَمَنْعٌ إِلَى حِينٍ ﴿١﴾ أي: لست أدري عما إذا كان نزول العذاب بكم فتنة لكم ومتاعاً إلى أجل مسمى أَجَلَهُ اللهُ لَكُمْ. ﴿٢﴾ قُلْ رَبِّ أَحْكُم بِالْحَقِّ ﴿٣﴾ هذا دعاء من رسول الله ﷺ أن يحكم بينه وبين قومه الذين كذبوا الحق الذي جاء به ﴿٤﴾ وَرَبُّنَا الرَّحْمَنُ الْمُسْتَعَانُ عَلَى مَا تَصِفُونَ ﴿٥﴾ أي: إن الله هو المستعان على ما يقوله المشركون ويفترونه من الكذب وما يفعلونه من المكاييد.

أحكام ومسائل الآيات:

في هذه الآيات: تقرير توحيد الألوهية، فمن كذب بذلك فقد برئ الله ورسوله منه. وفيها تقرير أن قيام الساعة واقع لا شك فيه؛ أما وقته فهو عند الله لا يعلمه إلا هو كما قال عز وجل ﴿قُلْ إِنَّمَا عِلْمُهَا عِنْدَ رَبِّي لَا يُجَلِّيهَا لِوَقْعِهَا إِلَّا هُوَ ثَقُلَتْ فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ لَا تَأْتِيكُمُ إِلَّا بَغْئَةً﴾ (١). وفيها: الحكم بأن الله وحده الذي يعلم أحوال خلقه جهرهم وسرهم وما في ضمائرهم. وفيها: تقرير أن تأخير العذاب عن المحادين لله المكذبين لرسوله قد يكون فتنة لهم فيمتعهم الله إلى أجل مسمى.

(١) سورة الأعراف من الآية ١٨٧ .

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

سورة الحج

مدنية وآياتها ثمان وسبعون آية

يَتَأْتِيهَا النَّاسُ اتَّقُوا رَبَّكُمُ إِنَّ زَلْزَلَةَ السَّاعَةِ شَيْءٌ عَظِيمٌ ﴿١﴾
يَوْمَ تَرَوْنَهَا تَذْهَلُ كُلُّ مُرْضِعَةٍ عَمَّا أَرْضَعَتْ وَتَضَعُ
كُلُّ ذَاتِ حَمْلٍ حَمْلَهَا وَتَرَى النَّاسَ سُكَرَىٰ وَمَا هُمْ بِسُكَرَىٰ
وَلَكِنَّ عَذَابَ اللَّهِ شَدِيدٌ ﴿٢﴾ وَمِنَ النَّاسِ مَن يُجَادِلُ فِي اللَّهِ بِغَيْرِ
عِلْمٍ وَيَتَّبِعُ كُلَّ شَيْطَانٍ مَّرِيدٍ ﴿٣﴾ كُتِبَ عَلَيْهِ أَنَّهُ مَن تَوَلَّاهُ فَأَنَّهُ
يُضِلُّهُ وَيَهْدِيهِ إِلَىٰ عَذَابِ السَّعِيرِ ﴿٤﴾

بيان الآيات:

﴿يَتَأْتِيهَا النَّاسُ اتَّقُوا رَبَّكُمُ﴾ هذه دعوة من الله عزوجل
للمكلفين من الناس أن يتقوه ويخشوه؛ لكي يفوزوا برحمته وينجوا
من عذابه قبل حدوث الزلزلة التي تحدث عند قيام الساعة وما في
هذه الزلزلة من الأهوال العظيمة وهو معنى قوله ﴿إِنَّ زَلْزَلَةَ
السَّاعَةِ شَيْءٌ عَظِيمٌ﴾. وقوله ﴿يَوْمَ تَرَوْنَهَا تَذْهَلُ كُلُّ
مُرْضِعَةٍ عَمَّا أَرْضَعَتْ﴾ أي: في هذه الزلزلة تشتغل كل مرضعة
عن رضيعها رغم حبها له وشفقتها عليه ﴿وَتَضَعُ كُلُّ ذَاتِ

حَمَلٍ حَمَلَهَا ﴿١﴾ أي: تسقط الحامل ما في بطنها من شدة الخوف من ذلك الهول ﴿وَتَرَى النَّاسَ سُكَرَىٰ وَمَا هُمْ بِسُكَرَىٰ﴾ أي: ومن شدة ذلك الهول ترى الناس مشدوهين فاقدين توازنهم كأنهم سكارى من الخمر وما هم في حقيقتهم بسكارى وَلَكِنَّ عَذَابَ اللَّهِ شَدِيدٌ ﴿٢﴾ أي: عظيم.

﴿وَمِنَ النَّاسِ مَن يُجَادِلُ فِي اللَّهِ بِغَيْرِ عِلْمٍ﴾ في هذا بيان من الله عز وجل أن من الناس من يترك الحق الذي جاءه بيّناً من عند الله ويتبع ما يقوله له أهل الكفر من الباطل والإعراض عن ذكر الله ويجادل فيما يقوله ويفعله دون أن يكون له علم أو بينة أو هدى من الله ﴿وَيَتَّبِعُ كُلَّ شَيْطَانٍ مَّرِيدٍ﴾ أي: ويتبع في جداله كل شيطان ضال ﴿كُتِبَ عَلَيْهِ أَنَّهُ مَن تَوَلَّاهُ﴾ أي: حكم عليه أنه إذا اتبعه ﴿فَأَنَّهُ يُضِلُّهُ﴾ وَيَهْدِيهِ إِلَىٰ عَذَابِ السَّعِيرِ ﴿٣﴾ أي: إذا اتبع هذا الشيطان المريد فإنه بلا شك يضلّه عن الحق ويؤدي به إلى عذاب جهنم.

الحكام ومسائل الآيات:

في هذه الآيات: تقرير حقيقة الزلزلة قبل قيام الساعة، وما فيها من الأهوال العظام وما يصيب الناس فيها من الخوف والشدائد كما قال عز وجل ﴿إِذَا زُلْزِلَتِ الْأَرْضُ زِلْزَالَهَا﴾ ^(١). وقد روى البخاري عن

(١) سورة الزلزلة الآية ١ .

أبي سعيد قال: قال رسول الله ﷺ: (يقول الله تعالى يوم القيامة: يا آدم؟ فيقول: لبيك ربنا وسعديك. فينادى بصوت إن الله يأمرك أن تخرج من ذريتك بعثا إلى النار. قال: يارب وما بعث النار؟ قال: من كل ألف أراه قال تسعمائة وتسعة وتسعون فحينئذ تضع الحمل حملها ويشيب الوليد وترى الناس سكارى وما هم بسكارى ولكن عذاب الله شديد). فشق ذلك على الناس حتى تغيرت وجوههم. فقال النبي ﷺ: (من يأجوج ومأجوج تسعمائة وتسعة وتسعون ومنكم واحد أنتم في الناس كالشعرة السوداء في جنب الثور الأبيض أو كالشعرة البيضاء في جنب الثور الأسود وإني لأرجو أن تكونوا ربع أهل الجنة فكبرنا ثم قال: ثلث أهل الجنة فكبرنا ثم قال: شطر أهل الجنة فكبرنا) (١).

وفي هذه الآيات تقرير حرمة الجدل بالباطل؛ لما فيه من الصد عن الحق والدعوة إلى الضلال. وفيها: تقرير أن من يوالي الشياطين يكون منهم ويكون مصيره معهم في نار جهنم كما قال عز وجل ﴿إِنَّ الشَّيْطَانَ لَكُمْ عَدُوٌّ فَاتَّخِذُوهُ عَدُوًّا إِنَّمَا يَدْعُوا حِزْبَهُ لِيَكُونُوا مِنْ أَصْحَابِ السَّعِيرِ﴾ (٢).

﴿يَتَأْتِيهَا النَّاسُ إِنْ كُنْتُمْ فِي رَيْبٍ مِّنَ الْبَعْثِ فَإِنَّا خَلَقْنَاهُ مِن

(١) أخرجه البخاري في كتاب التفسير، باب قوله تعالى ﴿وَرَى النَّاسَ سُكَرَى﴾ برقم (٤٧٤١)، صحيح البخاري مع فتح الباري ج ٨ ص ٢٩٥.

(٢) سورة فاطر الآية ٦.

تُرَابٍ ثُمَّ مِنْ نُطْفَةٍ ثُمَّ مِنْ عَلَقَةٍ ثُمَّ مِنْ مُضْغَةٍ مُخَلَّقَةٍ وَغَيْرِ
مُخَلَّقَةٍ لِنَبِّينَ لَكُمْ وَنُقِرُّ فِي الْأَرْحَامِ مَا نَشَاءُ إِلَى أَجَلٍ مُّسَمًّى
ثُمَّ نُخْرِجُكُمْ طِفْلاً ثُمَّ لِتَبْلُغُوا أَشُدَّكُمْ وَمِنْكُمْ مَنْ يُتَوَفَّى
وَمِنْكُمْ مَنْ يُرَدُّ إِلَى أَرْدَلِ الْعُمُرِ لِكَيْلَا يَعْلَمَ مِنْ بَعْدِ عِلْمٍ
شَيْئاً وَتَرَى الْأَرْضَ هَامِدَةً فَإِذَا أَنْزَلْنَا عَلَيْهَا الْمَاءَ اهْتَزَّتْ وَرَبَتْ
وَأَنْبَتَتْ مِنْ كُلِّ زَوْجٍ بَهِيجٍ ﴿٥﴾ ذَلِكَ بِأَنَّ اللَّهَ هُوَ الْحَقُّ وَأَنَّهُ
يُحْيِي الْمَوْتَى وَأَنَّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ﴿٦﴾ وَأَنَّ السَّاعَةَ آتِيَةٌ لَا رَيْبَ فِيهَا
وَأَنَّ اللَّهَ يَبْعَثُ مَنْ فِي الْقُبُورِ ﴿٧﴾

بيان الآيات:

﴿يَتَأْتِيهَا النَّاسُ إِنْ كُنْتُمْ فِي رَيْبٍ مِنَ الْبَعْثِ فَإِنَّا خَلَقْنَاهُ مِنْ
تُرَابٍ﴾ بهذا يخاطب الله عز وجل الذين ينكرون البعث بأن أصل
خلقة أبيهم آدم كانت من تراب ﴿ثُمَّ مِنْ نُطْفَةٍ﴾ أي: من قطرة المني
التي تمتزج من الزوجين كما قال عز وجل ﴿ثُمَّ جَعَلْ نَسْلَهُ مِنْ سُلَالَةٍ
مِنْ مَاءٍ مَهِينٍ﴾ (١). ﴿ثُمَّ مِنْ عَلَقَةٍ﴾ أي: يتحول هذا الماء خلال
أربعين يوماً إلى دم متجمد يتشكل في قطعة دم ﴿ثُمَّ مِنْ مُضْغَةٍ﴾
ثم تتحول هذه القطعة من الدم بعد أربعين يوماً إلى قطعة لحم قدر
المضغة ﴿مُخَلَّقَةٍ﴾ أي: مصوّرة خلقاً تاماً ﴿وَغَيْرِ مُخَلَّقَةٍ﴾ والمراد

بها السقط، ويكون نفخ الروح فيه بعد مرور مائة وعشرين يوما ﴿لِنُبَيِّنَ لَكُمْ﴾ أننا قادرون على ما نريد ﴿وَنُقَرِّ فِي الْأَرْحَامِ مَا نَشَاءُ إِلَى أَجَلٍ مُّسَمًّى﴾ أي: نثبت في الأرحام من كتبنا له الحياة، وفيه قول رسول الله ﷺ: (إن أحدكم يجمع في بطن أمه أربعين يوما ثم يكون علقه مثل ذلك ثم يكون مضغة مثل ذلك ثم يبعث الله إليه ملكاً فيؤمر بأربع كلمات فيكتب عمله وأجله ورزقه وشقي أم سعيد ثم ينفخ فيه الروح)^(١).

﴿ثُمَّ نُخْرِجُكُمْ طِفْلاً﴾ أي: تكونوا بعد ذلك أطفالاً صغاراً ضعيفي القوة ﴿ثُمَّ لَتَبْلُغُوا أَشُدَّكُمْ﴾ أي: تكون لديكم القوة في السمع والبصر والفهم وهي مرحلة الشباب ﴿وَمِنْكُمْ مَّنْ يُؤَفِّقُ﴾ أي: في مرحلة شبابه ﴿وَمِنْكُمْ مَّنْ يَرُدُّ إِلَى أَرْدَلِ الْعُمُرِ﴾ أي: مرحلة الشيخوخة والهرم وضعف الجسم والفهم ﴿لَكَيْلَا يَعْلَمَ مِنْ بَعْدِ عِلْمٍ شَيْئاً﴾ أي: يصير في جسمه وعقله وفهمه مثل الطفل الذي لا يعلم شيئاً.

﴿وَتَرَى الْأَرْضَ هَامِدةً﴾ لما ذكر الله عز وجل قدرته في خلق الإنسان وتدرج هذا الخلق دلل أيضاً على كمال قدرته في إحياء الأرض

(١) أخرجه البخاري في كتاب الأنبياء، باب خلق آدم وذريته، برقم (٢٣٣٢)، صحيح البخاري مع فتح الباري ج ٦ ص ٤١٨.

الميتة فإذا أنزل عليها المطر تحركت في داخلها وأنبتت الزروع وكل ما هو جميل في منظره وطيب في ريحه ونافع للعباد وأنعامهم وهو معنى قوله ﴿وَأَنْبَتَتْ مِنْ كُلِّ زَوْجٍ بَهِيجٌ﴾.

﴿ذَلِكَ بِأَنَّ اللَّهَ هُوَ الْحَقُّ﴾ أي: هو الخلاق العظيم المتصرف في خلقه المدبر لهم والمطلع على سرائرهم ﴿وَأَنَّهُ يُخَيِّ الْمَوْتَى﴾ أي: يبعثهم ليوم الحساب والجزاء ﴿وَأَنَّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾ أي: قادر على كل ما يريد كما قال عز وجل ﴿إِنَّمَا أَمْرُهُ إِذَا أَرَادَ شَيْئًا أَنْ يَقُولَ لَهُ كُنْ فَيَكُونُ﴾^(١). ﴿وَأَنَّ السَّاعَةَ آتِيَةٌ لَا رَيْبَ فِيهَا﴾ أي: واقعة لا محالة ﴿وَأَنَّ اللَّهَ يَبْعَثُ مَنْ فِي الْقُبُورِ﴾ أي: يحييهم بعد مماتهم كما خلقهم أول مرة.

أحكام ومسائل الآيات:

في هذه الآيات: الحكم بقدرة الله عز وجل على خلق الإنسان وتقرير مراحل هذه الخلق إلى حين انتهاء أجله، وبيان ذلك في صورة حسية يدركها عقله بعد أن رآها صورة واضحة في نفسه فيكون فيها عبرة للعاقل منه ليجعل عبادته للذي خلقه وصوره. ومن الأحكام: أن المولود إذا سقط صارخا يصلى عليه، وقيل: يصلى عليه متى ما نفخ فيه الروح

(١) سورة يس الآية ٨٢.

بعد مرور مائة وعشرين يوما على حملها. ومن هذه الأحكام: أنه يورث إذا استهل أي: كان منه حركة أو رفع صوت أو عطاس لحديث أبي هريرة أن رسول الله ﷺ قال: (إذا استهل المولود ورث)^(١).

وفي هذه الآيات: تقرير أن الساعة آتية لا مرأى فيها، وأن الناس يبعثون حينئذ من قبورهم قياما لرب العالمين.

﴿وَمِنَ النَّاسِ مَن يُجَادِلُ فِي اللَّهِ بِغَيْرِ عِلْمٍ وَلَا هُدًى وَلَا كِتَابٍ مُّنِيرٍ﴾
 ثَانِي عِطْفِهِ لِيُضِلَّ عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ لَهُ فِي الدُّنْيَا خِزْيٌ وَنَذِيقُهُ يَوْمَ
 الْقِيَمَةِ عَذَابَ الْحَرِيقِ ﴿١﴾ ذَلِكَ بِمَا قَدَّمْتَ يَدَاكَ وَأَنَّ اللَّهَ لَيْسَ بِظَلَمٍ
 لِلْعَبِيدِ ﴿٢﴾

بيان الآيات:

﴿وَمِنَ النَّاسِ مَن يُجَادِلُ فِي اللَّهِ بِغَيْرِ عِلْمٍ وَلَا هُدًى وَلَا كِتَابٍ مُّنِيرٍ﴾
 نزلت هذه الآية في أبي جهل بن هشام وقيل: في النضر بن الحارث وكان هذا ينكر نبوة رسول الله ﷺ ورسالته، ويقول إن القرآن لم يكن منزلا من عند الله، وإن الملائكة هم بنات الله وغير ذلك من الأقوال

(١) أخرجه أبو داود في كتاب الفرائض، باب في المولود يستهل ثم يموت، برقم (٢٩٢٠)، سنن أبي داود ج ٣ ص ٥٦، وابن ماجه في كتاب الفرائض، باب إذا استهل المولود ورث، برقم (٢٧٥٠)، سنن ابن ماجه ج ٢ ص ٩١٩، والدارمي في كتاب الفرائض، باب ميراث الصبي، برقم (٣١٢٦)، سنن الدارمي ج ٢ ص ٤٨٥.

القيحة^(١) فكان جداله جدال جهل وضلال ليس له من العلم ولا من الهدى أو الكتب الصحيحة شيء ﴿ثَانِي عَظِيمٌ﴾ المراد به النضر بن الحارث فكان يلوي جانبه استكبارا وتجبرا ﴿لِيُضِلَّ عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ﴾ أي: يعمل على صد الناس عن اتباع الحق ويدعوهم إلى اتباع الباطل ﴿لَهُ فِي الدُّنْيَا خِزْيٌ﴾ أي: هوان وذلة وشماتة وقد حصل له هذا يوم أمر رسول الله ﷺ بقتله يوم بدر صبرا لما كان منه من المحادة والمعاندة لأمر الله والكيد لرسوله وللمؤمنين ﴿وَنَذِيقُهُ يَوْمَ الْقِيَمَةِ عَذَابَ الْحَرِيقِ﴾ أي: سوف يلقي يوم القيامة عذاب جهنم ﴿ذَلِكَ بِمَا قَدَّمْتَ يَدَاكَ﴾ أي: تقول له ملائكة العذاب يوم القيامة أن ما تجزى به اليوم من العذاب هو جزاء ما ارتكبته من الشرك والكفر ومحاربة الله ورسوله ﴿وَأَنَّ اللَّهَ لَيْسَ بِظَلَمٍ لِّلْعَبِيدِ﴾ أي: أنه لن يظلم أحدا من عباده فيجازيه على ذنب لم يفعله.

أحكام ومسائل الآيات:

في هذه الآيات: الحكم بتحريم المجادلة بالباطل، ويدخل في ذلك الجدل في الدين كما فعلت الفرق القديمة من القدرية والمرجئة والمشبّهة والمعطلّة التي شغلت الأمة زمنا طويلا بجدال فاسد ألهاها عن العمل والتفكير المبني على العقل السليم. وكما تفعل الفرق المعاصرة المنحرفة

(١) الجامع لأحكام القرآن ج ١٢ ص ١٥.

كالبابية والبهائية والقاديانية وغيرهم من الفرق المنحرفة، كما يدخل في الجدل الباطل الجدل في أمور الدنيا إذا كان يؤدي إلى إلهاء الأمة عن واقعها ومشكلاتها والمخاطر المحيطة بها، وهو ما يفعله بعض الأفراد باسم الفكر، أو ما تفعله بعض الأحزاب بحجة السياسة.

ومن الأحكام: تحريم الكبر؛ لما فيه من الاستعلاء على عباد الله وفيه قول رسول الله ﷺ: (لا ينظر الله إلى من جرّ ثوبه خيلاء)^(١). وقوله عليه الصلاة والسلام: (لا يدخل الجنة من كان في قلبه مثقال ذرة من كبر)^(٢).

﴿وَمِنَ النَّاسِ مَن يَعْبُدُ اللَّهَ عَلَىٰ حَرْفٍ فَإِنْ أَصَابَهُ خَيْرٌ اطْمَأَنَّ بِهِ وَإِنْ أَصَابَتْهُ فِتْنَةٌ انْقَلَبَ عَلَىٰ وَجْهِهِ خَسِرَ الدُّنْيَا وَالْآخِرَةَ ذَلِكَ هُوَ الْخُسْرَانُ الْمُبِينُ ﴿١١﴾ يَدْعُوا مِن دُونِ اللَّهِ مَا لَا يَضُرُّهُ وَمَا لَا نِنْفَعُهُ ذَلِكَ هُوَ الضَّلَالُ الْبَعِيدُ ﴿١٢﴾ يَدْعُوا لَمَن ضَرُّهُ أَقْرَبُ مِّن نَّفْعِهِ لَيْتَ لِمَوْلَىٰ وَلَيْتَ الْعَشِيرُ ﴿١٣﴾﴾

بيان الآيات:

﴿وَمِنَ النَّاسِ مَن يَعْبُدُ اللَّهَ عَلَىٰ حَرْفٍ﴾ هذا مما نزل ببعض الأعراب

(١) أخرجه البخاري في كتاب اللباس، باب قول الله تعالى ﴿قُلْ مَن حَرَّمَ زِينَةَ اللَّهِ الَّتِي أَخْرَجَ لِعِبَادِهِ﴾ برقم (٥٧٨٣)، صحيح البخاري مع فتح الباري ج ١٠ ص ٢٦٤.

(٢) أخرجه مسلم في كتاب الإيمان، باب بيان تحريم الكبر وبيانها، برقم (٩١)، صحيح مسلم بشرح النووي ج ١ ص ٧٣٥.

فقد كان أحدهم يأتي إلى المدينة فيسلم، فإذا ولدت امرأته غلاما وأنجبت أنعامه تفاعل واستبشر بذلك وقال هذا بسبب هذا الدين، وإن ولدت زوجته بنتا أو لم تنتج أنعامه تشاءم وقال: هذا دين سوء^(١) وهو معنى قوله تعالى ﴿فَإِنْ أَصَابَهُ خَيْرٌ اطْمَأَنَّ بِهِ وَإِنْ أَصَابَهُ فِتْنَةٌ أُنْقَلَبَ عَلَىٰ وَجْهِهِ﴾ أي: إن أصابه مرض أو نحوه من أمور الدنيا ارتد كافرا ﴿خَسِرَ الدُّنْيَا وَالْآخِرَةَ﴾ أي: صارت خسارته مضاعفة فيخسر الدنيا بحيث لم يحصل على خير فيها ويخسر الآخرة بارتداده عن الإسلام والعياذ بالله ﴿ذَلِكَ هُوَ الْخُسْرَانُ الْمُبِينُ﴾ أي: هذه هي الخسارة الجسيمة والمصير المشؤوم.

﴿يَدْعُوا مِنْ دُونِ اللَّهِ مَا لَا يَضُرُّهُ وَمَا لَا نَفْعَ لَهُ﴾ أي: إن هذا الذي ارتد عن الإسلام يعود إلى عبادة الأصنام التي لا تنفعه ولا تضره بشيء ﴿ذَلِكَ هُوَ الضَّلَالُ الْبَعِيدُ﴾ أي: الضلال الذي يبعد صاحبه عن الهدى في الدنيا والآخرة ﴿يَدْعُوا لِمَنْ ضَرُّهُ أَقْرَبُ مِنْ نَفْعِهِ﴾ أي: هذا الذي ارتد عن الإسلام يدعو الأصنام التي ضررها أقرب من نفعها؛ لأنه بسبب عبادته لها يشرك بالله فتكون النار جزاءه ﴿لَيْسَ الْمَوْلَىٰ﴾ أي: تعس هذا الصنم الذي دعاه من دون الله ﴿وَلَيْسَ الْعَشِيرُ﴾ أي: المعاشر والملازم له.

(١) أسباب نزول القرآن للواحي ص ٥٠١، وتفسير البغوي ص ٨٥٩.

أحكام ومسائل الآيات:

الحكم ببطلان دين من يعبد الله وهو شاك في عبادته فيسلم إن كان يرى في إسلامه فائدة دنيوية له، ويرتد إذا وجد في إسلامه خلاف ذلك كحال بعض الأعراب والمنافقين الذين أسلموا يبتغون من إسلامهم منافع لهم في الدنيا. ومن الأحكام: أن عبادة الأصنام سفه في العقل؛ لأن العاقل لا يعبد من لا يضر ولا ينفع، وإنما يعبد من يضر وينفع وهو الله عز وجل.

﴿إِنَّ اللَّهَ يَدْخُلُ الَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ إِنَّ اللَّهَ يَفْعَلُ مَا يُرِيدُ﴾ ﴿١٤﴾

بيان الآية:

﴿إِنَّ اللَّهَ يَدْخُلُ الَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ﴾ لما بين الله عز وجل أهل الشقاوة وأهل الضلال الذين يجادلون في الله بغير علم ويستكبرون عن عبادته ويعبدون ما لا ينفعهم، بين حال المؤمنين الذين آمنوا بالله قولاً وعملاً، واجتهدوا في فعل الصالحات والطاعات ووعدهم بالجنة بكل ما فيها من النعيم ﴿إِنَّ اللَّهَ يَفْعَلُ مَا يُرِيدُ﴾ أي: يجازي المؤمنين بدخولهم الجنة ويجازي الكافرين بما يستحقونه من العذاب.

أحكام ومسائل الآية:

تقرير وعد الله - ووعده الحق - أنه يدخل الذين آمنوا بالله قولاً

وعملا وصدقوا رسوله واتبعوه جنات تجري من تحتها الأنهار، وفي هذا الوعد بشارة للمؤمنين ليعلموا أن الله لن يضيع أعمالهم وإنما يجازيهم الحسنة بعشر أمثالها. ومن أحكام الآية: أن الله بمشيئته النافذة وقدرته المطلقة يفعل ما يريد بحكمته وتقديره فيقول للشيء كن فيكون فتقدسست أسماؤه وصفاته.

﴿مَنْ كَانَتْ يَظُنُّ أَنْ لَنْ يَنْصُرَهُ اللَّهُ فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ فَلْيَمْدُدْ بِسَبَبٍ إِلَى السَّمَاءِ ثُمَّ لِيَقْطَعْ فَلْيَنْظُرْ هَلْ يُذْهِبَنَّ كَيْدُهُ مَا يَغِيظُ﴾ (١٥)
 وَكَذَلِكَ أَنْزَلْنَاهُ آيَاتٍ بَيِّنَاتٍ وَأَنَّ اللَّهَ يَهْدِي مَنْ يُرِيدُ. ﴿١٦﴾

بيان الآيتين:

﴿مَنْ كَانَتْ يَظُنُّ أَنْ لَنْ يَنْصُرَهُ اللَّهُ فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ﴾ من كان يظن أن الله لن ينصر رسوله ﷺ أو يظن أن الله يقطع عنه النصر الذي أوتيته ﴿فَلْيَمْدُدْ بِسَبَبٍ إِلَى السَّمَاءِ﴾ أي: فليطلب حيلة يصل بها إلى السماء ﴿ثُمَّ لِيَقْطَعْ﴾ أي: ثم ليقطع النصر إن قدر ﴿فَلْيَنْظُرْ هَلْ يُذْهِبَنَّ كَيْدُهُ﴾ وحيلته ما يغيظه من نصر النبي.

﴿وَكَذَلِكَ أَنْزَلْنَاهُ﴾ أي: القرآن العظيم ﴿آيَاتٍ بَيِّنَاتٍ﴾ أي: جليات في ألفاظها وأحكامها تبشر المؤمنين وتنذر العاصين ﴿وَأَنَّ اللَّهَ يَهْدِي مَنْ يُرِيدُ﴾ أي: يهدي ويضل بحكمته من يشاء من عباده.

أحكام ومسائل الآيتين:

في هذه الآيات: الحكم بأن الله قد تعهد بنصر دينه ورسوله محمد ﷺ، ومن أصابه الغيظ من ذلك فليفعل ما يشاء من الحيل لرد هذا النصر مع أنه عاجز عن ذلك. والحكم أن الله قد أنزل القرآن للناس فيه البيان الجلي لشرع الله وأوامره ونواهيه، فإن اتبعوا ما فيه نجوا وإن تولوا عنه هلكوا.

﴿إِنَّ الَّذِينَ ءَامَنُوا وَالَّذِينَ هَادُوا وَالصَّابِئِينَ وَالنَّصْرِيَّ وَالْمَجُوسَ وَالَّذِينَ أَشْرَكُوا إِنَّ اللَّهَ يَفْصِلُ بَيْنَهُمْ يَوْمَ الْقِيَمَةِ إِنَّ اللَّهَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ شَهِيدٌ﴾ (١٧)

بيان الآية:

﴿إِنَّ الَّذِينَ ءَامَنُوا﴾ المراد بهم المسلمون ﴿وَالَّذِينَ هَادُوا﴾ المراد بهم اليهود ﴿وَالصَّابِئِينَ﴾ طائفة لها طقوس مستمدة من ديانات ومعتقدات مختلفة^(١). ﴿وَالنَّصْرِيَّ﴾ هم المنتسبون إلى ملة عيسى بن مريم. ﴿وَالْمَجُوسَ﴾ المراد بهم عبدة الكواكب ﴿وَالَّذِينَ أَشْرَكُوا﴾ أي: عبدة

(١) سبقت الإشارة إلى هذه الطائفة في المجلد ١، وقد ذكر شيخ الإسلام ابن تيمية أن الصابئة نوعان: حنفاء ومشركون. أما الحنفاء فهم بمنزلة من كان متبعاً للتوراة والإنجيل قبل النسخ والتحريف وهؤلاء مدحهم الله وأثنى عليهم. وأما الصابئة المشركون فهم قوم يعبدون الملائكة .. فمن دان منهم بدين أهل الكتاب فهو منهم. كتاب الرد على المنطقيين ج ١ ص ٤٨٠ .

الأوثان ﴿إِنَّ اللَّهَ يَفْصِلُ بَيْنَهُمْ يَوْمَ الْقِيَمَةِ﴾ أي: سيحكم بينهم يوم القيامة بالعدل، فمن كان مؤمناً بالله مصداقاً لرسوله محمد ﷺ دخل الجنة ومن كان غير ذلك لاقى العذاب. ﴿إِنَّ اللَّهَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ شَهِيدٌ﴾ أي: شاهد على أقوال العباد وأفعالهم يعلم ما يبذرون وما يكتُمون.

أحكام ومسائل الآية:

في هذه الآية: بيان من الله عز وجل أنه سوف يفصل بين المؤمنين والكافرين يوم القيامة بالحق والعدل وهو في الحقيقة فصل بين الحق والباطل؛ فالْمُؤْمِنُونَ حين يفدون إلى الله تشفع لهم أعمالهم في الدنيا ويشفع لهم رسول الله ﷺ ويشفع بعضهم لبعض فيحكم الله فيهم بعدله ورحمته فيدخلون الجنة؛ أما المشركون الذين جعلوا مع الله أنداداً، واستكبروا عن عبادته فيجدون أنفسهم يوم القيامة دون حجة تشفع لهم فيحكم الله فيهم بعدله فيلاقون العذاب.

﴿أَلَمْ تَرَ أَنَّ اللَّهَ يَسْجُدُ لَهُ، مَنْ فِي السَّمَوَاتِ وَمَنْ فِي الْأَرْضِ وَالشَّمْسُ وَالْقَمَرُ وَالنُّجُومُ وَالْجِبَالُ وَالشَّجَرُ وَالْدَّوَابُّ وَكَثِيرٌ مِّنَ النَّاسِ وَكَثِيرٌ حَقَّ عَلَيْهِ الْعَذَابُ وَمَنْ يُهِنِ اللَّهُ فَمَا لَهُ، مِنْ مُّكْرِمٍ إِنَّ اللَّهَ يَفْعَلُ مَا يَشَاءُ﴾

بيان الآية:

﴿أَلَمْ تَرَ﴾ أي: ألم تعلم وتتيقن يا محمد ﴿أَنَّ اللَّهَ يَسْجُدُ لَهُ،

مَنْ فِي السَّمَوَاتِ وَمَنْ فِي الْأَرْضِ ﴿١﴾ أي: يخضع ويذل لعظمته كل من في السموات والأرض من الملائكة والإنس والجن ﴿وَالشَّمْسُ وَالْقَمَرُ وَالنُّجُومُ﴾ أي: وتخضع لعظمته هذه الأفلاك التي يعبدها المشركون وما علموا أن الله هو الذي خلقها وأنها تسجد له ﴿وَالْجِبَالُ وَالشَّجَرُ وَالْدَّوَابُّ﴾ أي: وتخضع لعظمته الجبال والأشجار وسائر الدواب وهي كل ما يدب على الأرض من الحيوانات والزواحف ﴿وَكَثِيرٌ مِّنَ النَّاسِ﴾ أي: ويسجد لعظمته كثير من الناس والمراد بهم الذين آمنوا به واثتمروا بأمره وانتهوا عن نهيه ﴿وَكَثِيرٌ حَقَّ عَلَيْهِ الْعَذَابُ﴾ أي: ويمتنع عن السجود له من عتا وتكبر فاستحق بذلك العذاب ﴿وَمِنْ يُّهِنُ اللَّهُ فَمَأَلَهُ، مِّنْ مُّكْرِمٍ﴾ أي: من أهانه الله بالكفر فلا يستطيع أحد إكرامه ﴿إِنَّ اللَّهَ يَفْعَلُ مَا يَشَاءُ﴾ أي: يفعل ما يريد بحكمته وعلمه.

أحكام ومسائل الآية:

في هذه الآية: تذكير رسول الله ﷺ والمراد أمته أن كل شيء في الوجود يسجد لعظمة الله وشاهده قوله عز وجل ﴿أَوَلَمْ يَرَوْا إِلَىٰ مَا خَلَقَ اللَّهُ مِنْ شَيْءٍ يَنْفَيوُا ظِلَالُهُ عَنِ الْيَمِينِ وَالشَّمَائِلِ سُجَّدًا لِلَّهِ وَهُمْ دَاخِرُونَ﴾ (١). وقوله عز ذكره ﴿لَا تَسْجُدُوا لِلشَّمْسِ وَلَا لِلْقَمَرِ وَاسْجُدُوا لِلَّهِ الَّذِي خَلَقَهُنَّ إِن كُنتُمْ إِيَّاهُ تَعْبُدُونَ﴾ (٢). وشاهده

(١) سورة النحل الآية ٤٨ .

(٢) سورة فصلت من الآية ٣٧ .

من السنة ما رواه أبو ذر رضي الله عنه قال: دخلت المسجد ورسول الله ﷺ جالس فلما غابت الشمس قال: (يا أبا ذر هل تدري أين تذهب هذه؟) قال: قلت الله ورسوله أعلم. قال: (فإنها تذهب فتستأذن في السجود فيؤذن لها وكأنها قد قيل لها ارجعي من حيث جئت فتطلع من مغربها)^(١). وفي حديث أبي هريرة أن رسول الله ﷺ قال: (إذا قرأ ابن آدم السجدة فسجد اعتزل الشيطان يبكي يقول: يا ويله أمر ابن آدم بالسجود فسجد فله الجنة وأمرت بالسجود فأبيت فلي النار)^(٢).

وفي هذه الآية أيضاً: أن كل المخلوقات تسبح بحمد الله كما قال عز وجل ﴿وَإِنْ مِنْ شَيْءٍ إِلَّا يَسْبِيحُ بِحَمْدِهِ وَلَكِنْ لَا تَفْقَهُونَ تَسْبِيحَهُمْ﴾^(٣). وفيها: أن المستثنى من عدم السجود والتسبيح بعض بني آدم كما قال عز وجل ﴿وَكَثِيرٌ حَقَّ عَلَيْهِ الْعَذَابُ﴾ فاستوجبوا بذلك العقاب لتكبرهم عن السجود.

﴿ هَذَانِ خَصْمَانِ اخْتَصَمُوا فِي رَبِّهِمْ فَالَّذِينَ كَفَرُوا قُطِعَتْ لَهُمْ نِيَابٌ مِّنْ نَّارٍ يَصُبُّ مِنْ فَوْقِ رُءُوسِهِمُ الْحَمِيمُ ۝١٩ يَصْهَرُ بِهِ مَا فِي بُطُونِهِمْ وَالْجُلُودُ ۝٢٠ وَلَهُمْ مَقَمِعٌ مِّنْ حَدِيدٍ ۝٢١ كُلَّمَا أَرَادُوا أَنْ يَخْرُجُوا مِنْهَا مِنْ غَمٍّ أُعِيدُوا فِيهَا وَذُوقُوا عَذَابَ الْحَرِيقِ ۝٢٢﴾

(١) أخرجه مسلم في كتاب الإيمان، باب بيان الزمن الذي لا يقبل فيه الإيمان برقم (١٥٩) صحيح مسلم بشرح النووي ج ١ ص ٨٩٩.

(٢) أخرجه مسلم في كتاب الإيمان، باب بيان إطلاق اسم الكفر على من ترك الصلاة، برقم (٨١) صحيح مسلم بشرح النووي ج ١ ص ٧٠٣.

(٣) سورة الإسراء من الآية ٤٤.

بيان الآيات:

﴿هَذَانِ خَصْمَانِ اخْتَصَمُوا فِي رَبِّهِمْ﴾ أي: تخاصموا في دين الله وقد نزلت هذه الآية في الذين بارزوا يوم غزوة بدر وهم حمزة بن عبد المطلب وعلي بن أبي طالب وعبيدة وشيبة بن ربيعة وعتبة بن ربيعة والوليد بن عتبة^(١) ﴿فَالَّذِينَ كَفَرُوا قُطِعَتْ لَهُمْ ثِيَابٌ مِنْ نَارٍ﴾ أي: فصل للذين جحدوا دين الله واتبعوا الباطل ثياب من نار ﴿يُصَبُّ مِنْ فَوْقِ رُءُوسِهِمُ الْحَمِيمُ﴾ أي: يصب فوق رؤوسهم الماء الحار من النار ثم ﴿يُصْهَرُ بِهِ﴾ أي: يذاب ويحرق به ﴿مَا فِي بُطُونِهِمْ وَالْجُلُودُ﴾ أي: ويشوي كذلك جلودهم ﴿وَلَهُمْ مَقْعِعٌ مِنْ حَدِيدٍ﴾ أي: مطارق يضربون بها ﴿كُلَّمَا أَرَادُوا أَنْ يَخْرُجُوا مِنْهَا مِنْ غَمٍّ﴾ أي: أنهم يعيشون في النار في ظلمة وغم وألم، فإذا أرادوا أن يخرجوا منها للخلاص مما هم فيه ﴿أَعِيدُوا فِيهَا﴾ أي: أرجعوا إلى النار ﴿وَذُوقُوا عَذَابَ الْحَرِيقِ﴾ أي: توبخهم ملائكة العذاب وتقول لهم: ذوقوا ما كنتم به تستهزؤون.

أحكام ومسائل الآيات:

في هذه الآيات: تقرير أن الخصومة قائمة بين المؤمنين والكافرين إلى يوم القيامة، وأن الكافرين يلاقون أشد العذاب يوم العرض على الله، وقد

(١) أسباب نزول القرآن للواحي ص ٥٠٢، وأخرجه البخاري في كتاب التفسير، باب قوله تعالى (هذان خصمان اختصموا في ربهم)، برقم (٤٧٣٤)، صحيح البخاري مع فتح الباري ج ٨ ص ٢٩٧.

تجلت هذه الخصومة منذ أن خلق الله الخلائق فعصى إبليس ربه عن السجود لآدم، وقتل ابن آدم أخاه ظلماً وحسداً، واستمر الخصام بين الحق والباطل في كل زمان ومكان وهو ما رأيناه وشهدناه، ولا نزال نشهده ونراه من العداوة لدين الله ومحاربتة بشتى أنواع الكيد والافتراء.

﴿إِنَّ اللَّهَ يَدْخُلُ الَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ جَنَّاتٍ تَجْرَى مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ يُحَكَّوْنَ فِيهَا مِنْ أَسَاوِرَ مِنْ ذَهَبٍ وَلُؤْلُؤًا وَلِبَاسُهُمْ فِيهَا حَرِيرٌ ۖ وَهُدًوَا إِلَى الطَّيِّبِ مِنَ الْقَوْلِ وَهُدًوَا إِلَى صِرَاطٍ الْحَمِيدِ ۖ﴾

بيان الآيتين:

﴿إِنَّ اللَّهَ يَدْخُلُ الَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ﴾ الآية. لما بين الله حال المتخاصمين في دين الله بالباطل وما سيلاقونه من العذاب، بين حال المؤمنين الصالحين، وأنهم يدخلون الجنة بكل ما فيها من النعيم ولباس الزينة من الذهب والحريير. وَهُدًوَا إِلَى الطَّيِّبِ مِنَ الْقَوْلِ المراد به شهادة ألا إله إلا الله. وَهُدًوَا إِلَى صِرَاطٍ الْحَمِيدِ أي: أرشدوا إلى صراط الله وهو دين الإسلام.

أحكام ومسائل الآيتين:

في هاتين الآيتين: تقرير أن المؤمنين الذين خصهم الله بالنعيم

أرشدوا إلى القول الطيب وهو كلمة التوحيد لا إِلَهَ إِلَّا اللهُ؛ كما
أرشدوا كذلك إلى اتباع دين الله الإسلام وتصديق رسول الله محمد
ﷺ والإقرار برسالته.

﴿إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا وَيَصُدُّونَ عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ وَالْمَسْجِدِ الْحَرَامِ
الَّذِي جَعَلْنَاهُ لِلنَّاسِ سَوَاءً الْعَكْفُ فِيهِ وَالْبَادِ وَمَنْ يُرِدْ فِيهِ
بِالْحَكْمِ يُظْلَمِ نُذُقْهُ مِنْ عَذَابٍ أَلِيمٍ﴾

بيان الآية:

﴿إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا وَيَصُدُّونَ عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ وَالْمَسْجِدِ الْحَرَامِ﴾
لما بين عز وجل حال المشركين واختصامهم في دين الله وتكذيبه ذكر من
صفاتهم الصد عن سبيل الله، وذلك بمنع الناس من الدخول فيه والصد
كذلك عن دخول المسجد الحرام كما فعلوا ذلك مع رسول الله ﷺ عام
الحديبية لقوله عز وجل ﴿يَسْأَلُونَكَ عَنِ الشَّهْرِ الْحَرَامِ قِتَالٍ فِيهِ قُلْ قِتَالٌ
فِيهِ كَبِيرٌ وَصَدُّ عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ وَكُفْرُ بِهِ وَالْمَسْجِدِ الْحَرَامِ﴾^(١).

﴿الَّذِي جَعَلْنَاهُ لِلنَّاسِ سَوَاءً الْعَكْفُ فِيهِ وَالْبَادِ﴾ هذا وصف
للمسجد الحرام الذي منع المشركون الناس من الوصول إليه، بينما
أن الله جعله عاما لهم، لا فرق فيه بين المقيم وغير المقيم ﴿وَمَنْ

يُرَدِّ فِيهِ بِالْحَكَامِ { أي: ينوي فيه فعل الباطل ﴿بِظُلْمٍ﴾ أي: متعمد قاصد ﴿نُذِقَهُ مِنْ عَذَابِ أَلِيمٍ﴾ أي: يلقي العذاب الأليم في الدنيا والآخرة.

أحكام ومسائل الآية:

في قوله ﴿سَوَاءٌ أَلْعَكِفُ فِيهِ وَالْبَادُ﴾ خلاف حول إيجار وبيع دور مكة، وسبب الخلاف حول ما إذا كانت مكة فتحت عنوة أم صلحا؟ فالقول بأنها فتحت عنوة يعني أنها بالقوة والقهر ولكن رسول الله ﷺ لم يقسمها، بل أقرها لأهلها ولن بعدهم فتبقى دورها لا تكرى ولا تباع ومن سبق إلى مكان فيها فهو أولى به، وقال بهذا الإمامان أبو حنيفة^(١) ومالك^(٢) كما قال به الأوزاعي^(٣).

ومن قال بهذا: استدل بما روي أن رسول الله ﷺ توفي وأبو بكر وعمر، وما تدعى رباع مكة إلا السوائب^(٤). وما روي أيضا أنه عليه الصلاة والسلام قال: (مكة حرام حرّمها الله لا تحل بيع رباعها ولا إجارة بيوتها)^(٥). وما روي أن عائشة رضي الله عنها قالت: قلت

(١) بدائع الصنائع في ترتيب الشرائع ج ٥ ص ١٤٦.

(٢) الجامع لأحكام القرآن ج ١٢ ص ٣٣.

(٣) الجامع لأحكام القرآن ج ١٢ ص ٣٣.

(٤) أخرجه ابن ماجة في كتاب المناسك، باب أجر بيوت مكة، برقم (٣١٠٧)، سنن ابن ماجة ج ٢ ص ١٠٣٧.

(٥) أخرجه الزيلعي في نصب الراية (ط المجلس العلمي) ج ٤ ص ٢٦٦، وقال: إسناده ضعيف لإرساله، والهيثمى في مجمع الزوائد ج ٣ ص ٢٩٧.

يارسول الله ألا نبني لك بمنى بيتا أو بناء يظلك من الشمس؟ فقال:
(لا إنما هو مناخ من سبق إليه)^(١).

القول الثاني: أن مكة فتحت صلحا، وقال بهذا الإمام الشافعي واحتج بقول الله تعالى ﴿الَّذِينَ أُخْرِجُوا مِنْ دِيَارِهِمْ﴾^(٢). كما احتج بأن رسول الله ﷺ قال يوم الفتح: (من أغلق بابه فهو آمن ومن دخل دار أبي سفيان فهو آمن)^(٣). كما احتج بحديث أسامة بن زيد قال: قلت يا رسول الله أين تنزل في دارك بمكة؟ فقال: (وهل ترك عقيل من ربيع)^(٤). أما الإمام أحمد بن حنبل فله روايتان: رواية أن بيع ربيع مكة وإجارة دورها غير جائز، وفي الرواية الثانية: يجوز بيع ربيعها وإجارة بيوتها^(٥).

قلت: والذي عليه طائفة من السلف أن ربيع مكة تورث وتؤجر وهو المعقول وقد دلت عليه الأدلة.

﴿وَإِذْ بَوَّأْنَا لِإِبْرَاهِيمَ مَكَانَ الْبَيْتِ أَنْ لَا تُشْرِكْ بِي شَيْئًا

(١) أخرجه أبو داود في كتاب المناسك، باب تحريم حرم مكة، برقم (٢٠١٩)، سنن أبي داود ج ٢ ص ١٦٨، والترمذي في كتاب الحج، باب ما جاء أن منى مناخ من سبق، برقم (٨٨١)، سنن الترمذي ج ٣ ص ٢٢٨.

(٢) فتح الباري لابن حجر، ج ٣ ص ٥٢٧، وشرح النووي لمسلم ج ٦ ص ٣٦٤٥.

(٣) أخرجه مسلم في كتاب الجهاد، باب فتح مكة، برقم (١٧٨٠)، صحيح مسلم بشرح النووي ج ٨ ص ٤٩٤٢.

(٤) أخرجه البخاري في كتاب الحج، باب توريث دور مكة وبيعها وشراؤها، برقم (١٥٨٨)، صحيح البخاري مع فتح الباري ج ٣ ص ٥٢٦.

(٥) المغني لابن قدامة ج ٦ ص ٣٦٤ - ٣٦٧.

وَطَهَّرَ بَيْتِي لِلطَّائِفِينَ وَالْقَائِمِينَ وَالرُّكَّعِ السُّجُودِ ﴿٣٦﴾ وَأَذِّنْ
 فِي النَّاسِ بِالْحَجِّ يَأْتُوكَ رِجَالًا وَعَلَى كُلِّ ضَامِرٍ يَأْتِينَ مِنْ كُلِّ
 فَجٍّ عَمِيقٍ ﴿٣٧﴾ لِيَشْهَدُوا مَنَافِعَ لَهُمْ وَيَذْكُرُوا اسْمَ اللَّهِ فِي
 أَيَّامٍ مَّعْلُومَاتٍ عَلَى مَا رَزَقَهُمْ مِنْ بَهِيمَةِ الْأَنْعَامِ فَاكْلُوا مِنْهَا
 وَأَطْعِمُوا الْبَائِسَ الْفَقِيرَ ﴿٣٨﴾ ثُمَّ لِيَقْضُوا تَفَثَهُمْ وَلْيُوفُوا
 نُذُورَهُمْ وَلْيَطَّوَّفُوا بِالْبَيْتِ الْعَتِيقِ ﴿٣٩﴾ ﴿٤٠﴾

بيان الآيات:

﴿وَإِذْ بَوَّأْنَا لِإِبْرَاهِيمَ مَكَانَ الْبَيْتِ﴾ هذا تنبيه لرسول
 الله ﷺ يقول الله فيه: اذكر أننا أسكننا إبراهيم بمكة وأرشدناه إلى
 مكان البيت لبنائه ﴿أَنْ لَا تَشْرِكَ بِشَيْئًا﴾ أي: ألزمناه ألا يشرك
 في العبادة مع الله أحدا ﴿وَطَهَّرَ بَيْتِي لِلطَّائِفِينَ وَالْقَائِمِينَ
 وَالرُّكَّعِ السُّجُودِ﴾ أي: نزهه من أرجاس الشرك والمشركين واجعله
 مكانا خالصا طاهرا للمتعبدين بالطواف والقيام والركوع والسجود
 ﴿وَأَذِّنْ فِي النَّاسِ بِالْحَجِّ﴾ أي: ادع الناس إلى الحج في هذا البيت ولما
 تلقى إبراهيم عليه السلام هذا الأمر، قال: يا رب كيف أبلغ الناس
 وصوتي لا يصل إليهم ؟ فقال: ناد وعلينا البلاغ، فقام على مقامه
 وقال: يا أيها الناس إن ربكم قد اتخذ بيتا فحجوا، فيقال: إن الجبال
 تواضعت حتى بلغ الصوت أرجاء الأرض، وأسمع من في الأرحام

والأصلاب، وأجابه كل شيء سمعه من حجر ومدر وشجر ومن كتب الله أنه يحج إلى يوم القيامة^(١).

وقوله ﴿يَأْتُوكَ رِجَالًا وَعَلَى كُلِّ ضَامِرٍ﴾ أي: يأتوك للحج يمشون وركبانا على ضوامر الإبل التي أنهكها السير من طول المسافة ممن هم خارج مكة وهو معنى قوله عز وجل ﴿يَأْتِينَكَ مِنْ كُلِّ فِجٍّ عَمِيقٍ﴾ أي: من مختلف الطرق والمسالك.

﴿لِيَشْهَدُوا مَنَافِعَ لَهُمْ﴾ أي: يشهدوا منافع لهم في الدنيا والآخرة، فمنافع الدنيا فيما يحصل لهم من التجارة وفوائد السفر، أما منافع الآخرة فحصولهم على رحمة الله ورضوانه جزاء تلبيتهم لندائه ﴿وَيَذْكُرُوا اسْمَ اللَّهِ فِي أَيَّامٍ مَّعْلُومَاتٍ﴾ أي: ويلبون ويوحدون الله في الأيام المعلومات وهي عشر ذي الحجة؛ لقول رسول الله ﷺ: (ما العمل في أيام العشر أفضل من العمل في هذه) قالوا: ولا الجهاد؟ قال: (ولا الجهاد إلا رجل خرج يخاطر بنفسه وماله فلم يرجع بشيء)^(٢). قوله ﴿عَلَى مَا رَزَقَهُمْ مِنْ بَهِيمَةِ الْأَنْعَامِ﴾ أي: الإبل والبقر والغنم ﴿فَكُلُوا مِنْهَا وَأَطْعَمُوا الْبَاسِ الْفَقِيرَ﴾ أي: كلوا من هديكم وأطعموا منه

(١) تفسير القرآن العظيم ج ٣ ص ٢١٠، وجامع البيان عن تأويل آي القرآن ج ١٠ ص ١٤٤، والجامع لأحكام القرآن ج ١٢ ص ٣٨.

(٢) أخرجه البخاري في كتاب العيدين، باب فضل العمل في أيام التشريق، برقم (٩٦٩)، صحيح البخاري مع فتح الباري ج ٢ ص ٥٣٠.

الفقراء ﴿ثُمَّ لِيَقْضُوا تَفَثَهُمْ﴾ المراد به حل الإحرام وحلق الرأس أو تقصيره وقص الأظافر ولبس الثياب ﴿وَلِيُوفُوا نَذْرَهُمْ﴾ أي: يذبحوا ما نذروه لله من الأضاحي والهدي ﴿وَلِيَطُوفُوا بِالْبَيْتِ الْعَتِيقِ﴾ المراد به طواف الإفاضة أحد أركان الحج.

أحكام ومسائل الآيات:

في هذه الآيات عدة أحكام: منها: وجوب تطهير البيت الحرام كما قال عز وجل ﴿وَعَهْدُنَا إِلَىٰ آبَائِهِمْ وَإِسْمَاعِيلَ أَن طَهِّرَا بَيْتِيَ لِلطَّائِفِينَ وَالْعَاكِفِينَ وَالرُّكَّعِ السُّجُودِ﴾^(١). والطهارة هنا نوعان: طهارة روحية أو دينية وهي أن يكون كل ما فيه خالصا لوجه الله، فلا يكون فيه مجال للشرك أو البدع أو نحوها. وطهارة مادية وهي أن يكون نظيفا من الأوساخ والأقذار صالحا للمتعبدين لله بالطواف والصلاة. ومنها: أن الحج يكون بالمشي والركوب، والسير إليه راكبا أفضل اقتداء برسول الله ﷺ، فقد حج راكبا مع قدرته على المشي. ومن الأحكام: وجوب ذكر الله في الحج بالتلبية والاستغفار واستشعار عظمة الله، وخاصة يوم عرفة لقول رسول الله ﷺ: (ما من أيام أعظم عند الله ولا أحب إليه العمل فيهن من الأيام العشر فأكثروا فيهن من التسبيح والتهليل والتكبير والتحميد)^(٢). وقوله

(١) سورة البقرة من الآية ١٢٥.

(٢) أخرجه الطبراني في المعجم الكبير ج ١١ ص ٨٣، والهيثمي في مجمع الزوائد ومنبع الفوائد ج ٤

عليه الصلاة والسلام: (ما رئي الشيطان بأصغر ولا أذحر ولا أحقر ولا أغيظ منه في يوم عرفة وما ذاك إلا لما يرى من تنزل الرحمة وتجاوز الله عن الذنوب العظام إلا ما رئي يوم بدر)^(١). ومن هذه الأحكام: جواز الاتجار في الحج، على ألا يكون هذا هو المبتغى منه، فإن فعل الحاج ذلك فليس له من حجه إلا ما ابتغاه لقول رسول الله ﷺ: (إنما الأعمال بالنيات وإنما لكل امرئ ما نوى)^(٢).

ومنها: فضيلة الأكل من ذبائح الهدى، اقتداء برسول الله ﷺ لما ثبت أنه لما نحر هديه أمر من كل بدنة ببضعة من لحمها فطبخت فأكل من لحمها وحسا من مرقها^(٣). ومن هذه الأحكام: وجوب الحلق أو التقصير بعد رمي جمرة العقبة يوم النحر ثم الإفاضة؛ لأن رسول الله ﷺ لما رجع إلى منى يوم النحر بدأ برمي جمرة العقبة فرماها بسبع حصيات، ثم نحر هديه وحلق رأسه ثم أفاض إلى البيت فطاف به^(٤).

ومن هذه الأحكام: وجوب الوفاء بالنذور وهي نحر ما نذر من البدن طاعة لله والمراد بالنذور ما كانت شرعية؛ أما غيرها فيحرم

(١) أخرجه الخطيب التبريزي في مشكاة المصابيح، ج ٢ ص ٧٩٨.

(٢) أخرجه البخاري في كتاب الإيمان، باب كيف كان بدء الوحي إلى رسول الله ﷺ، برقم (١) صحيح البخاري مع فتح الباري ج ١ ص ١٥.

(٣) أخرجه ابن ماجة في كتاب الأضاحي، باب الأكل من لحوم الضحايا برقم (٣١٥٨)، سنن ابن ماجة ج ٢ ص ١٠٥٥، والإمام أحمد في مسنده ج ١ ص ٣١٤.

(٤) أخرجه مسلم في كتاب الحج، باب بيان أن السنة يوم النحر أن يرمي ثم ينحر ثم يحلق والابتداء بالجانب الأيمن من رأس المخلوق، برقم (١٣٠٥)، بدون ذكر طواف الإفاضة، صحيح مسلم بشرح النووي ج ٦ ص ٣٥٣١.

لقول رسول الله ﷺ: (من نذر أن يطيع الله فليطعه ومن نذر أن يعصى الله فلا يعصه) (١).

﴿ذَلِكَ وَمَنْ يُعْظَمْ حُرْمَتِ اللَّهِ فَهُوَ خَيْرٌ لَهُ، عِنْدَ رَبِّهِ. وَأُحِلَّتْ لَكُمْ الْآنَعَامُ إِلَّا مَا يُتْلَى عَلَيْكُمْ فَاجْتَنِبُوا الرِّجْسَ مِنَ الْأَوْثَانِ وَاجْتَنِبُوا قَوْلَ الزُّورِ ۖ حُنَفَاءَ لِلَّهِ غَيْرَ مُشْرِكِينَ بِهِ. وَمَنْ يُشْرِكْ بِاللَّهِ فَكَأَنَّمَا خَرَّ مِنَ السَّمَاءِ فَتَخْطَفُهُ الطَّيْرُ أَوْ تَهْوِي بِهِ الرِّيحُ فِي مَكَانٍ سَحِيقٍ ۖ﴾

بيان الآية:

﴿ذَلِكَ وَمَنْ يُعْظَمْ حُرْمَتِ اللَّهِ فَهُوَ خَيْرٌ لَهُ، عِنْدَ رَبِّهِ﴾ المراد أن من يجتنب محارم الله ويعظم هذه الحرمة في نفسه فسوف يجزيه الله الجزاء الحسن ﴿وَأُحِلَّتْ لَكُمْ الْآنَعَامُ إِلَّا مَا يُتْلَى عَلَيْكُمْ﴾ أي: أن جميع الأنعام حلال لكم أكل لحومها إلا ما استثناه الله بقوله ﴿حُرِّمَتْ عَلَيْكُمْ أَلْمَيْتَةُ وَالْدَّمُ وَلَحْمُ الْخِنْزِيرِ وَمَا أَهَلَ لِغَيْرِ اللَّهِ بِهِ. وَالْمُنْخَفَقَةُ وَالْمَوْقُودَةُ وَالْمُتَرَدِّيةُ وَالنَّطِيحَةُ وَمَا أَكَلَ السَّبْعُ إِلَّا مَا ذَكَّيْتُمْ وَمَا ذُبِحَ عَلَى النُّصُبِ﴾ (٢). وقوله عز ذكره

(١) أخرجه البخاري في كتاب الأيمان والنذور، باب النذر في الطاعة، برقم (٦٦٩٦)، صحيح البخاري مع فتح الباري ج ١١ ص ٥٨٩.

(٢) سورة المائدة من الآية ٣.

﴿مَا جَعَلَ اللَّهُ مِنْ بَحِيرَةٍ وَلَا سَائِبَةٍ وَلَا وَصِيلَةٍ وَلَا حَامٍ﴾^(١).

﴿فَاجْتَنِبُوا الرِّجْسَ مِنَ الْأَوْثَانِ﴾ أي: اجتنبوا عبادة الأصنام
 ﴿وَأَجْتَنِبُوا قَوْلَ الزُّورِ﴾ أي: الكذب وكل ما يخالف الحقيقة
 ﴿حُنَفَاءَ لِلَّهِ﴾ أي: مطيعين مخلصين له العبادة ﴿غَيْرَ مُشْرِكِينَ
 بِهِ﴾ أي: غير متخذين إلها غيره ﴿وَمَنْ يُشْرِكْ بِاللَّهِ فَكَأَنَّمَا خَرَّ
 مِنْ السَّمَاءِ﴾ أي: مثل المشرك مثل الذي يسقط من السماء لا يملك
 لنفسه نفعا ولا يدفع عنها ضرا ﴿فَتَخَطَّفَهُ الطَّيْرُ﴾ أي: تتلقفه
 في الهواء ﴿أَوْ تَهْوِي بِهِ الرِّيحُ فِي مَكَانٍ سَحِيقٍ﴾ أي: توصله إلى
 مكان يكون فيه بعيدا عن الحق.

أحكام ومسائل الآيتين:

في هاتين الآيتين عدة أحكام: منها: الحكم بوجوب تعظيم حرمان
 الله قولاً وعملاً، باطنا وظاهراً، سرا وجهراً. ومنها: الحكم بأن الله أحل
 لعباده سائر الأنعام إلا ما استثناه منها ومن ذلك: الميتة والدم والخنزير
 وغير ذلك مما ورد نصاً في القرآن وفي السنة النبوية. ومن هذه الأحكام:
 تحريم عبادة الأصنام، ويشمل ذلك كل ما كان فيه عبادة أو تعظيم
 لغير الله، سواء كان هذا التعظيم مباشراً أو غير مباشر، ومن ذلك
 تعظيم بعض الأشخاص كالزعماء أو المتنفذين باسم الدين ونحوهم.

ومنها: تحريم قول الزور وهو كل قول أو فعل يغيّر الأمور عن حقائقها أو صفاتها، ومنه شهادة الزور؛ ففي حديث أبي بكرة أن رسول الله ﷺ قال: (ألا أنبئكم بأكبر الكبائر؟) قلنا بلى يا رسول الله قال: (ثلاثة الإشراف بالله وعقوق الوالدين) وكان متكئا فجلس فقال: (ألا وقول الزور ألا وشهادة الزور) فما زال يقولها حتى قلت لا يسكت^(١).

﴿ذَلِكَ وَمَنْ يُعْظَمْ شَعِيرَ اللَّهِ فَإِنَّهَا مِنْ تَقْوَى الْقُلُوبِ﴾^{٣٢}
 ﴿لَكُمْ فِيهَا مَنَافِعُ إِلَى أَجَلٍ مُّسَمًّى ثُمَّ مَحْلُهَا إِلَى الْبَيْتِ الْعَتِيقِ﴾^{٣٣}

بيان الآيتين:

﴿ذَلِكَ وَمَنْ يُعْظَمْ شَعِيرَ اللَّهِ﴾ شعائر الله أحكامه وأوامره ونواهيه ﴿فَإِنَّهَا مِنْ تَقْوَى الْقُلُوبِ﴾ أي: لا يعظمها إلا من كان قلبه تقيا ومن شعائر الله تعظيم البدن وكل ما يهدي لله كان يكون الهدى وما في حكمه سمينا طيبا؛ لأن الله طيب لا يقبل إلا طيبا. قوله ﴿لَكُمْ فِيهَا مَنَافِعُ﴾ أي: إن لكم في الهدايا والبدن منافع جمة ومن ذلك صوفها وأشعارها وأوبارها فضلا عن ركوبها ﴿إِلَى أَجَلٍ مُّسَمًّى﴾ أي: أن لكم منافعها إلى وقت ذبحها يوم العيد وأيام التشريق ﴿ثُمَّ مَحْلُهَا إِلَى الْبَيْتِ الْعَتِيقِ﴾ أي: مكان الهدى البيت العتيق وهو مكة والحرم.

(١) أخرجه البخاري في كتاب الأدب، باب عقوق الوالدين من الكبائر، برقم (٥٩٧٦)، صحيح البخاري مع فتح الباري ج ١٠ ص ٤١٩.

أحكام ومسائل الآيتين:

الحكم بوجوب تعظيم شعائر الله، وهي حرماته والدلالة على أن هذا التعظيم لا يكون إلا من قلوب تقية. ومن الأحكام: مشروعية الانتفاع من البدن والهدايا إلى أن يحين الوقت الذي تذبح فيه.

﴿وَلِكُلِّ أُمَّةٍ جَعَلْنَا مَنْسَكًا لِيَذْكُرُوا اسْمَ اللَّهِ عَلَى مَا رَزَقَهُمْ مِنْ بَهِيمَةٍ الْأَنْعَمِ فَإِلَهُكُمْ إِلَهُ وَحْدٌ فَلَهُ أَسْلِمُوا وَبَشِّرِ الْمُخْبِتِينَ ﴿٣٤﴾ الَّذِينَ إِذَا ذُكِرَ اللَّهُ وَجِلَتْ قُلُوبُهُمْ وَالصَّابِرِينَ عَلَى مَا أَصَابَهُمْ وَالْمُقِيمِي الصَّلَاةِ وَمِمَّا رَزَقْنَاهُمْ يُنفِقُونَ ﴿٣٥﴾﴾

بيان الآيتين:

﴿وَلِكُلِّ أُمَّةٍ جَعَلْنَا مَنْسَكًا﴾ لما بين الله تعالى الهدايا والبدن التي جعلها من شعائره في الحج بين أن لكل أمة من الأمم المؤمنة ذبائح يتقربون بها إلى الله حسبما نزل عليهم وذلك ﴿لِيَذْكُرُوا اسْمَ اللَّهِ عَلَى مَا رَزَقَهُمْ مِنْ بَهِيمَةٍ الْأَنْعَمِ﴾ أي: وأوجب عليهم أن يذكروا اسم الله عند ذبح أنعامهم ﴿فَالِلَهُكُمْ إِلَهُ وَحْدٌ﴾ أي: إله الأمم كلها واحد هو الله الذي لا إله غيره ولا رب سواه ﴿فَلَهُ أَسْلِمُوا﴾ أي: استسلموا له وأطيعوه ﴿وَبَشِّرِ الْمُخْبِتِينَ﴾ المراد بهم المتذللون لله الخاضعون لعظمته ﴿الَّذِينَ إِذَا ذُكِرَ اللَّهُ وَجِلَتْ

قُلُوبُهُمْ ﴿١﴾ أي: الذين إذا ذكر ربهم وجلت قلوبهم خشية منه
وَالصَّابِرِينَ عَلَى مَا أَصَابَهُمْ ﴿٢﴾ أي: يصبرون عند المصائب ولا
يجزعون منها ﴿٣﴾ وَالْمُقِمِّي الصَّلَاةِ ﴿٤﴾ أي: الذين يؤدونها بشروطها
وأركانها في أوقاتها ﴿٥﴾ وَمِمَّا رَزَقْنَاهُمْ يُنْفِقُونَ ﴿٦﴾ أي: يزكون أموالهم
ويتصدقون منها على الفقراء والمحاويج.

أحكام ومسائل الآيتين:

تقرير أن الله شرع للأمم ديناً واحداً هو الإسلام كما قال عز وجل
﴿مِلَّةَ أَبِيكُمْ إِبْرَاهِيمَ هُوَ سَمَّاكُمُ الْمُسْلِمِينَ﴾ (١). ومن الأحكام:
وجوب ذكر الله عند ذبح قربان فإن لم يسمَّ عليه حرم أكله
لقول الله جل ثناؤه ﴿فَكُلُوا مِمَّا ذُكِّرَ اسمُ اللَّهِ عَلَيْهِ إِنْ كُنْتُمْ بِآيَاتِهِ
مُؤْمِنِينَ﴾ (٢). ﴿وَمَا لَكُمْ أَلَّا تَأْكُلُوا مِمَّا ذُكِّرَ اسمُ اللَّهِ عَلَيْهِ﴾ (٣).
وفي الآيتين تقرير البشرى للمخبتين الذين يخشون الله ويخافون أن
يقصروا في طاعته.

﴿وَالْبُدْنَ جَعَلْنَاهَا لَكُمْ مِنْ شَعَائِرِ اللَّهِ لَكُمْ فِيهَا خَيْرٌ فَاذْكُرُوا
اسْمَ اللَّهِ عَلَيْهَا صَوَافٍ فَإِذَا وَجَبَتْ جُنُوبُهَا فَكُلُوا مِنْهَا وَأَطِيعُوا الْقَانِعَ

(١) سورة الحج من الآية ٧٨.

(٢) سورة الأنعام الآية ١١٨.

(٣) سورة الأنعام الآية ١١٩.

وَالْمُعْتَرِّ كَذَلِكَ سَخَرْنَاهَا لَكُمْ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ ﴿٩١﴾

بيان الآية:

﴿وَالْبُدَّتْ﴾ هي الإبل والبقر ﴿جَعَلْنَاهَا لَكُمْ مِّنْ شَعْتِيرِ اللَّهِ﴾ أي: هي من مظاهر عبادة الله ﴿لَكُمْ فِيهَا خَيْرٌ﴾ أي: إن لكم في ذبحها تقرباً إلى الله ثواباً مدخراً لكم عنده ﴿فَاذْكُرُوا اسْمَ اللَّهِ عَلَيْهَا صَوَافَّ﴾ أي: إذا صفت قوائمها معقولة يدها اليسرى ﴿فَإِذَا وَجَبَتْ جُنُوبَهَا﴾ أي: إذا نزلت على الأرض بعد الذبح وفارقت الحياة وانتهى حراكها ﴿فَكُلُوا مِنْهَا وَأَطْعِمُوا الْقَانِعَ وَالْمُعْتَرَّ﴾ القانع المقيم في بيته مستغنياً، ويقنع بما يعطى له والمعتَر الذي يتعرض للرجل، ولكن لا يسأله شيئاً بسبب عفته ﴿كَذَلِكَ سَخَرْنَاهَا لَكُمْ﴾ أي: طوعناها وذللناها لكم ﴿لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ﴾ أي: تشكرون الله على نعمه وما سخره لكم.

أحكام ومسائل الآية:

في هذه الآية: الحكم بوجوب ذكر اسم الله على بهيمة الأنعام عند ذبحها كما سبق ذكره، وأن يكون نحر الإبل بعد صف قوائمها وعقل أيديها اليسرى وتحريم الأكل منها قبل التأكد من موتها وسكون حركتها، وقد ضحى رسول الله ﷺ بكبشين في يوم عيد ثم قال حين وجهها إلى القبلة: (وجهت وجهي للذي فطر السموات والأرض حنيفاً وما أنا من المشركين إن صلاتي ونسكي ومحياي ومماتي لله رب العالمين لا

شريك له وبذلك أمرت وأنا من المسلمين^(١). وفيها: الأمر بإطعام الفقراء والمساكين والمحاويج منها. وفيها: وجوب شكر الله على ما أنعم به على عباده من تسخير الأنعام لمنافعهم الدنيوية والأخروية.

﴿لَنْ يَنَالَ اللَّهُ لُحُومَهَا وَلَا دِمَآؤُهَا وَلَكِنْ يَنَالُهُ النَّقْوَىٰ مِنْكُمْ كَذَٰلِكَ سَخَّرَهَا لَكُمْ لِتُكَبِّرُوا اللَّهَ عَلَىٰ مَا هَدَاكُمْ وَبَشِّرِ الْمُحْسِنِينَ﴾



بيان الآية:

﴿لَنْ يَنَالَ اللَّهُ لُحُومَهَا وَلَا دِمَآؤُهَا وَلَكِنْ يَنَالُهُ النَّقْوَىٰ مِنْكُمْ﴾ كان المشركون في جاهليتهم إذا ذبحوا القرابين لآلهتهم يخرجون البيت بدمائها فقال أصحاب رسول الله ﷺ: نحن أحق بذلك منهم فنزلت هذه الآية^(٢). والمراد أن الله لا يناله شيء من لحوم الهدايا أو الأضاحي أو النذور، فهو أعز وأسمى وأغنى عن ذلك وإنما يناله تقوى عباده فيقبل منهم ما تقربوا به إليه ﴿كَذَٰلِكَ سَخَّرَهَا لَكُمْ﴾ أي: ذللها وطوعها لكم وهي أكبر وأقوى منكم وما ذاك إلا ﴿لِتُكَبِّرُوا اللَّهَ عَلَىٰ مَا هَدَاكُمْ﴾ أي: تذكروا اسمه عند ذبحها ﴿وَبَشِّرِ الْمُحْسِنِينَ﴾ أي: بشر يا محمد المحسنين الذين يتقربون إلى الله يبتغون رضاه ويخافون عذابه.

(١) أخرجه ابن ماجة في كتاب الأضاحي، باب أضاحي رسول الله ﷺ، برقم (٣١٢١)، سنن ابن ماجة ج ٢ ص ١٠٤٣.

(٢) زاد المسير لابن الجوزي ص ٩٥٩، وتفسير القرآن العظيم ج ٣ ص ٢١٧.

أحكام ومسائل الآية:

الحكم بوجوب التسمية والتكبير عند ذبح الهدايا أو الأضاحي أو كل ذبح يتقرب به إلى الله، كالنذر أو الصدقة، وقد سبق ذكر ما كان يفعله رسول الله ﷺ لما ذبح كبشين أقرنين قال: (إني وجهت وجهي للذي فطر السموات والأرض حنيفاً) إلى قوله (وأنا أول المسلمين اللهم منك ولك عن محمد وأمه باسم الله والله أكبر) ثم ذبح^(١).

﴿إِنَّ اللَّهَ يَدْفَعُ عَنِ الَّذِينَ ءَامَنُوا إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ كُلَّ خَوَّانٍ كَفُورٍ﴾

بيان الآية:

﴿إِنَّ اللَّهَ يَدْفَعُ عَنِ الَّذِينَ ءَامَنُوا﴾ قيل: إن المسلمين لما كثروا بمكة ثم تعرضوا لأذى المشركين، فهاجر منهم من هاجر وبقي آخرون، أراد بعضهم أن يغتال ويحتال على من قدر عليه من الكفار فنزلت هذه الآية^(٢) وقيل: غير ذلك، وأيا كان السبب فإن الله عز وجل تكفل بالدفاع عن المؤمنين من كيد الكائدين وأن يحفظهم من شر الأشرار ﴿إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ كُلَّ خَوَّانٍ كَفُورٍ﴾ أي: لا يحب من يخون من عباده أو يغدر أو يجحد ما أنعم الله عليه.

(١) سبق تخريجه .

(٢) الجامع لأحكام القرآن ج ١٢ ص ٦٧ .

أحكام ومسائل الآية:

في هذه الآية: الحكم بوعد الله الصادق للمؤمنين بالدفاع عنهم كما قال عز وجل ﴿أَلَيْسَ اللَّهُ بِكَافٍ عَبْدَهُ﴾^(١). وقوله عز ذكره ﴿وَمَنْ يَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ فَهُوَ حَسْبُهُ﴾^(٢). وفيها: الحكم بتحريم الخيانة أو الغدر وفي الحديث: (أن الغادر ينصب له لواء يوم القيامة فيقال: هذه غدرة فلان بن فلان)^(٣).

﴿أُذِنَ لِلَّذِينَ يُقَتَلُونَ بِأَنَّهُمْ ظَلَمُوا وَإِنَّ اللَّهَ عَلَىٰ نَصْرِهِمْ لَقَدِيرٌ﴾^(٣٦) الَّذِينَ أُخْرِجُوا مِنْ دِيَارِهِمْ بِغَيْرِ حَقٍّ إِلَّا أَنْ يَقُولُوا رَبُّنَا اللَّهُ وَلَوْلَا دَفْعُ اللَّهِ النَّاسَ بَعْضَهُمْ بِبَعْضٍ لَفُتَّتْ صُلُوبُهُمْ وَيَبِيعُ صُلُوبُهُمْ وَمَسْجِدٌ يُذْكَرُ فِيهَا اسْمُ اللَّهِ كَثِيرًا وَلَيَنْصُرَنَّ اللَّهُ مَنْ يَنْصُرُهُ إِنَّ اللَّهَ لَقَوِيٌّ عَزِيزٌ

بيان الآيتين:

﴿أُذِنَ لِلَّذِينَ يُقَتَلُونَ بِأَنَّهُمْ ظَلَمُوا﴾ هذه أول آية نزلت في قتال المشركين؛ ذلك أن رسول الله ﷺ لما أُوذِيَ وأُخرج من مكة قال أبو بكر: لقد أخرجوا نبيهم إذا ليهلكن، فأنزل الله هذه الآية فقال

(١) سورة الزمر من الآية ٣٦.

(٢) سورة الطلاق من الآية ٣.

(٣) أخرجه البخاري في كتاب الأدب، باب ما يدعى الناس بأبائهم، برقم (٦١٧٨)، صحيح البخاري

مع فتح الباري ج ١٠ ص ٥٧٨.

أبو بكر: عرفت أنه سيكون هناك قتال^(١). ﴿وَإِنَّ اللَّهَ عَلَىٰ نَصْرِهِمْ لَقَدِيرٌ﴾ أي: هو القادر على نصر عباده المظلومين على أعدائهم دون أن يكون هناك قتال، ولكنه بحكمته أراد من عباده القتال من أجل أن يمتحن بلاءهم وصبرهم وجهادهم في نصرته دينه.

﴿الَّذِينَ أُخْرِجُوا مِنْ دِينِهِمْ بِغَيْرِ حَقٍّ﴾ المراد به الذين أخرجوا من مكة إلى المدينة، ظلما وعدوانا وهم محمد ﷺ ومن معه من المؤمنين ﴿إِلَّا أَن يَقُولُوا رَبُّنَا اللَّهُ﴾ أي: لم يكن لهم ذنب ولا خطيئة، إلا أنهم وحدوا الله ونبذوا الشرك وتبرؤوا مما كان يفعله قومهم من عبادة الأصنام ﴿وَلَوْلَا دَفْعُ اللَّهِ النَّاسَ بَعْضَهُم بِبَعْضٍ﴾ أي: لولا أن أهل الإيمان يقاتلون أهل الباطل لتغلب هؤلاء على الأرض ففسدت، وهذا يؤدي إلى تهديم صوامع الرهبان وكنائس النصارى و(صلوات) أي: معابد اليهود ﴿وَمَسْجِدُ يُذْكَرُ فِيهَا اسْمُ اللَّهِ كَثِيرًا﴾ أي: مساجد المسلمين التي يذكر فيها اسم الله ويسبح له فيها بالغدو والآصال ﴿وَلَيَنْصُرَنَّ اللَّهُ مَنْ يَنْصُرُهُ﴾ أي: إن الله ينصر من ينصر دينه ويقاتل من أجله ﴿إِنَّ اللَّهَ لَقَوِيٌّ عَزِيزٌ﴾ أي: قوي قادر على فعل ما يريد وهو عزيز بقدرته وعظمته.

(١) أسباب نزول القرآن للواحي ص ٥٠٣-٥٠٤، وجامع البيان عن تأويل آي القرآن ج ١٠ ص ١٧٢، وتفسير البغوي ص ٨٦٩.

أحكام ومسائل الآيتين:

في هاتين الآيتين عدة أحكام: منها: الإذن للمؤمنين في أي زمان ومكان أن يقاتلوا من أجل دينهم؛ لتكون كلمة الله هي العليا وكلمة الذين كفروا السفلى. ومنها: وعد الله للمؤمنين بالنصر إذا فعلوا ذلك كما قال عز وجل ﴿وَعَدَ اللَّهُ الَّذِينَ ءَامَنُوا مِنكُمْ وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ لَيَسْتَخْلِفَنَّهُمْ فِي الْأَرْضِ كَمَا اسْتَخْلَفَ الَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ وَلَيُمَكِّنَنَّ لَهُمْ دِينَهُمُ الَّذِي ارْتَضَىٰ لَهُمْ وَلَيُبَدِّلَنَّهُم مِّن بَعْدِ خَوْفِهِمْ أَمْنًا يَعْبُدُونَنِي لَا يُشْرِكُونَ بِي شَيْئًا﴾ الآية^(١). ومنها: أن من أخرج من دياره يعد مظلوما ويحق له الإذن بقتال من ظلمه، ولو كان الذي أخرج من دياره كان كافرا؛ لأن هذا يعد من باب الظلم، وقد حرم الله الظلم للمؤمنين والكافرين دون استثناء.

ومن هذه الأحكام: أن من سنن الله في خلقه أنه يدفع بأناس عن أناس آخرين حتى لا يعم الفساد في الأرض، فتهدم دور العبادة، وهذا يقتضي أن يكون المسلمون أقوياء حتى يردوا الظلم عنهم وعن غيرهم. ومنها: الحكم بأن الله ينصر من ينصر دينه لقوله عز وجل ﴿يَتَأَيَّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا إِن نُّنَصِّرُوا اللَّهَ يَنْصُرَكُمْ وَيُثَبِّتْ أَقْدَامَكُمْ﴾^(٢).

وقوله جل ثناؤه ﴿وَإِنَّ جُنَدَنَا لَهُمُ الْغَالِبُونَ﴾^(٣). وقوله عز ذكره

(١) سورة النور من الآية ٥٥ .

(٢) سورة محمد الآية ٧ .

(٣) سورة الصافات الآية ١٧٣ .

﴿كَتَبَ اللَّهُ لَأَغْلِبَنَّ أَنَا وَرُسُلِي﴾^(١).

﴿الَّذِينَ إِنْ مَكَّنَّاهُمْ فِي الْأَرْضِ أَقَامُوا الصَّلَاةَ وَآتَوُا الزَّكَاةَ
وَأَمَرُوا بِالْمَعْرُوفِ وَنَهَوْا عَنِ الْمُنْكَرِ ۗ وَاللَّهُ عَلِيمٌ بِالْأُمُورِ﴾^(٤١).

بيان الآية:

﴿الَّذِينَ إِنْ مَكَّنَّاهُمْ فِي الْأَرْضِ﴾ لما قال سبحانه وتعالى
﴿وَلَيَنْصُرَنَّ اللَّهُ مَن يَنْصُرُهُ﴾ وصف المنصورين بأنهم رسول
الله ﷺ وأصحابه؛ لأنهم هم الذين ﴿أَقَامُوا الصَّلَاةَ وَآتَوُا الزَّكَاةَ
وَأَمَرُوا بِالْمَعْرُوفِ وَنَهَوْا عَنِ الْمُنْكَرِ﴾ وكما هو وصف لرسول الله
ﷺ وأصحابه، فهو حكم ووصف دائم للمؤمنين في أي زمان ومكان إذا
كانوا على مثل ما كان عليه رسول الله ﷺ وأصحابه ﴿وَاللَّهُ عَلِيمٌ
بِالْأُمُورِ﴾ أي: عنده الجزاء الحسن للمؤمنين الذين ينصرون دينه.

أحكام ومسائل الآية:

في هذه الآية: الحكم بأن الله يجعل السلطان والقوة في الأرض
للمؤمنين الذين يقيمون الصلاة ويؤتون الزكاة ويأمرون بالمعروف
وينهون عن المنكر.

قلت: وربما يقول قائل فما بال الذين في أيديهم السلطان والقوة

(١) سورة المجادلة من الآية ٢١.

في هذا الزمان؟ وهم يظلمون عباد الله ويتسلطون عليهم، فيجاب بأن الله عزوجل يبتلي من يشاء من عباده، ليرى مدى جهادهم وقوتهم وصبرهم في سبيله وليس من شك بأن الذين يؤمنون بالله حق الإيمان ويتوكلون عليه حق التوكل ويصلحون أنفسهم ومن تحت أيديهم ويتعلمون فنون القتال لابد أن ينصرهم الله؛ لأن الله وعد بذلك ووعدته الحق في قوله ﴿وَلَيَنْصُرَنَّ اللَّهُ مَنْ يَنْصُرُهُ﴾^(١). وقوله ﴿كَتَبَ اللَّهُ لَاغْلِبَ أَنا وَرُسُلِي﴾^(٢).

﴿وَلِإِنْ يَكْذِبُواكَ فَقَدْ كَذَّبَتْ قَبْلَهُمْ قَوْمُ نُوحٍ وَعَادٌ وَثَمُودٌ﴾^(٤٢)
 وَقَوْمُ إِبْرَاهِيمَ وَقَوْمُ لُوطٍ ﴿٤٣﴾ وَأَصْحَابُ مَدْيَنَ وَكَذَّبَ مُوسَى فَأَمَلَيْتُ
 لِلْكَافِرِينَ ثُمَّ أَخَذْتَهُمْ فَكَيْفَ كَانَ نَكِيرِ ﴿٤٤﴾ فَكَأَيِّنْ مِنْ
 قَرْيَةٍ أَهْلَكْنَاهَا وَهِيَ ظَالِمَةٌ فَهِيَ خَاوِيَةٌ عَلَى عُرُوشِهَا وَيَبْرِ
 مُعَطَّلَةٍ وَقَصْرٍ مَشِيدٍ ﴿٤٥﴾ أَفَلَمْ يَسِيرُوا فِي الْأَرْضِ فَتَكُونْ لَهُمْ قُلُوبٌ
 يَعْقِلُونَ بِهَا أَوْ آذَانٌ يَسْمَعُونَ بِهَا فَإِنَّهَا لَا تَعْمَى الْأَبْصَارُ وَلَكِنْ تَعْمَى
 الْقُلُوبُ الَّتِي فِي الصُّدُورِ ﴿٤٦﴾

بيان الآيات:

﴿وَلِإِنْ يَكْذِبُواكَ فَقَدْ كَذَّبَتْ قَبْلَهُمْ قَوْمُ نُوحٍ﴾ في هذا تسليية

(١) سورة الحج من الآية ٤٠ .

(٢) سورة المجادلة من الآية ٢١ .

لرسول الله ﷺ عما أصابه من قومه، والمعنى إن كذبك قومك فقد كذبت قبلهم قوم نوح نبيهم ﴿وَعَادٌ وَثَمُودٌ وَقَوْمُ إِبْرَاهِيمَ وَقَوْمُ لُوطٍ﴾ ﴿وَأَصْحَابُ مَدْيَنَ﴾ أي: كذب هؤلاء أنبياءهم ﴿وَكُذِّبَ مُوسَى﴾ أي: وكذلك كذب اليهود موسى ﴿فَأَمَلَيْتُ لِلْكَافِرِينَ﴾ أي: رغم تكذيب هؤلاء القوم لأنبيائهم ورسلمهم فقد أخرجت العذاب عنهم إملاء لهم ﴿ثُمَّ أَخَذْتُهُمْ﴾ أي: أنزلنا عليهم العذاب الذي أهلكهم ﴿فَكَيْفَ كَانَ نَكِيرِ﴾ الاستفهام للتقرير والتحقيق، أي: انظر كيف أهلكناهم وحولنا النعم التي كانوا فيها إلى عذاب استأصلهم فكذلك أفعَل بالمشركين.

﴿فَكَأَيِّنْ مِنْ قَرْيَةٍ أَهْلَكْنَاهَا﴾ أي: كم من قرية أهلكناها والمراد به كثرة القرى التي أهلكت بسبب ذنوبها ﴿وَهِيَ ظَالِمَةٌ﴾ أي: بكفرها وتكذيبها لرسولها ﴿فَهِىَ خَاوِيَةٌ عَلَى عُرُوشِهَا﴾ أي: ساقط أعلاها على أسفلها ﴿وَبِئْسَ مَعْطَلَةٌ﴾ أي: متروكة، لا أحد يستفيد منها ﴿وَقَصْرِ مَشِيدٍ﴾ أي: حصين منيع لم يبق فيه أحد. ﴿أَفَلَمْ يَسِيرُوا فِي الْأَرْضِ﴾ المراد به المشركون في مكة والمعنى ألم يسافروا بأبدانهم ويبصروا بعقولهم كيف أهلكت تلك القرى وأصحبت أثرا بعد عين؟ ﴿فَتَكُونُ لَهُمْ قُلُوبٌ يَعْقِلُونَ بِهَا﴾ أي: يتفكرون بها ﴿أَوْ أَعَانٌ يَسْمَعُونَ بِهَا﴾ أي: يستمعون لما حل بغيرهم من الأمم

﴿فَإِنَّهَا لَا تَعْمَى الْأَبْصَارُ﴾ أي: ليس العمى عمى البصر، وإنما هو عمى البصيرة عن معرفة الحق من الباطل كما قال عز وجل ﴿وَلَكِنْ تَعْمَى الْقُلُوبُ الَّتِي فِي الصُّدُورِ﴾ أي: لم يكن عمى هؤلاء المشركين في أبصارهم، فهم يبصرون ما حل بالأمم الهالكة قوم هود وقوم صالح، ولكن قلوبهم هي التي عميت عن معرفة الحق.

أحكام ومسائل الآيات:

في هذه الآيات: تقرير أن تكذيب المشركين في مكة لرسول الله ﷺ لم يكن حالة استثنائية، وإنما كان تكذيب الأمم لرسولهم حالة عامة، ومع انتهاء إنزال الرسل وختمهم بمحمد ﷺ فإن المكذبين للحق لا يزالون موجودين على الأرض، وسوف يلاقي دعاة الحق عناء منهم فيجب عليهم أن يصبروا كما صبر الرسل. وفيها: الحكم أن الله بقدرته يهلك الأمم الظالمة، وأن تأخير العذاب لها إلى أجل مسمى تقتضيه حكمة الله؛ لأن لكل أجل كتاباً. وفيها: تقرير أن العبرة ليست في البصر والسمع، وإنما هي العقل.

﴿وَيَسْتَعْجِلُونَكَ بِالْعَذَابِ وَلَنْ يُخْلِفَ اللَّهُ وَعْدَهُ وَإِنَّ يَوْمًا عِنْدَ رَبِّكَ كَأَلْفِ سَنَةٍ مِّمَّا تَعُدُّونَ﴾ (٤٧) ﴿وَكَايُنْ مِنْ قَرْيَةٍ أُمْلِيَتْ لَهَا وَهِيَ ظَالِمَةٌ ثُمَّ أَخَذْتُهَا وَإِلَى الْمَصِيرِ﴾ (٤٨).

بيان الآيتين:

﴿وَيَسْتَعْجِلُونَكَ بِالْعَذَابِ﴾ المراد بهم الكفار الذين يكذبون بالبعث ويزعمون أنهم لن يبعثوا بعد موتهم كما قال كفار قريش وعلى رأسهم النضر بن الحارث - كما سبق ذكره - ﴿اللَّهُمَّ إِنْ كَانَتْ هَذِهِ حَقًّا مِنْ عِنْدِكَ فَامْطُرْ عَلَيْنَا جِجَارَةً مِنَ السَّمَاءِ أَوْ أُثْنِنَا بِعَذَابٍ أَلِيمٍ﴾^(١). وقولهم ﴿قَالُوا أَجِئْنَا لِنُعْبُدَ اللَّهَ وَحْدَهُ، وَنَنْزِرَ مَا كَانَ يَعْْبُدُ آبَاؤُنَا فَإِنَّا بِمَا تَعِدُنَا إِنْ كُنْتَ مِنَ الصَّادِقِينَ﴾^(٢). ﴿وَلَنْ يُخْلِفَ اللَّهُ وَعْدَهُ﴾ أي: لن يخلف ما وعد به من قيام القيامة وعذاب الكافرين فيها أو التعجيل لهم بالهلاك كما أهلك الأمم المكذبة من قبل ﴿وَإِنَّ يَوْمًا عِنْدَ رَبِّكَ كَأَلْفِ سَنَةٍ مِمَّا تَعُدُّونَ﴾ أي: أن اليوم الذي عند الله يساوي في حساب الخلق ألف سنة ﴿وَكَأَنِّ مِّنْ قَرْيَةٍ أَمَلَتْ لَهَا وَهِيَ ظَالِمَةٌ﴾ أي: كم من قرية أمهلتها رغم ظلمها ﴿ثُمَّ أَخَذْتُهَا﴾ أي: أهلكتها بالعذاب ﴿وَالِىَ الْمَصِيرُ﴾ أي: المرجع لجميع الخلائق.

أحكام ومسائل الآيتين:

في هاتين الآيتين: تقرير سفاهة عقول المشركين الذين يستهزئون

(١) تفسير البغوي ص ٨٧٠، والجامع لأحكام القرآن ج ١٢ ص ٧٧، والآية في سورة الأنفال من الآية

(٢) سورة الأعراف الآية ٧٠.

بوعد الله ويزعمون أنه لا حياة لهم بعد موتهم كقولهم ﴿وَمَا إِلَهُكُمَا إِلَّا أَلَدَّهُرٌ﴾^(١). وفيها: تأكيد أن الله يحقق وعده إن أجلا أو عاجلا وفيها: تقرير اختلاف حساب الأيام والشهور والسنين عند الله عما عند العباد في الحياة الدنيا. وفيها: تقرير أن الله يمهل للظالمين ثم يأخذهم بالعذاب.

﴿قُلْ يَتَّيِّهَا النَّاسُ إِنَّمَا أَنَا لَكُمْ نَذِيرٌ مُبِينٌ﴾^{٤٩} ﴿فَالَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ لَهُمْ مَغْفِرَةٌ وَرِزْقٌ كَرِيمٌ﴾^{٥٠} ﴿وَالَّذِينَ سَعَوْا فِي ءَايَاتِنَا مُعْجِزِينَ أُولَٰئِكَ أَصْحَابُ الْجَحِيمِ﴾^{٥١}.

بيان الآيات:

﴿قُلْ يَتَّيِّهَا النَّاسُ إِنَّمَا أَنَا لَكُمْ نَذِيرٌ﴾ هذا أمر من الله لنبيه ورسوله محمد ﷺ أن يقول لأهل مكة وغيرهم إنما أنا منذر لكم من عذاب الله إذا كذبتُم ما جئتكم به وعصيتُم ما أمركم ربكم به من توحيده وطاعته ﴿مُبِينٌ﴾ أي: جئتكم أبين لكم ما أمركم الله به ونهاكم عنه، فإن أطعتموني فسوف تجزون بأحسن مما تعملون، وإن كذبتُموني، فعاقبة ذلك خسرانكم في الدنيا والآخرة ﴿فَالَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ﴾ أي: الذين آمنوا بالله وصدقوا ما جاءهم من عنده ﴿لَهُمْ مَغْفِرَةٌ وَرِزْقٌ كَرِيمٌ﴾ أي: سوف يغفر الله لهم ما سلف من ذنوبهم

ولهم رزق كريم هو الجنة ﴿وَالَّذِينَ سَعَوْا فِي آيَاتِنَا مُعْجِزِينَ﴾
 أي: الذين عملوا لصد الناس وصرفهم عن دين الله وتزيين الشرك لهم
 ﴿أُولَٰئِكَ أَصْحَابُ الْجَحِيمِ﴾ أي: أهل النار المخلدون فيها.

أحكام ومسائل الآيات:

في هذه الآيات: تقرير أن الله أرسل رسوله محمدا ﷺ ينذر الناس
 أيًا كانوا في زمانهم أو مكانهم عن الشرك بالله ويبيِّن لهم رسالة
 الله إليهم، وهي توحيده وطاعته والائتمار بما أمر به والانتهاز عما
 نهى عنه. وفيها: تقرير أن الله يغفر ما سلف من ذنوب المؤمنين
 الذين أخلصوا دينهم لله، أما الذين يثبטون الناس ويصرفونهم عن
 دين الله فسوف يلقون جزاءهم في الجحيم، وهذا وعيد لمن سلف من
 الكافرين ووعد دائم لمن كان على طريقتهم في كل زمان ومكان حتى
 يرث الله الأرض ومن عليها.

﴿وَمَا أَرْسَلْنَا مِنْ قَبْلِكَ مِنْ رَسُولٍ وَلَا نَبِيٍّ إِلَّا إِذَا تَمَنَّى أَلْقَى
 الشَّيْطَانُ فِي أُمْنِيَّتِهِ فَيَنْسَخُ اللَّهُ مَا يُلْقِي الشَّيْطَانُ ثُمَّ يُحْكِمُ
 اللَّهُ آيَاتِهِ وَاللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ ﴿٥٢﴾ لِيَجْعَلَ مَا يُلْقِي الشَّيْطَانُ فِتْنَةً
 لِلَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمْ مَرَضٌ وَالْقَاسِيَةِ قُلُوبُهُمْ وَإِنَّ الظَّالِمِينَ لَفِي
 شِقَاقٍ بَعِيدٍ ﴿٥٣﴾ وَلَيَعْلَمَ الَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ أَنَّهُ الْحَقُّ مِنْ

رَبِّكَ فَيُؤْمِنُوا بِهِ، فَخُتِبَ لَهُم مِّن قُلُوبِهِمْ ۚ وَإِنَّ اللَّهَ لَهَادِ الَّذِينَ ءَامَنُوا إِلَى صِرَاطٍ مُّسْتَقِيمٍ ﴿٥٤﴾

بيان الآيات:

﴿وَمَا أَرْسَلْنَا مِنْ قَبْلِكَ مِنْ رَسُولٍ وَلَا نَبِيٍّ إِلَّا إِذَا تَمَنَّى أَلْقَى الشَّيْطَانُ فِي أُمْنِيَّتِهِ﴾ (١) أي: ما حدث قبلك يا رسولنا محمداً من رسول أو نبي إلا وألقى الشيطان في حديثه، ليفسد هذا الحديث ﴿فَيَنْسَخُ اللَّهُ مَا يُلْقِي الشَّيْطَانُ﴾ أي: يزيله ويبطله ﴿ثُمَّ يُحْكِمُ اللَّهُ ءَايَتَهُ﴾ أي: يثبت الله آياته بعد أن يزيل عنها ما ألقاه الشيطان فيها ﴿وَاللَّهُ عَلِيمٌ﴾ أي: يعلم ما كان وما يكون في الكون ﴿حَكِيمٌ﴾ أي: بما يدبره ويصرفه فيه ﴿لِيَجْعَلَ مَا يُلْقِي الشَّيْطَانُ فِتْنَةً لِلَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمْ مَّرَضٌ﴾ أي: ليجعل ما يلقيه الشيطان

(١) قيل إن رسول الله ﷺ كان يقرأ حول الكعبة سورة النجم والمشركون يسمعونهم فلما بلغ قول الله تعالى ﴿أَفَرَأَيْتُمُ اللَّتَ وَالْعُزَّىٰ﴾ (١٩) وَمَنُوءَ الثَّالِثَةَ الْآخِرَىٰ ﴿ ألقى إبليس في سمع المشركين هذه الكلمات: تلك الغرائيق العلا وإن شفاعتهم لترتجى ففرح المشركون بما سمعوه اعتقاداً منهم أن رسول الله ﷺ قرأها وأن الله أنزل ما قالوا فلما سجد في آخر سورة النجم سجدوا معه إلا أمية بن خلف لكبره وأخذ حفنة من تراب فسجد عليها ثم شاع بينهم أن محمداً قد تصالح مع قومه فسمع بذلك الصحابة الذين هاجروا إلى الحبشة فرجعوا فحزن لذلك رسول الله ﷺ فأنزل الله هذه الآية تسلياً له قال الإمام ابن كثير إن كثيراً من المفسرين ذكر هذه القصة ولكنها كلها من طرق مرسله ولم أرها مسندة من صحيح: المصباح المنير في تهذيب تفسير ابن كثير ص ٩٠٠ - ٩٠١ قلت: وما قاله الإمام ابن كثير هو الصحيح. وقد أورد الشيخ الألباني في كتابه «نصب المجانيق لنسف قصة الغرائيق» بطلان هذه القصة من أساسها سنداً وممتناً.

في حديث الرسول أو النبي فتنة للمنافقين والكافرين ﴿وَالْقَاسِيَةِ قُلُوبُهُمْ﴾ أي: المشركون والطغاة ﴿وَإِنَّ الظَّالِمِينَ لَفِي شِقَاقٍ بَعِيدٍ﴾ أي: في ضلال وبعد عن الحق المبين.

﴿وَلِيَعْلَمَ الَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ أَنَّهُ الْحَقُّ مِنْ رَبِّكَ فَيُؤْمِنُوا بِهِ﴾ أي: يعلم الذين نور الله عقولهم وبصائرهم بالعلم أن القرآن الذي أوحيناه إليك هو الحق الذي لا مرأى فيه منزل من ربك محفوظ عنده في اللوح المحفوظ فَيُؤْمِنُوا به ويصدقوه ﴿فَتُخَبِتَ لَهُ قُلُوبُهُمْ﴾ أي: تطمئن وتسعد به ﴿وَإِنَّ اللَّهَ لَهُدِ الْذِينَ ءَامَنُوا إِلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ﴾ أي: يرشدهم في الدنيا إلى اتباع طريق الحق واجتناب الباطل ويرشدهم في الآخرة إلى الجنة.

أحكام ومسائل الآيات:

في هذه الآيات: تقرير أن الله ما أرسل قبل محمد ﷺ من رسول ولا نبي إلا إذا تمنى (أي: قرأ) ألقى الشيطان في قراءته ما يوسوس به له كيذاً له، ولكن هذا الالتقاء سرعان ما يزول؛ لأن الله قد عصم رسله وأنبياءه من وساوس الشياطين وكيدهم. وفيها: تقرير أن هذا الإلقاء من الشيطان فتنة لمرضى القلوب من المشركين والمنافقين والكافرين. وفيها: تقرير أن الظالمين يكونون دائماً في بعد عن الحق.

﴿وَلَا يَزَالُ الَّذِينَ كَفَرُوا فِي مَرِيَةٍ مِّنْهُ حَتَّى تَأْتِيَهُمُ السَّاعَةُ
بَغْتَةً أَوْ يَأْتِيَهُمْ عَذَابٌ يَوْمٍ عَقِيمٍ ٥٥﴾ الْمَلِكُ يَوْمَئِذٍ لِلَّهِ
يَحْكُمُ بَيْنَهُمْ فَالَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ فِي جَنَّاتِ
النَّعِيمِ ٥٦﴾ وَالَّذِينَ كَفَرُوا وَكَذَّبُوا بِآيَاتِنَا فَأُولَٰئِكَ لَهُمْ عَذَابٌ
مُّهِيتٌ ٥٧﴾

بيان الآيات:

﴿وَلَا يَزَالُ الَّذِينَ كَفَرُوا فِي مَرِيَةٍ مِّنْهُ﴾ أي: لا يزال المشركون
والكافرون في شك وارتياب من القرآن ﴿حَتَّى تَأْتِيَهُمُ السَّاعَةُ بَغْتَةً﴾
أي: تأتيهم فجأة ﴿أَوْ يَأْتِيَهُمْ عَذَابٌ يَوْمٍ عَقِيمٍ﴾ والمراد ما حدث
لهم يوم بدر من هزيمة وقتل وخزي ﴿الْمَلِكُ يَوْمَئِذٍ لِلَّهِ يَحْكُمُ
بَيْنَهُمْ﴾ أي: أن الله الذي له ملك السموات والأرض وما فيهن هو
الذي يحكم بينهم بالعدل ﴿فَالَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ
فِي جَنَّاتِ النَّعِيمِ﴾ أي: أن للذين آمنوا بالله وصدقوا رسوله وعملوا
بما جاءهم به من الصالحات كالصلاة وإيتاء الزكاة لهم جنات النعيم
﴿وَالَّذِينَ كَفَرُوا وَكَذَّبُوا بِآيَاتِنَا﴾ المراد بهم المكذبون المعرضون
عما جاءهم به رسول الله من البينات ﴿فَأُولَٰئِكَ لَهُمْ عَذَابٌ
مُّهِيتٌ﴾ أي: سيكون لهم عذاب يوم القيامة يهانون ويدلون فيه
أمام الخلائق.

أحكام ومسائل الآيات:

في هذه الآيات: تقرير أن الكفار الأولين والمتأخرين منهم لا يزالون في شك وريب مما جاء به القرآن من البينات الدالة على عظمة الله وقدرته، وعلى ما أرسل به رسوله محمداً ﷺ من العلم والهدى. وفيها: تقرير أن الساعة لا تقوم إلا بغتة كما سبق ذكره في آيات أخرى. تقرير: أن الله يحكم يوم القيامة بين خلقه؛ فالؤمنون الصالحون يجزون بالجنة والكافرون المكذبون يجزون بالعذاب في نار جهنم.

﴿وَالَّذِينَ هَاجَرُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ ثُمَّ قُتِلُوا أَوْ مَاتُوا لَيَرْزُقَنَّهُمُ اللَّهُ رِزْقًا حَسَنًا وَإِنَّ اللَّهَ لَهُوَ خَيْرُ الرَّازِقِينَ﴾
 ﴿لَيُدْخِلَنَّهُمْ مُدْخَلًا يَرْضَوْنَهُ﴾ وَإِنَّ اللَّهَ لَعَلِيمٌ حَلِيمٌ ﴿٥٨﴾
 ﴿ذَلِكَ وَمَنْ عَاقَبَ بِمِثْلِ مَا عُوقِبَ بِهِ ثُمَّ بُغِيَ عَلَيْهِ لَيَنْصُرَنَّهُ اللَّهُ إِنَّ اللَّهَ لَعَفُوفٌ غَفُورٌ﴾ ﴿٥٩﴾

بيان الآيات:

﴿وَالَّذِينَ هَاجَرُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ ثُمَّ قُتِلُوا أَوْ مَاتُوا لَيَرْزُقَنَّهُمُ اللَّهُ رِزْقًا حَسَنًا﴾ في هذا بيان من الله تعالى عن فضل الذين هاجروا من ديارهم للقتال في سبيله وإعلاء كلمته ثم قتلوا أثناء قتالهم أو ماتوا في غير القتال أن الله سوف يرزقهم الرزق الحسن في الآخرة ﴿وَإِنَّ اللَّهَ لَهُوَ خَيْرُ الرَّازِقِينَ﴾ أي: هو خير وأعظم وأجل

والقادر على رزق عباده ﴿لِيَدْخِلْنَهُمْ مُدْخَلَ رِزْقِهِ﴾ أي: يدخلهم الجنة ﴿وَإِنَّ اللَّهَ لَعَلِيمٌ حَلِيمٌ﴾ أي: عليم بمن يهاجر في سبيله، حلیم عليه، فيكفر ذنوبه؛ بسبب هجرته إليه.

﴿ذَلِكَ وَمَنْ عَاقَبَ بِمِثْلِ مَا عُوقِبَ بِهِ﴾ قيل: إن هذه الآية نزلت في قوم من مشركي مكة التقوا قوما من المسلمين في ليلتين بقيتا من شهر المحرم، فقال المشركون: إن أصحاب محمد يكرهون القتال في الشهر الحرام فاحملوا عليهم واقتلوهم فناشدهم المسلمون ألا يقاتلوهم في هذا الشهر فأبى المشركون إلا قتالهم فاضطر المسلمون لقتالهم فنصرهم الله عليهم ولكن حدث في نفوسهم شيء من ذلك فأنزل الله هذه الآية^(١) والمعنى من عاقب بمثل ما عوقب عليه فلا جناح عليه ﴿ثُمَّ بُغِيَ عَلَيْهِ﴾ أي: حصل الأذى والإخراج من دياره ﴿لِيَنْصُرَهُ اللَّهُ﴾ أي: يمكنه من عدوه ﴿إِنَّ اللَّهَ لَعَفُوفٌ غَفُورٌ﴾ أي: يعفو عن ذنوب المؤمنين الذين قاتلوا في الشهر الحرام.

أحكام ومسائل الآيات:

في هذه الآيات: تقرير أن من خرج للجهاد في سبيل الله ثم قتل أو مات صار له أجر عظيم، لا فرق في ذلك بين من يقتل أو يدركه

(١) معالم التنزيل للبغوي ص ٨٧٢، وزاد المسير لابن الجوزي ص ٩٦٤ .

الموت دون قتال وقيل: إن عثمان بن مظعون لما مات بالمدينة قال بعض الناس: من قتل في سبيل الله أفضل ممن مات حتف أنفه^(١) فنزل قول الله تعالى ﴿وَالَّذِينَ هَاجَرُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ ثُمَّ قُتِلُوا أَوْ مَاتُوا﴾ مسويا بينهم في الأجر ويشهد لذلك قوله تعالى ﴿وَمَنْ يَخْرُجْ مِنْ بَيْتِهِ مُهَاجِرًا إِلَى اللَّهِ وَرَسُولِهِ ثُمَّ يُدْرِكْهُ الْمَوْتُ فَقَدْ وَقَعَ أَجْرُهُ عَلَى اللَّهِ﴾^(٢). كما يشهد لذلك قصة أم حرام، فقد صرعت عن دابتها فماتت وقد قال لها رسول الله ﷺ: (أنت من الأولين)^(٣). وفيه أيضا: حديث عبد الله بن عتيك قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: من خرج من بيته مهاجرا في سبيل الله عز وجل ثم قال بأصابه هؤلاء الثلاث الوسطى والسبابة والإبهام فجمعهن، وقال: وأين المجاهدون؟ فخر عن دابته فمات فقد وقع أجره على الله، أو مات حتف أنفه فقد وقع أجره على الله عز وجل، والله إنها لكلمة ما سمعتها من أحد من العرب قبل رسول الله ﷺ فمات فقد وقع أجره على الله ومن قتل ففقدى فقد استوجب المآب^(٤).

(١) الجامع لأحكام القرآن ج ١٢ ص ٨٨ .

(٢) سورة النساء من الآية ١٠٠ .

(٣) أخرجه مسلم في كتاب الإمارة، باب ثواب من حبسه عن الغزو مرض أو عذر آخر، برقم

(١٩١٢)، صحيح مسلم بشرح النووي ج ٨ ص ٥٢٧٨ .

(٤) أخرجه الهيتمي في مجمع الزوائد ومنبع الفوائد ج ٥ ص ٢٧٦، وأحمد في المسند ج ٤ ص ٣٦ .

ومن الأحكام في الآية: أنه يجوز لمن عوقب أن يعاقب من عاقبه
بمثل ما عاقبه به كما قال تعالى ﴿وَجَزَاءُ سَيِّئَةٍ سَيِّئَةٌ مِّثْلُهَا﴾^(١).

﴿ذَلِكَ بِأَنَّ اللَّهَ يُولِجُ اللَّيْلَ فِي النَّهَارِ وَيُولِجُ النَّهَارَ
فِي اللَّيْلِ وَأَنَّ اللَّهَ سَمِيعٌ بَصِيرٌ﴾ ﴿٦١﴾ ذَلِكَ بِأَنَّ اللَّهَ هُوَ الْحَقُّ
وَأَنَّ مَا يَدْعُونَ مِنْ دُونِهِ هُوَ الْبَاطِلُ وَأَنَّ اللَّهَ هُوَ الْعَلِيُّ
الْكَبِيرُ﴾ ﴿٦٢﴾

بيان الآيتين:

﴿ذَلِكَ بِأَنَّ اللَّهَ يُولِجُ اللَّيْلَ فِي النَّهَارِ وَيُولِجُ النَّهَارَ
فِي اللَّيْلِ﴾ في هذا بيان من الله عن عظمته وقدرته وأنه يُدخل جزءاً
من الليل في النهار وجزءاً من النهار في الليل، فمرة يطول الليل ويقصر
النهار، ومرة يقصر الليل ويطول النهار، وهكذا في نظام دقيق لا يقدر
عليه إلا الله مالك الملك مدبر الكون ومصرفه.

﴿وَأَنَّ اللَّهَ سَمِيعٌ بَصِيرٌ﴾ أي: يسمع أقوال عباده بصير بهم
فيدبرهم كيف شاء ﴿ذَلِكَ بِأَنَّ اللَّهَ هُوَ الْحَقُّ﴾ لما بين عز وجل
قدرته في تصريف الكون بين أنه الإله الحق الذي لا يعبد إلا هو، ولا
يدعى إلا هو، ولا يرتجى إلا هو، ولا يخشى إلا هو ﴿وَأَنَّ مَا يَدْعُونَ

مِنْ دُونِهِ هُوَ الْبَاطِلُ ﴿١﴾ أَي: أن ما يعبد من الأوثان والأصنام وغيرها فهو باطل، وعمل صاحبه مردود عليه، ومعاقب عليه ﴿وَأَنَّ اللَّهَ هُوَ الْعَلِيُّ الْكَبِيرُ﴾ ﴿٢﴾ أَي: العلي فوق كل علو الكبير المتعال. أحكام ومسائل الآيتين:

في هاتين الآيتين: تقرير عظمة الله في ربوبيته وألوهيته وأسمائه وصفاته، وأنه مدبر الكون المتصرف فيه ﴿قُلِ اللَّهُمَّ مَلِكُ الْمُلْكِ تُؤْتِي الْمُلْكَ مَنْ تَشَاءُ وَتَنْزِعُ الْمُلْكَ مِمَّنْ تَشَاءُ وَتُعْزِزُ مَنْ تَشَاءُ وَتُذِلُّ مَنْ تَشَاءُ بِيَدِكَ الْخَيْرُ إِنَّكَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾ ﴿١﴾.

﴿أَلَمْ تَرَ أَنَّ اللَّهَ أَنْزَلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَتُصْبِحُ الْأَرْضُ مُخْضَرَّةً إِنَّ اللَّهَ لَطِيفٌ خَبِيرٌ﴾ ﴿٦٢﴾ لَهُ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ وَإِنَّ اللَّهَ لَهُوَ الْغَنِيُّ الْحَمِيدُ ﴿٦٤﴾ أَلَمْ تَرَ أَنَّ اللَّهَ سَخَّرَ لَكُمْ مَا فِي الْأَرْضِ وَالْفُلْكَ تَجْرِي فِي الْبَحْرِ بِأَمْرِهِ وَيُمْسِكُ السَّمَاءَ أَنْ تَقَعَ عَلَى الْأَرْضِ إِلَّا بِإِذْنِهِ إِنَّ اللَّهَ بِالنَّاسِ لَرُؤُوفٌ رَحِيمٌ ﴿٦٥﴾ وَهُوَ الَّذِي أَحْيَاكُمْ ثُمَّ يُمِيتُكُمْ ثُمَّ يُحْيِيكُمْ إِنَّ الْإِنْسَانَ لَكَفُورٌ ﴿٦٦﴾.

بيان الآيات:

﴿أَلَمْ تَرَ أَنَّ اللَّهَ أَنْزَلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَتُصْبِحُ الْأَرْضُ

مُخَضَّرَةً ﴿١﴾ هذا من كمال قدرة الله وعظيم سلطانه فهو ينزل المطر من السماء فتتحول الأرض من الموت إلى الحياة، فتصبح مخضرة من النبات الذي يتنوع في ألوانه وأوصافه كما قال عز وجل ﴿وَتَرَى الْأَرْضَ هَامِدَةً فَإِذَا أَنْزَلْنَا عَلَيْهَا الْمَاءَ اهْتَزَّتْ وَرَبَتْ وَأَنْبَتَتْ مِنْ كُلِّ زَوْجٍ بَهِيجٍ﴾ ﴿١﴾. ﴿إِنَّ اللَّهَ لَطِيفٌ خَبِيرٌ﴾ أي: رؤوف بعباده فيرحمهم عندما تصيبهم الضراء والبأساء، وهو خبير بأحوالهم في معاشهم وغناهم وفقرهم ﴿لَهُ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ﴾ أي: هو مالك الكون كله علوه وسفله وما فيه ﴿وَإِنَّ اللَّهَ لَهُوَ الْغَنِيُّ الْحَمِيدُ﴾ أي: الغني عن خلقه كما قال عز وجل ﴿مَا أُرِيدُ مِنْهُمْ مِنْ رِزْقٍ وَمَا أُرِيدُ أَنْ يُطْعَمُوا﴾ ﴿٢﴾. والحميد في أفعاله وصفاته والمحمود من خلقه.

﴿الَمْ تَرَ أَنَّ اللَّهَ سَخَّرَ لَكُمْ مَا فِي الْأَرْضِ﴾ وهذه أيضا من نعم الله على خلقه، فقد سخر لهم الحيوان، وسخر لهم النبات، وسخر لهم الجماد، وذلك لهم كل شيء في الأرض ﴿وَالْفُلْكَ تَجْرِي فِي الْبَحْرِ بِأَمْرِهِ﴾ أي: وجعل السفن بأحمالها وأثقالها تسير في البحار رغم ظلمات البحر وأمواجه المتلاطمة، فتحمل هذه السفن أموال العباد وأنفسهم ومختلف

(١) سورة الحج من الآية ٥ .

(٢) سورة الذاريات الآية ٥٧ .

حاجاتهم ﴿وَيُمْسِكُ السَّمَاءَ أَنْ تَقَعَ عَلَى الْأَرْضِ﴾ أي: هو الذي يمسك السماء من السقوط على الأرض كما قال عزوجل ﴿خَلَقَ السَّمَوَاتِ بِغَيْرِ عَمَدٍ تَرَوْنَهَا﴾ وَأَلْقَى فِي الْأَرْضِ رَوْسِي أَنْ تَمِيدَ بِكُمْ ﴿١﴾. ﴿إِلَّا بِأَذْنِهِ﴾ أي: لو شاء لأسقطها عليكم ﴿إِنَّ اللَّهَ بِالنَّاسِ لَرءُوفٌ رَحِيمٌ﴾ أي: يرحمهم رغم كفرهم وعصيانهم له واستكبارهم عن عبادته كما قال عزوجل ﴿وَلَوْ يُؤَاخِذُ اللَّهُ النَّاسَ بِظُلْمِهِمْ مَا تَرَكَ عَلَيْهَا مِنْ دَابَّةٍ﴾ ﴿٢﴾.

﴿وَهُوَ الَّذِي أَحْيَاكُمْ ثُمَّ يُمِيتُكُمْ ثُمَّ يُحْيِيكُمْ﴾ أي: أن الله هو الذي خلقكم من العدم ثم يميتكم بعد انقضاء آجالكم ثم يحييكم أي: يبعثكم أحياء من قبوركم ليوم الحساب والجزاء ﴿إِنَّ الْإِنْسَانَ لَكَفُورٌ﴾ أي: ومع كل ما أوتيته الإنسان من النعم فإنه يجحد ويكفر بآيات الله وينسى ما أنعم به عليه.

أحكام ومسائل الآيات:

في هذه الآيات: الدلائل والبيانات على ربوبية الله وعظمته وكمال قدرته وعظيم سلطانه في إنعامه على خلقه. وفيها: تقرير أنه رغم كفر الناس وجحودهم لنعم الله وفضله عليهم بما سخر لهم في الأرض، فإنه يرأف ويلطف بهم، ولا يؤاخذهم بذنوبهم.

(١) سورة لقمان من الآية ١٠.

(٢) سورة النحل من الآية ٦١.

﴿لِكُلِّ أُمَّةٍ جَعَلْنَا مَنْسَكًا هُمْ نَاسِكُوهُ فَلَا يُنْزِعُ عَنْكَ فِي الْأَمْرِ وَاَدْعُ إِلَىٰ رَبِّكَ إِنَّكَ لَعَلَىٰ هُدًى مُّسْتَقِيمٍ﴾ (٦٧) وَإِنْ جَدَلُوكَ فَقُلِ اللَّهُ أَعْلَمُ بِمَا تَعْمَلُونَ ﴿٦٨﴾ اللَّهُ يُحْكُمُ بَيْنَكُمْ يَوْمَ الْقِيَمَةِ فِيمَا كُنْتُمْ فِيهِ تَخْتَلِفُونَ ﴿٦٩﴾.

بيان الآيات:

﴿لِكُلِّ أُمَّةٍ جَعَلْنَا مَنْسَكًا﴾ أي: شرعا ﴿هُمْ نَاسِكُوهُ﴾ أي: متعبدون به ﴿فَلَا يُنْزِعُ عَنْكَ فِي الْأَمْرِ﴾ أي: لا ينازعك أحد فيما جئت به من الشرع لأمتك، ومن نازعك فلا تحفل به. قيل: إن هذه الآية نزلت بسبب جدال المشركين في أمر الذبائح، فكانوا يقولون للمؤمنين كيف تأكلون ما ذبحتم ولا تأكلون ما ذبح الله ويريدون بذلك الميتة^(١). ﴿وَاَدْعُ إِلَىٰ رَبِّكَ إِنَّكَ لَعَلَىٰ هُدًى مُّسْتَقِيمٍ﴾ أي: استمر في دعوتك إلى رسالتك، فأنت على صراط مستقيم واضح ولا تحفل بما ينازعونك فيه ﴿وَإِنْ جَدَلُوكَ فَقُلِ اللَّهُ أَعْلَمُ بِمَا تَعْمَلُونَ﴾ أي: إن جادلوك المشركون بالباطل كما هي عادتهم فقل لهم: الله أعلم بما تعملون من الافتراء وتكذيب آياته وبياناته وما جئتم به من عنده ﴿اللَّهُ يُحْكُمُ بَيْنَكُمْ يَوْمَ الْقِيَمَةِ فِيمَا كُنْتُمْ فِيهِ تَخْتَلِفُونَ﴾ أي: سيحكم بينك يا محمد وبين قومك فيعرف أهل الشرك بطلان عملهم ويجزون بالعدل على باطلهم.

(١) معالم التنزيل للبغوي ص ٨٧٤ .

أحكام ومسائل الآيات:

في هذه الآيات: أن الله أرسل إلى كل أمة رسولا يبلغهم رسالة ربهم كما قال عز وجل ﴿وَلَقَدْ بَعَثْنَا فِي كُلِّ أُمَّةٍ رَسُولًا أَنِ اعْبُدُوا اللَّهَ وَاجْتَنِبُوا الطَّاغُوتَ فَمِنْهُمْ مَّنْ هَدَى اللَّهُ وَمِنْهُمْ مَّنْ حَقَّتْ عَلَيْهِ الضَّلَالَةُ﴾^(١). فمن آمن بك منهم يا محمد واتبع ما جئت به فقد هدي إلى صراط مستقيم، ومن نازعك فلا تحفل به فإنك على دين مستقيم. وفي هذه الآيات: التوجيه بترك الجدل؛ لأن من يجادل في أسس الدين وأصوله، إنما يجادل عنادا فلا ينفع معه علم ولا هدى.

﴿أَلَمْ تَعْلَمْ أَنَّ اللَّهَ يَعْلَمُ مَا فِي السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ إِنَّ ذَلِكَ فِي كِتَابٍ إِنَّ ذَلِكَ عَلَى اللَّهِ يَسِيرٌ﴾

بيان الآية:

﴿أَلَمْ تَعْلَمْ أَنَّ اللَّهَ يَعْلَمُ مَا فِي السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ﴾ أي: يجب أن تعلم يا محمد أنت وكل الخلق أن الله يعلم ما في السماء والأرض ما كان فيها وما يكون وما هو كائن كما قال عز وجل ﴿يَعْلَمُ مَا يَلِجُ فِي الْأَرْضِ وَمَا يَخْرُجُ مِنْهَا وَمَا يَنْزِلُ مِنَ السَّمَاءِ وَمَا يَعْرُجُ فِيهَا﴾^(٢). وقوله عز ذكره ﴿عَلِمِ الْغَيْبِ لَا يَعْزُبُ عَنْهُ مِثْقَالُ ذَرَّةٍ فِي السَّمَوَاتِ وَلَا فِي الْأَرْضِ﴾

(١) سورة النحل من الآية ٣٦ .

(٢) سورة سبأ من الآية ٢ .

وَلَا أَصْغَرُ مِنْ ذَلِكَ وَلَا أَكْبَرُ إِلَّا فِي كِتَابٍ مُبِينٍ ﴿١﴾. قوله ﴿إِنَّ ذَلِكَ فِي كِتَابٍ إِنَّ ذَلِكَ عَلَى اللَّهِ يَسِيرٌ﴾ أي: أن مقادير الخلق وأعمالهم وآجالهم وأرزاقهم مكتوبة في اللوح المحفوظ، وفي ذلك: قال رسول الله ﷺ: (إن أول ما خلق الله القلم فقال له اكتب فقال رب ماذا أكتب؟ قال: اكتب مقادير كل شيء حتى تقوم الساعة) (٢).

أحكام ومسائل الآية:

في هذه الآية: الحكم بربوبية الله وإحاطته المطلقة بكل ما في الوجود العلوي والسفلي من عظام الأمور وصغائرها. وفيها: الحكم أن جميع أمور الخلق حياتهم ومماتهم وأرزاقهم وأمور الكون كله مسجلة في اللوح المحفوظ لا يعزب عن الله شيء منها.

﴿وَيَعْبُدُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ مَا لَمْ يَنْزِلْ بِهِ سُلْطَانًا وَمَا لَيْسَ لَهُمْ بِهِ عِلْمٌ وَمَا لِلظَّالِمِينَ مِنْ نَصِيرٍ﴾ (٧١) وَإِذَا تَلَّى عَلَيْهِمْ ءَايَاتُنَا بَيَّنَّتْ تَعْرِفُ فِي وُجُوهِ الَّذِينَ كَفَرُوا الْمُنْكَرُ يَكَادُوتُ يَسْطُوتُ بِالَّذِينَ يَتْلُونَ عَلَيْهِمْ ءَايَاتِنَا قُلْ أَفَأَنْبِتُكُمْ بِشَرٍّ مِنْ ذَلِكُمُ النَّارُ وَعَدَهَا اللَّهُ الَّذِينَ كَفَرُوا وَبَشِّرِ الْمَصِيرُ ﴿٧٢﴾.

(١) سورة سبأ من الآية ٣.

(٢) أخرجه أبو داود ج ٤ ص ٢٣٥، والترمذي في كتاب التفسير، باب (٦٦)، برقم (٣٣١٩) سنن الترمذي ج ٥ ص ٣٩٤، وأحمد في المسند ج ٥ ص ٣١٧.

بيان الآيتين:

﴿وَيَعْبُدُونَ﴾ المراد بهم مشركو مكة ﴿مِنْ دُونِ اللَّهِ مَا لَهُمْ مِنْ نَازِلٍ بِهِ سُلْطَانًا﴾ أي: يعبدون ما ليس لهم في عبادته حجة ولا برهان ولا دليل ﴿وَمَا لَيْسَ لَهُمْ بِهِ عِلْمٌ﴾ أي: وليس لديهم في عبادته دليل علمي أو عقلي، وإنما هو تقليد لأبائهم في ضلالهم في عبادتهم للأصنام ﴿وَمَا لِلظَّالِمِينَ مِنْ نَصِيرٍ﴾ أي: ليس لهم ناصر ينصرهم إذا حل بهم العذاب في الدنيا أو في الآخرة ﴿وَإِذَا نُنْتَلَىٰ عَلَيْهِمْ ءَايَاتُنَا بَيِّنَاتٍ﴾ أي: إذا يتلى عليهم القرآن، بما فيه من الآيات الدالة على عظمة الله وقدرته ووجوب توحيده ﴿تَعْرِفُ فِي وُجُوهِ الَّذِينَ كَفَرُوا الْمُنْكَرَ﴾ أي: ترى في وجوههم الغضب ﴿يَكَادُونَ يَسْطُونَ بِالَّذِينَ يَتَلَوْنَ عَلَيْهِمْ ءَايَاتِنَا﴾ أي: يعتدون عليهم ويبطشون بهم ﴿قُلْ أَفَأَنْتُمْ بِشِرِّ مِنَ ذَلِكَُمُ النَّارِ وَعَدَهَا اللَّهُ الَّذِينَ كَفَرُوا﴾ المراد قل لهم يا محمد: إن النار أشد من الذي يكرهون سماعه وقد وعدها الله الذين كفروا وكذبوا القرآن وأعرضوا عن آيات الله وأحكامه ﴿وَبَشِّرِ الْمَصِيرُ﴾ أي: وبشِّر النار مقرا ومآلا.

أحكام ومسائل الآيتين:

تقرير أن الله يعلم بعلمه المطلق كل ما في السموات والأرض ما كان

فيها وما يكون وما هو كائن، فيعلم مقادير أعمار الخلق وأعمالهم وأسرارهم وعلاانيتهم لا يعزب عنه مثقال ذرة فيها. تقرير: أن عبدة الأصنام جهال وسفهاء؛ لأنهم يعبدون ما ليس لهم فيه دليل من علم أو عقل، وإنما هم متبعون لأسلافهم في ضلالهم كقولهم ﴿إِنَّا وَجَدْنَا آبَاءَنَا عَلَىٰ أُمَّةٍ وَإِنَّا عَلَىٰ آثَرِهِمْ مُّقْتَدُونَ﴾^(١). تقرير: أن الكفار يغضبون إذا تليت عليهم آيات الله، وما علموا أن النار التي تنتظرهم هي أشد الما عليهم من الكره الذي يعانونه في نفوسهم أثناء سماعهم لهذه الآيات.

﴿يَتَأْتِيهَا النَّاسُ ضُرِبَ مَثَلٍ ۖ فَاسْتَمِعُوا لَهُ ۚ إِنَّ الَّذِينَ تَدْعُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ لَنْ يَخْلُقُوا ذُبَابًا وَلَوْ اجْتَمَعُوا لَهُ ۚ وَإِنْ يَسْلُبْهُمُ الذُّبَابُ شَيْئًا لَا يَسْتَنْقِذُوهُ مِنْهُ ضَعُفَ الطَّالِبُ وَالْمَطْلُوبُ﴾^(٧٢)
 ﴿مَا قَدَرُوا اللَّهَ حَقَّ قَدْرِهِ ۚ إِنَّ اللَّهَ لَقَوِيٌّ عَزِيزٌ﴾^(٧٣)

بيان الآيتين:

﴿يَتَأْتِيهَا النَّاسُ ضُرِبَ مَثَلٍ﴾ المثل المضروب هو ما يعبده المشركون من الأصنام ﴿فَاسْتَمِعُوا لَهُ﴾ أي: أنصتوا لسماعه ﴿إِنَّ الَّذِينَ تَدْعُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ لَنْ يَخْلُقُوا ذُبَابًا وَلَوْ اجْتَمَعُوا﴾

(١) سورة الزخرف من الآية ٢٣ .

لَهُ. ﴿١﴾ أي: إن الأصنام التي يعبدها المشركون من دون الله وعددها ثلاثمائة وستون صنما لو اجتمعوا كلهم على أن يخلقوا ذبابا لما استطاعوا ﴿٢﴾ وَإِنْ يَسْلُبْهُمْ الذُّبَابُ شَيْئًا لَا يَسْتَنْقِذُوهُ مِنْهُ ﴿٣﴾ أي: لو أن الذباب جاء إلى هذه الأصنام وسلب منها ما كان يضعه المشركون عليها من الطعام وغيره لم تقدر على استنقاذها منه لو أرادت ذلك ﴿٤﴾ ضَعُفَ الطَّالِبُ وَالْمَطْلُوبُ ﴿٥﴾ أي: ضعف العابد لهذه الأصنام وضعفت هذه الأصنام ﴿٦﴾ مَا قَدَرُوا اللَّهَ حَقَّ قَدْرِهِ ﴿٧﴾ أي: لم يعظموه حق عظمتهم ولم يقدروه حق قدره، وهو الذي خلقهم وتكفل بأرزاقهم فجعلوا معه أصناما يعبدونها ﴿٨﴾ إِنَّ اللَّهَ لَقَوِيٌّ عَزِيزٌ ﴿٩﴾ أي: القوي الذي لا يضاهيه أحد في قوته، والعزيز الذي علا وتنزه عن الشركاء والأنداد والأمثال.

أحكام ومسائل الآيتين:

في هاتين الآيتين مشروعية ضرب الأمثال، لما يكون فيها من تقريب المعاني إلى الأفهام. وفيها: الحكم بأنه لا أحد من الخلق يستطيع خلق أحقر شيء مما خلقه الله كالذباب، ولا أحد أظلم ممن يقول إنه يستطيع ذلك لقول رسول الله ﷺ: (قال الله عز وجل ومن أظلم ممن ذهب يخلق كخلقي فليخلقوا نرة أو ليخلقوا حبة أو شعرة)^(١).

(١) أخرجه البخاري في كتاب التوحيد، باب قوله تعالى ﴿وَاللَّهُ خَلَقَكُمْ وَمَا تَعْمَلُونَ﴾ برقم (٧٥٥٩)، صحيح البخاري مع فتح الباري ج ١٣ ص ٥٣٧.

وفيها: الحكم بأن من جعل مع الله شريكا في عبادته ما قدره حق قدره، فاقضى ذلك وعيده بالجزاء يوم الحساب.

﴿اللَّهُ يَصْطَفِي مِنَ الْمَلَائِكَةِ رُسُلًا وَمِنَ النَّاسِ إِنَّ اللَّهَ سَمِيعٌ بَصِيرٌ﴾ (٧٥) يَعْلَمُ مَا بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَمَا خَلْفَهُمْ وَإِلَى اللَّهِ تُرْجَعُ الْأُمُورُ ﴿٧٦﴾

بيان الآيتين:

﴿اللَّهُ يَصْطَفِي مِنَ الْمَلَائِكَةِ رُسُلًا وَمِنَ النَّاسِ﴾ قيل: إن الوليد بن المغيرة المخزومي قال: كيف أنزل عليه القرآن من بيننا؟ فنزلت الآية^(١) وفيها: بيان أن الله يختار من يشاء من عباده من الملائكة ومن الناس كما هو الحال في اختياره محمدا ﷺ ﴿إِنَّ اللَّهَ سَمِيعٌ بَصِيرٌ﴾ أي: يسمع أقوال عباده وهو بصير بمن يختاره منهم لإبلاغ رسالته ﴿يَعْلَمُ مَا بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَمَا خَلْفَهُمْ﴾ أي: يعلم ما بين أيدي الرسل الذين يرسلهم وما خلفهم فلا يخفى عليه شيء من دعوتهم في إبلاغ رسالاته ﴿وَإِلَى اللَّهِ تُرْجَعُ الْأُمُورُ﴾ أي: الأمر كله يرجع إليه فيمن يختار من الملائكة، أو من الناس لرسالته.

(١) الجامع لأحكام القرآن ج ١٢ ص ٩٨.

أحكام ومسائل الآيتين:

في هاتين الآيتين: تقرير أن الله يختار لإبلاغ رسالته من يشاء من عباده لإبلاغ رسالته كاختياره من الملائكة جبريل وميكائيل، واختياره من الناس محمدا ﷺ وغيره من الرسل. وفيها: تقرير عظمة الله وقدرته المقتضية لوجوب إفراده بالعبادة.

﴿يَتَأَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا ارْكَعُوا وَاسْجُدُوا وَعْبُدُوا رَبَّكُمْ
وَأَفْعَلُوا الْخَيْرَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ ﴿٧٧﴾ وَجَاهِدُوا فِي اللَّهِ
حَقَّ جِهَادِهِ هُوَ اجْتَبَاكُمْ وَمَا جَعَلَ عَلَيْكُمْ فِي الدِّينِ مِنْ حَرَجٍ
مِّلَّةَ أَبِيكُمْ إِبْرَاهِيمَ هُوَ سَمَّاكُمُ الْمُسْلِمِينَ مِنْ قَبْلُ وَفِي هَذَا
لِيَكُونَ الرَّسُولُ شَهِيدًا عَلَيْكُمْ وَتَكُونُوا شُهَدَاءَ عَلَى النَّاسِ فَأَقِيمُوا
الصَّلَاةَ وَآتُوا الزَّكَاةَ وَاعْتَصِمُوا بِاللَّهِ هُوَ مَوْلَاكُمْ فَنِعْمَ الْمَوْلَى
وَنِعْمَ النَّصِيرُ ﴿٧٨﴾﴾

بيان الآيتين:

﴿يَتَأَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا ارْكَعُوا وَاسْجُدُوا﴾ هذا نداء بمعنى الأمر من الله لعباده المؤمنين أن يركعوا ويسجدوا، والمراد به الركوع والسجود في الصلاة المفروضة والنافلة؛ لما فيه من تعظيم الله وذكره لقول رسول الله ﷺ: (أما الركوع فعظموا فيه الرب

وأما السجود فاجتهدوا في الدعاء فقمن أن يستجاب لكم^(١). ويشمل السجود: السجود عند الآيات التي فيها ما يدل عليه كما في هذه السورة من سجدتين ﴿وَاعْبُدُوا رَبَّكُمْ﴾ أي: أطيعوه فيما أمر به وما نهى عنه ﴿وَأَفْعَلُوا الْخَيْرَ﴾ أي: افعلوا ما تستطيعونه من عمل الخير كالصدقة والبر والإحسان وما فيه نفع للعباد في دينهم وديناهم ﴿لَعَلَّكُمْ تَفْلَحُونَ﴾ أي: تفوزون بمرضاة الله ورحمته لكم. ﴿وَجَاهِدُوا فِي اللَّهِ حَقَّ جِهَادِهِ﴾ المراد به جهاد أهل الكفر وجهاد النفس بالتغلب على هواها وعلى وساوس الشيطان وأوامره ونزغاته ﴿هُوَ أَجْتَبَاكُمْ﴾ أي: اختاركم على سائر الأمم؛ لحمل رسالته وفضلكم عليهم بأن جعلكم شهداء عليهم يوم القيامة ﴿وَمَا جَعَلَ عَلَيْكُمْ فِي الدِّينِ مِنْ حَرَجٍ﴾ أي: لم يكلفكم ما لا تستطيعون ﴿مَلَّةَ أَيْبِكُمْ إِبْرَاهِيمَ﴾ أي: اتبعوا ملة أبيكم إبراهيم ﴿هُوَ سَمَّاكُمْ الْمُسْلِمِينَ مِنْ قَبْلُ﴾ أي: سماكم المسلمين قبل محمد ﷺ ﴿وَفِي هَذَا لِيَكُونَ الرَّسُولُ شَهِيدًا عَلَيْكُمْ﴾ أي: سوف يشهد عليكم، بأنه بلغكم الرسالة ﴿وَتَكُونُوا شُهَدَاءَ عَلَى النَّاسِ﴾ أي: وسوف تشهدون أنتم على الناس أن رسلهم قد بلغوهم رسالات

(١) أخرجه مسلم في كتاب الصلاة، باب النهي عن قراءة القرآن في الركوع والسجود، برقم (٤٧٩)، صحيح مسلم بشرح النووي ج ٣ ص ١٦٩٢.

ربهم ﴿فَأَقِمْ وَجْهَكَ لِلدِّينِ حَنِيفًا ۚ فِطْرَتَ اللَّهِ الَّتِي فَطَرَ النَّاسَ عَلَيْهَا ۚ لَا تَبَدِّلْ وَجْهَ اللَّهِ ۚ إِنَّهُ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ﴾ أي: أدوا ما فرض الله عليكم من إقامة الصلوات في أوقاتها، وأدوا زكاة أموالكم لمستحقيها من الفقراء والمساكين والمحاويج ﴿وَأَعْتَصِمُوا بِحَبْلِ اللَّهِ جَمِيعًا وَلَا تَفَرَّقُوا ۚ سَلَامٌ عَلَى الَّذِينَ آمَنُوا وَأَن لَّهُمْ أَجْرٌ كَبِيرٌ﴾ أي: استعينوا به، والجمعوا إليه ﴿هُوَ مَوْلَاكُمْ﴾ أي: معينكم ومتوليكم وناصركم ﴿فَنِعْمَ الْمَوْلَىٰ وَنِعْمَ النَّصِيرُ﴾ أي: نعم الولي ونعم الناصر، فلا ولي ولا ناصر إلا هو.

أحكام ومسائل الآيتين:

في هاتين الآيتين عدة أحكام: أولها: الأمر بالركوع والسجود دلالة على أداء الصلاة خاصة المفروضة وثانيها: الأمر بفعل الخير، وهذا يقتضي فعل كل ما فيه خير مما شرعه الله أو حث عليه كما يقتضي من وجه آخر كف الأذى ومنع الشر الذي نهى الله عنه وحذر منه. وثالثها: الأمر بالجهاد ويراد به إعلاء كلمة الله ويدخل فيه جهاد النفس ومغالبة الهوى وقول الحق كما قال رسول الله ﷺ للرجل الذي سأله عند الجمرة الثانية وجمرة العقبة أيُّ الجهاد أفضل؟ قال: (كلمة عدل عند سلطان جائر)^(١).

(١) أخرجه أبو داود في كتاب الملاحم، باب الأمر والنهي برقم (٤٣٤٤)، سنن أبي داود ج ٤ ص ١٠٩، والترمذي في كتاب الفتن، باب ما جاء أفضل الجهاد كلمة عدل عند سلطان جائر، برقم (٢١٧٤)، سنن الترمذي ج ٤ ص ٤٠٩، وابن ماجه في كتاب الفتن، باب الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، برقم (٤٠١١)، سنن ابن ماجه ج ٢ ص ١٢٢٩.

ورابع الأحكام: أن الله عز وجل قد رفع الحرج عن الأمة وقد تباينت الآراء حول المراد من هذا الرفع والصحيح أن الله لم يكلف عباده فعل ما لا يطيقونه من الأعمال كما قال عز وجل ﴿لَا يُكَلِّفُ اللَّهُ نَفْسًا إِلَّا وُسْعَهَا﴾^(١). ومن ذلك أنه خفف الصلاة عن المسافر بالقصر ورفع الحرج عن المكلف إذا أخطأ في معرفة القبلة كما قال عز وجل ﴿فَأَيْنَمَا تُولُونَ وَجْهَ اللَّهِ﴾^(٢). وخفف عن المريض الذي لا يقدر على الصيام، وخفف عن المرضعة والحامل إذا خافتا على وليدهما وفي هذا كله: قال رسول الله ﷺ: (ولكنني بعثت بالحنيفية السمحة)^(٣). ورفع الحرج المراد هو عن متبعي شرع الله، أما العصاة الذين يتمردون على أحكام الله ويتعدون حدوده فيقع عليهم الحرج.

وخامس الأحكام: شرف أمة المسلمين حيث جعلهم شهوداً على الأمم كما قال عز وجل ﴿وَكَذَلِكَ جَعَلْنَاكُمْ أُمَّةً وَسَطًا لِتَكُونُوا شُهَدَاءَ عَلَى النَّاسِ وَيَكُونَ الرَّسُولُ عَلَيْكُمْ شَهِيدًا﴾^(٤).

(١) سورة البقرة من الآية ٢٨٦ .

(٢) سورة البقرة من الآية ١١٥ .

(٣) أخرجه الإمام أحمد في مسنده ج ٥ ص ٢٦٦ .

(٤) سورة البقرة من الآية ١٤٣ .

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

سورة المؤمنون

مكية وآياتها مائة وثمانية عشرة آية

﴿قَدْ أَفْلَحَ الْمُؤْمِنُونَ ﴿١﴾ الَّذِينَ هُمْ فِي صَلَاتِهِمْ خَاشِعُونَ ﴿٢﴾
وَالَّذِينَ هُمْ عَنِ اللَّغْوِ مُعْرِضُونَ ﴿٣﴾ وَالَّذِينَ هُمْ لِلزَّكَاةِ فَاعِلُونَ
﴿٤﴾ وَالَّذِينَ هُمْ لِفُرُوجِهِمْ حَافِظُونَ ﴿٥﴾ إِلَّا عَلَىٰ أَزْوَاجِهِمْ أَوْ مَا
مَلَكَتْ أَيْمَانُهُمْ فَإِنَّهُمْ غَيْرُ مَلُومِينَ ﴿٦﴾ فَمَنْ ابْتَغَىٰ وَرَاءَ ذَلِكَ
فَأُولَٰئِكَ هُمُ الْعَادُونَ ﴿٧﴾ وَالَّذِينَ هُمْ لِأَمْتِنَتِهِمْ وَعَهْدِهِمْ رَاعُونَ ﴿٨﴾
وَالَّذِينَ هُمْ عَلَىٰ صَلَوَاتِهِمْ يُحَافِظُونَ ﴿٩﴾ أُولَٰئِكَ هُمُ الْوَارِثُونَ ﴿١٠﴾
الَّذِينَ يَرِثُونَ الْفِرْدَوْسَ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ ﴿١١﴾﴾

بيان الآيات:

﴿قَدْ أَفْلَحَ الْمُؤْمِنُونَ﴾ أي: فاز المؤمنون فوزاً عظيماً وقد وصفهم الله بقوله عز وجل ﴿الَّذِينَ هُمْ فِي صَلَاتِهِمْ خَاشِعُونَ﴾ الخشوع من أهم آداب الصلاة، وقد كان رسول الله ﷺ ينظر إلى السماء حين الصلاة فأنزل الله هذه الآية^(١) توجيهاً له وأمته بوجوب الخشوع فيها والخشوع نوعان: أحدهما خشوع القلب وهو الأهم؛ لأنه إذا خشع

(١) أسباب نزول القرآن للواحدي ص ٥٠٨ .

خشعت الجوارح. النوع الثاني خشوع الجوارح عن الحركة مالم تكن ضرورة عارضة ﴿وَالَّذِينَ هُمْ عَنِ اللَّغْوِ مُعْرِضُونَ﴾ اللغو: قول الباطل، وكل قول أو فعل فيه معصية لله ﴿وَالَّذِينَ هُمْ لِلزَّكَاةِ فَاعِلُونَ﴾ المراد بهم الذين يخرجون زكاة أموالهم طيبة بها نفوسهم فينفقونها حسبما فرضها الله ﴿وَالَّذِينَ هُمْ لِأُزْوَاجِهِمْ حَافِظُونَ﴾ أي: يكفون عما حرم الله عليهم ﴿إِلَّا عَلَىٰ أَزْوَاجِهِمْ أَوْ مَا مَلَكَتْ أَيْمَانُهُمْ فَإِنَّهُمْ غَيْرُ مَلُومِينَ﴾ وهذا الوصف يشمل الكف عن الزنا واللواط فلا يقربون إلا أزواجهم الذين عقدوا عليهم عقدا شرعيا أو ما ملكت أيمانهم من السراري حال وجودها.

﴿فَمَنْ ابْتَغَىٰ وَرَاءَ ذَلِكَ فَأُولَٰئِكَ هُمُ الْعَادُونَ﴾ أي: من ابتغى غير زوجته أو أمته فيعد معتديا على أحكام الله منتهكا لحرماته. ﴿وَالَّذِينَ هُمْ لِأَمْنَتِهِمْ وَعَهْدِهِمْ رَاعُونَ﴾ هذا وصف آخر لهم وهو أنهم يحافظون على أماناتهم، فلا يخونون ما ائتمنهم الله عليه من الأحكام وما ائتمنهم عليه الخلق في المعاملات ﴿وَالَّذِينَ هُمْ عَلَىٰ صَلَواتِهِمْ يُحَافِظُونَ﴾ أي: يحافظون على أدائها في وقتها وعدم التهاون أو التساهل فيها ﴿أُولَٰئِكَ هُمُ الْوَارِثُونَ﴾ أي: الوارثون لمنازل الجنة كما بيّنه عز وجل بقوله ﴿الَّذِينَ يَرِثُونَ الْفِرْدَوْسَ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ﴾ الفردوس: أعلى منزلة في الجنة وفيه قول رسول

الله ﷻ: (فإذا سألتم الله فاسألوه الفردوس فإنه أوسط الجنة وأعلى الجنة وفوقه عرش الرحمن ومنه تفجر أنهار الجنة)^(١).

أحكام ومسائل الآيات:

في هذه الآيات عدة أحكام: منها: وجوب الخشوع في الصلاة، وقد تباينت الآراء فيه فقليل: إنه من مكملات الصلاة وآدابها، وقيل: إنه واجب من واجباتها، ولعله فرض من فرائضها؛ لأن الله مدح الخاشعين في الصلاة ووصفهم بالفلاح وهذا يقتضي بالمفهوم المخالف أن غير الخاشع في الصلاة لا يعد من المفلحين.

ومنها: أن على الرجال حفظ فروجهم إلا على أزواجهم وهذا يقتضي تحريم العميرة أو ما يعرف بالاستمناء. كما يقتضي تحريم اللواط، وتحريم نكاح المتعة، وكل نكاح لا تتوفر فيه الشروط الشرعية للنكاح. وإذا كان هذا الحكم يشمل الرجال نساء، فهو يشمل النساء من وجه آخر؛ ذلك أن الله أوجب عليهن إحصان فروجهن كما قال عز وجل لنبيه ﴿وَقُلْ لِلْمُؤْمِنَاتِ يَغْضُضْنَ مِنْ أَبْصَارِهِنَّ وَيَحْفَظْنَ فُرُوجَهُنَّ﴾ الآية^(٢). وقال في حق مريم عليها السلام مادحاً لها ﴿وَمَرْيَمَ ابْنَتَ عِمْرَانَ الَّتِي أَحْصَنَتْ فَرْجَهَا﴾^(٣). ومنها: أن من ابتغى

(١) أخرجه البخاري في كتاب التوحيد، باب قوله تعالى ﴿وَكَاثَ عَرْشُهُ عَلَى الْمَاءِ﴾، برقم (٧٤٢٣)، صحيح البخاري مع فتح الباري ج ١٣ ص ٤١٥.

(٢) سورة النور من الآية ٣١.

(٣) سورة التحريم من الآية ١٢.

غير ما أحله الله له من الزوجة فقد تعدى على أحكام الله وانتهك حرماته. ومن هذه الأحكام: وجوب أداء الأمانة، فمن خانها عد من أهل النفاق لقول رسول الله ﷺ: (آية المنافق ثلاث إذا حدث كذب وإذا وعد أخلف وإذا ائتمن خان)^(١).

ومنها: وجوب المحافظة على الصلوات في أوقاتها المخصوصة كما قال عز وجل ﴿إِنَّ الصَّلَاةَ كَانَتْ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ كِتَابًا مَوْقُوتًا﴾^(٢). أي: مفروضا في الأوقات وهذا يقتضي حكما عدم تأخيرها عن أوقاتها؛ لأن ذلك يدخل في باب الوعيد بالويل، وهو واد في جهنم كما قال عز وجل ﴿فَوَيْلٌ لِلْمُصَلِّينَ﴾^(٣). ﴿الَّذِينَ هُمْ عَنْ صَلَاتِهِمْ سَاهُونَ﴾^(٤) أي: غافلون وفي حديث عبد الله بن مسعود قال: سألت رسول الله ﷺ أي العمل أحب إلى الله؟ قال: (الصلاة على وقتها) الحديث^(٥).

﴿وَلَقَدْ خَلَقْنَا الْإِنْسَانَ مِنْ سُلَالَةٍ مِّن طِينٍ﴾^(١٢) ثُمَّ جَعَلْنَاهُ نُطْفَةً

(١) أخرجه البخاري في كتاب الإيمان، باب علامة المنافق، برقم (٢٣)، صحيح البخاري مع فتح الباري ج ١ ص ١١١.

(٢) سورة النساء من الآية ١٠٣.

(٣) سورة الماعون الآية ٤.

(٤) سورة الماعون الآية ٥.

(٥) أخرجه البخاري في كتاب مواقيت الصلاة، باب فضل الصلاة لوقتها، برقم (٥٢٧)، صحيح البخاري مع فتح الباري ج ٢ ص ١٢.

فِي قَرَارٍ مَّكِينٍ ﴿١٣﴾ ثُمَّ خَلَقْنَا النُّطْفَةَ عَلَقَةً فَخَلَقْنَا الْعَلَقَةَ مُضْغَةً
فَخَلَقْنَا الْمُضْغَةَ عِظْلًا فَكَسَوْنَا الْعِظْمَ لَحْمًا ثُمَّ أَنْشَأْنَاهُ خَلْقًا
ءَاخِرَ فَبَارَكَ اللَّهُ أَحْسَنُ الْخَالِقِينَ ﴿١٤﴾ ثُمَّ إِنَّكُمْ بَعْدَ ذَلِكَ لَمِيتُونَ
﴿١٥﴾ ثُمَّ إِنَّكُمْ يَوْمَ الْقِيَمَةِ تُبْعَثُونَ ﴿١٦﴾ ❀

بيان الآيات:

﴿وَلَقَدْ خَلَقْنَا الْإِنْسَانَ مِنْ سُلَالَةٍ مِّن طِينٍ﴾ ❀ المراد بالإنسان آدم وذريته، وقد استل الله خلقه من الطين كما قال عز وجل ﴿وَمِنْ ءَايَاتِهِ أَنْ خَلَقَكُمْ مِنْ تُرَابٍ ثُمَّ إِذَا أَنْتُمْ بَشَرٌ تَنْتَشِرُونَ﴾ ❀ (١).
﴿ثُمَّ جَعَلْنَاهُ نُطْفَةً﴾ ❀ أي: بدأ خلقه من قطرة المني التي تخرج من صلب الرجل ومن ترائب المرأة كما قال عز وجل ﴿فَلْيَنْظُرِ الْإِنْسَانُ مِمَّ خُلِقَ﴾ ❀ (٢). ﴿خُلِقَ مِنْ مَّاءٍ دَافِقٍ﴾ ❀ (٣). ﴿يَخْرُجُ مِنْ بَيْنِ الصُّلْبِ وَالتَّرَائِبِ﴾ ❀ (٤). ﴿فِي قَرَارٍ مَّكِينٍ﴾ ❀ أي: رحم المرأة حيث تستقر هذه النطفة إلى قدر معلوم. ﴿ثُمَّ خَلَقْنَا النُّطْفَةَ عَلَقَةً﴾ ❀ أي: حولنا هذه النطفة إلى دم متجمد على شكل العلقة ﴿فَخَلَقْنَا الْعَلَقَةَ مُضْغَةً﴾ ❀ أي: حولنا العلقة إلى قطعة من اللحم غير متشكلة

(١) سورة الروم الآية ٢٠.

(٢) سورة الطارق الآية ٥.

(٣) سورة الطارق الآية ٦.

(٤) سورة الطارق الآية ٧.

﴿فَخَلَقْنَا الْمُضْغَةَ عِظْمًا﴾ أي: صيرنا هذه القطعة من اللحم إلى صورة يتبين منها شكل الإنسان ﴿فَكَسَوْنَا الْعِظْمَ لَحْمًا﴾ أي: أضفنا على هذا الشكل اللحم ﴿ثُمَّ أَنْشَأْنَاهُ خَلْقًا آخَرَ﴾ أي: تم نفخ الروح فيه؛ ليكون بشرا سويا يسمع ويبصر ﴿فَتَبَارَكَ اللَّهُ أَحْسَنُ الْخَالِقِينَ﴾ أي: تقدر وتَعْظَم على صنعه وعظيم إتيقانه.

﴿ثُمَّ إِنَّكُمْ بَعْدَ ذَلِكَ لَمَيِّتُونَ﴾ لما ذكر الله عز وجل حال نشأة الإنسان وتدرج هذه النشأة من طين ثم نقطة المني إلى العلقة، ثم المضغة، ثم العظام، ثم نفخ الروح وما يستتبع ذلك من الولادة، ثم مرحلة الطفولة ثم الشباب، ثم الكهولة، ثم الشيخوخة لمن قدرت له الحياة كما قال عز وجل ﴿هُوَ الَّذِي خَلَقَكُمْ مِنْ تُرَابٍ ثُمَّ مِنْ نُطْفَةٍ ثُمَّ مِنْ عَلَقَةٍ ثُمَّ يُخْرِجُكُمْ طِفْلًا ثُمَّ لِتَبْلُغُوا أَشَدَّكُمْ ثُمَّ لِيَكونُوا شِيُوخًا وَمِنْكُمْ مَن يُوَفِّي مِن قَبْلُ وَلَيَبْلُغُوا أَجَلًا مُّسَمًّى﴾ (١). بعد كل هذا قال عز ذكره: إنكم بعد هذا كله سوف تموتون ﴿ثُمَّ إِنَّكُمْ يَوْمَ الْقِيَمَةِ تُبْعَثُونَ﴾ أي: أن الموت ليس نهاية الإنسان، بل كتب الله عليه أن يبعثه من جديد ليرى ماذا عمل في الدنيا فيجازيه بالعدل على هذا العمل.

أحكام ومسائل الآيات:

في هذه الآيات: الأدلة البينة على كيفية خلق الله للإنسان، وعظيم

(١) سورة غافر من الآية ٦٧.

صنعه، وإتقانه لهذا الخلق. وفيها: الحكم بأن مصير الإنسان بعد تدرجه في حياته هو الموت ثم البعث والحساب، وجماع ذلك كله ما ورد في الآيات السابقة، وفي حديث ابن مسعود قال: حدثنا رسول الله ﷺ وهو الصادق المصدوق (أن أحدكم يجمع خلقه في بطن أمه أربعين يوماً نطفة ثم يكون علقة مثل ذلك ثم يكون مضغة مثل ذلك ثم يرسل إليه الملك فينفخ فيه الروح ويؤمر بأربع كلمات بكتب رزقه وأجله وعمله وشقي أو سعيد فوالذي لا إله غيره إن أحدكم ليعمل بعمل أهل الجنة حتى ما يكون بينه وبينها إلا ذراع فيسبق عليه الكتاب فيعمل بعمل أهل النار فيدخلها، وإن أحدكم ليعمل بعمل أهل النار حتى ما يكون بينه وبينها إلا ذراع فيسبق عليه الكتاب فيعمل بعمل أهل الجنة فيدخلها)^(١).

﴿وَلَقَدْ خَلَقْنَا فَوْقَكُمْ سَبْعَ طَرَائِقَ وَمَا كُنَّا عَنِ الْخَلْقِ غَافِلِينَ﴾



بيان الآية:

﴿وَلَقَدْ خَلَقْنَا فَوْقَكُمْ سَبْعَ طَرَائِقَ﴾ ﴿لَمَّا بَيَّنَّ اللَّهُ عِزَّ وَجَلَّ كَيْفِيَّةَ﴾

(١) أخرجه البخاري في كتاب بدء الخلق، باب ذكر الملائكة برقم (٣٢٠٨)، صحيح البخاري مع فتح الباري ج ٦ ص ٣٥٠، ومسلم في كتاب القدر، باب كيفية خلق آدمي في بطن أمه وكتابة رزقه وأجله وعمله وشقاوته وسعادته، برقم (٢٦٣٤)، صحيح مسلم بشرح النووي ج ١٠ ص ٦٦٩١.

خلقه للإنسان وأنه الذي أتقن هذا الخلق بيّن عز ذكره أنه خلق سبع سموات بعضها فوق بعض. ومع ما في خلق الإنسان من عظيم صنع الله الأمر الذي لا يقدر عليه إلا هو بيّن عز وجل أن خلق السموات المتطابق بعضها فوق بعض أعظم وأجل من خلق الإنسان كما قال عز ذكره ﴿لَخَلْقُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ أَكْبَرُ مِنْ خَلْقِ النَّاسِ﴾^(١). ﴿وَمَا كُنَّا عَنِ الْخَلْقِ غَافِلِينَ﴾ أي: لسنا عن الخلق غافلين بل نقوم عليه ونتعهد ونعلم ما فيه كما قال عز وجل ﴿اللَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ الْحَيُّ الْقَيُّومُ لَا تَأْخُذُهُ سِنَّةٌ وَلَا نَوْمٌ لَهُ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ﴾ إلى قوله ﴿يَعْلَمُ مَا بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَمَا خَلْفَهُمْ﴾ الآية^(٢). وقوله ﴿يَعْلَمُ مَا يَلِجُ فِي الْأَرْضِ وَمَا يَخْرُجُ مِنْهَا وَمَا يَنْزِلُ مِنَ السَّمَاءِ وَمَا يَعْرُجُ فِيهَا وَهُوَ مَعَكُمْ أَيْنَ مَا كُنْتُمْ وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ﴾^(٣).

أحكام ومسائل الآية:

في هذه الآية: تذكير الإنسان المنكر للبعث المكذب لآيات الله أن الله لم يخلقه من العدم فحسب، بل خلق السماء الذي تظله، والأرض الذي تقله، وخلقهما أكبر من خلق الإنسان والعقل النير يدرك هذا بدهاة؛ فالإنسان من حيث خلقه جزء صغير، والسموات والأرض كون

(١) سورة غافر من الآية ٥٧ .

(٢) سورة البقرة من الآية ٢٥٥ .

(٣) سورة الحديد من الآية ٤ .

متكامل، ولا يقدر على هذا إلا الله. وفيها: أن الله جل ثناؤه يقوم على رعاية الكون بكل ما فيه كما قال عز وجل ﴿وَيُمْسِكُ السَّمَاءَ أَنْ تَقَعَ عَلَى الْأَرْضِ إِلَّا بِإِذْنِهِ﴾^(١).

﴿وَأَنْزَلْنَا مِنَ السَّمَاءِ مَاءً بِقَدَرٍ فَأَسْكَنَتْهُ فِي الْأَرْضِ ۖ وَإِنَّا عَلَىٰ ذَهَابٍ بِهِمْ لَقَادِرُونَ﴾^(١٨) فَأَنْشَأْنَا لَكُمْ بِهِ جَنَّاتٍ مِّنْ نَّحِيلٍ وَأَعْنَبٍ لَّكُمْ فِيهَا فَاوِكُهُ كَثِيرَةٌ وَمِنْهَا تَأْكُلُونَ^(١٩) وَشَجَرَةً تَخْرُجُ مِنْ طُورٍ سَيْنَاءَ تَنْبُتُ بِالذَّهْنِ وَصَبِغٍ لِّلْأَكْلِينَ^(٢٠) وَإِنَّ لَكُمْ فِي الْأَنْعَامِ لَعِبْرَةً لِّتُسْقِيَهُمْ فَمَا فِي بُطُونِهَا وَلَكُمْ فِيهَا مَنَافِعُ كَثِيرَةٌ وَمِنْهَا تَأْكُلُونَ^(٢١) وَعَلَيْهَا وَعَلَى الْفُلْكِ تُحْمَلُونَ^(٢٢)﴾.

بيان الآيات:

﴿وَأَنْزَلْنَا مِنَ السَّمَاءِ مَاءً بِقَدَرٍ﴾^(١) إن من نعم الله على خلقه أن جعل الماء حياة لهم، ففيه شربهم، وفيه سقي نباتهم وأنعامهم، بل وفيه عناصر حياتهم كما قال عز وجل ﴿وَجَعَلْنَا مِنَ الْمَاءِ كُلَّ شَيْءٍ حَيٍّ﴾^(٢). وقد أتم جل وعلا هذه النعمة بأن جعل نزول الماء بقدر معين يحقق الغرض من نزوله، فلو كان كثيرا فوق الحاجة لكان ضارا، ولو كان أقل من الحاجة لكان أيضا ضارا ﴿فَأَسْكَنَتْهُ فِي الْأَرْضِ﴾^(٣) أي: جعلنا له فيها قرارا تخزنه لحاجة الناس ﴿وَأِنَّا عَلَىٰ

(١) سورة الحج من الآية ٦٥ .

(٢) سورة الأنبياء من الآية ٣٠ .

ذَهَابٍ بِهِ لَقَدِرُونَ ﴿١﴾ أي: لو أردنا لجعلنا الماء يذهب بحيث لا ينتفع به أحد كما قال عز وجل ﴿قُلْ أَرَأَيْتُمْ إِنْ أَصْبَحَ مَاؤُكُمْ غَوْرًا فَمَنْ يَأْتِيكُمْ بِمَاءٍ مَّعِينٍ﴾ (١). ﴿فَأَنشَأْنَا لَكُمْ بِهِ جَنَّتٍ مِّنْ نَّخِيلٍ وَأَعْنَابٍ﴾ أي: وبسبب الماء الذي أنزلناه من السماء صار لكم بساتين من النخيل والأعناب ﴿لَكُمْ فِيهَا فَوَاكِهُ كَثِيرَةٌ﴾ أي: ولكم في هذه البساتين مختلف الفواكه ﴿وَمِنْهَا تَأْكُلُونَ﴾ أي: من هذه الفواكه تأكلون، وهذا من لطفه عز وجل وحسن تدبيره لخلقه؛ بأن جعل لهم ما ينتفعون به، وقد دلت الدراسات الطبية المعاصرة على فائدة الفواكه لصحة الإنسان وغذائه.

﴿وَشَجَرَةً تَخْرُجُ مِنْ طُورِ سَيْنَاءَ﴾ وكما ذكر الله عز وجل امتنانه بإنزال الماء ذكر شجرة الزيتون وهي من الشجر المبارك وقيل: إن أول نباتها كان في طور سيناء ﴿تَبْتُ بِالذُّهْنِ﴾ أي: تنبت الدهن ﴿وَصِبْغَ اللَّائِلِينَ﴾ المراد أن الزيت الذي يخرج من هذه الشجرة يصبغ الأكل بطعمه وفائدته ﴿وَإِنَّ لَكُمْ فِي الْأَنْعَامِ لَعِبْرَةً ۖ لَّعَلَّكُمْ تَعْلَمُونَ﴾ أي: ومن العبر أن جعل الله الأنعام وهي الإبل والبقر والغنم تدر للبشر من بين فرث ودم اللبن بما فيه من المنافع الكثيرة ﴿وَلَكُمْ فِيهَا مَنَافِعُ كَثِيرَةٌ﴾ ومن هذه المنافع ركوبها والاستفادة من أصوافها وأوبارها وأشعارها ﴿وَمِنْهَا تَأْكُلُونَ﴾ أي: وتأكلون لحمها طعاما لكم ﴿وَعَلَيْهَا

وَعَلَى الْفَلَاحِ تُحْمَلُونَ ﴿٤٠﴾ أي: وتحملكم وتحمل أثقالكم حين انتقالكم من مكان إلى آخر كما أن السفن تحملكم كذلك.

أحكام ومسائل الآيات:

في هذه الآيات: بيان فضل الله تعالى على عباده بإنزال الماء عليهم من السماء، لما فيه من حياتهم، وجعل هذا الإنزال مقدرا حسب حاجتهم، وهذا يقتضي عدم إسرافهم فيه لقوله عز وجل ﴿وَكُلُوا وَاشْرَبُوا وَلَا تُسْرِفُوا إِنَّهُ لَا يُحِبُّ الْمُسْرِفِينَ﴾^(١). وفيه: أن رسول الله ﷺ مر بسعد وهو يتوضأ فقال: (ما هذا السرف؟) فقال: أفي الوضوء إسراف؟ قال: (نعم وإن كنت على نهر جار)^(٢). وكان عليه الصلاة والسلام يقتصد في الماء فيتوضأ بمد ويغتسل بصاع^(٣). وفيها: بيان القيمة الغذائية لزيت الزيتون. وفيها أيضا: بيان فضل الله على عباده بأن سخر لهم الأنعام، وجعل فيها فوائد لطعامهم وركوبهم، وهذا يقتضي حكما الرأفة والرحمة بالحيوان بإطعامه وعدم تكليفه ما لا يطيق والرفق به عند ذبحه كما قال عليه الصلاة والسلام: (إن الله كتب الإحسان على كل شيء فإذا قتلتم فأحسنوا القتل وإذا ذبحتم

(١) سورة الأعراف من الآية ٣١.

(٢) أخرجه ابن ماجة في كتاب الطهارة، باب ما جاء في القصد في الوضوء وكراهية التعدي فيه، برقم (٤٢)، سنن ابن ماجة ج ١ ص ١٤٦، والإمام أحمد في مسنده ج ٢ ص ٢٢١.

(٣) أخرجه البخاري في كتاب الوضوء، باب الوضوء بالمد، برقم (٢٠١)، صحيح البخاري مع فتح الباري ج ١ ص ٣٦٤.

فاحسنوا الذبحة وليحدّ أحنكم شفرتة وليرح ذبيحته^(١).

﴿وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا نُوحًا إِلَىٰ قَوْمِهِ فَقَالَ يَتَقَوَّمُ أَعْبُدُوا اللَّهَ مَا لَكُمْ مِنْ إِلَهٍ غَيْرُهُ ۖ أَفَلَا تَتَّقُونَ﴾ (٢٣) فَقَالَ الْمَلَأُوا الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ قَوْمِهِ مَا هَذَا إِلَّا بَشَرٌ مِّثْلُكُمْ يُرِيدُ أَنْ يَنْفَضِّلَ عَلَيْكُمْ وَلَوْ شَاءَ اللَّهُ لَأَنْزَلَ مَلَائِكَةً مَا سَمِعْنَا بِهَذَا فِي آبَائِنَا الْأَوَّلِينَ ﴿٢٤﴾ إِنْ هُوَ إِلَّا رَجُلٌ بِهِ جِنَّةٌ فْتَرَتَّبُوا بِهِ حَتَّىٰ حِينٍ ﴿٢٥﴾

بيان الآيات:

﴿وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا نُوحًا إِلَىٰ قَوْمِهِ﴾ في هذا بيان من الله تعالى لرسوله محمد ﷺ أنه أرسل نوحا إلى قومه يدعوهم إلى عبادة الله وحده، وأنه ليس لهم إله غيره، وأن ما يعبدونه من الأصنام والأوثان عمل باطل سيكون وبالا عليهم، وقد ذكر الله ما قاله لهم نبيهم نوح ﴿فَقَالَ يَتَقَوَّمُ أَعْبُدُوا اللَّهَ مَا لَكُمْ مِنْ إِلَهٍ غَيْرُهُ﴾. ﴿أَفَلَا تَتَّقُونَ﴾ أي: ألا تخافون أن ينزل بكم العذاب جزاء عبادتكم للأصنام ﴿فَقَالَ الْمَلَأُوا الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ قَوْمِهِ﴾ والمراد بهم ساداتهم ورؤسائهم المنفذون فيهم ﴿مَا هَذَا إِلَّا بَشَرٌ مِّثْلُكُمْ﴾ أي: إن نوحا لا يختلف عنكم في شيء، فلا يستحق منكم طاعته ﴿يُرِيدُ أَنْ يَنْفَضِّلَ عَلَيْكُمْ﴾ أي: إن ما يبتغيه بقوله هذا هو

(١) أخرجه مسلم في كتاب الصيد والذبائح، باب الأمر بإحسان الذبح والقتل وتحديد الشفرة، برقم

السيادة عليكم ورئاستكم ﴿وَلَوْ شَاءَ اللَّهُ لَأَنْزَلَ مَلَائِكَةً﴾ أي: لو أراد الله أن يبعث نبيا لأنزل أحد الملائكة ليقول لكم ما يريد ﴿مَا سَمِعْنَا بِهَذَا فِي آبَائِنَا الْأَوَّلِينَ﴾ أي: ما سمعنا من أسلافنا وغيرهم من الأمم هذا القول الذي يقوله نوح ﴿إِنْ هُوَ إِلَّا رَجُلٌ بِهِ جَنَّةٌ﴾ أي: ليس نوح إلا رجلاً مجنوناً يزعم أن الله أرسله إليكم ﴿فَتَرَبَّصُوا بِهِ حَتَّى حِينٍ﴾ أي: لا تصدقوه فيما يقول وانتظروا لعله يموت فتستريحون منه.

أحكام ومسائل الآيات:

في هذه الآيات: تقرير توحيد الألوهية وهو أنه لا معبود بحق إلا الله وحده لا شريك له ولا ند ولا مثل ولا نظير وأن عبادة غيره شرك أكبر. وفيها: تقرير أن الذين يكذبون دعوة الرسل هم الرؤساء المتنفذون في قومهم؛ خشية فقدانهم لرئاستهم وسيادتهم على قومهم. وفيها: تقرير أن الدعاة إلى الحق يتعرضون لاتهامهم بالكذب والجنون والادعاء الباطل، وهذا شائع في كل زمان ومكان، وقد أمر الله الأنبياء والدعاة أن يستقيموا على دعوتهم ويصبروا على ما يلاقونه من الأذى كما قال عز وجل لنبيه ورسوله محمد ﷺ ﴿وَأَسْتَقِمَّ كَمَا أُمِرْتُ وَلَا تَتَّبِعْ أَهْوَاءَهُمْ وَقُلْ ءَامَنْتُ بِمَا أَنْزَلَ اللَّهُ مِنْ كِتَابٍ﴾ (١). وقوله ﴿فَأَصْبِرْ كَمَا صَبَرَ أُولُو الْعَزْمِ مِنَ الرُّسُلِ﴾ (٢).

(١) سورة الشورى من الآية ١٥ .

(٢) سورة الأحقاف من الآية ٣٥ .

﴿قَالَ رَبِّ انصُرْنِي بِمَا كَذَبُونَ﴾ (٢٠) فَأَوْحَيْنَا إِلَيْهِ أَنْ اصْنَعِ
 الْفُلْكَ بِأَعْيُنِنَا وَوْحَيْنَا فَإِذَا جَاءَ أَمْرُنَا وَفَارَ التَّنُورُ فَاسْلُكْ فِيهَا مِنْ
 كُلِّ زَوْجَيْنِ اثْنَيْنِ وَأَهْلَكَ إِلَّا مَنْ سَبَقَ عَلَيْهِ الْقَوْلُ مِنْهُمْ وَلَا
 تُخَاطِبُنِي فِي الَّذِينَ ظَلَمُوا إِنَّهُمْ مُغْرَقُونَ ﴿٢١﴾ فَإِذَا أَسْتَوَيْتَ أَنْتَ وَمَنْ
 مَعَكَ عَلَى الْفُلِكِ فَقُلِ الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي نَجَّيْنَا مِنَ الْقَوْمِ الظَّالِمِينَ ﴿٢٢﴾ وَقُلِ
 رَبِّ انزِلْنِي مُنزَلًا مُبَارَكًا وَأَنْتَ خَيْرُ الْمُنزِلِينَ ﴿٢٣﴾ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ وَلِإِنْ
 كُنَّا لَمُبْتَلِينَ ﴿٢٤﴾

بيان الآيات:

﴿قَالَ رَبِّ انصُرْنِي بِمَا كَذَبُونَ﴾ لما عرف نوح عليه السلام إصرار
 قومه على تكذيبه، واتهامه بالجنون دعا ربه أن ينصره عليهم كما قال
 عز وجل عنه في الآية الأخرى ﴿فَدَعَا رَبَّهُ أَنِّي مَغْلُوبٌ فَأَنْصِرْ﴾ (١).
 ﴿فَأَوْحَيْنَا إِلَيْهِ أَنْ اصْنَعِ الْفُلْكَ بِأَعْيُنِنَا وَوْحَيْنَا﴾ أي: علمناه أن
 يصنع السفينة بعلم علمه الله إياه ولما ركب هو ومن معه من أهله
 والمؤمنين قال لهم اركبوا فيها باسم الله مجراها ومرساها ﴿فَإِذَا
 جَاءَ أَمْرُنَا وَفَارَ التَّنُورُ﴾ أي: إذا جاء أمر الله بهلاك القوم وعلا منه
 فوران الأرض ﴿فَاسْلُكْ فِيهَا مِنْ كُلِّ زَوْجَيْنِ اثْنَيْنِ﴾ أي: اجعل
 في السفينة ذكرا وأنثى من أصناف الحيوانات والثمار ﴿وَأَهْلَكَ إِلَّا

مَنْ سَبَقَ عَلَيْهِ الْقَوْلُ مِنْهُمْ ﴿١٢٩﴾ أي: أن يحمل أهله في السفينة إلا من قدر الله إهلاكه منهم؛ بسبب كفره ومنهم ولده ﴿وَلَا تَخَاطَبُنِي فِي الَّذِينَ ظَلَمُوا إِنَّهُمْ مُغْرَقُونَ﴾ ﴿١٣٠﴾ أي: إذا رأيت إنزال العذاب بقومك وهو الغرق يجب ألا تأخذك بهم رأفة فتطلب إمهالهم لعلهم يتوبون؛ لأنني قد قدرت عليهم العذاب بسبب طغيانهم وجحودهم ﴿فَإِذَا أَسْتَوَيْتَ أَنْتَ وَمَنْ مَعَكَ عَلَى الْفُلِكِ فَقُلِ الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي نَجَّانَا مِنَ الْقَوْمِ الظَّالِمِينَ﴾ ﴿١٣١﴾ هذا أمر من الله لنبيه نوح أن يحمد الله ويشكره على نجاته ومن معه من أهله والمؤمنين من العذاب الذي حاق بقومه ﴿وَقُلْ رَبِّ أَنْزِلْنِي مُنزَلًا مُبَارَكًا﴾ ﴿١٣٢﴾ وهذا أيضا أمر من الله لنبيه نوح أنه إذا نزل من السفينة إلى الأرض وحمد الله على نجاته ومن معه أن يدعو ربه أن ينزله في الأرض منزلا مباركا ﴿وَأَنْتَ خَيْرُ الْمُنْزِلِينَ﴾ ﴿١٣٣﴾ أي: أنت أجل وأعظم المنزلين.

﴿إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ﴾ ﴿١٣٤﴾ أي: إن في أمر نوح بصنع السفينة ثم إهلاك قومه بالغرق لدلالات على عظمة الله وكمال قدرته واستجابته لدعاء أنبيائه وعباده الصالحين ونصرهم على الكفرة والظالمين. ﴿وَإِنْ كُنَّا لَمُبْتَلِينَ﴾ ﴿١٣٥﴾ أي: نختبر العباد لنرى من هو الصادق منهم في دينه المطيع لرسوله، ومن هو المكذب منهم فيجازي كل عامل بعمله.

أحكام ومسائل الآيات:

في هذه الآيات الحكم بأن الله يهلك المكذبين للحق الذي جاء به

رسل الله وآخرهم وخاتمهم محمد ﷺ والهلاك إما أن يكون في الدنيا كما حدث لقوم نوح وغيرهم من الأمم البائدة مع ادخار العذاب لهم في الآخرة، وإما أن يكون الهلاك بالعذاب في الآخرة مؤجلاً. وفي هذه الآيات: استحباب بل وجوب التسمية عند ركوب وسائل النقل من سفن وطائرات وسيارات وغيرها، وكان رسول الله ﷺ يقرأ دعاء السفر عند سفره وهو قوله: (الله أكبر ثلاث مرات ثم يقول: سبحان الذي سخر لنا هذا وما كنا له مقرنين وإنا إلى ربنا لمنقلبون، اللهم إنا نسألك في سفرنا هذا البر والتقوى ومن العمل ما ترضى اللهم هون علينا سفرنا هذا واطو عنا بعده اللهم أنت الصاحب في السفر والخليفة في الأهل)^(١). ويستحب كذلك أن يقول عندما ينزل منزلاً: أعوذ بكلمات الله التامات من شر ما خلق^(٢).

﴿ثُمَّ أَنشَأْنَا مِنْ بَعْدِهِمْ قَرْنًا آخَرِينَ﴾ (٣١) فَأَرْسَلْنَا فِيهِمْ رَسُولًا مِنْهُمْ أَنِ اعْبُدُوا اللَّهَ مَا لَكُم مِّنْ إِلَهِ غَيْرُهُ أَفَلَا تَتَّقُونَ (٣٢) وَقَالَ الْمَلَأُ مِنْ قَوْمِهِ الَّذِينَ كَفَرُوا وَكَذَّبُوا بِآيَاتِنَا وَالْآخِرَةُ وَأَتْرَفْنَاهُمْ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا مَا هَذَا إِلَّا

(١) أخرجه مسلم في كتاب الحج، باب ما يقول إذا ركب إلى سفر الحج وغيره، برقم (١٣٤٢)، صحيح مسلم بشرح النووي ج ٦ ص ٣٦٢٧.

(٢) أخرجه مسلم في كتاب الدعوات، باب في التعوذ من سوء القضاء ودرك الشقاء وغيره، برقم (٢٧٠٧)، صحيح مسلم بشرح النووي ج ١١ ص ٦٨٠١، والترمذي في كتاب الدعوات، باب ما جاء ما يقول إذا نزل منزلاً، برقم (٣٤٣٧)، سنن الترمذي ج ٥ ص ٤٦٢، والإمام أحمد في مسنده ج ٦ ص ٣٧٧.

بَشَرٌ مِّثْلُكُمْ يَأْكُلُ مِمَّا تَأْكُلُونَ مِنْهُ وَيَشْرَبُ مِمَّا تَشْرَبُونَ ﴿٣٣﴾ وَلَئِنْ
 أَطَعْتُمْ بَشَرًا مِثْلُكُمْ إِنَّكُمْ إِذَا لَخَسِرُونَ ﴿٣٤﴾ أَعِدُّكُمْ أَنْفُسَكُمْ إِذَا مِتُّمْ وَكُنْتُمْ
 تُرَابًا وَعِظْمًا إِنَّكُمْ تُخْرَجُونَ ﴿٣٥﴾ هَيَّاهُ هَيَّاهُ لِمَا تُوعَدُونَ ﴿٣٦﴾ إِنْ
 هِيَ إِلَّا حَيَاتُنَا الدُّنْيَا نَمُوتُ وَنَحْيَا وَمَا نَحْنُ بِمَبْعُوثِينَ ﴿٣٧﴾ إِنْ هُوَ إِلَّا
 رَجُلٌ افْتَرَىٰ عَلَى اللَّهِ كَذِبًا وَمَا نَحْنُ لَهُ بِمُؤْمِنِينَ ﴿٣٨﴾ قَالَ رَبِّ انصُرْنِي
 بِمَا كَذَبُونَ ﴿٣٩﴾ قَالَ عَمَّا قَلِيلٍ لِّيُصْبِحَنَّ نَادِمِينَ ﴿٤٠﴾ فَأَخَذَتْهُمُ الصَّيْحَةُ
 بِالْحَقِّ فَجَعَلْنَاهُمْ عُشَاءً فَبَعَدًا لِلْقَوْمِ الظَّالِمِينَ ﴿٤١﴾

بيان الآيات:

﴿ثُمَّ أَنشَأْنَا مِنْ بَعْدِهِمْ قَرْنًا آخَرِينَ﴾ أي: أنشأنا من بعد هلاك قوم
 نوح أمة أخرى وهم عاد قوم هود ﴿فَأَرْسَلْنَا فِيهِمْ رَسُولًا مِنْهُمْ أَنْ أَعْبُدُوا
 اللَّهَ مَا لَكُمْ مِنْ إِلَهٍ غَيْرُهُ أَفَلَا تَتَّقُونَ﴾ أي: قال لهم هود مثل ما قال
 نوح لقومه: اتركوا عبادة الأصنام، ولا تعبدوا إلا الله؛ لأنه المستحق
 وحده للعبادة ﴿وَقَالَ الْمَلَأُ مِنْ قَوْمِهِ الَّذِينَ كَفَرُوا وَكَذَّبُوا بِإِيقَاعِ الْآخِرَةِ
 وَاتَّرفَتْهُمْ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا مَا هَذَا إِلَّا بَشَرٌ مِثْلُكُمْ يَأْكُلُ مِمَّا تَأْكُلُونَ
 مِنْهُ وَيَشْرَبُ مِمَّا تَشْرَبُونَ﴾ أي: قال رؤساء عاد الذين عمروا مدنهم
 وقراهم وكانوا مترفين بما هم فيه من رغد العيش: لا تصدقوا هودا
 الذي يدعي أنه رسول إليكم، فهو مجرد بشر مثلكم لا يختلف عنكم في
 الأكل والشرب ﴿وَلَئِنْ أَطَعْتُمْ بَشَرًا مِثْلُكُمْ إِنَّكُمْ إِذَا لَخَسِرُونَ﴾ أي:

إن اطعتموه فيما يقول لكم، فسوف تخسرون ما أنتم فيه من ترف العيش ﴿أَبَعِدْكُمْ أَنْكُمْ إِذَا مِتُمْ وَكُنْتُمْ تَرَابًا وَعِظْمًا أَنْكُمْ تُخْرَجُونَ﴾ أي: سيقول لكم إنكم إذا متم وأصبحتم عظاما بالية، فسوف تعودون مرة أخرى إلى الحياة ﴿هَيَّاتَ هَيَّاتَ لِمَا تُوْعَدُونَ﴾ أي: هذا بعيد جدا، فالذي يموت ينتهي ولا يعود إلى الحياة مرة أخرى فلا تصدقوا هودا بما يقول.

﴿إِنْ هِيَ إِلَّا حَيَاتُنَا الدُّنْيَا نَمُوتُ وَنَحْيَا وَمَا نَحْنُ بِمَبْعُوثِينَ﴾ أي: قالوا ليس لنا إلا حياة واحدة، فنحن نموت ويأتي بعدنا آخرون وهكذا فلا حياة إلا في هذه الدنيا ﴿إِنْ هُوَ إِلَّا رَجُلٌ افْتَرَىٰ عَلَى اللَّهِ كَذِبًا﴾ أي: إن هودا ليس إلا رجلاً يفترى على الله الكذب ويدعي أنه رسول من عنده ﴿وَمَا نَحْنُ لَهُ بِمُؤْمِنِينَ﴾ أي: لن نصدقه فيما يقول ﴿قَالَ رَبِّ انصُرْنِي بِمَا كَذَّبُونِ﴾ لما رأى هود عليه السلام أن قومه يكذبونه ويستهزئون بما قاله لهم عن الحياة الأخرى استنصر ربه عليهم فاستجاب الله له بقوله ﴿قَالَ عَمَّا قَلِيلٍ لَّيُصْبِحُنَّ نَادِمِينَ﴾ أي: سوف يندمون على تكذيبهم ﴿فَأَخَذَتْهُمُ الصَّيْحَةُ بِالْحَقِّ﴾ قيل: إن جبريل صاح بهم في الوقت الذي نزلت بهم ريح عاصفة أهلكتهم ودمرت مساكنهم^(١) كما قال عز وجل ﴿تُدْمِرُ كُلَّ شَيْءٍ بِأَمْرِ رَبِّهَا فَأَصْبَحُوا لَا

(١) تفسير البغوي ص ٨٨٢، وزاد المسير لابن الجوزي ص ٩٧٤، والجامع لأحكام القرآن ج ١٢

يُرَى إِلَّا مَسْكَنُهُمْ كَذَلِكَ نَجْزِي الْقَوْمَ الْمُجْرِمِينَ ﴿١﴾. قوله ﴿فَجَعَلْنَاهُمْ غُسَاءً﴾ أي: هامدين كثفاء السيل ﴿فَبَعْدًا لِلْقَوْمِ الظَّالِمِينَ﴾ أي: بعدا لهم من رحمة الله بسبب كفرهم وتكذيبهم لرسول الله.

أحكام ومسائل الآيات:

في هذه الآيات: الحكم بأن دعوة رسل الله واحدة وهي توحيد طاعته وإفراده بالعبادة، وهذا يقتضي أن من كفر بما جاء به رسول الله محمد ﷺ، فلا يقبل منه عمل، ولو ادعى أنه يعمل بما جاء به رسول من قبل محمد ﷺ، وذلك لأن رسالته عليه الصلاة والسلام قد نسخت ما قبلها من الرسالات. وفيها: تقرير ذم الترف، وأنه قد يؤدي إلى المعاصي، وقد دلت الوقائع أن الأمم المترفة سرعان ما تنسى نعم الله عليها فتكفر بها ثم يعاقبها الله كما فعل بقوم نوح وهود وصالح. وفيها: الحكم بأن عاقبة الكفر والظلم العذاب في الدنيا والآخرة.

﴿ثُمَّ أَنشَأْنَا مِنْ بَعْدِهِمْ قُرُونًا آخَرِينَ﴾ ﴿١﴾ مَا تَسْبِقُ مِنْ أُمَّةٍ أَجْلَهَا وَمَا يَسْتَخِرُونَ ﴿٢﴾ ثُمَّ أَرْسَلْنَا رُسُلَنَا تَتْرًا كُلًّا مَا جَاءَ أُمَّةً رَسُولُهَا كَذَّبُوهُ فَاتَّبَعْنَا بَعْضُهُمْ بَعْضًا وَجَعَلْنَاهُمْ أَحَادِيثَ فَبَعْدًا لِقَوْمٍ لَا يُؤْمِنُونَ ﴿٣﴾.

في الآيات:

﴿ثُمَّ أَنشَأْنَا مِنْ بَعْدِهِمْ قُرُونًا آخَرِينَ﴾ أي: أنشأنا بعد هلاك

قوم عاد أمما آخرين فأهلكناهم بسبب ذنوبهم كحال من سبقهم من الأمم ﴿مَا تَسْبِقُ مِنْ أُمَّةٍ أَجَلَهَا وَمَا يَسْتَأْخِرُونَ﴾ أي: لا تسبق أمة الوقت الذي وقته الله لها فلا تتقدمه ولا تتأخر عنه ﴿ثُمَّ أَرْسَلْنَا رُسُلَنَا تَتْرًا﴾ أي: يتبع بعضهم بعضا ﴿كُلٌّ مَا جَاءَ أُمَّةً رَسُولُهَا كَذَّبُوهُ﴾ أي: كلما أرسل إلى تلك الأمم رسول يدعوهم إلى توحيد الله كذبوه وعصوه كما قال عز وجل ﴿يَحْزَنُهُ عَلَى الْعِبَادِ مَا يَأْتِيهِمْ مِنْ رَسُولٍ إِلَّا كَانُوا بِهِ يَسْتَهْزِئُونَ﴾^(١). ﴿فَاتَّبَعْنَا بَعْضَهُمْ بَعْضًا﴾ أي: أهلكناهم واحدة بعد الأخرى ﴿وَجَعَلْنَاهُمْ أَحَادِيثَ﴾ أي: قصصا يتحدث بها الناس للعتة والذكرى كما قال عز وجل ﴿فَجَعَلْنَاهُمْ أَحَادِيثَ وَمَرْقَنَّهُمْ كُلَّ مَمْرَقٍ﴾^(٢). ﴿فَبَعْدَ الْقَوْمِ لَا يُؤْمِنُونَ﴾ أي: بعدا لهم من رحمة الله.

أحكام ومسائل الآيات:

في هذه الآيات: الحكم بأن آجال الأمم مثل آجال الأفراد كما قال عز وجل ﴿فَإِذَا جَاءَ أَجَلُهُمْ لَا يَسْتَأْخِرُونَ سَاعَةً وَلَا يَسْقَدِمُونَ﴾^(٣). وهذه الآجال قد تكون بالهلاك العاجل كما حدث لقوم هود وثمود وغيرهم، وقد تكون بانتهاء قوتها واندثارها وتأجيل العذاب لها في الآخرة، ويشهد لهذا أن أمما كثيرة سادت وطغت بقوتها فاستعمرت

(١) سورة يس الآية ٣٠ .

(٢) سورة سبأ من الآية ١٩ .

(٣) سورة الأعراف من الآية ٣٤ .

البلدان المستضعفة واستغلتها ثم ما لبثت أن تحولت قوتها إلى ضعف فتمزقت ممالكها وأصبحت قوتها مجرد أحاديث. وفيها: تقرير أن الله يبعد عن رحمته من يكفر بآياته وما جاءت به رسله.

﴿ثُمَّ أَرْسَلْنَا مُوسَى وَأَخَاهُ هَارُونَ بِآيَاتِنَا وَسُلْطَانٍ مُبِينٍ ٤٥﴾
إِلَى فِرْعَوْنَ وَمَلَئِهِ فَاسْتَكْبَرُوا وَكَانُوا قَوْمًا عَالِينَ ﴿٤٦﴾ فَقَالُوا
أَنُؤْمِنُ لِبَشَرَيْنِ مِثْلِنَا وَقَوْمُهُمَا لَنَا عِيدُونَ ﴿٤٧﴾ فَكَذَّبُوهُمَا فَكَانُوا مِنْ
الْمُهْلَكِينَ ﴿٤٨﴾ وَلَقَدْ آتَيْنَا مُوسَى الْكِتَابَ لَعَلَّهُمْ يَهْتَدُونَ ﴿٤٩﴾ وَجَعَلْنَا
ابْنَ مَرْيَمَ وَآمَنَةً ءَايَةً وَءَاوَيْنَهُمَا إِلَى رَبْوَةٍ ذَاتِ قَرَارٍ وَمَعِينٍ ﴿٥٠﴾

بيان الآيات:

﴿ثُمَّ أَرْسَلْنَا مُوسَى وَأَخَاهُ هَارُونَ﴾ أي: بعد هلاك الأمم السابقة كعاد وشمود أرسلنا موسى وأخاه هارون ﴿بِآيَاتِنَا وَسُلْطَانٍ مُبِينٍ﴾ أي: أرسلناهما بالآيات التسع التي سبق ذكرها ﴿إِلَى فِرْعَوْنَ وَمَلَئِهِ فَاسْتَكْبَرُوا وَكَانُوا قَوْمًا عَالِينَ﴾ أي: أرسلناهما إلى فرعون وقومه فكذبوهما واستكبروا على ما جاء به إليهم من الهدى، وكانوا قوما عالين أي: متكبرين على غيرهم وقاهرين لمن تحت سلطانهم ﴿فَقَالُوا أَنُؤْمِنُ لِبَشَرَيْنِ مِثْلِنَا﴾ أي: كيف نؤمن لمن هم بشر مثلنا ﴿وَقَوْمُهُمَا لَنَا عِيدُونَ﴾ أي: إن قومهما بني إسرائيل خاضعون لسلطاننا ومطيعون

لأمرنا ﴿فَكَذَّبُوهُمَا فَكَانُوا مِنَ الْمُهْلَكِينَ﴾ أي: كان الهلاك عاقبة فرعون وقومه لتكذيبهم بما جاء به موسى وهارون إليهم.

﴿وَلَقَدْ آتَيْنَا مُوسَى الْكِتَابَ﴾ أي: أنزلنا عليه التوراة ﴿لَعَلَّهُمْ يَهْتَدُونَ﴾ المراد أن الله بعد أن أهلك فرعون وقومه أنزل على موسى التوراة، لعل بني إسرائيل يهتدون بما فيها فلم يفعلوا كما سيأتي.

﴿وَجَعَلْنَا ابْنَ مَرْيَمَ وَأُمَّهُ آيَةً﴾ في هذا بيان من الله تعالى أنه جعل عيسى ابن مريم وأمه آية أي: دليلا على قدرته عز وجل في خلق الولد بلا أب، فخلق آدم بلا أب ولا أم، وخلق عيسى بلا أب، وذلك خلافا لواقعة التوالد التي تتم بين الذكر والأنثى ﴿وَأَوْسَيْنَهُمَا إِلَىٰ رَبِّوَةٍ ذَاتِ قَرَارٍ وَمَعِينٍ﴾ أي: أويتهما إلى مكان مرتفع ومستو للقرار عليه، وفيه مياه جارية والمراد به أرض فلسطين.

أحكام ومسائل الآيات:

تقرير أن الله أرسل موسى وأخاه هارون إلى فرعون وقومه ومعهما البيِّنات الدالة على نبوتهما. تقرير استكبار فرعون وقومه عن قبول الحق، وأن الكبر من صفات الظلمة والطغاة، وفي حديث عمرو بن شعيب عن أبيه عن جده عن النبي ﷺ قال: (يحشر المتكبرون يوم القيامة أمثال الذر في صور الرجال يغشاهم الذل من كل مكان، فيساقون إلى سجن في جهنم يسمى بولس تعلوهم نار الأنيار يسقون

من عصاة أهل النار طينة الخبال^(١). تقرير إهلاك الله للكافرين الذين ينكرون الحق ويتبعون الباطل. التوكيد على قدرة الله وعظمته في خلق الولد بلا أب ولا أم كما خلق آدم. التوكيد على قدرة الله وعظمته في خلق الولد بلا أب كما خلق عيسى ابن مريم.

﴿يَأَيُّهَا الرُّسُلُ كُلُّوا مِنَ الطَّيِّبَاتِ وَاعْمَلُوا صَالِحًا إِنِّي بِمَا تَعْمَلُونَ عَلِيمٌ ۝ وَإِنَّ هَذِهِ أُمَّتُكُمْ أُمَّةً وَاحِدَةً وَأَنَا رَبُّكُمْ فَاتَّقُونِ ۝ فَتَقَطَّعُوا أَمْرَهُم بَيْنَهُمْ زُبُرًا كُلُّ حِزْبٍ بِمَا لَدَيْهِمْ فَرِحُونَ ۝ فَذَرَهُمْ فِي غَمَرَتِهِمْ حَتَّىٰ حِينٍ ۝ أَيْحَسِبُونَ أَنَّمَا نُنَادُهُمْ بِهِ مِن مَّالٍ وَبَنِينَ ۝ نُسَارِعُ لَهُمْ فِي الْخَيْرَاتِ بَلْ لَا يَشْعُرُونَ ۝﴾

بيان الآية:

﴿يَأَيُّهَا الرُّسُلُ كُلُّوا مِنَ الطَّيِّبَاتِ﴾ في هذا أمر من الله لرسله أن يكون مأكلهم حلالا ومشربهم حلالا؛ لأنهم الأئمة الذين يهتدى بهم وقد امتثلوا عليهم السلام لهذا الأمر فأكلوا من عمل أيديهم فكان داود يأكل من عمل يده، وكان إدريس كذلك، وكان محمد عليه الصلاة والسلام يرعى الغنم. وفي الحديث: (ما بعث الله نبياً إلا رعى الغنم) فقال أصحابه: وأنت يا رسول الله ؟ قال: (نعم كنت أرهاها على قراريط

(١) أخرجه الترمذي في كتاب صفة القيامة، باب ما جاء في شدة الوعيد للمتكبرين، سنن الترمذي ج ٤ ص ٥٦٥، برقم (٢٤٩٢)، وأخرجه أحمد في مسنده ج ٢ ص ١٧٩.

لأهل مكة^(١). ﴿وَأَعْمَلُوا صَالِحًا﴾ أي: لتكن كل أعمالكم صالحة لوجه الله ﴿إِنِّي بِمَا تَعْمَلُونَ عَلِيمٌ﴾ أي: عليم بما تعملونه سرا وجهرا.

﴿وَلِإِنَّ هَذِهِ أُمَّتُكُمْ أُمَّةً وَاحِدَةً﴾ أي: إن دينكم أيها الأنبياء والرسل دين واحد لا خلاف فيه وهو القيام بالدعوة إلى عبادة الله وحده وتنزيهه عن الشرك وإفراده بالعبادة ﴿وَأَنَا رَبُّكُمْ فَاتَّقُونِ﴾ تأكيد على أنه جل وعلا هو الرب المتفرد بالربوبية والألوهية ﴿فَتَقَطَّعُوا أَمْرَهُمْ بَيْنَهُمْ زُبُرًا﴾ أي: أن الأمم التي أرسل إليها الرسل تفرقوا شيعا وأحزابا فاختلّفوا على أنبيائهم فكانوا متفرقين ﴿كُلُّ حِزْبٍ بِمَا لَدَيْهِمْ فَرِحُونَ﴾ أي: إن كلا منهم يفرح بما وضعه لنفسه من الدين وما يدري أنه على ضلال وإثم مبين ﴿فَذَرَّهُمْ فِي غَمَرَتِهِمْ حَتَّىٰ حِينٍ﴾ أي: اتركهم في ضلالهم وخطيئاتهم حتى يأتيهم العذاب كما قال عز وجل ﴿ذَرَّهُمْ يَأْكُلُوا وَيَتَمَتَّعُوا وَيُلْهِمُ الْأَمَلُ فَسَوْفَ يَعْلَمُونَ﴾^(٢).

﴿أَيَحْسَبُونَ أَنَّمَا نُمِدُّهُم بِهِ مِنْ مَّالٍ وَبَنِينَ﴾ أي: أيظن هؤلاء المكذبون أنا أعطيناهم الأموال والبنين لأجل استحقاقهم ﴿نُسَارِعُ لَهُمْ فِي الْخَيْرَاتِ﴾ بل لَا يَشْعُرُونَ ﴿أَي: إنما نسارع لهم في الخيرات استدراجا لهم كما قال عز وجل ﴿إِنَّمَا نُمَلِّ لَهُمْ لِيَزْدَادُوا إِثْمًا وَلَهُمْ عَذَابٌ مُّهِينٌ﴾^(٣).

(١) أخرجه البخاري في كتاب الإجارة، باب رعي الغنم على قراريط، برقم (٢٢٦٢)، صحيح

البخاري مع فتح الباري ج ٤ ص ٥١٦.

(٢) سورة الحجر الآية ٣.

(٣) سورة آل عمران الآية ١٧٨.

أحكام ومسائل الآيات:

في هذه الآيات: الحكم بوجوب الأكل من الحلال، وهذا الحكم عام للأنبياء والرسل والمؤمنين بالله، ففي حديث أبي هريرة أن رسول الله ﷺ قال: (إن الله طيب لا يقبل إلا طيباً وأن الله أمر المؤمنين بما أمر به المرسلين فقال ﴿يَا أَيُّهَا الرُّسُلُ كُلُوا مِنَ الطَّيِّبَاتِ وَاعْمَلُوا صَالِحًا إِنِّي بِمَا تَعْمَلُونَ عَلِيمٌ﴾). ثم ذكر الرجل يطيل السفر أشعث أغبر يمد يديه إلى السماء يقول يا رب يا رب ومطعمه حرام ومشربه حرام وملبسه حرام وغذي بالحرام فأنى يستجاب له^(١). وفيها: الحكم بأن دين الأنبياء دين واحد، هو الدعوة إلى توحيد الله وتنزيهه عن الشرك وقد نُسِحت جميع الأديان بدين محمد ﷺ فهو الدين الحق الذي يجب اتباعه. وفيها: التنديد والإنكار على الذين يتفرقون في دينهم ويحسبون أنهم على حق إذ إنه لا دين إلا دين واحد هو الدين الذي جاء به رسول الله محمد ﷺ للناس كافة كما قال عز وجل ﴿وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلَّا كَافَّةً لِلنَّاسِ﴾^(٢). وفيها: التوكيد على أن الأمم التي يرزقها الله ثم تكفر بنعمه إنما يستدرجها ثم يهلكها.

﴿إِنَّ الَّذِينَ هُمْ مِنْ خَشْيَةِ رَبِّهِمْ مُشْفِقُونَ﴾ وَالَّذِينَ هُمْ بِآيَاتِ

(١) أخرجه مسلم في كتاب الزكاة، باب قبول الصدقة من الكسب الطيب وتربيتها، برقم (١٠١٥)، صحيح مسلم بشرح النووي ج ٤ ص ٢٧٩٧.

(٢) سورة سبأ من الآية ٢٨.

رَبِّهِمْ يُؤْمِنُونَ ﴿١٠﴾ وَالَّذِينَ هُمْ بِرَبِّهِمْ لَا يُشْرِكُونَ ﴿١١﴾ وَالَّذِينَ يُؤْتُونَ مَا
ءَاتَوْا وَقُلُوبُهُمْ وَجِلَةٌ أَنَّهُمْ إِلَىٰ رَبِّهِمْ رَاجِعُونَ ﴿١٢﴾ أُولَٰئِكَ يُسْرِعُونَ فِي الْخَيْرَاتِ
وَهُمْ لَهَا سَابِقُونَ ﴿١٣﴾

بيان الآيات

﴿إِنَّ الَّذِينَ هُمْ مِنْ خَشْيَةِ رَبِّهِمْ مُّشْفِقُونَ﴾ لما ذكر الله جل وعلا
حال الكفار المكذبين لرسلم المنكرين للبعث ذكر حال المؤمنين
فوصفهم بأنهم يخشون ربهم ويخافون عقابه ﴿وَالَّذِينَ هُمْ بِرَبِّائَتْ
رَبِّهِمْ يُؤْمِنُونَ﴾ وهذا وصف آخر لهم بأنهم يصدقون بآيات الله
ويوقنون بها ﴿وَالَّذِينَ هُمْ بِرَبِّهِمْ لَا يُشْرِكُونَ﴾ أي: ومن صفاتهم
عبادة الله وحده وتنزيهه عن الشرك ﴿وَالَّذِينَ يُؤْتُونَ مَا ءَاتَوْا وَقُلُوبُهُمْ
وَجِلَةٌ أَنَّهُمْ إِلَىٰ رَبِّهِمْ رَاجِعُونَ﴾ المراد بهم الذين يعبدون الله فيصلون
يصومون ويتصدقون ويعملون الصالحات، ولكنهم يخشون ألا
تقبل منهم؛ لأنهم يعرفون أنهم سيرجعون إلى ربهم فيحاسبهم على
كل عمل عملوه ﴿أُولَٰئِكَ يُسْرِعُونَ فِي الْخَيْرَاتِ﴾ أي: يتسابقون إلى فعل
الطاعات؛ لكي ينالوا رضا ربهم ﴿وَهُمْ لَهَا سَابِقُونَ﴾ أي: لا تفوتهم
الخيرات؛ لأنهم يعملونها في أوقاتها.

أحكامه بمقتضى كونه

في هذه الآيات الحث على الخشية من الله؛ لأن فيها دلالة على قوة

الإيمان وصدقه وفي الحديث: قول رسول الله ﷺ: (عينان لا تمسهما النار عين بكت من خشية الله وعين باتت تحرس في سبيل الله)^(١). وفيها: الحث على الوجل والخوف من عدم قبول العمل وفي حديث عائشة رضي الله عنها قالت: سألت رسول الله ﷺ عن قوله تعالى ﴿وَالَّذِينَ يُؤْتُونَ مَاءً آتَوْا﴾ الآية أهم الذين يشربون الخمر ويسرقون؟ قال: (لا يا بنت الصديق ولكنهم الذين يصومون ويصلون ويتصدقون وهم يخافون ألا يقبل منهم)^(٢).

﴿وَلَا تُكَلِّفُ نَفْسًا إِلَّا وُسْعَهَا وَلَدَيْنَا كَنْبٌ يَنْطِقُ بِالْحَقِّ وَهُمْ لَا يُظَاهَمُونَ﴾
 ﴿بَلْ قُلُوبُهُمْ فِي غَمَرٍ مِّنْ هَذَا وَلَهُمْ أَعْمَلٌ مِّنْ دُونِ ذَلِكَ هُمْ لَهَا عَامِلُونَ﴾
 ﴿حَتَّىٰ إِذَا أَخَذْنَا مُتْرَفِيهِم بِالْعَذَابِ إِذَا هُمْ يَجْتَرُونَ﴾
 ﴿لَا تَجْعَلُوا الْيَوْمَ لِنُكْرٍ مِّنَّا لَا تَضُرُّوهُ قَدْ كَانَتْ آيَاتِي عَلَيْكُمْ فَكُنْتُمْ عَلَىٰ آعْقَابِكُمْ تُنْكِرُونَ﴾
 ﴿مُسْتَكْبِرِينَ بِهِ سِمِرًا تَهَجُّرُونَ﴾.

بيان الآيات:

﴿وَلَا تُكَلِّفُ نَفْسًا إِلَّا وُسْعَهَا﴾ هذا من لطف الله بعباده أنه لا

(١) أخرجه الترمذي في كتاب فضائل الجهاد، باب ما جاء في فضل الحرس في سبيل الله، سنن الترمذي ج ٤ ص ١٥٠، والنسائي في كتاب الجهاد، باب فضل من عمل في سبيل الله على قدمه، برقم (٣١٠٨)، سنن النسائي ج ٦ ص ٣١٩.

(٢) أخرجه الترمذي في كتاب التفسير، باب (٢٤) برقم (٣١٧٥)، سنن الترمذي ج ٥ ص ٣٠٦، وابن ماجه في كتاب الزهد، باب التوقي على العمل، برقم (٤١٩٤)، سنن ابن ماجه، ج ٢ ص ١٤٠٤.

يكلف أحدا من عباده ما لا يطيقه من الأعمال ﴿وَلَدَيْنَا كِتَابٌ يَنْطِقُ بِالْحَقِّ﴾ أي: الكتاب المسجلة فيه أعمال العباد ﴿وَهُمْ لَا يُظْلَمُونَ﴾ أي: لن يظلم الله أحدا من عباده، وإنما يجازي كلا بما عمل ويعفو عن سيئات عباده الصالحين ﴿بَلْ قُلُوبُهُمْ فِي غَمَرَةٍ مِّنْ هَذَا﴾ أي: إن قلوب الكافرين في لهو عن القرآن وما جاء به من البينات ﴿وَلَهُمْ أَعْمَالٌ مِّنْ دُونِ ذَلِكَ هُمْ لَهَا عَمِلُونَ﴾ المراد أن لهم أعمالاً سيئة لابد أن يعملوها دون أعمال المؤمنين حتى يستحقوا بذلك العذاب ﴿حَتَّىٰ إِذَا أَخَذْنَا مُتْرَفِهِمْ بِالْعَذَابِ﴾ أي: لما انتقم الله من كبار المشركين يوم غزوة بدر ﴿إِذَا هُمْ يَجْزُرُونَ﴾ أي: يصرخون مما حل بهم من العذاب ﴿لَا تَجْزُرُوا الْيَوْمَ إِنَّكُمْ مِنَّا لَا تُنْصَرُونَ﴾ أي: لا تصرخوا، فإنه لا ينفعكم أحد مما أنتم فيه من العذاب ﴿قَدْ كَانَتْ آيَاتِي تُتْلَىٰ عَلَيْكُمْ فَكُنْتُمْ عَلَىٰٰ آعْقَابِكُمْ تُنْكَصُونَ﴾ أي: كانت آياتي التي تدلكم على الخير تتلى عليكم فكنتم تفرون من سماعها ﴿مُسْتَكْبِرِينَ بِهِ سِمِرًا تَهَجَّرُونَ﴾ المراد تسمرون بالحرم في الليل أي: تتحدثون فيه بالهذر من القول وتهجرون الحق وتعرضون عن قبوله.

أحكام ومسائل الآيات:

في هذه الآيات: الحكم بأن الله عز وجل لم يكلف عباده ما لا يطيقونه من العبادة؛ لأنه لما أمرهم بعبادته راعى أحوالهم وقواهم، فقد خفف

عنهم الصلاة فجعلها خمس فرائض وأجرها يعدل خمسين فريضة، ووضع عنهم التكاليف التي كانت على من قبلهم من الأمم. وفيها: تقرير أن الله يحصي أعمال عباده فيجازي كلا بعمله، ويعفو عن سيئات عباده الصالحين. وفيها: تنزيه الله عزوجل عن الظلم؛ لأنه هو الحق وكلمته الحق. وفيها: الأمر بالتوبة قبل حلول الأجل وقبل نزول العذاب. وفيها: تقرير ذم السمر في الليل لا سيما إذا كان بالباطل؛ لأن حكمة الله اقتضت أن يكون الليل للسكن والنهار للعمل؛ فمن فعل خلاف ذلك فقد خالف حكمة الله، وفي حديث جابر بن عبد الله: أن رسول الله ﷺ قال: (إياكم والسمر بعد هدأة الرجل فإن أحدكم لا يدري ما يبث الله تعالى من خلقه أغلقوا الأبواب وأوكوا السقاء وخمروا الإناء وأطفئوا المصابيح)^(١).

قلت: وهذا يدل على أن العمل في الليل مما يتعارض مع طبيعة الإنسان، ناهيك عن معارضته لحكمة الله في قوله عز وجل ﴿وَجَعَلْنَا أَلِيلَ لَبَاسًا﴾^(٢). ﴿وَجَعَلْنَا النَّهَارَ مَعَاشًا﴾^(٣).

﴿أَفَلَمْ يَدَّبَّرُوا الْقَوْلَ أَمْ جَاءَهُمْ مَا لَمْ يَأْتِ آبَاءَهُمُ الْأَوَّلِينَ﴾^(٦٨) أَمْ لَمْ يَعْرِفُوا رَسُولَهُمْ فَهُمْ لَهُ مُنْكَرُونَ ﴿٦٩﴾ أَمْ يَقُولُونَ بِهِ جِنَّةٌ بَلْ جَاءَهُمُ

(١) أخرجه المتقي الهندي في كنز العمال مختصراً، برقم (٢١٤٨٠) ج ٧ ص ٨٠٢، والبخاري في الأدب المفرد، برقم (١٢٣٠)، والسيوطي في جمع الجوامع، برقم (٩٣٢٧)، وذكره القرطبي في الجامع لأحكام القرآن ج ١٢ ص ١٢٨.

(٢) سورة النبأ الآية ١٠.

(٣) سورة النبأ الآية ١١.

بِالْحَقِّ وَكَثُرَتْ لِحَقِّ كَرِهُونَ ﴿٦٦﴾ وَلَوْ أَتَبَعَ الْحَقُّ أَهْوَاءَهُمْ لَفَسَدَتِ
السَّمَوَاتُ وَالْأَرْضُ وَمَنْ فِيهِنَّ بَلْ أَتَيْنَهُمْ بِذِكْرِهِمْ فَهُمْ
عَنْ ذِكْرِهِمْ مُعْرِضُونَ ﴿٦٧﴾ أَمْ تَسْأَلُهُمْ خَرْجًا فَخَرَجَ رَبِّكَ خَيْرٌ وَهُوَ
خَيْرُ الرَّزِقِينَ ﴿٦٨﴾ وَإِنَّكَ لَتَدْعُوهُمْ إِلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ ﴿٦٩﴾ وَإِنَّ الَّذِينَ لَا
يُؤْمِنُونَ بِالْآخِرَةِ عَنِ الصِّرَاطِ لَنُكَيِّبُونَ ﴿٧٠﴾ وَلَوْ رَحِمْنَاهُمْ وَكَشَفْنَا
مَّا بِهِمْ مِّنْ ضُرٍّ لَّلْجُؤُا فِي طُغْيَانِهِمْ يَعْمَهُونَ ﴿٧١﴾

بيان الآيات:

﴿أَفَلَمْ يَدَّبَّرُوا الْقَوْلَ﴾ المراد المشركون والمعنى أفلم يتفهموا القرآن
فيعرفوا فيه الحق من الباطل، والضلال من الهدى كما قال عز وجل
﴿أَفَلَا يَتَدَّبَّرُونَ الْقُرْآنَ أَمْ عَلَى قُلُوبٍ أَقْفَالُهَا﴾^(١). ﴿أَمْ جَاءَهُمْ مَا
لَمْ يَأْتِ آبَاءَهُمُ الْأَوَّلِينَ﴾ والمعنى بل جاءهم كتاب هو القرآن لم يأت
آباءهم الأولين فكان الواجب عليهم لو كانوا يعقلون أن يتدبروا ﴿أَمْ
لَمْ يَعْرِفُوا رَسُولَهُمْ فَهُمْ لَهُ مُنْكَرُونَ﴾ المراد بهم قريش والمعنى الإنكار
عليهم بعدم تصديقهم لرسولهم محمد وهم الذين يعرفون أمانته
وصدقه فكيف ينكرونه لما أرسل إليهم برسالة الله.

﴿أَمْ يَقُولُونَ بِهِ جِنَّةٌ﴾ أي: ما هو الذي يمنعهم من تصديقه هل
يظنون أنه مجنون أم هو متقول على الله فإذا كانوا يزعمون ذلك فهم

كاذبون كما قال عز وجل ﴿إِنَّهُ لَقَوْلُ رَسُولٍ كَرِيمٍ﴾^(١). ﴿وَمَا هُوَ بِقَوْلِ شَاعِرٍ قَلِيلًا مَّا تُؤْمِنُونَ﴾^(٢). ﴿وَلَا يَقُولُ كَاهِنٌ قَلِيلًا مَّا تَذْكُرُونَ﴾^(٣). ﴿نَزِيلٌ مِّن رَّبِّ الْعَالَمِينَ﴾^(٤). قوله ﴿بَلْ جَاءَهُم بِالْحَقِّ﴾ أي: القرآن بما فيه من الآيات والبيّنات ﴿وَأَكْثَرُهُم لِلْحَقِّ كَارِهُونَ﴾ أي: أنهم يكرهون ما جاء به رسول الله حسدا وطغيانا.

﴿وَلَوْ أَتَبَعَ الْحَقُّ أَهْوَاءَهُمْ﴾ المراد بالحق الله عز وجل، والمعنى لو أن الله اتبع أهواءهم ﴿لَفَسَدَتِ السَّمَوَاتُ وَالْأَرْضُ وَمَن فِيهِنَّ﴾ أي: لفسد النظام الكوني كله وحاشا الله أن يتبع أهواء خلقه أو آراءهم، فهو المدبر لهم، والمتصرف فيهم، والعالم بأحوالهم، فحق عليهم أن يتبعوا ما شرعه لهم ويأتمروا بما أمرهم به وينتھوا عما نهاهم عنه ﴿بَلْ أَتَيْنَاهُم بِذِكْرِهِمْ﴾ أي: أنزلنا عليهم ما فيه خيرهم ﴿فَهُمْ عَن ذِكْرِهِمْ مُعْرِضُونَ﴾ أي: تولوا عن هذا الذكر فلا فلاح ولا رشاد لهم لا في الدنيا ولا في الآخرة.

﴿أَمْ تَسْأَلُهُمْ خَرْجًا﴾ أي: إنك يا محمد بدعوتك لهم لا تسألهم رزقا ﴿فَخَرَّاجٌ رَبِّكَ خَيْرٌ﴾ أي: إنك تطلب الأجر من الله على دعوتك

(١) سورة الحاقة الآية ٤٠ .

(٢) سورة الحاقة الآية ٤١ .

(٣) سورة الحاقة الآية ٤٢ .

(٤) سورة الحاقة الآية ٤٣ .

لهم وصبرك على آذاهم كما حكاه الله عن سائر رسله بقوله ﴿وَمَا أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ مِنْ أَجْرٍ إِنْ أَجَرِيَ إِلَّا عَلَى رَبِّ الْعَالَمِينَ﴾^(١). قوله ﴿وَهُوَ خَيْرُ الرَّزُقِينَ﴾ أي: لا أحد يعطي مثل ما يعطي أو يرزق مثل ما يرزق ﴿وَأِنَّكَ لَتَدْعُوهُمْ إِلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ﴾ أي: إنك لا تدعوهم إلا إلى طريق واحد هو طريق الجنة والسلامة من النار ﴿وَإِنَّ الَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِالْآخِرَةِ﴾ أي: المكذبون بالبعث والحساب ﴿عَنِ الصِّرَاطِ لَنُكَبُّونَ﴾ أي: مائلون عن سبيل الحق ظلماً لأنفسهم وسوف يجزون على تكذيبهم ﴿وَلَوْ رَحَّمْنَاهُمْ وَكَشَفْنَا مَا بِهِمْ مِنْ ضُرٍّ﴾ أي: لو أعدناهم إلى الدنيا لنختبرهم ﴿لَلْجَوَّاءِ فِي طُغْيَانِهِمْ يَعْمَهُونَ﴾ أي: لعادوا كما كانوا يتمادون في الطغيان والضلال.

أحكام ومسائل الآيات:

في هذه الآيات: التنديد بمن لم يتدبر القرآن ويفهم ما فيه من أحكام الله وشرعه. وفيها: الحكم بخطر الهوى وما يؤدي إليه من سوء العاقبة في الدارين. وفيها: التوكيد على أن دين الإسلام هو الطريق إلى السعادة في الدنيا والآخرة. وفيها: الوعيد لمنكري البعث.

﴿وَلَقَدْ أَخَذْنَاهُمْ بِالْعَذَابِ فَمَا اسْتَكَانُوا لِرَبِّهِمْ وَمَا يَنْضَعُونَ﴾^(٧٦)
 ﴿حَتَّىٰ إِذَا فَتَحْنَا عَلَيْهِم بَابًا ذَا عَذَابٍ شَدِيدٍ إِذَا هُمْ فِيهِ مُبْلِسُونَ﴾^(٧٧)

(١) سورة الشعراء الآية ١٠٩ .

وَهُوَ الَّذِي أَنشَأَ لَكُمُ السَّمْعَ وَالْأَبْصَرَ وَالْأَفْئِدَةَ قَلِيلًا مَّا تَشْكُرُونَ ﴿٧٨﴾
 وَهُوَ الَّذِي ذَرَأَكُمْ فِي الْأَرْضِ وَإِلَيْهِ تُحْشَرُونَ ﴿٧٩﴾ وَهُوَ الَّذِي يُحْيِي
 وَيُمِيتُ وَلَهُ اخْتِلَافُ اللَّيْلِ وَالنَّهَارِ أَفَلَا تَعْقِلُونَ ﴿٨٠﴾ بَلْ قَالُوا
 مِثْلَ مَا قَالَ الْأَوَّلُونَ ﴿٨١﴾ قَالُوا أَإِذَا مِتْنَا وَكُنَّا تُرَابًا وَعِظْمًا
 إِيَّاَنَا لَمَبْعُوثُونَ ﴿٨٢﴾ لَقَدْ وُعِدْنَا نَحْنُ وَءَابَاؤُنَا هَذَا مِن قَبْلُ إِن هَذَا إِلَّا
 أَسْطِيرُ الْأَوَّلِينَ ﴿٨٣﴾

بيان الآيات:

﴿وَلَقَدْ أَخَذْنَاهُم بِالْعَذَابِ﴾ أي: ابتليناهم بالمصائب كالجوع
 والأمراض ﴿فَمَا اسْتَكَانُوا لِرَبِّهِمْ﴾ أي: لم يخضعوا ﴿وَمَا يَنْضَرِعُونَ﴾
 أي: ما دعوا ربهم أن يكشف عنهم ما هم فيه من الشدائد؛ ذلك أنهم
 لما عصوا رسول الله ﷺ وأذوه قال: (اللهم أعني عليهم بسبع كسبع
 يوسف) ^(١). وقد استجاب الله دعاءه، فحلت بهم المجاعة ومع ذلك لم
 يتضرعوا إلى ربهم، وذلك بسبب قسوة قلوبهم وإعراضهم عن الحق
 كما قال عز وجل ﴿فَلَوْلَا إِذْ جَاءَهُمْ بَأْسُنَا تَضَرَّعُوا وَلَكِنْ قَسَتْ قُلُوبُهُمْ
 وَزَيَّنَ لَهُمُ الشَّيْطَانُ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ﴾ ^(٢).

(١) أخرجه الترمذي في كتاب التفسير، برقم (٣٢٥٤)، سنن الترمذي ج ٥ ص ٣٥٣، والبخاري في
 كتاب التفسير، باب قوله تعالى ﴿وَرَوَدَتْهُ الْمَوْتُ بِبَيْنَهَا عَن نَفْسِهِ﴾، برقم (٤٦٩٢)، صحيح

البخاري مع فتح الباري ج ٨ ص ٢١٤ .

(٢) سورة الأنعام الآية ٤٣ .

﴿ حَتَّىٰ إِذَا فَتَحْنَا عَلَيْهِم بَابًا ذَا عَذَابٍ شَدِيدٍ ﴾ أي: إذا جاءهم يومهم الموعود بما فيه من العذاب ﴿ إِذَا هُمْ فِيهِ مُبْلِسُونَ ﴾ أي: قانطون آيسون من رحمة الله ﴿ وَهُوَ الَّذِي أَنْشَأَكُمْ السَّمْعَ وَالْأَبْصَرَ وَالْأَفْئِدَةَ ﴾ أي: جعل لكم سمعا تسمعون به وبصرا تبصرون به وعقولا تعقلون بها ﴿ قَلِيلًا مَّا تَشْكُرُونَ ﴾ ومع هذه النعم لا تشكرون الله إلا قليلا. ﴿ وَهُوَ الَّذِي ذَرَأَكُمْ فِي الْأَرْضِ ﴾ أي: هو الذي أنشاكم وخلقكم من العدم إلى الوجود ﴿ وَإِلَيْهِ تُحْشَرُونَ ﴾ أي: ترجعون إليه للحساب والجزاء ﴿ وَهُوَ الَّذِي يُحْيِي وَيُمِيتُ ﴾ أي: يخلق الخلق ويميتهم ثم يحييهم ﴿ وَلَهُ اخْتَلَفُ اللَّيْلِ وَالنَّهَارِ ﴾ أي: هو القادر على جعل الليل يختلف في ظلمته عن النهار في ضيائه ﴿ أَفَلَا تَعْقِلُونَ ﴾ أي: أفلا تتفكرون في عظمته وقدرته فتطيعوه ليكون في ذلك الخير لكم.

﴿ بَلْ قَالُوا مِثْلَ مَا قَالَ الْأَوَّلُونَ ﴾ أي: قالوا مثل من سبقهم من الأمم البائدة ﴿ قَالُوا أَءِذَا مِتْنَا وَكُنَّا تُرَابًا وَعِظْمًا أَءِنَّا لَمَبْعُوثُونَ ﴾ أي: قالوا لا يعقل أن نبعث إذا تحولنا إلى تراب وعظام بالية.

﴿ لَقَدْ وَعِدْنَا نَحْنُ وَءَابَاؤُنَا هَذَا مِنْ قَبْلُ ﴾ أي: قيل لنا هذا القول قبل مجيء محمد، ومع هذا لم يكن صحيحا ﴿ إِنْ هَذَا إِلَّا أَسَاطِيرُ الْأَوَّلِينَ ﴾ أي: إن هذا القول ليس إلا مجرد أقاويل وحكايات قديمة عن الأولين.

أحكام ومسائل الآيات:

في هذه الآيات: بيان نعم الله على عباده وما يجب عليهم من حمده وشكره على هذه النعم. وفيها: التنديد بمن يرى الشدائد تنزل عليه فلا يستكين ولا يتضرع إلى الله أن يكشفها عنه مما يدل على قسوة قلبه كما قال عز وجل ﴿أَوَلَا يَرَوْنَ أَنَّهُمْ يُفْتَنُونَ فِي كُلِّ عَامٍ مَرَّةً أَوْ مَرَّتَيْنِ ثُمَّ لَا يَتُوبُونَ وَلَا هُمْ يَذْكُرُونَ﴾^(١). وفيها: الوعيد لمنكري البعث.

﴿قُلْ لِّمَنِ الْأَرْضُ وَمَنْ فِيهَا إِنْ كُنْتُمْ تَعْلَمُونَ﴾^(٨٥) سَيَقُولُونَ لِلَّهِ قُلْ أَفَلَا تَذْكُرُونَ ﴿٨٥﴾ قُلْ مَنْ رَبُّ السَّمَوَاتِ السَّبْعِ وَرَبُّ الْعَرْشِ الْعَظِيمِ ﴿٨٦﴾ سَيَقُولُونَ لِلَّهِ قُلْ أَفَلَا نُنْقِطُ ﴿٨٧﴾ قُلْ مَنْ فِي يَدَيْهِ مَلَكُوتُ كُلِّ شَيْءٍ وَهُوَ يُجِيرُ وَلَا يُجَارُ عَلَيْهِ إِنْ كُنْتُمْ تَعْلَمُونَ ﴿٨٨﴾ سَيَقُولُونَ لِلَّهِ قُلْ فَأَنِّي تُسْحَرُونَ ﴿٨٩﴾ بَلْ أَتَيْنَهُم بِالْحَقِّ وَإِنَّهُمْ لَكَاذِبُونَ ﴿٩٠﴾.

بيان الآيات:

﴿قُلْ لِّمَنِ الْأَرْضُ وَمَنْ فِيهَا﴾ في هذا بيان من الله عز وجل على سبيل التقرير أن الأرض ومن فيها هي له جل وعلا يتصرف فيها كيف يشاء، ويأمر نبيه ورسوله محمداً ﷺ أن يقول للمشركين لمن الأرض ومن فيها أي: من هو خالقها ومالكها. ﴿إِنْ كُنْتُمْ تَعْلَمُونَ﴾ أي:

هل تعلمون أحداً غير الله له ملك السموات والأرض؟ ولأنهم لم يعلموا أحداً غير الله ذكر عز وجل أنهم مقرون بربوبيته كما قال عز ذكره ﴿سَيَقُولُونَ لِلَّهِ﴾ أي: يقولون أنها لله وحده ﴿قُلْ أَفَلَا تَذَكَّرُونَ﴾ أي: أفلا تعقلون أن من خلق الأرض ومن فيها قادر على إحياء الموتى بعد موتهم ﴿قُلْ مَنْ رَبُّ السَّمَوَاتِ السَّبْعِ وَرَبُّ الْعَرْشِ الْعَظِيمِ﴾ أي: قل لهم يا محمد من هو الذي خلق الكون العلوي بما فيه من الكواكب؟ ومن هو الذي يسيرها ويقدر منازلها؟ ﴿سَيَقُولُونَ لِلَّهِ﴾ أي: سوف يقولون بذلك فقل لهم حينئذ ﴿قُلْ أَفَلَا نُنْقِطُ﴾ أي: إذا كنتم تعترفون بذلك أفلا تجعلون العبادة له وحده لا شريك له ﴿قُلْ مَنْ بِيَدِهِ مَلَكُوتُ كُلِّ شَيْءٍ﴾ أي: اسألهم يا محمد عن من هو المالك للسموات والأرض ومن فيهن ﴿وَهُوَ يُحْيِيهِمْ وَلَا يُجَارُ عَلَيْهِ إِنْ كُنْتُمْ تَعْلَمُونَ﴾ أي: هو العالي الذي لا يعلى عليه والكبير الذي ليس أحد أكبر منه، يَحْمِي ولا يُحْمَى وَيَحْفَظُ ولا يُحْفَظُ، لا يسأل عما يفعل وهم يسألون ﴿سَيَقُولُونَ لِلَّهِ﴾ أي: سوف يقولون بأن الله هو السيد الكبير المتعال ﴿قُلْ فَأَنِّي تُسْحَرُونَ﴾ أي: قل لهم إذا كيف تتركون عبادته وحده وتخدعون أنفسكم بعبادة الأصنام ﴿بَلْ أَتَيْنَهُم بِالْحَقِّ﴾ أي: أثبتنا لهم أنه لا إله إلا هو وأنه لا شريك له في ملكه وأن عبادة الأصنام عمل باطل ﴿وَإِنَّهُمْ لَكَاذِبُونَ﴾ أي: أنهم ظالمون بعبادتهم الأصنام وأن ما يفعلونه هو من تزوين الشيطان لهم باتباع أسلافهم.

أحكام ومسائل الآيات:

في هذه الآيات: الدعوة إلى تربية المعرض عن الحق وتوجيهه بالدليل العقلي على وحدانية الله واستحقاقه العبادة وحده دون شريك، وهذا يوجب على الدعاة التحلي بالصبر في دعوتهم إلى الله، وأن تكون مجادلتهم مجادلة علمية تقرب المدعوين إلى الله كما قال عز وجل ﴿وَجَدِلْهُمْ بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ﴾^(١).

﴿مَا اتَّخَذَ اللَّهُ مِنْ وَلَدٍ وَمَا كَانَ مَعَهُ مِنْ إِلَهٍ إِذَا لَذَهَبَ كُلُّ إِلَهٍ بِمَا خَلَقَ وَلَعَلَّ بَعْضُهُمْ عَلَى بَعْضٍ سُبْحَنَ اللَّهُ عَمَّا يُصِفُونَ﴾^(١)
 ﴿عَلِيمُ الْغَيْبِ وَالشَّهَادَةِ فَفَعَلْنِي عَمَّا يَشْرِكُونَ﴾^(٢)
 بيان الآيتين:

﴿مَا اتَّخَذَ اللَّهُ مِنْ وَلَدٍ﴾ أي: تنزه الله وتقديسه عن أن يكون له صاحبة أو ولد كما قال عز وجل ﴿لَمْ يَكِدْ وَلَمْ يُولَدْ﴾^(٢).
 ﴿وَلَمْ يَكُنْ لَهُ كُفُوًا أَحَدٌ﴾^(٣). ﴿وَمَا كَانَ مَعَهُ مِنْ إِلَهٍ إِذَا لَذَهَبَ كُلُّ إِلَهٍ بِمَا خَلَقَ وَلَعَلَّ بَعْضُهُمْ عَلَى بَعْضٍ﴾ في هذا بيان من الله عز وجل أنه ليس معه في الوجود إله؛ لأن تعدد الآلهة مستحيل حكما وعقلا؛ ذلك أن كل واحد منهم لو تعددت يريد أن يعلو على الآخر،

(١) سورة النحل من الآية ١٢٥ .

(٢) سورة الإخلاص الآية ٣ .

(٣) سورة الإخلاص الآية ٤ .

فحينئذ يكون التصادم ويفسد الكون ولا ينتظم وقد عبر أصحاب الكلام عن هذا بدليل "التمانع" - كما سبق ذكره - وهو أنه لو فرض وجود صانعين وأراد أحدهما تحريك جسم وأراد الآخر سكونه فإن لم يتحقق لأحدهما مراده أصبح كل منهما عاجزا والواجب لا يكون كذلك فيمتنع اجتماع مراديهما للتضاد. وبالمعنى الآخر لو كان هناك إلهان لتقاسما الملك وذهب كل منهما بما خلق، وهذا يقتضي عقلا أن يتحاربا ويعلو بعضهم على بعض بالقهر والغلبة ﴿سُبْحَانَ اللَّهِ عَمَّا يُصِفُونَ﴾ أي: تنزه وتقدس عما يقوله الظالمون عن الشريك والولد ﴿عَلِمَ الْغَيْبِ وَالشَّهَادَةِ فَتَعَلَّىٰ عَمَّا يُشْرِكُونَ﴾ أي: تقدس وتنزه عما يقول الظالمون.

أحكام ومسائل الآيتين:

في هاتين الآيتين: الحكم بأن الله قد تنزه عن الصاحبة والولد. وفيهما: الاستدلال بالعقل بأنه لا يصنع الكون إلا إله واحد وأن تعدد الآلهة ممتنع عقلاً. وفيهما: تنزيه الله وتعظيمه عن قول الظالمين الجاحدين لألوهيته.

﴿قُلْ رَبِّ إِمَّا تُرِيْنِي مَا يُوعَدُونَ﴾ ﴿٩٣﴾ رَبِّ فَلَا تَجْعَلْنِي فِي الْقَوْمِ الظَّالِمِينَ ﴿٩٤﴾ وَإِنَّا عَلَىٰ أَنْ تُرِيَكَ مَا نَعِدُهُمْ لَقَدِيرُونَ ﴿٩٥﴾ أَدْفَعْ

بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ السَّيِّئَةِ نَحْنُ أَعْلَمُ بِمَا يَصِفُونَ ﴿١٧﴾ وَقُلْ رَبِّ أَعُوذُ بِكَ
مِنْ هَمَزَاتِ الشَّيْطَانِ ﴿١٨﴾ وَأَعُوذُ بِكَ رَبِّ أَنْ يَحْضُرُونِ ﴿١٩﴾ .

بيان الآيات:

﴿ قُلْ رَبِّ إِنَّمَا تُرِيدُنِي مَا يُوعَدُونَ ﴾ هذا دعاء علّمه الله لنبيه
ورسوله محمد ﷺ أي إن أريتني ما يحيق بهم من العذاب ﴿ رَبِّ
فَلَا تَجْعَلْنِي فِي الْقَوْمِ الظَّالِمِينَ ﴾ أي: لا تجعلني منهم ﴿ وَإِنَّا
عَلَى أَنْ تُرِيدَ مَا نَعِدُهُمْ لَقَدِيرُونَ ﴾ أي: نقدر على أن نريد ما نفعله
بهم وقد أراه الله بالفعل قتل أئمة الكفر يوم بدر كما أراه ما حل
بهم من الجوع حين دعا عليهم وقال: (اللهم اجعلها عليهم سنين
كسني يوسف) ^(١) ﴿ أَدْفَعْ بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ السَّيِّئَةِ ﴾ هذا أمر من الله
جل وعلا لنبيه ورسوله محمد ﷺ بالتزام مكارم الأخلاق والإحسان
إلى من يسيء إليه والصفح عنه كما قال عز وجل ﴿ أَدْفَعْ بِالَّتِي هِيَ
أَحْسَنُ فَإِذَا الَّذِي بَيْنَكَ وَبَيْنَهُ عَدَاوَةٌ كَأَنَّهُ وَلِيٌّ حَمِيمٌ ﴾ ^(٢) . ﴿ وَمَا
يُلْقِنَهَا إِلَّا الَّذِينَ صَبَرُوا وَمَا يُلْقِنَهَا إِلَّا ذُو حِظٍّ عَظِيمٍ ﴾ ^(٣) . قوله
﴿ نَحْنُ أَعْلَمُ بِمَا يَصِفُونَ ﴾ أي: ما يقولونه من تكذيبك ﴿ وَقُلْ رَبِّ

(١) أخرجه البخاري في كتاب الدعوات، باب تكرير الدعاء، برقم (٦٣٩٣)، صحيح البخاري مع

فتح الباري ج ١١ ص ١٩٧ .

(٢) سورة فصلت الآية ٣٤ .

(٣) سورة فصلت الآية ٣٥ .

أَعُوذُ بِكَ مِنْ هَمَزَاتِ الشَّيَاطِينِ ﴿١﴾ وهذا أيضا أمر من الله لنبيه ورسوله محمد ﷺ أن يتعوذ من الشياطين ووساوسهم وأحاييلهم وكان عليه الصلاة والسلام يقول: (أعوذ بالله السميع العليم من الشيطان الرجيم من همزه ونفخه ونفثه) (١). ﴿٢﴾ وَأَعُوذُ بِكَ رَبِّ أَنْ يَحْضُرُونِ ﴿٣﴾ أي: أستعيذ بك رب من حضور الشياطين عند منامي ومأكلي ومشربي وسائر أمري.

أحكام ومسائل الآيات:

في هذه الآيات: تقرير أهمية الدعاء لقوله عز وجل ﴿وَإِذَا سَأَلَكَ عِبَادِي عَنِّي فَإِنِّي قَرِيبٌ أُجِيبُ دَعْوَةَ الدَّاعِ إِذَا دَعَانِ فَلْيَسْتَجِيبُوا لِي وَلْيُؤْمِنُوا بِي لَعَلَّهُمْ يَرْشُدُونَ﴾ (٢). وقوله جل ذكره ﴿وَقَالَ رَبُّكُمْ ادْعُونِي أَسْتَجِبْ لَكُمْ﴾ (٣). وفي الحديث: (لا يرد القضاء إلا الدعاء) (٤). وفيها: الحكم بدفع السيئة بالحسنة؛ لما في ذلك من مكارم الأخلاق وصلاح العلاقة بين الأمة، وأمر الله لرسوله

(١) أخرجه أبو داود في كتاب الصلاة، باب من رأى الاستفتاح بسبحانك اللهم وبحمدك، برقم (٧٧٥)، سنن أبي داود ج ١ ص ٢٩٤، والترمذي في كتاب أبواب الصلاة، باب ما يقول عند افتتاح الصلاة، برقم (٢٤٢)، سنن الترمذي ج ٢ ص ٩، وابن ماجه في كتاب الاقامة، باب افتتاح الصلاة، برقم (٨٠٧)، سنن ابن ماجه ج ١ ص ٢٦٥.

(٢) سورة البقرة الآية ١٨٦.

(٣) سورة غافر من الآية ٦٠.

(٤) أخرجه الترمذي في كتاب القدر، باب ما جاء لا يرد القدر إلا الدعاء، برقم (٢١٣٩)، سنن الترمذي ج ٤ ص ٣٩٠، وابن ماجه في المقدمة، باب في القدر، برقم (٩٠)، سنن ابن ماجه ج ١ ص ٣٥، والإمام أحمد في مسنده ج ٥ ص ٢٧٧.

أمر لأتمته ودفع السيئة بالحسنة يكون بين المؤمنين؛ أما مع الأعداء فلا تدفع السيئة إلا بما يجازى عليها. وفيها: الحكم بالتعود من الشياطين في كل أمر يكون لهم فيه مدخل كحال الغضب وفي حديث جابر بن عبد الله قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: (إن الشيطان يحضر أحدكم عند كل شيء من شأنه حتى يحضره عند طعامه فإذا سقطت من أحدكم اللقمة فليمط ما كان بها من أذى ثم ليأكلها ولا يدعها للشيطان فإذا فرغ فليلعق أصابعه فإنه لا يدري في أي طعامه يكون البركة)^(١).

﴿حَتَّىٰ إِذَا جَاءَ أَحَدَهُمُ الْمَوْتُ قَالَ رَبِّ ارْجِعُونِ ۚ لَعَلِّي أَعْمَلُ صَالِحًا فِيمَا تَرَكْتُ كَلَّا إِنَّهَا كَلِمَةٌ هُوَ قَائِلُهَا وَمِنْ وَرَائِهِمْ بَرْزَخٌ إِلَىٰ يَوْمِ يُبْعَثُونَ ۚ﴾

بيان الآيتين:

﴿حَتَّىٰ إِذَا جَاءَ أَحَدَهُمُ الْمَوْتُ قَالَ رَبِّ ارْجِعُونِ﴾ هذا بيان من الله عز وجل عن حال الكفرة والمشركين إذا حضرتهم الوفاة، ورأوا أهوال الموت وغمراته، ورأوا الملائكة تستعد لقبض أرواحهم تنصلوا من إنكارهم البعث فيقول كل منهم: رب أرجعوني إلى الدنيا ﴿لَعَلِّي﴾

(١) أخرجه مسلم في كتاب الأشربة، باب استحباب لعق الأصابع والقصعة وأكل اللقمة الساقطة، برقم (٢٠٣٣)، صحيح مسلم بشرح النووي ج ٩ ص ٥٥٤٩.

أَعْمَلُ صَالِحًا فِيمَا تَرَكْتُ ﴿١﴾ أي: سوف أتوب وأعمل صالحا وأشهد ألا إله إلا الله وأتبرأ من كل ما عملت من الخطايا والذنوب ﴿كَلَّا﴾ كلمة زجر ورد على من يطلب الرجوع إلى الدنيا ﴿إِنَّهَا كَلِمَةٌ هُوَ قَائِلُهَا﴾ أي: كلمة يقولها الكافر عند الموت، فلا تغنيه عما هو فيه ﴿وَمَنْ وَرَائِهِم بَرْزَخٌ﴾ أي: وقت بين الموت والبعث ﴿إِلَى يَوْمٍ يَبْعَثُونَ﴾ أي: يلاقون العذاب في البرزخ إلى حين بعثهم ثم حسابهم.

أحكام ومسائل الآيتين:

في هاتين الآيتين: الإخبار بأن الكفرة يتمنون الرجوع إلى الدنيا عند معابنتهم الملائكة لقبض أرواحهم، وعند رؤيتهم العذاب وذلك لكي يتوبوا ويعملوا صالحا كما ذكر الله عنهم بقوله جل ثناؤه ﴿وَلَوْ تَرَى إِذْ وَقَفُوا عَلَى النَّارِ فَقَالُوا يَلَيْسَ نَارُ وَلَا نَكْذِبُ بِثَايَتِ رَبِّنَا وَنَكُونُ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ﴾ (١). ﴿بَلْ بَدَأَهُمْ مَا كَانُوا يُخْفُونَ مِنْ قَبْلُ وَلَوْ رُدُّوا لَعَادُوا لِمَا نُهُوا عَنْهُ وَإِنَّهُمْ لَكَاذِبُونَ﴾ (٢). وفيها: تقرير أن هذا محال؛ لأن الأعمال تختتم بالموت. وفيها: تقرير أنهم يعذبون في البرزخ وهو الوقت الحاجز بعد الموت إلى يوم البعث.

﴿فَإِذَا نُفِخَ فِي الصُّورِ فَلَا أَنْسَابَ بَيْنَهُمْ يَوْمَئِذٍ وَلَا يَتَسَاءَلُونَ﴾

(١) سورة الأنعام الآية ٢٧.

(٢) سورة الأنعام الآية ٢٨.

فَمَنْ ثَقُلَتْ مَوَازِينُهُ، فَأُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ ﴿١٠٢﴾ وَمَنْ خَفَّتْ مَوَازِينُهُ، فَأُولَئِكَ الَّذِينَ خَسِرُوا أَنْفُسَهُمْ فِي جَهَنَّمَ خَالِدُونَ ﴿١٠٣﴾ تَلْفَحُ وُجُوهُهُمُ النَّارُ وَهُمْ فِيهَا كَالِحُونَ ﴿١٠٤﴾.

بيان الآيات:

﴿فَإِذَا يُنْفَخُ فِي الصُّورِ﴾ المراد النفخ للبعث والنشور ﴿فَلَا أَنْصَابَ بَيْنَهُمْ يَوْمَئِذٍ وَلَا يَتَسَاءَلُونَ﴾ أي: لا يكون هناك تفاخر في الأنساب ولا تساؤل حولها؛ لشدة الهول الذي يروونه كما قال تعالى ﴿وَلَا يَسْأَلُ حِمِيمٌ حَمِيمًا﴾ (١). ﴿فَمَنْ ثَقُلَتْ مَوَازِينُهُ، فَأُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ﴾ أي: من رجحت حسناته على سيئاته فقد أفلح ونجا ﴿وَمَنْ خَفَّتْ مَوَازِينُهُ،﴾ أي: رجحت سيئاته على حسناته ﴿فَأُولَئِكَ الَّذِينَ خَسِرُوا أَنْفُسَهُمْ﴾ أي: باؤوا بالخسران فأصبحوا ﴿فِي جَهَنَّمَ خَالِدُونَ﴾ أي: مقيمون فيها مخلدون ﴿تَلْفَحُ وُجُوهُهُمُ النَّارُ﴾ أي: تحرقها ﴿وَهُمْ فِيهَا كَالِحُونَ﴾ أي: تقلصت شفاههم وبدت أسنانهم.

أحكام ومسائل الآيات:

في هذه الآيات: الحكم بأن إسرافيل ينفخ في الصور، وهو القرن كما قال عز وجل ﴿فَإِذَا نُفِخَ فِي النُّفُورِ﴾ (٢). ﴿فَذَلِكَ يَوْمَئِذٍ يَوْمٌ

(١) سورة المعارج الآية ١٠ .

(٢) سورة المدثر الآية ٨ .

عَسِيرٌ ﴿١﴾. وفيها: تقرير المقاصة بين الخلق في حقوقهم، فيفرح كل واحد بما له من حق على غيره فيؤخذ من حسنات هذا وتضاف إلى حسنات ذاك، فإن لم يكن له حسنات أخذ من سيئات هذا فطرحته على ذاك كما قال رسول الله ﷺ (٢).

﴿أَلَمْ تَكُنْ ءَايَتِي تُنَالِي عَلَيْكُمْ فَكُنْتُمْ بِهَا تُكَذِّبُونَ﴾ ﴿١٠٥﴾ قَالُوا رَبَّنَا غَلَبَتْ عَلَيْنَا شِقْوَتُنَا وَكُنَّا قَوْمًا ضَالِّينَ ﴿١٠٦﴾ رَبَّنَا أَخْرِجْنَا مِنْهَا فَإِنْ عُدْنَا فَإِنَّا ظَالِمُونَ ﴿١٠٧﴾

بيان الآيات:

﴿أَلَمْ تَكُنْ ءَايَتِي تُنَالِي عَلَيْكُمْ﴾ أي: ألم تأتكم الرسل والآيات والبراهين مفصلة تدلكم على الخير وتنهاكم عن الشر ﴿فَكُنْتُمْ بِهَا تُكَذِّبُونَ﴾ أي: كذبتكم الرسل والآيات وكنتم تستهزئون ﴿قَالُوا رَبَّنَا غَلَبَتْ عَلَيْنَا شِقْوَتُنَا وَكُنَّا قَوْمًا ضَالِّينَ﴾ أي: قالوا نعم لقد أرسلت إلينا الرسل، وأنزلت علينا الكتب، وأقمت علينا الحجة ولكن الشقاوة غلبتنا فلم نوفق لقبول ما جاءنا وكنا قوما ضالين عن الحق ﴿رَبَّنَا أَخْرِجْنَا مِنْهَا﴾ أي: ردنا إلى الدنيا لنتوب إليك ﴿فَإِنْ عُدْنَا فَإِنَّا ظَالِمُونَ﴾ أي: إن عدنا إلى المعصية، فنحن ظالمون نستحق عقابك

(١) سورة المدثر الآية ٩.

(٢) أخرجه البخاري في كتاب الرقاق، باب القصاص يوم القيامة وهي الحاقة لأن فيها الثواب وحواق الأمور، برقم (٦٥٣٤)، صحيح البخاري مع فتح الباري ج ١١ ص ٦٥٤٣.

وهذا كقولهم ﴿فَاعْتَرَفْنَا بِذُنُوبِنَا فَهَلْ إِلَى خُرُوجٍ مِّن سَبِيلٍ﴾^(١).
 ﴿ذَلِكُمْ بِأَنَّهُ إِذَا دُعِيَ اللَّهُ وَحْدَهُ كَفَرْتُمْ وَإِنْ يُشْرَكْ بِهِ تُؤْمِنُونَ﴾^(٢).
 فَالْحُكْمُ لِلَّهِ الْعَلِيِّ الْكَبِيرِ^(٣).

أحكام ومسائل الآيات:

في هذه الآيات: انتفاء حجة الكافرين بغلبة الشقاوة عليهم؛ ذلك أن
 الله عز وجل بين لهم الآيات والأحكام، وجعل لهم عقولا يهتدون بها
 كما قال عز وجل ﴿أَلَمْ نَجْعَلْ لَهُ عَيْنَيْنِ﴾^(٤). ﴿وَلِسَانًا وَشَفَتَيْنِ﴾^(٥).
 ﴿وَهَدَيْنَاهُ النَّجْدَيْنِ﴾^(٦).

﴿قَالَ اخْسَئُوا فِيهَا وَلَا تُكَلِّمُونِ﴾^(٧) إِنَّهُ كَانَ فَرِيقٌ مِّنْ عِبَادِي
 يَقُولُونَ رَبَّنَا آمَنَّا فَاغْفِرْ لَنَا وَارْحَمْنَا وَأَنْتَ خَيْرُ الرَّاحِمِينَ^(٨)
 فَاتَّخَذْتُمُوهُمْ سَخِرِيًّا حَتَّى أَنْسَوْكُمْ ذِكْرِي وَكُنْتُمْ مِنْهُمْ تَضْحَكُونَ^(٩)
 إِنِّي جَزَيْتُهُمُ الْيَوْمَ بِمَا صَبَرُوا أَنَّهُمْ هُمُ الْفَاسِقُونَ^(١٠).

بَيَانُ الْآيَاتِ:

﴿قَالَ اخْسَئُوا فِيهَا وَلَا تُكَلِّمُونِ﴾ هذا جواب الله للكافرين الذين

(١) سورة غافر من الآية ١١ .

(٢) سورة غافر الآية ١٢ .

(٣) سورة البلد الآية ٨ .

(٤) سورة البلد الآية ٩ .

(٥) سورة البلد الآية ١٠ .

طلبوا العودة للعالم للعمل الصالح فيها، والمراد كونوا في النار أدلة صاغرين مطرودين مبعدين. قيل: إن أهل النار يدعون مالكا فلا يجيبهم أربعين سنة ثم يرد عليهم أنكم في النار ماكنون^(١)، ثم يدعون ربهم ﴿قَالُوا رَبَّنَا غَلَبَتْ عَلَيْنَا شِقْوَتُنَا وَكُنَّا قَوْمًا ضَالِّينَ﴾ ﴿رَبَّنَا أَخْرِجْنَا مِنْهَا فَإِنْ عُدْنَا فَإِنَّا ظَالِمُونَ﴾ أي: فيسكت عنهم قدر الدنيا مرتين ثم يرد عليهم بقوله عز وجل ﴿قَالَ اخْسَئُوا فِيهَا وَلَا تُكَلِّمُونِ﴾ ثم بعد ذلك لا يتكلمون بكلمة فلم يبق لهم إلا الشهيق والزفير.

﴿إِنَّهُ كَانَ فَرِيقٌ مِّنْ عِبَادِي يَقُولُونَ رَبَّنَا ءَامَنَّا فَأَغْفِرْ لَنَا وَارْحَمْنَا وَأَنْتَ خَيْرُ الرَّاحِمِينَ﴾ أي: يذكرهم الله بما كانوا يفعلونه في الدنيا من الاستهزاء بالمؤمنين حين يدعون الله كما قال عز وجل ﴿فَاتَّخَذَتْهُمْ سَخِرِيًّا﴾ أي: سخرتم من عبادي المؤمنين حين دعائهم ﴿حَتَّىٰ أَنْسَوْكُم ذِكْرِي﴾ أي: أشغلتكم أنفسكم بالسخرية بهم فنسيتم ذكري ﴿وَكُنْتُمْ مِّنْهُمْ تَضْحَكُونَ﴾ أي: تسخرون وتستهزئون بهم ﴿إِنِّي جَزَيْتُهُمُ الْيَوْمَ بِمَا صَبَرُوا﴾ أي: جزيتهم بالجنة نتيجة طاعتهم لي وصبرهم على أذاكم ﴿أَنَّهُمْ هُمُ الْفَائِزُونَ﴾ أي: أنهم الذين يفوزون بالجنة فيضحكون عليكم كما ضحكتم عليهم في الدنيا كما قال عز وجل ﴿فَالْيَوْمَ الَّذِينَ ءَامَنُوا مِنَ الْكُفَّارِ يَضْحَكُونَ﴾^(٢). ﴿عَلَى الْأَرَائِكِ

(١) زاد المسير لابن الجوزي ص ٩٨١ .

(٢) سورة المطففين الآية ٣٤ .

يَنْظُرُونَ ﴿١﴾. ﴿هَلْ ثَوْبَ الْكُفَّارِ مَا كَانُوا يَفْعَلُونَ﴾ ﴿٢﴾.

أحكام ومسائل الآيات:

في هذه الآيات: تحريم السخرية بالمسلم كما قال عز وجل ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا لَا يَسْخَرُ قَوْمٌ مِّنْ قَوْمٍ عَسَىٰ أَن يَكُونُوا خَيْرًا مِّنْهُمْ وَلَا نِسَاءٌ مِّنْ نِّسَاءٍ عَسَىٰ أَن يَكُنَّ خَيْرًا مِّنْهُمْ﴾ ﴿٣﴾. وفيه: قول رسول الله ﷺ: (المسلم أخو المسلم لا يظلمه ولا يخذله ولا يحقره) ﴿٤﴾. وفيها: الأمر بالصبر خاصة صبر الدعاة على الأذى في دعوتهم إلى الله.

﴿قُلْ كَمْ لَبِئْتُمْ فِي الْأَرْضِ عَدَدَ سِنِينَ﴾ ﴿١٧٧﴾ ﴿قَالُوا لَبِئْنَا يَوْمًا أَوْ بَعْضَ يَوْمٍ فَسْئَلُ الْعَادِينَ﴾ ﴿١٧٨﴾ ﴿قُلْ إِنْ لَّبِئْتُمْ إِلَّا قَلِيلًا لَّوْ أَنَّا كُنْتُمْ تَعْلَمُونَ﴾ ﴿١٧٩﴾ ﴿أَفَحَسِبْتُمْ أَنَّمَا خَلَقْنَاكُمْ عَبَثًا وَأَنَّكُمْ إِلَيْنَا لَا تُرْجَعُونَ﴾ ﴿١٨٠﴾ ﴿فَتَعَلَى اللَّهِ الْمَلِكُ الْحَقُّ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ رَبُّ الْعَرْشِ الْكَرِيمِ﴾ ﴿١٨١﴾

بيان الآيات:

﴿قُلْ كَمْ لَبِئْتُمْ فِي الْأَرْضِ عَدَدَ سِنِينَ﴾ ﴿١٧٧﴾ هذا سؤال للمشركين والكفرة يوم القيامة عن مدة إقامتهم أحياء وأمواتا ﴿قَالُوا لَبِئْنَا يَوْمًا أَوْ

(١) سورة المطففين الآية ٣٥.

(٢) سورة المطففين الآية ٣٦.

(٣) سورة الحجرات من الآية ١١.

(٤) أخرجه مسلم في كتاب البر والصلة، باب تحريم ظلم المسلم وخذله واحتقاره ودمه وعرضه وماله، برقم (٢٥٦٤)، صحيح مسلم بشرح النووي ج ١٠ ص ٦٥٧٣.

بَعْضَ يَوْمٍ ﴿١﴾ هذا جوابهم، ولم يعرفوا كم مكثوا؛ لأن شدة الهول أنستهم ما كانوا يعلمون ﴿٢﴾ فَسَلِّ الْعَادِينَ ﴿٣﴾ أي: يقولون اسألوا الحاسبين الذين يعرفون كم لبثنا؟ والمراد بهم الملائكة الذين كانوا في الدنيا ﴿٤﴾ قُلْ إِنْ لَبِثْتُمْ إِلَّا قَلِيلًا ﴿٥﴾ أي: لم تمكثوا إلا مدة يسيرة ﴿٦﴾ وَأَنْتُمْ كُنْتُمْ تَعْلَمُونَ ﴿٧﴾ أي: لو كنتم تعقلون لما فرطتم في حياتكم وعصيتم الله فلو أطعتموه في هذه المدة اليسيرة لحصل لكم الفوز في الآخرة، ولما أصابكم ما أنتم فيه من العذاب ﴿٨﴾ أَفَحَسِبْتُمْ أَنْمَّا خَلَقْنَاكُمْ عَبَثًا ﴿٩﴾ أي: أرعتم أنا خلقناكم للهو واللعب والعبث ﴿١٠﴾ وَأَنْتُمْ إِلَيْنَا لَا تُرْجَعُونَ ﴿١١﴾ أي: وهل ظننتم أنكم لن تبعثوا بعد موتكم ولن تحاسبوا على أعمالكم ﴿١٢﴾ فَتَعَلَّى اللَّهُ الْمَلِكُ الْحَقُّ ﴿١٣﴾ أي: تقدس أن يخلق الخلق عبثًا ﴿١٤﴾ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ رَبُّ الْعَرْشِ الْكَرِيمِ ﴿١٥﴾ أي: لا إله غيره وهو مالك العرش الكريم، والعرش أكبر من الكرسي، والكرسي يسع السموات والأرض كما قال عز وجل ﴿١٦﴾ وَسِعَ كُرْسِيُّهُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ ﴿١٧﴾ (١).

أحكام ومسائل الآيات:

في هذه الآيات: تقرير سؤال الكافرين عن حياتهم وماذا عملوا فيها وإقامة الحجة عليهم بإهمالهم طاعة الله وارتكابهم لمعاصيه. وفيها: الحكم بتنزيه الله تعالى عن العبث.

﴿وَمَنْ يَدْعُ مَعَ اللَّهِ إِلَهًا آخَرَ لَا بُرْهَانَ لَهُ بِهِ فَإِنَّمَا حِسَابُهُ عِنْدَ رَبِّهِ إِنَّهُ لَا يُفْلِحُ الْكَافِرُونَ﴾ (١١٧) وَقُلْ رَبِّ اغْفِرْ وَارْحَمْ وَأَنْتَ خَيْرُ الرَّاحِمِينَ ﴿١١٨﴾

بيان الآيتين:

﴿وَمَنْ يَدْعُ مَعَ اللَّهِ إِلَهًا آخَرَ لَا بُرْهَانَ لَهُ بِهِ﴾ أي: أن من يدعو مع الله إلهاً آخر، ليس له دليل أو برهان على فعله ﴿فَإِنَّمَا حِسَابُهُ عِنْدَ رَبِّهِ﴾ أي: إن ربه سوف يحاسبه ويعاقبه ﴿إِنَّهُ لَا يُفْلِحُ الْكَافِرُونَ﴾ أي: لا فلاح لهم، ولا ناصر لهم يوم القيامة ﴿وَقُلْ رَبِّ اغْفِرْ وَارْحَمْ وَأَنْتَ خَيْرُ الرَّاحِمِينَ﴾ هذا أمر من الله لنبيه ورسوله محمد ﷺ أن يدعو بهذا الدعاء الجامع والمراد أن يدعو الله أن يغفر له وللمؤمنين من أمته، وأن يرحمه ويرحمهم أجمعين؛ لأنه خير الغافرين وأرحم الراحمين وأكرم الأكرمين.

أحكام ومسائل الآيتين:

في هاتين الآيتين الحكم بأن من دعا مع الله إلهاً آخر، فهو مشرك شركاً أكبر وعقوبته عدم مغفرة الله له كما قال عز وجل ﴿إِنَّ اللَّهَ لَا يَغْفِرُ أَنْ يُشْرَكَ بِهِ﴾ (١). وفيهما: تقرير عدم فلاح الكافرين في الدنيا والآخرة. وفيهما: فضل الدعاء وسؤال المغفرة والرحمة من الله.

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

سورة النور

مدنية وآياتها أربع وستون آية

سُورَةٌ أَنْزَلْنَاهَا وَفَرَضْنَاهَا وَأَنْزَلْنَا فِيهَا آيَاتٍ بَيِّنَاتٍ لَّعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ
الزَّانِيَةُ وَالزَّانِي فَاجْلِدُوا كُلَّ وَاحِدٍ مِّنْهُمَا مِائَةَ جَلْدَةٍ وَلَا تَأْخُذْكُم بِهِمَا رَأْفَةٌ
فِي دِينِ اللَّهِ إِنْ كُنْتُمْ تُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ وَلْيَشْهَدْ عَذَابُهُمَا طَائِفَةٌ مِّنَ
الْمُؤْمِنِينَ .

سُورَةٌ أَنْزَلْنَاهَا أي: أنزلنا هذه السورة، وفيه تنبيه على مافيها
من الأحكام وَفَرَضْنَاهَا أي: فرضنا ما فيها من الأحكام وَأَنْزَلْنَا فِيهَا
آيَاتٍ بَيِّنَاتٍ أي: بيّنا فيها الدلائل الواضحة التي تدلكم على الخير
لَّعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ أي: تتفكرون وتعملوا بما فيها من الأحكام.

الزَّانِيَةُ وَالزَّانِي فَاجْلِدُوا كُلَّ وَاحِدٍ مِّنْهُمَا مِائَةَ جَلْدَةٍ الزانية المرأة
التي تنكح من رجل دون عقد شرعي، والزاني كذلك من ينكح امرأة
بغير عقد شرعي، وقد أمر الله بجلد كل واحد منهما مائة جلدة، قوله
وَلَا تَأْخُذْكُم بِهِمَا رَأْفَةٌ فِي دِينِ اللَّهِ أي: لا تأخذكم الرحمة بهما فتتركوا
شرع الله وتعطلوا حدوده إِنْ كُنْتُمْ تُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ أي:

هذا ما يجب عليكم إن كنتم مؤمنين بالله وبالبعث والحساب والجزاء
 وَلَيَشْهَدُ عَذَابُهُمَا طَائِفَةٌ مِّنَ الْمُؤْمِنِينَ المراد إقامة الحد عليهما في
 العلن؛ ليكون ذلك أبلغ في العقاب وأردع لغيرهما.

الاستدلال بالآيتين

في هاتين الآيتين: الحكم بعقاب الزاني والزانية البكرين بجلدهما
 مائة جلدة، وتغريبهما لمدة عام والأصل فيه حديث أبي هريرة أن
 أعرابيين أتيا رسول الله ﷺ فقال أحدهما: يا رسول الله إن ابني هذا
 كان عسيفا - أي أجيرا - على هذا فزنى بامرأته، فأخبروني أن على
 ابني الرجم، فافتديت منه بمائة من الغنم ووليدة، ثم سألت أهل العلم
 فأخبروني أن على امرأته الرجم وإنما على ابني جلد مائة وتغريب عام
 فقال رسول الله ﷺ: (والذي نفسي بيده لأقضين بينكما بكتاب الله
 تعالى أما الوليدة والغنم فردها، وأما ابنك فعليه جلد مائة وتغريب عام
 وأما أنت يا أنيس (رجل من أسلم) فاغد على امرأة هذا، فإن اعترفت
 فأرجمها فغدا عليها أنيس فاعترفت فرجمها)^(١).

أما إن كان الزانيان محصنين في نكاح صحيح، وهما بالغان
 عاقلان فإنهما يرجمان، والأصل فيه حديث مالك أن عمر بن الخطاب

(١) أخرجه البخاري في كتاب أخبار الآحاد، برقم (٧٢٦٠)، باب ما جاء في إجازة خبر الواحد
 الصدوق في الأذان والصلاة والصوم والفرائض والأحكام، صحيح البخاري مع فتح الباري
 ج ١٣ ص ٢٤٤.

رضي الله عنه قام خطيباً فحمد الله وأثنى عليه، ثم قال: أما بعد أيها الناس فإن الله تعالى بعث محمداً ﷺ بالحق، وأنزل عليه الكتاب، فكان فيما أنزل عليه آية الرجم فقرأناها ووعينناها وعقلناها فرجم رسول الله ﷺ ورجمنا بعده، فأخشى إن طال بالناس زمان أن يقول قائل: لا نجد الرجم في كتاب الله فيضلوا بترك فريضة أنزلها الله، وإن الرجم في كتاب الله حق على من زنى إذا أحصن من الرجال والنساء إذا قامت البينة أو كان الحبل أو الاعتراف^(١). وفي هذه الآيات: الحكم بوجوب إقامة الحد.

﴿الزَّانِي لَا يَنْكِحُ إِلَّا زَانِيَةً أَوْ مُشْرِكَةً وَالزَّانِيَةُ لَا يَنْكِحُهَا إِلَّا زَانٍ أَوْ مُشْرِكٌ وَحُرِّمَ ذَلِكَ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ﴾

بيان الآية:

﴿الزَّانِي لَا يَنْكِحُ إِلَّا زَانِيَةً أَوْ مُشْرِكَةً﴾ أي: لا ينكح الزاني إلا زانية مثله أو مشركة لا دين لها ﴿وَالزَّانِيَةُ لَا يَنْكِحُهَا إِلَّا زَانٍ أَوْ مُشْرِكٌ﴾ أي: إن الزانية لا ينكحها إلا زان مثلاً أو مشرك ﴿وَحُرِّمَ ذَلِكَ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ﴾ أي: إن الله حرم الزنا على المؤمنين والمؤمنات حرمة أبدية.

(١) أخرجه مسلم في كتاب الحدود، باب رجم الثيب في الزنى، برقم (١٦٩١)، صحيح مسلم بشرح النووي ج ٧ ص ٤٦٤٠.

أحكام ومسائل الآية:

في هذه الآية الحكم ألا تتزوج امرأة عفيفة من زان إلا بعد توبته التوبة الشرعية، وكذلك لا تتزوج زانية من رجل عفيف إلا بعد توبتها. وفي حديث عبد الله بن عمر رضي الله عنهما أن رجلاً من المؤمنين استأذن رسول الله ﷺ في امرأة يقال لها أم مهزول كانت تسافح وتشترط له أن تنفق عليه فقرأ عليه رسول الله ﷺ هذه الآية: ﴿وَالزَّانِيَةُ لَا يَنْكِحُهَا إِلَّا زَانٍ﴾^(١).

وفي الآية السابقة أقوال كثيرة، والجمهور من العلماء على أن امرأة الرجل إذا زنت أو زنى هو لا يفسد نكاحهما، وأن من زنى بامرأة يجوز له أن يتزوجها بعد أن تستبرأ بحيضة^(٢).

﴿وَالَّذِينَ يَزْمُونَ الْمُحْصَنَاتِ ثُمَّ لَمْ يَأْتُوا بِأَرْبَعَةِ شُهَدَاءَ فَاجْلِدُوهُمْ ثَمَانِينَ جَلْدَةً وَلَا يَقْبَلُوا لَهُمْ شَهَادَةً أَبَدًا وَأُولَئِكَ هُمُ الْفَاسِقُونَ﴾^(٣) إِلَّا الَّذِينَ تَابُوا مِنْ بَعْدِ ذَلِكَ وَأَصْلَحُوا فَإِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَحِيمٌ^(٤).

بيان الآيتين:

﴿وَالَّذِينَ يَزْمُونَ الْمُحْصَنَاتِ﴾ المراد الذين يقذفون المؤمنات العفيفات، ولما نزلت هذه الآية قال سعد بن عبادة سيد الأنصار: أهكذا أنزلت

(١) أسباب نزول القرآن للواحدي ص ٥١٤، وأخرجه أحمد في المسند ج ٢ ص ١٥٩ .

(٢) الجامع لأحكام القرآن ج ١٢ ص ١٦٩-١٧٠، وبداية المجتهد لابن رشد ج ٢ ص ٣٠، والمهذب

للشيرازي ج ٢ ص ٤٢، والإنصاف للمرداوي ج ٨ ص ٤٣٠ .

يارسول الله فقال رسول الله ﷺ: (يا معشر الأنصار ألا تسمعون ما يقول سيدكم؟) فقالوا: يا رسول الله لا تلمه فإنه رجل غيور والله ما تزوج امرأة قط إلا بكرا وما طلق امرأة له قط فاجترأ رجل منا أن يتزوجها من شدة غيخته، فقال سعد: والله يا رسول الله إني لأعلم أنها حق وأنها من الله ولكني قد تعجبت لو وجدت لكاعا قد تفخذها رجل لم يكن لي أن أهيجبه ولا أحركه حتى آتي بأربعة شهداء. فوالله لا آتي بهم حتى يقضي حاجته^(١).

ثُمَّ لَمْ يَأْتُوا بِأَرْبَعَةِ شُهَدَاءَ فَاجْلِدُوهُمْ ثَمَانِينَ جَلْدَةً أَي: إذا قذف المؤمنة المحصنة أو المؤمن المحصن ولم يقم بينة على قذفه وجب جلده ثمانين جلدة وَلَا تَقْبَلُوا لَهُمْ شَهَادَةً أَبَدًا أَي: ترد شهادتهم ولا تقبل وَأُولَئِكَ هُمُ الْفَاسِقُونَ أَي: يوصفون بالفسق إِلَّا الَّذِينَ تَابُوا مِنْ بَعْدِ ذَلِكَ وَأَصْلَحُوا فَإِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَحِيمٌ أَي: إذا تابوا وأصلحوا قبلت شهادتهم وانتفت عنهم صفة الفسق.

سورة النور - الجزء ١٨

الحكم بتحريم القذف وهو رمي الإنسان أو سبه بما ليس فيه كمن يقذف امرأة عفيفة أو رجلا عفيفا بالزنى. ومن الشروط في القاذف أن يكون عاقلا بالغاً، وأن يكون القذف بزنى أو لواط، وأن يكون

(١) أسباب نزول القرآن للواحي ص ٥١٥، وأخرجه الإمام أحمد في المسند ج ١ ص ٢٣٨.

المقذوف عفيفا مسلما، فإذا توفرت هذه الشروط وجب جلد القاذف ثمانين جلدة، وعدم قبول شهادته، ووصفه بالفسق، وعدم العدالة عند الله وعند الناس، ويستثنى من ذلك من تاب وأصلح فتقبل حينئذ شهادته وينتفي وصفه بالفسق، أما الجلد فقد انتهى بوقوعه.

﴿وَالَّذِينَ يَرْمُونَ أَزْوَاجَهُمْ وَلَمْ يَكُنْ لَهُمْ شُهَدَاءُ إِلَّا أَنْفُسُهُمْ فَشَهَدَةُ أَحَدِهِمْ أَرْبَعُ شَهَدَاتٍ بِاللَّهِ إِنَّهُ لَمِنَ الصَّادِقِينَ ﴿١٩﴾ وَالْخَمِيسَةُ أَنَّ لَعْنَتَ اللَّهِ عَلَيْهِ إِنْ كَانَ مِنَ الْكَاذِبِينَ ﴿٢٠﴾ وَيَدْرَأُ عَنْهَا الْعَذَابَ أَنْ تَشْهَدَ أَرْبَعُ شَهَدَاتٍ بِاللَّهِ إِنَّهُ لَمِنَ الْكَاذِبِينَ ﴿٢١﴾ وَالْخَمِيسَةَ أَنْ غَضِبَ اللَّهُ عَلَيْهَا إِنْ كَانَ مِنَ الصَّادِقِينَ ﴿٢٢﴾ وَلَوْلَا فَضْلُ اللَّهِ عَلَيْكُمْ وَرَحْمَتُهُ وَأَنَّ اللَّهَ تَوَّابٌ حَكِيمٌ﴾

بيان آيات

﴿وَالَّذِينَ يَرْمُونَ أَزْوَاجَهُمْ﴾ أي: يقذفون زوجاتهم بالزنى ولم يكن لهم شهود إلا أنفسهم ﴿فَشَهَدَةُ أَحَدِهِمْ أَرْبَعُ شَهَدَاتٍ بِاللَّهِ إِنَّهُ لَمِنَ الصَّادِقِينَ﴾ أي: لم يشهد معهم غيرهم على زنى زوجاتهم. هذه الآية نزلت في هلال بن أمية حيث جاء من أرضه عشاء فوجد عند أهله رجلا، فرأى بعينه وسمع بأذنيه فلم يهيجه حتى أصبح فغدا على رسول الله ﷺ فأخبره، فكره رسول الله ﷺ ما جاء به واشتد عليه واجتمعت عليه الأنصار، وقالوا: لقد ابتلينا وقال

سعد بن عباد: الآن يضرب رسول الله ﷺ هلال بن أمية ويبطل شهادته في الناس فقال هلال: والله إني لأرجو أن يجعل الله لي منها مخرجاً ثم قال: يا رسول الله، فإنني أرى ما اشتد عليك مما جئت به والله يعلم أنني لصادق فكان رسول الله يهم بضربه إذ نزل قوله تعالى ﴿وَالَّذِينَ يَزْمُونَ أَرْوَاحَهُمْ﴾ الآية فقال: (أبشر يا هلال فقد جعل الله لك فرجاً ومخرجاً) فقال هلال: كنت أرجو ذلك من ربي فقال رسول الله ﷺ: (أرسلوا إليها) فجاءت فتلاها عليهما فذكرهما وأخبرهما أن عذاب الآخرة أشد من عذاب الدنيا فقال هلال: يا رسول الله لقد صدقت عليها، فقالت: كذب فقال رسول الله ﷺ: (لاعنوا بينهما) فشهد هلال أربع شهادات بالله أنه لمن الصادقين، فلما كان في الخامسة قيل له: اتق الله يا هلال فقال: والله لا يعذبني الله عليها فشهد في الخامسة أن لعنة الله عليه إن كان من الكاذبين، ثم قيل للمرأة: اشهدي أربع شهادات بالله إنه لمن الكاذبين، وقيل لها في الخامسة: اتقي الله فإن عذاب الدنيا أهون من عذاب الآخرة فتلكأت ساعة، وهمت بالاعتراف ثم قالت: والله لا أفصح قومي فشهدت في الخامسة أن غضب الله عليها إن كان من الصادقين، ففرق رسول الله ﷺ بينهما أو قضى ألا ترمى أو يرمى ولدها ومن فعل ذلك فعليه الحد.

وقال: (إن جاءت به أصيهب حمش الساقين فهو لهلال، وإن جاءت به أورك جعدا جماليا خدلج الساقين سابغ الإليتين فهو للذي رميت به) فجاءت به أورك جعدا جماليا فقال رسول الله ﷺ: (لولا الأيمان لكان لي ولها شأن)^(١). قوله ﴿فَشَهَادَةُ أَحَدِهِمْ أَرْبَعُ شَهَدَاتٍ بِاللَّهِ﴾ أي: على القاذف لزوجته أن يحضرها إلى الحاكم؛ لإقامة اللعان بينهما وهو أن يشهد أربع شهادات بالله ﴿إِنَّهُ، لَمِنَ الصَّادِقِينَ﴾ أي: فيما رماها به ﴿وَالْخَمْسَةَ أَنْ لَعْنَتَ اللَّهِ عَلَيْهِ إِنْ كَانَ مِنَ الْكَاذِبِينَ﴾ فإذا شهد بذلك طلقت منه طلاقا بائنا وحرمت عليه، ويتوجب عليها حينئذ حد الزنى إلا أن تلاعنه ﴿وَيَذَرُوا عَنْهَا الْعَذَابَ﴾ أي: يبطل عنها الحد ﴿أَنْ تَشْهَدَ أَرْبَعَ شَهَدَاتٍ بِاللَّهِ إِنَّهُ، لَمِنَ الْكَاذِبِينَ﴾ أي: فيما قذفها به ﴿وَالْخَمْسَةَ أَنْ غَضِبَ اللَّهُ عَلَيْهَا إِنْ كَانَ مِنَ الصَّادِقِينَ﴾ أي: عندئذ يفرق بينهما، فإن كان كاذبا في حقها حقت عليه اللعنة، وإن كان صادقا فيما رماها بها وكذبت حق عليها غضب الله ﴿وَلَوْ لَا فَضْلُ اللَّهِ عَلَيْكُمْ وَرَحْمَتُهُ﴾ أي: إن من فضله عليكم ورحمته بكم عدم فضح الكاذب في لعانه ﴿وَأَنَّ اللَّهَ تَوَّابٌ حَكِيمٌ﴾ أي: ويستتر عيوبكم، لعلكم تتوبون إليه فيرحمكم ويتوب عليكم.

(١) أخرجه أبو داود في كتاب الطلاق، باب في اللعان، برقم (٢٢٥٦)، سنن أبي داود ج ٢ ص ٢٥٤، والإمام أحمد في المسند ج ١ ص ٢٣٨.

أحكام ومبادئ الآيات

في هذه الآيات: بين الله حكم من يقذف زوجته ولم يكن لديه شهود يشهدون معه على ما قذفها به. وفيها: بيان اللعان وما يترتب عليه من الحكم بالتفريق بين الزوجين تفريقاً أبدياً.

﴿إِنَّ الَّذِينَ جَاءُوا بِالْإِفْكِ عُصْبَةٌ مِّنْكُمْ لَا تَحْسَبُوهُ شَرًّا لَّكُم بَلْ هُوَ خَيْرٌ لَّكُمْ لِكُلِّ امْرِئٍ مِّنْهُمْ مَا أَكْتَسَبَ مِنَ الْإِثْمِ وَالَّذِي تَوَلَّى كِبْرَهُ مِنْهُمْ لَهُ عَذَابٌ عَظِيمٌ﴾

﴿إِنَّ الَّذِينَ جَاءُوا بِالْإِفْكِ عُصْبَةٌ مِّنْكُمْ﴾ أي: جماعة منكم، وقضية الإفك اختلقها المنافقون وروج لها بسطاء من المسلمين لا يعرفون أهداف المنافقين، ومفاد هذه القصة: أن رسول الله ﷺ لما قفل راجعاً من غزوة بني المصطلق (غزوة المريسيع) واقترب من المدينة أذن بالرحيل في الربع الأخير من الليل، فلما علمت عائشة رضي الله عنها بذلك خرجت من هودجها ونأت قليلاً عن مكان الجيش لقضاء حاجتها، فلما رجعت إلى رحلها فقدت عقدها فرجعت إلى طريقها تبحث عنه ومكثت وقتاً في هذا البحث، فلما وجدته رجعت إلى رحلها فلم تجد الجيش ولا رحلها؛ ذلك أن الرجال الموكلين بالترحيل حملوا الهودج وهم يحسبون أنها فيه وكانت قليلة اللحم، ولما لم تجد أحداً

جلست في مكانها أملا في أن يفتقدوها فيعودوا إليها فنامت.

وكان رسول الله ﷺ قد أوكل إلى صفوان بن المعطل السلمي حراسة ساقية الجيش، فلما تيقن صفوان بابتعاد الجيش ولم يخش عليه من غدر العدو ركب راحلته، فلما وصل إلى المكان الذي كان فيه الجيش أبصر سواد إنسان، فإذا هي عائشة رضي الله عنها وكان قد عرفها قبل نزول الأمر بالحجاب فاسترجع واستيقظت عائشة باسترجاعه، فنزل عن راحلته وقدمها فركبتها وأخذ يقودها حتى بلغ الجيش، وكان مع الجيش عبد الله بن أبي بن سلول رأس المنافقين في المدينة فقال: قبحه الله فريته الشنيعة، والله ما نجت منه ولا نجا منها، فانطلى كذبه وافترأؤه على حسان بن ثابت ومسطح بن أثاثة (قريب أبي بكر رضي الله عنه) وحمنة بنت جحش أخت زينب زوج رسول الله ﷺ، ثم روج لهذه الفرية نفر من المنافقين أصحاب عبد الله بن أبي بن سلول^(١) قبحهم الله.

لَا تَحْسَبُوهُ شَرًّا لَّكُمْ أَي: لا تحسبوه يا آل أبي بكر شرا لكم
بَلْ هُوَ خَيْرٌ لَّكُمْ في الدنيا والآخرة، فقد أظهر الله براءة ابنتهم
عائشة وصارت هذه البراءة قرآنا يتلى إلى يوم القيامة لِكُلِّ أَمْرٍ

(١) أخرج البخاري حديث الإفك بطوله في كتاب التفسير، باب قوله تعالى لَوْلَا إِذْ سَمِعْتُمُوهُ ظَنَّ الْمُؤْمِنُونَ وَالْمُؤْمِنَاتُ خَيْرًا وَقَالُوا هَذَا إِفْكٌ مُّبِينٌ ، برقم (٤٧٥٠)، صحيح البخاري مع فتح الباري ج ٨ ص ٣٠٦-٣٠٩، ومسلم في كتاب التوبة، باب في حديث الإفك وقبول توبة القاذف، برقم (٢٧٧٠)، صحيح مسلم بشرح النووي ج ١١ ص ٦٩٢٠-٦٩٢٥، والسيرة النبوية لابن إسحاق ج ٢ ص ١١٤-١٢٤.

مَنْهُمْ مَا أَكْتَسَبَ مِنَ الْإِثْمِ ﴿١٨﴾ أي: إن لكل واحد من الذين خاضوا في الإفك ورموا زوج رسول الله ﷺ نصيباً من الإثم ﴿وَالَّذِي تَوَلَّى كِبْرَهُ مِنْهُمْ لَهُ عَذَابٌ عَظِيمٌ﴾ ﴿١٩﴾ أي: المراد به عبد الله بن أبي بن سلول، فقد ادخر الله له العذاب العظيم؛ لأنه هو الذي روج لهذا الإفك فإثمه ووزره أكبر من غيره.

أحكام ومسائل الآية:

تقرير شرور المنافقين وخطرهم على الأمة، وكان هؤلاء مما ابتليت بهم الأمة، ولا تزال تبتلى بهم، وقد بين الله مكايدهم وفضحهم في سورة التوبة.

قلت: والمنافقون أخطر من الكافرين؛ ذلك أن الكافرين معروفون بكفرهم فيتم التعامل معهم في وضوح من أمرهم؛ أما المنافقون فهم يظهرون الإيمان ويبطنون الكفر، فيلتبس أمرهم على غيرهم، وهذا هو الذي جعل نفراً قليلاً من المسلمين ينخدعون بما أظهره لهم المنافقون من الأيمان في قضية الإفك فظنوه كذاً وهم أبعد ما يكونون عنه.

ولا تزال الأمة تبتلى بهذا النوع من الناس الذي يظهر انتماءه لدين الأمة والمؤمنين ويظهر حرصه عليه في كل مناسبة، ويعاشر المؤمنين، ويظهر مودته لهم، ويتعامل معهم وهو يتآمر عليهم مع أعدائهم إما لأجل عرض من الدنيا أو كفر بالدين أو خوف من عدو يظن أنه يتربص به.

ومن الأحكام: أن المنافقين يلاقون أشد العذاب إذا لم يتوبوا من

نفاقهم لقول عز وجل ﴿إِنَّ الْمُنَافِقِينَ فِي الدَّرَكِ الْأَسْفَلِ مِنَ النَّارِ وَلَنْ تَجِدَ لَهُمْ نَصِيرًا﴾^(١).

﴿لَوْلَا إِذْ سَمِعْتُمُوهُ ظَنَّ الْمُؤْمِنُونَ وَالْمُؤْمِنَاتُ بِأَنْفُسِهِمْ خَيْرًا وَقَالُوا هَذَا إِفْكٌ مُّبِينٌ﴾^(١٢) لَوْلَا جَاءُوا عَلَيْهِ بِأَرْبَعَةِ شُهَدَاءَ فَإِذْ لَمْ يَأْتُوا بِالشُّهَدَاءِ فَأُولَئِكَ عِنْدَ اللَّهِ هُمُ الْكَذِبُونَ^(١٣).

بيان الآيتين:

﴿لَوْلَا﴾ أي: هلا ﴿إِذْ سَمِعْتُمُوهُ﴾ أي: الكذب الذي رميت به أم المؤمنين عائشة ﴿ظَنَّ الْمُؤْمِنُونَ وَالْمُؤْمِنَاتُ بِأَنْفُسِهِمْ خَيْرًا﴾ لما ذكر الله ما فعله الأفاكون من المنافقين بحق أم المؤمنين رضي الله عنها وأرضاها عاتب المؤمنين الذين خاضوا في الإفك قائلاً لهم: لما سمعتم هذا الكذب كان عليكم أن تظنوا بأنفسكم خيراً؛ لأن نفوس المؤمنين والمؤمنات واحدة ووجب عليكم أن تقولوا ﴿هَذَا إِفْكٌ مُّبِينٌ﴾ أي: ظاهر، لا يقبل التصديق وتظنون خيراً بأم المؤمنين ﴿لَوْلَا جَاءُوا عَلَيْهِ بِأَرْبَعَةِ شُهَدَاءَ﴾ أي: هلا جاؤوا على ما قالوه بأربعة شهود، يشهدون على صدق ما جاؤوا به ﴿فَإِذْ لَمْ يَأْتُوا بِالشُّهَدَاءِ فَأُولَئِكَ عِنْدَ اللَّهِ هُمُ الْكَذِبُونَ﴾ ولأنهم لم يأتوا بهؤلاء الشهود، فهم مفترون فاجرون.

الحكماء ومسئول الكاذبين

لما كان اتهام المسلم أو المسلمة بالفحشاء من أشد الجرائم، لما فيه من هتك للعرض، وتعد على الحرمات، وجب على المسلم عدم اتهام أحد دون أن يكون ثمة بيّنة ظاهرة جلية، إذ من واجب المسلم أن يظن بأخيه خيرا. ومن الأحكام: أن من اتهم آخر بالإفك عليه أن يأتي بأربعة شهداء، وإلا أصبح من الكاذبين وتشمله اللعنة.

﴿وَلَوْلَا فَضْلُ اللَّهِ عَلَيْكُمْ وَرَحْمَتُهُ فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ لَمَسَّكُمْ فِي مَا أَفَضْتُمْ فِيهِ عَذَابٌ عَظِيمٌ ﴿١٦﴾ إِذْ تَلَقَّوْنَهُ بِالسِّنِّتِمْ وَتَقُولُونَ بَافَوَاهِكُمْ مَا لَيْسَ لَكُمْ بِهِ عِلْمٌ وَتَحْسَبُونَهُ هَيِّنًا وَهُوَ عِنْدَ اللَّهِ عَظِيمٌ ﴿١٧﴾﴾.

بيان الآيتين

﴿وَلَوْلَا فَضْلُ اللَّهِ عَلَيْكُمْ وَرَحْمَتُهُ فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ﴾ أي: لولا منة الله عليكم يا من خضتم في الإفك ثم تبتم فقبل الله توبتكم وعفا عنكم ﴿لَمَسَّكُمْ فِي مَا أَفَضْتُمْ فِيهِ عَذَابٌ عَظِيمٌ﴾ أي: لحل بكم عذاب أليم والمقصود بذلك حسان بن ثابت، ومسطح بن أثاثة، وحمنة بنت جحش فقد تابوا وتاب الله عليهم؛ أما المنافقون وعلى رأسهم عبد الله بن أبي بن سلول فلا يدخلون في هذه الآية؛ لأنه وأضرابه ممن تولوا كبره. ﴿إِذْ تَلَقَّوْنَهُ بِالسِّنِّتِمْ﴾ أي: تتداولونه بينكم ﴿وَتَقُولُونَ بَافَوَاهِكُمْ مَا لَيْسَ لَكُمْ بِهِ عِلْمٌ﴾ أي: تتكلمون بما لا تعلمون ﴿وَتَحْسَبُونَهُ﴾

هَيْنَا وَهُوَ عِنْدَ اللَّهِ عَظِيمٌ ﴿١٥﴾ أي: وتظنون أن ما كنتم تتكلمون به في زوجة رسول الله ﷺ أمر هين بينما هو عند الله أمر عظيم؛ ذلك أن الافتراء والكذب مما حرمه الله وعظم تحريمه فكيف إذا كان هذا في زوجة رسول الله إحدى أمهات المؤمنين اللاتي صانهن الله وكرّمهن بتزوج رسول الله لهن وصحبتهن له. كما قال عز وجل ﴿النَّبِيُّ أَوْلَىٰ بِالْمُؤْمِنِينَ مِنْ أَنفُسِهِمْ وَأَزْوَاجُهُ أُمَّهَاتُهُمْ﴾ (١).

أحكام ومسائل الآيتين:

تقرير فضل الله على المؤمنين الذين تابوا بعد أن خدعوا بقول المنافقين، فصدقوهم في قضية الإفك. تقرير: وعيد الله بالعذاب لكل من يقذف المحصنات، ويكون هذا العذاب أشد إذا كان مناطه إحدى أمهات المؤمنين. تقرير: فضل أم المؤمنين عائشة رضي الله عنها وبراءتها وطهارتها.

﴿وَلَوْلَا إِذْ سَمِعْتُمُوهُ قُلْتُمْ مَا يَكُونُ لَنَا أَنْ نَتَكَلَّمَ بِهَذَا سُبْحَنَكَ هَذَا بُهْتَنٌ عَظِيمٌ﴾ (١٦) يَعِظُكُمُ اللَّهُ أَنْ تَعُودُوا لِمِثْلِهِ أَبَدًا إِنْ كُنْتُمْ مُّؤْمِنِينَ ﴿١٧﴾ وَيُبَيِّنُ اللَّهُ لَكُمُ الْآيَاتِ وَاللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ ﴿١٨﴾

بيان الآيات:

﴿وَلَوْلَا إِذْ سَمِعْتُمُوهُ قُلْتُمْ مَا يَكُونُ لَنَا أَنْ نَتَكَلَّمَ بِهَذَا﴾ وهذا

عتاب أيضا للمؤمنين بأنه كان عليهم إذا سمعوا ما سمعوا من الإفك ألا يتكلموا فيه ﴿سُبْحَانَكَ هَذَا بُهْتَنٌ عَظِيمٌ﴾ أي: سبحان الله أن يتفوه بهذا الافتراء على زوجة رسول الله ﴿يَعْظُمُ اللَّهُ أَنْ تَعُودُوا لِمِثْلِهِ أَبَدًا﴾ أي: يحذرکم الله وينهاکم أن تعودوا أبدا لمثل ما حدث ﴿إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ﴾ أي: إن كنتم تؤمنون بالله وبرسوله ﴿وَيُبَيِّنُ اللَّهُ لَكُمُ الْآيَاتِ﴾ أي: يوضح لكم الأحكام التي تدلكم على الخير وتنهاكم عن الشر ﴿وَاللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ﴾ أي: عليم بما ينفع عباده حكيم فيما شرعه لهم.

أحكام ومسائل الآيات:

في هذه الآيات: الحكم بأن الإفك من أشد الجرائم؛ لأنه هتك لعرض المسلم، وهذا يساوي في حرمة دمه وماله لقول رسول الله ﷺ في خطبته الجامعة في حجة الوداع: (فإن دماءكم وأموالكم وأعراضكم وأبشاركم عليكم حرام كحرمة يومكم هذا في شهركم هذا في بلدكم هذا)^(١). وفيها: أن شدة الجرم والعقاب تزداد على مبتدع الإفك ومروجه ومشيعه. وفيها: أن على المسلم أن يتروى فيما يسمع فلا يتحدث بكل ما يسمع لقول رسول الله ﷺ: (كفى بالمرء إثماً أن يحدث بكل ما

(١) أخرجه البخاري في كتاب الفتن، باب قول النبي ﷺ «لا ترجعوا بعدي كفاراً يضرب بعضكم رقاب بعض»، برقم (٧٠٧٨)، صحيح البخاري مع فتح الباري ج ١٣ ص ٢٩.

(سمع)^(١). وفيها: أن على المسلم أن يظن بأخيه أو أخته المسلمة خيرا، فلا يصدق كل ما يقال له عنهما كما قال عز وجل ﴿يَتَأْتِيَ الَّذِينَ ءَامَنُوا إِنْ جَاءَ كُمْ فَاسِقٌ بِنَبَأٍ فَتَبَيَّنُوا أَنْ تُصِيبُوا قَوْمًا بِجَهَالَةٍ فَتُصْحِرُوا عَلَىٰ مَا فَعَلْتُمْ نَادِمِينَ﴾^(٢). وفيها: أن من تعدى على حرمة مسلم بالقول الفاحش عليه أن يتسامح منه، وأن يتوب من فعلته، وإلا أصبح طوقا في عنقه.

﴿إِنَّ الَّذِينَ يُحِبُّونَ أَنْ تَشِيعَ الْفَاحِشَةُ فِي الَّذِينَ ءَامَنُوا لَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ وَاللَّهُ يَعْلَمُ وَأَنْتُمْ لَا تَعْلَمُونَ﴾^(١٩).

بيان الآية:

﴿إِنَّ الَّذِينَ يُحِبُّونَ أَنْ تَشِيعَ الْفَاحِشَةُ فِي الَّذِينَ ءَامَنُوا﴾ هذا وعيد للذين يسمعون الأقوال البذيئة ضد المؤمنين، ثم يقومون بإشاعتها وترويجها، قوله ﴿لَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ فِي الدُّنْيَا﴾ أي: بما يجب عليهم من الحد على قذفهم ﴿وَالْآخِرَةِ﴾ أي: العذاب فيها ﴿وَاللَّهُ يَعْلَمُ وَأَنْتُمْ لَا تَعْلَمُونَ﴾ أي: يعلم ما تسببه إشاعة الفاحشة من المفاصد والآثام، وأنتم لا تعلمون ذلك، فردوا الأمر إلى الله واعملوا بأحكامه.

أحكام ومسائل الآية:

في هذه الآية: الحكم بالوعيد الشديد لمشيعي الفاحشة في المؤمنين

(١) أخرجه أبو داود في كتاب الأدب، باب في التشديد في الكذب، برقم (٤٩٩٢)، سنن أبي داود ج ٤ ص ٣٢٦، ومسلم في المقدمة بلفظ «من سمع كذبا» باب النهي عن الحديث بكل ما سمع، المقدمة ص ٢٥٢.

(٢) سورة الحجرات الآية ٦.

ويستوي في ذلك إن كان هذا بقصد أو غيره؛ لأن ضرر إشاعة الفاحشة يترتب بصرف النظر عن نية صاحبها. وفي الحديث: أن رسول الله ﷺ قال: (إن الرجل يتكلم بالكلمة من سخط الله لا يلقي لها بالاً يهوي بها في جهنم)^(١). وقوله عليه الصلاة والسلام: (لا تؤذوا عباد الله ولا تعيروهم ولا تطلبوا عوراتهم فإنه من طلب عورة أخيه المسلم طلب الله عورته حتى يفضحه في بيته)^(٢).

﴿وَلَوْلَا فَضْلُ اللَّهِ عَلَيْكُمْ وَرَحْمَتُهُ، وَأَنَّ اللَّهَ رَءُوفٌ رَحِيمٌ﴾
 ﴿يَتَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا لَا تَتَّبِعُوا خُطُوتِ الشَّيْطَانِ وَمَنْ يَتَّبِعْ خُطُوتِ الشَّيْطَانِ فَإِنَّهُ يَأْمُرُ بِالْفَحْشَاءِ وَالْمُنْكَرِ وَلَوْلَا فَضْلُ اللَّهِ عَلَيْكُمْ وَرَحْمَتُهُ، مَا زَكَّى مِنْكُمْ مِّنْ أَحَدٍ أَبَدًا وَلَكِنَّ اللَّهَ يُزَكِّي مَن يَشَاءُ وَاللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ﴾^(١١)

بيان الآيتين:

﴿وَلَوْلَا فَضْلُ اللَّهِ عَلَيْكُمْ وَرَحْمَتُهُ، وَأَنَّ اللَّهَ رَءُوفٌ رَحِيمٌ﴾
 أي: لولا فضله ومنته على الذين تداولوا الإفك لعجل لهم العقوبة ولكنه بعباده رؤوف رحيم فقبل توبة من تاب منهم وطهر من أقيم عليه

(١) أخرجه البخاري في كتاب الرقاق، باب حفظ اللسان ومن كان يؤمن بالله واليوم الآخر فليقل خيراً أو ليصمت، برقم (٦٤٧٨)، صحيح البخاري مع فتح الباري ج ١١ ص ٣١٤ .

(٢) أخرجه الإمام أحمد في المسند ج ٥ ص ٢٧٩، والهيثمي في مجمع الزوائد ومنبع الفوائد ج ٨ ص ٨٧ .

الحد منهم ﴿يَتَأَيَّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا لَا تَتَّبِعُوا خُطُوَاتِ الشَّيْطَانِ﴾ أي:
لا تسلكوا مسالكه ولا طرائقه ﴿وَمَنْ يَتَّبِعْ خُطُوَاتِ الشَّيْطَانِ﴾ أي:
يسلك طريقه ﴿فَإِنَّهُ يَأْمُرُ بِالْفَحْشَاءِ وَالْمُنْكَرِ﴾ أي: يحث على ارتكاب
الفواحش والمنكرات وسائر الرذائل ﴿وَلَوْلَا فَضْلُ اللَّهِ عَلَيْكُمْ وَرَحْمَتُهُ
مَا زَكَّيْنَا مِنْكُمْ مِّنْ أَحَدٍ أَبَدًا﴾ أي: لولا لطف الله ورحمته بكم، وتفضله
عليكم ما زكت نفوسكم ولا صلحت ﴿وَلَكِنَّ اللَّهَ يُزَكِّي مَن يَشَاءُ﴾ أي:
يصلح من يشاء من عباده ﴿وَاللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ﴾ أي: يسمع أقوال
عباده ويعلم أحوالهم وسرائرهم.

أحكام ومسائل الآيتين:

في هاتين الآيتين: بيان فضل الله على العصاة من عباده فلا يعجل
لهم العقوبة، بل يمهلهم ليتوبوا إليه. وفيهما: الحكم بتحريم اتباع
الشیطان في مسالكه ومذاهبه وطرائقه؛ لأنه يأمر أتباعه بارتكاب
الفواحش والضلال فوجب على المسلم الحذر منه كما قال عز وجل
﴿إِنَّ الشَّيْطَانَ لَكُمْ عَدُوٌّ فَاتَّخِذُوهُ عَدُوًّا إِنَّمَا يَدْعُو حِزْبَهُ لِيَكُونُوا مِنْ
أَصْحَابِ السَّعِيرِ﴾ (١).

﴿وَلَا يَأْتِلِ أَوْلُوا الْفَضْلِ مِنْكُمْ وَالسَّعَةِ أَنْ يُؤْتُوا أُولَى الْقُرْبَى

وَالْمَسْكِينِ وَالْمُهَاجِرِينَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَلِيَعْفُوا وَلِيَصْفَحُوا أَلَّا تُحِبُّونَ أَنْ يَغْفِرَ اللَّهُ لَكُمْ وَاللَّهُ غَفُورٌ رَحِيمٌ ﴿٢٢﴾

بيان الآية:

﴿وَلَا يَأْتَلِ﴾ أي: ولا يحلف ﴿أُولُوا الْفَضْلِ مِنْكُمْ﴾ أي: أصحاب الفضل ﴿وَالسَّعَةِ﴾ أي: الجدة والغنى ﴿أَنْ يُؤْتُوا أُولِي الْقُرْبَى وَالْمَسْكِينِ وَالْمُهَاجِرِينَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ﴾ والمعنى لا تحلفوا بأن لا تصلوا أقاربكم ممن هم في حاجة إلى عونكم؛ لفقرهم وحاجتهم ﴿وَلِيَعْفُوا وَلِيَصْفَحُوا﴾ أي: يتجاوزوا عن إساءتهم. وسبب نزول هذه الآية أن مسطح بن أثاثة أحد أقرباء أبي بكر رضي الله عنه (ابن خالته) وكان هذا من المهاجرين البدرين الفقراء، واسمه عوف بن أثاثة بن عباد بن عبد المطلب بن عبد مناف ومسطح لقبه، وكان أبو بكر رضي الله عنه ينفق عليه لفقره وقربته منه، فلما حدث الإفك وقال فيه مسطح ما قال حلف أبوبكر ألا ينفق عليه، فجاء إليه مسطح معترداً وقد أقيم عليه الحد وقال: إنما كنت أغشى مجالس حسان فكنت أسمع ولكن لم أقل شيئاً فقال له أبو بكر: لقد قلت وشاركت فيما قيل فلما برأ الله أم المؤمنين عائشة وتاب الله على من تاب من المتقولين في الإفك وأقيم الحد على بعضهم نزلت هذه الآية فلما قال الله عز وجل ﴿أَلَّا تُحِبُّونَ أَنْ يَغْفِرَ اللَّهُ لَكُمْ﴾ قال

الصديق رضي الله عنه: بلى والله إنني لأحب أن يغفر الله لي، فرجع إلى الإنفاق عليه وقال: لا أنزعها منه أبداً^(١). ﴿وَاللَّهُ غَفُورٌ رَحِيمٌ﴾ أي: يغفر ذنوب عباده ويرحمهم.

أحكام ومسائل الآية:

في هذه الآية وجوب العفو عن الإساءة والأذى خاصة من ذوي الأرحام كما قال عز وجل ﴿وَسَارِعُوا إِلَى مَغْفِرَةٍ مِّن رَّبِّكُمْ وَجَنَّةٍ عَرْضُهَا السَّمَوَاتُ وَالْأَرْضُ أُعِدَّتْ لِلْمُتَّقِينَ﴾^(٢). ﴿الَّذِينَ يُنفِقُونَ فِي السَّرَّاءِ وَالضَّرَّاءِ وَالْكَبِيرِ وَالْغَيْظِ وَالْعَافِينَ عَنِ النَّاسِ وَاللَّهُ يُحِبُّ الْمُحْسِنِينَ﴾^(٣). وقوله عز ذكره ﴿فَمَنْ عَفَا وَأَصْلَحَ فَأَجْرُهُ عَلَى اللَّهِ﴾^(٤).

﴿إِنَّ الَّذِينَ يَرْمُونَ الْمُحْصَنَاتِ الْغَافِلَاتِ الْمُؤْمِنَاتِ لُعُنُوا فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ وَلَهُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ﴾^(٢٣) يَوْمَ تَشْهَدُ عَلَيْهِمْ أَلْسِنَتُهُمْ وَأَيْدِيهِمْ وَأَرْجُلُهُمْ بِمَا كَانُوا يَعْمَلُونَ^(٢٤) يَوْمَئِذٍ يُوفِّيهِمُ اللَّهُ دِينَهُمُ الْحَقَّ وَيَعْلَمُونَ أَنَّ اللَّهَ هُوَ الْحَقُّ الْمُبِينُ^(٢٥).

(١) أسباب نزول القرآن للواحد ص ٥٢٢، وأخرجه البخاري في كتاب الشهادات، باب تعديل النساء بعضهن بعضاً، برقم (٢٦٦١)، صحيح البخاري مع فتح الباري ج ٥ ص ٣١٩، والسيرة النبوية لابن إسحاق ج ٢ ص ١٢٠.

(٢) سورة آل عمران الآية ١٣٣.

(٣) سورة آل عمران الآية ١٣٤.

(٤) سورة الشورى من الآية ٤٠.

بيان الآيات:

﴿إِنَّ الَّذِينَ يَرْمُونَ الْمُحْصَنَاتِ الْغَافِلَاتِ الْمُؤْمِنَاتِ﴾ أي: إن الذين يقذفون العفيفات بالزنى ﴿لَعَنُوا فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ﴾ أي: طردوا من رحمة الله في الدنيا والآخرة ﴿وَلَهُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ﴾ أي: شديد ﴿يَوْمَ تَشْهَدُ عَلَيْهِمْ أَلْسِنُهُمْ وَأَيْدِيهِمْ وَأَرْجُلُهُمْ بِمَا كَانُوا يَعْمَلُونَ﴾ أي: تشهد ألسنتهم بما كانت تنطق من القذف، وتتكلم جوارحهم بما كانوا يعملون في الدنيا ﴿يَوْمَ يُؤْفِكُ اللَّهُ دِينَهُمُ الْحَقَّ﴾ أي: يحاسبهم الحساب الأوفى، ويجازيهم على ما كانوا يقولون ويفعلون ﴿وَيَعْلَمُونَ أَنَّ اللَّهَ هُوَ الْحَقُّ الْمُبِينُ﴾ أي: ويعلمون حينئذ أن الله هو الإله الذي تجب طاعته وتجتنب معاصيه.

أحكام ومسائل الآيات:

في هذه الآيات: تشنيع جريمة قذف المحصنات وفي مقدمة ذلك تحريم التعرض لأم المؤمنين عائشة زوج رسول الله ﷺ التي نزلت فيها الآيات، وكذا سائر زوجاته أمهات المؤمنين، فمن تعرض لها رضي الله عنها، أو تعرض لهن بالإفك يعد كافراً؛ لأنه يكون كافراً بالقرآن. ومن تعرض لأي مؤمنة عفيفة ورماها بالفاحشة عد قاذفاً يقام عليه الحد ما لم يثبت ما قاله بأربعة شهود. وفيها: الحكم بلعنة القذفة وطردهم من رحمة الله. وفيها: أن جوارحهم تشهد عليهم يوم القيامة

كما قال عز وجل ﴿حَتَّىٰ إِذَا مَا جَاءُوهَا شَهِدَ عَلَيْهِمْ سَمْعُهُمْ وَأَبْصَرُهُمْ
وَجُلُودُهُمْ بِمَا كَانُوا يَعْمَلُونَ﴾ (١). ﴿وَقَالُوا لَجُلُودِهِمْ لِمَ شَهِدْتُمْ
عَلَيْنَا قَالُوا أَنْطَقَنَا اللَّهُ الَّذِي أَنْطَقَ كُلَّ شَيْءٍ﴾ (٢).

﴿الْخَبِيثَاتُ لِلْخَبِيثِينَ وَالْخَبِيثُونَ لِلْخَبِيثَاتِ وَالطَّيِّبَاتُ
لِلطَّيِّبِينَ وَالطَّيِّبُونَ لِلطَّيِّبَاتِ أُولَٰئِكَ مُبَرَّءُونَ مِمَّا يَقُولُونَ لَهُمْ
مَغْفِرَةٌ وَرِزْقٌ كَرِيمٌ﴾ (٣٦).

بيان الآية:

﴿الْخَبِيثَاتُ لِلْخَبِيثِينَ﴾ الآية. قال ابن عباس: الخبيثات من
القول للخبيثين من الرجال، والخبيثون من الرجال للخبيثات من
القول. والطيبات من القول للطيبين من الرجال، والطيبون من
الرجال للطيبات من القول، والمعنى أن ما نسبته المنافقون إلى عائشة
رضي الله عنها هم أحق به، وهي أحق بالبراءة التي نزلت بطهارتها
وثبت بذلك كذب المنافقين ﴿أُولَٰئِكَ مُبَرَّءُونَ مِمَّا يَقُولُونَ﴾ أي:
هي مبرأة وصفوان مما افتراه عليهما المنافقون ﴿لَهُمْ مَغْفِرَةٌ﴾ أي:
جزاء ما لحق بهم من الإفتراء ﴿وَرِزْقٌ كَرِيمٌ﴾ أي: في الآخرة
عند الله.

(١) سورة فصلت الآية ٢٠.

(٢) سورة فصلت من الآية ٢١.

أحكام ومسائل الآية:

في هذه الآية: تقرير أن الخبث يلصق بأهله فالخبيث هو الذي يناسبه القول الخبيث، أما الطيب فلا يناسبه إلا القول الطيب فلكل أمر ما يناسبه. وفيها: الحكم ببراءة أم المؤمنين عائشة وصفوان بن المعطل مما نسب به لهما المنافقون لقوله عز وجل ﴿أُولَئِكَ مُبَرَّءُونَ مِمَّا يَقُولُونَ﴾. وفيها: وعد الله لهما بالمغفرة والرزق عنده في جنات النعيم تعويضا لهما عما لحقهما من الإفك.

﴿يَتَأْتِيَ الَّذِينَ ءَامَنُوا لَا تَدْخُلُوا بُيُوتًا غَيْرَ بُيُوتِكُمْ حَتَّى تَسْتَأْذِنُوا وَتُسَلِّمُوا عَلَىٰ أَهْلِهَا ذَٰلِكُمْ خَيْرٌ لَّكُمْ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ﴾
 فَإِنْ لَمْ تَجِدُوا فِيهَا أَحَدًا فَلَا تَدْخُلُوهَا حَتَّىٰ يُؤْذَنَ لَكُمْ وَإِنْ قِيلَ لَكُمْ ارْجِعُوا فَارْجِعُوا هُوَ أَزْكَىٰ لَكُمْ وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ عَلِيمٌ
 لَيْسَ عَلَيْكُمْ جُنَاحٌ أَنْ تَدْخُلُوا بُيُوتًا غَيْرَ مَسْكُونَةٍ فِيهَا مَتَعٌ لَّكُمْ وَاللَّهُ يَعْلَمُ مَا تُبْدُونَ وَمَا تَكْتُمُونَ﴾

بيان الآيات:

﴿يَتَأْتِيَ الَّذِينَ ءَامَنُوا لَا تَدْخُلُوا بُيُوتًا غَيْرَ بُيُوتِكُمْ﴾ لما بين الله ما حرم على المؤمنين من القذف والفواحش، بين لهم ما يجب أن يكونوا عليه من السلوك القويم والآداب في تعاملهم مع غيرهم فنهاهم

عن أن يدخلوا بيوتا غير بيوتهم دون إذن من أصحابها ذلك أن للبيوت
 حرمت وأسراراً يجب احترامها فقال ﴿حَتَّى تَسْتَأْذِنُوا وَتُسَلِّمُوا
 عَلَى أَهْلِهَا﴾ المراد لا تدخلوها حتى تستأذنوا من أهلها فإن أذنوا
 لكم فادخلوا وإلا فارجعوا ﴿ذَلِكَ خَيْرٌ لَّكُمْ﴾ أي: إن في الاستئذان
 خيراً لكم؛ لأنكم حينئذ تدخلون بيوت أناس بإذنهم حتى لا يكون
 عدم إذنهم مظنة الإثم ﴿لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ﴾ أي: تتذكرون أحكام
 الله وأوامره ﴿فَإِنْ لَّمْ تَجِدُوا فِيهَا أَحَدًا فَلَا تَدْخُلُوهَا حَتَّى يُؤْذَنَ
 لَكُمْ﴾ أي: إذا لم تجدوا أهلها أو وجدتموهم ولم يأذنوا لكم فلا تدخلوها
 لأن ذلك ليس من حقكم ﴿وَإِنْ قِيلَ لَكُمْ ازْجِعُوا فَارْجِعُوا هُوَ أَزْكَى
 لَكُمْ﴾ أي: إن استأذنتم من أهل البيوت، ولم يأذنوا لكم فارجعوا
 من حيث أتيتم؛ لأنه لا يحل لكم حينئذ أن تكررُوا طلب الإذن؛ لأن
 ذلك أزكى لنفوسكم ونفوس غيركم ﴿وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ عَلِيمٌ﴾
 أي: عليم بأحوالكم، وعليكم أن تطيعوه فيما يأمركم به؛ لأنه أعلم بما
 ينفعكم وما يضركم، وإياكم والدخول على الناس في غفلة ﴿لَيْسَ
 عَلَيْكُمْ جُنَاحٌ أَنْ تَدْخُلُوا بُيُوتًا غَيْرَ مَسْكُونَةٍ فِيهَا مَتَعٌ لَّكُمْ﴾ لما نهى
 الله عن دخول البيوت دون إذن، أطلقه بعض الناس على ظاهره فلا
 يأتي موضعاً غير مسكون إلا سلم واستأذن، فرفع الله الحرج بهذه
 الآية، وتشمل البيوت غير المسكونة الخالية من الناس أو ذات النفع

العام كالمساجد والمحلات المعدة للبيع، وتكون عادة مفتوحة للناس ونحو ذلك مما لا يكون في دخوله أذى للغير؛ لأن الغاية من الإستئذان هو الخوف من التطلع على عورات الناس وأسرارهم. ﴿وَاللَّهُ يَعْلَمُ مَا بُدُّونَ وَمَا تُكْتُمُونَ﴾ أي: يعلم ما تظهرونه قولاً وعملاً ويعلم ما تكتُمونه في أنفسكم.

أحكام ومسائل الآيات:

في هذه الآيات عدة أحكام: منها: وجوب الاستئذان قبل الدخول في بيوت الناس، وروى أبو موسى أن رسول الله ﷺ قال: (إذا استأذن أحدكم ثلاثاً فلم يؤذن له فليرجع)^(١). وعن أنس أن رسول الله ﷺ استأذن على سعد بن عبادَةَ فقال: (السلام عليكم ورحمة الله) فقال سعد: وعليك السلام ورحمة الله، ولم يسمع النبي ﷺ حتى سلم ثلاثاً ورد عليه سعد ثلاثاً، ولم يسمعه فرجع رسول الله ﷺ فاتبعه سعد فقال: يا رسول الله: بأبي أنت وأمي ما سلمت تسليمة إلا هي بأذني، ولقد رددت عليك ولم أسمعك وأحببت أن أستكثر من سلامك ومن البركة ثم أدخله البيت الحديث^(٢). ومن آداب الاستئذان: ألا يقف المستأذن أمام مدخل البيت إذا كان الباب مشرعاً لما يحتمل من

(١) أخرجه البخاري في كتاب الاستئذان، باب التسليم والاستئذان ثلاثاً، برقم (٦٢٤٥)، صحيح البخاري مع فتح الباري ج ١١ ص ٢٨.

(٢) أخرجه الإمام أحمد في مسنده ج ٣ ص ١٢٨، والبيهقي في السنن الكبرى ج ٧ ص ١٨٧.

انكشاف البيت أمامه. ومن الأحكام: أن الاستئذان لا يكون للغرباء فحسب بل للأقربين وأهل بيته؛ لما روي أن امرأة من الأنصار قالت: يارسول الله إني أكون في بيتي على حال لا أحب أن يراني عليها أحد، لا والد ولا ولد، فيأتي الأب فيدخل علي وأنه لا يزال يدخل علي رجل من أهلي وأنا على تلك الحال فكيف أصنع فنزلت الآية^(١). ومنها: أن يعرف المستأذن نفسه صراحة؛ لما رواه جابر بن عبد الله رضي الله عنهما قال: استأذنت على رسول الله ﷺ فقال: (من هذا؟) فقلت: أنا فقال عليه الصلاة والسلام: (أنا أنا)، كأنه كره ذلك^(٢).

﴿قُلْ لِلْمُؤْمِنِينَ يَغُضُّوا مِنْ أَبْصَارِهِمْ وَيَحْفَظُوا فُرُوجَهُمْ
ذَلِكَ أَزْكَى لَهُمْ إِنَّ اللَّهَ خَيْرٌ بِمَا يَصْنَعُونَ﴾

بيان الآية:

لما ذكر الله جل وعلا ما يجب على المؤمنين من حسن السلوك ووجوب الاستئذان قبل الدخول إلى بيوتهم وبيوت غيرهم، بين حكم النظر فقال عز ذكره ﴿قُلْ لِلْمُؤْمِنِينَ يَغُضُّوا مِنْ أَبْصَارِهِمْ﴾ أي: قل يا محمد للمؤمنين أن يخفصوا أبصارهم، فلا ينظروا إلى ما حرم الله عليهم؛ لأن البصر من أشد الحواس نفاداً إلى المحسوس لأنه يدفع

(١) أسباب نزول القرآن للواحدي ص ٥٢٥، وجامع البيان عن تأويل آي القرآن ج ١٠ ص ١١٠.

(٢) أخرجه مسلم في كتاب الآداب، باب كراهة قول المستأذن «أنا» إذا قيل من هذا؟، برقم

(٢١٥٥)، صحيح مسلم بشرح النووي ج ٩ ص ٥٨١٨.

الحواس الأخرى إلى الحركة فكان الأولى غضه دفعا لما قد ينتج عنه من الوقوع في الإثم ﴿وَيَحْفَظُوا فُرُوجَهُمْ﴾ أي: يمنعوها من الوقوع في الزنى ﴿ذَلِكَ أَزْكَىٰ لَهُمْ﴾ أي: أطهر لأنفسهم ﴿إِنَّ اللَّهَ خَيْرٌ بِمَا يَصْنَعُونَ﴾ أي: عليم بما يفعلون.

أحكام ومسائل الآية:

في هذه الآية: تقرير وجوب غض البصر عن المحارم؛ لما قد يؤدي إليه عدم غضه من الوقوع في الإثم، فإذا وقع البصر على محرم من غير قصد وجب غضه؛ لما رواه جرير بن عبد الله البجلي قال: سألت رسول الله ﷺ عن نظر الفجاءة فأمرني أن أصرف بصري^(١). وفيها: وجوب حفظ الفرج عن الحرام، وقد أثنى الله على المؤمنين بقوله عز وجل ﴿وَالَّذِينَ هُمْ لِفُرُوجِهِمْ حَافِظُونَ﴾^(٢). ﴿إِلَّا عَلَىٰ أَزْوَاجِهِمْ أَوْ مَا مَلَكَتْ أَيْمَانُهُمْ﴾^(٣).

﴿وَقُلْ لِلْمُؤْمِنَاتِ يَغْضُضْنَ مِنْ أَبْصَرِهِنَّ وَيَحْفَظْنَ فُرُوجَهُنَّ وَلَا يُبْدِينَ زِينَتَهُنَّ إِلَّا مَا ظَهَرَ مِنْهَا وَلْيَضْرِبْنَ بِخُمُرِهِنَّ عَلَىٰ جُيُوبِهِنَّ وَلَا يُبْدِينَ زِينَتَهُنَّ إِلَّا لِبُعُولَتِهِنَّ أَوْ آبَائِهِنَّ

(١) أخرجه مسلم في كتاب الآداب، باب نظر الفجاءة، برقم (٢١٥٩)، صحيح مسلم بشرح النووي ج ٩ ص ٥٨٢٤.

(٢) سورة المؤمنون الآية ٥.

(٣) سورة المؤمنون من الآية ٦.

أَوْ ءَابَاءَ بُعُولَتِهِمْ أَوْ أَبْنَاءَ بُعُولَتِهِمْ أَوْ
 إِخْوَانِهِمْ أَوْ بَنِي إِخْوَانِهِمْ أَوْ بَنِي أَخَوَاتِهِمْ أَوْ نِسَائِهِمْ أَوْ مَا
 مَلَكَتْ أَيْمَانُهُمْ أَوْ التَّبَعِينَ غَيْرِ أُولَى الْإِرْبَةِ مِنَ الرِّجَالِ
 أَوِ الطِّفْلِ الَّذِينَ لَمْ يَظْهَرُوا عَلَى عَوْرَتِ النِّسَاءِ وَلَا يَضْرِبْنَ
 بِأَرْجُلِهِنَّ لِيُعْلَمَ مَا يُخْفِينَ مِنْ زِينَتِهِنَّ وَتُوبُوا إِلَى اللَّهِ جَمِيعًا أَيُّهَ
 الْمُؤْمِنُونَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ ﴿٣١﴾

بيان الآية:

﴿وَقُلْ لِلْمُؤْمِنَاتِ يَغْضُضْنَ مِنْ أَبْصَرِهِنَّ﴾ هذا أمر من الله
 عزوجل لنبيه ورسوله محمد ﷺ أن يأمر نساء أُمته أن يَغضضن
 أبصارهن عن الرجال الأجانب، وقد بدأ بغض البصر؛ لأنه كما ذكرنا
 المحرك للحواس كما قيل:

ألم تر أن العين للقلب رائد فما تألف العينان فالقلب آلف

﴿وَيَحْفَظْنَ فُرُوجَهُنَّ﴾ أي: يصنهن ﴿وَلَا يَبْدِينَ زِينَتَهُنَّ﴾
 إِلَّا مَا ظَهَرَ مِنْهَا أي: يجب عليهن إخفاء زينتتهن إلا ما لا يمكن
 إخفاءه كالثياب والكفين ومافيه ضرورة ﴿وَلِيَضْرِبْنَ بِخُمُرِهِنَّ عَلَى
 جُيُوبِهِنَّ﴾ أي: يجب أن تضرب المرأة بخمارها على جيبها؛ لكي تستر
 به صدرها وذلك خلافا لما كانت النساء في الجاهلية يفعلنه؛ فكانت
 المرأة إذا غطت رأسها بالخمار سدلت من وراء ظهرها فيبقى صدرها

وعنقها وأذناها ظاهرة فهي الله عن ذلك وأمر بإسدال الخمار على الجيب ﴿وَلَا يَبْدِينَ زِينَتَهُنَّ إِلَّا لِبُعُولَتِهِنَّ﴾ أي: لا يبدین ما كان فيها من زينة إلا لأزواجهن ﴿أَوْ آبَائِهِنَّ أَوْ أَبْنَاءَ بُعُولَتِهِنَّ أَوْ أَبْنَاءَ بُعُولَتِهِنَّ أَوْ إِخْوَانَهُنَّ أَوْ بُنَاتِ إِخْوَانِهِنَّ أَوْ بَنَاتِ إِخْوَانِهِنَّ﴾ فهؤلاء كلهم محارم للمرأة، فيجوز لها أن تظهر عليهم وهي في زينتها، ولكن لا يكون ذلك في وضع تبرج أو تصنع فإن خير ما للمرأة أن تخفي زينتها إلا عن زوجها قوله ﴿أَوْ نِسَائِهِنَّ﴾ أي: يجوز لها أن تبدي زينتها عند النساء مثلها، ومن على دينها ومع ذلك لها أن تقتصد في ذلك لما يحتمل أن تصفها بعض النساء لأزواجهن، وقد حرم رسول الله ﷺ ذلك بقوله: (لا تباشر المرأة المرأة فتنتعها لزوجها كأنه ينظر إليها)^(١).

قوله ﴿أَوْ مَا مَلَكَتْ أَيْمَانُهُنَّ﴾ المراد به مملوكهن ومملوكاتهن وقيل: المراد الإماء وليس المملوكين من الرجال ﴿أَوِ التَّابِعِينَ غَيْرِ أُولَى الْإِرْبَةِ مِنَ الرِّجَالِ﴾ المراد بذلك من لا رغبة لهم في النساء كالعينين ومن في حكمه ﴿أَوِ الطِّفْلِ الَّذِينَ لَمْ يَظْهَرُوا عَلَى عَوْرَاتِ النِّسَاءِ﴾ الطفل اسم جنس والمراد الأطفال الذين ليس لهم قدرة على مواجهة

(١) أخرجه البخاري في كتاب النكاح، باب لا تباشر المرأة فتنتعها لزوجها، برقم (٥٢٤٠)، صحيح البخاري مع فتح الباري ج ٩ ص ٢٥٠.

النساء لصغرهم ﴿وَلَا يَضْرِبْنَ بِأَرْجُلِهِنَّ﴾ أي: لا تضرب المرأة برجلها لكي تسمع صوت خلخالها كما كان نساء الجاهلية يفعلنه إذا رأين الرجل وهو معنى ﴿لِيَعْلَمَ مَا يَخْفَيْنَ مِنْ زِينَتِهِنَّ﴾.

﴿وَتَوْبُوا إِلَى اللَّهِ جَمِيعًا أَيُّهُ الْمُؤْمِنُونَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ﴾ هذا أمر من الله للمؤمنين أن يتوبوا فيما يبدر منهم من تقصير وأن يتقوه فيما أمرهم به من الستر والعفاف.

أحكام ومسائل الآية:

في هذه الآية عدة أحكام: منها: الحكم بوجوب غض المرأة لبصرها إذا رأت الرجال الأجانب عنها. ومنها: وجوب حفظ فرجها وصونه عما حرمه الله عليها. ومنها: وجوب وضع المرأة خمارها على جيبها لتستر فتحات صدرها وعنقها. وفي هذا روت عائشة رضي الله عنها قالت: يرحم الله نساء المهاجرات الأول لما أنزل الله ﴿وَلْيَضْرِبْنَ بِخُمُرِهِنَّ عَلَى جُيُوبِهِنَّ﴾ شققن مروطهن فاختمن بها^(١). ومن هذه الأحكام: وجوب إخفاء المرأة زينتها عما تقتضيه الضرورة كالكفين أو أطراف الثياب وما يتعذر عليها ستره بحكم الضرورة. ومنها: جواز إظهار الزينة لمن ليس لهم حاجة في النساء كالعنين والأطفال غير المميزين. ومنها: تحريم إعلان المرأة عن نفسها إذا كانت تسير في الطريق، ويشمل

(١) أخرجه البخاري في كتاب التفسير، باب قوله تعالى ﴿وَلْيَضْرِبْنَ بِخُمُرِهِنَّ عَلَى جُيُوبِهِنَّ﴾ برقم (٤٧٥٨)، صحيح البخاري مع فتح الباري ج ٨ ص ٣٤٧.

ذلك ما كان نساء الجاهلية يفعلنه من وضع الخلاخل في أرجلهن كما يشمل ذلك إظهار الزينة والتطيب والتعطف ولبس الثياب المثيرة عند خروجها إلى الأسواق. ومن هذه الأحكام: وجوب التوبة إلى الله من تقصير العبد في عبادته أو فيما أمره الله به من الأحكام.

﴿وَأَنكِحُوا الْأَيْمَىٰ مِنكُمُ وَالصَّالِحِينَ مِنْ عِبَادِكُمْ وَإِمَائِكُمْ ۚ
 إِن يَكُونُوا فُقَرَاءَ يُغْنِهِمُ اللَّهُ مِنْ فَضْلِهِ ۗ وَاللَّهُ وَاسِعٌ عَلِيمٌ ۝
 وَلِیَسْتَعْفِفِ الَّذِينَ لَا يَجِدُونَ نِكَاحًا حَتَّىٰ يُغْنِيَهُمُ اللَّهُ مِنْ فَضْلِهِ ۗ وَالَّذِينَ
 يَبْتَغُونَ الْكِتَابَ مِمَّا مَلَكَتْ أَيْمَانُكُم مِّمَّا فَكَّتَابُوهُمْ إِنْ عَلِمْتُمْ فِيهِمْ خَيْرًا
 وَءَاتُوهُمْ مِّن مَّالِ اللَّهِ الَّذِي ءَاتَاكُمْ وَلَا تُكْرِهُوا فَتِيَّتَكُمْ عَلَى الْبِغَاءِ
 إِن أَرَدْنَ تَحَصُّنًا لِّبَتَّغُوا عَرْضَ الْحَيَوةِ الدُّنْيَا وَمَن يُكْرِهِنَّ فَإِنَّ اللَّهَ مِن
 بَعْدِ إِكْرَاهِهِنَّ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ۝ وَلَقَدْ أَنزَلْنَا إِلَيْكُمْ ءَايَاتٍ مُّبَيِّنَاتٍ
 وَمَثَلًا لِّلَّذِينَ خَلَوْا مِن قَبْلِكُمْ وَمَوْعِظَةً لِّلْمُتَّقِينَ ۝﴾

بيان الآيات:

﴿وَأَنكِحُوا الْأَيْمَىٰ مِنكُمُ وَالصَّالِحِينَ مِنْ عِبَادِكُمْ وَإِمَائِكُمْ ۚ﴾
 للمؤمنين أن يزوجوا الرجال الذين لا زوجات لهم، وأن يزوجوا النساء
 اللاتي لا أزواج لهن ﴿وَالصَّالِحِينَ مِنْ عِبَادِكُمْ وَإِمَائِكُمْ ۚ﴾ وهذا أيضا
 أمر للمؤمنين بتزويج مملوكيهم وإمائهم ﴿إِن يَكُونُوا فُقَرَاءَ يُغْنِيَهُمُ اللَّهُ

مِنْ فَضْلِهِ ﴿١﴾ أي: لا يكون الفقر مانعاً لهم من الزواج؛ لأن الله سوف يغنيهم من فضله **وَاللَّهُ وَاسِعٌ عَلِيمٌ** ﴿٢﴾ أي: واسع الرزق عليم بحاجات عباده **وَلَيْسَتَعْفِ الَّذِينَ لَا يَحْدُونَ نِكَاحًا حَتَّى يُغْنِيَهُمُ اللَّهُ مِنْ فَضْلِهِ** ﴿٣﴾ وهذا أمر من الله عز ذكره بأن يتعفف عن الحرام من لا يستطيع النكاح إلى أن يجد ما يتزوج به **وَالَّذِينَ يَبْنِعُونَ الْكِتَابَ مِمَّا مَلَكَتْ أَيْمَانُكُمْ فَكَاتِبُوهُمْ إِنْ عَلِمْتُمْ فِيهِمْ خَيْرًا** ﴿٤﴾ هذا أمر من الله لأصحاب الموالي أن يكاتبوا مواليتهم للحصول على حريتهم إذا علموا فيهم خيراً أي: كان لهم مال **وَعَاثُوهُمْ مِنْ مَالِ اللَّهِ الَّذِي آتَاكُمْ** ﴿٥﴾ أي: أعطوهم ما فرض الله لهم من الزكاة **وَلَا تُكْرِهُوا فَتِيَّتَكُمْ عَلَى الْبِغَاءِ إِنْ أَرَدْنَ تَحَصُّنًا** ﴿٦﴾ كانت بيئة العرب في الجاهلية بيئة فاسدة، فإذا كان لبعضهم أمة استرقها بحكم الغزو الذي ينشأ بينهم فجعلها تزني ويفرض عليها جُعلاً من المال، فلما جاء الإسلام حُرِّم ذلك. وقيل في سبب نزول هذه الآية: أنه كان لعبد الله بن أبي بن سلول رأس المنافقين في المدينة إماء وكان يكرههن على البغاء فشكت اثنتان منهن لرسول الله ﷺ فنزلت الآية ^(١) والمعنى النهي عن إكراه الإماء على البغاء وهن يردن التحصن وهذا نهى تحريم **لَتَبْنِعُوا عَرْضَ الْحَيَوةِ الدُّنْيَا** ﴿٧﴾ أي: من خراجهن ومهورهن **وَمَنْ يُكْرِهْهُنَّ فَإِنَّ اللَّهَ مِنْ بَعْدِ إِكْرَاهِهِنَّ غَفُورٌ رَحِيمٌ** ﴿٨﴾ أي: ومن يقهرهن

(١) أسباب نزول القرآن للواحد ص ٥٢٨، وتفسير القرآن العظيم ج ٣ ص ٢٧٩ .

فإن الله رحيم بهن وسيعاقب من يكرههن.

﴿وَلَقَدْ أَنْزَلْنَا إِلَيْكُمْ آيَاتٍ مُبَيِّنَاتٍ﴾ المراد بذلك القرآن
﴿وَمَثَلًا مِّنَ الَّذِينَ خَلَوْا مِن قَبْلِكُمْ﴾ أي: خبرا عن الأمم السابقة
وما حدث لهم بعد أن عصوا رسلهم وكذبوهم ﴿وَمَوْعِظَةً﴾ أي:
وفيه التحذير والزجر من ارتكاب المحرمات ﴿لِّلْمُتَّقِينَ﴾ أي: الذين
يخشون الله ويتقونه ويخافون من عقابه.

أحكام ومسائل الآيات:

في هذه الآيات: الأمر للمسلمين بالعمل على تزويج أولادهم العازبين
وفيه قول رسول الله ﷺ: (يا معشر الشباب من استطاع منكم الباءة
فليتزوج فإنه أغض للبصر وأحصن للفرج ومن لم يستطع فعليه
بالصوم فإنه له وجاء)^(١). وقوله عليه الصلاة والسلام: (تزوجوا الودود
الولود فإنني مكاثر بكم الأمم يوم القيامة)^(٢). وقوله عليه الصلاة
والسلام: (النكاح من سنتي فمن رغب عن سنتي فليس مني)^(٣).

(١) أخرجه البخاري في كتاب النكاح، باب من لم يستطع الباءة فليصم، برقم (٥٠٦٦)،
صحيح البخاري مع فتح الباري ج ٩ ص ١٤.

(٢) أخرجه أبو داود في كتاب النكاح، باب النهي عن تزويج من لم يلد من النساء، برقم
(٢٠٥٠)، سنن أبي داود ج ٢ ص ١٨٠، والنسائي في كتاب النكاح، باب كراهية تزويج العقيم،
برقم (٣٢٢٧)، سنن النسائي ج ٦ ص ٣٧٣.

(٣) أخرجه ابن ماجة في كتاب النكاح، باب ما جاء في فضل النكاح، برقم (١٨٤٦)، بلفظ:
«النكاح من سنتي فمن لم يعمل بسنتي فليس مني»، وقال: وفي الزوائد: إسناده ضعيف
لاتفاقهم على ضعف عيسى بن ميمون المدني لكن له شاهد صحيح، سنن ابن ماجة ج ١
ص ٥٩٢، وكشف الخفاء ومزيل الإلباس ج ٢ ص ٤٢٩.

وفيها: وجوب العفة لمن لم يقدر على النكاح حتى يغنيه الله. وفيها: تقرير مكاتبة المملوك للحصول على حريته إذا كان له مال يستطيع منه تمويل مكاتبته مع وجوب إعانته، وذلك بأن يعطيه صاحبه ما يعينه على المكاتبة أو يحط عنه شيئاً منها. ومن الأحكام في الآية: تحريم الزنى إكراهاً أو اختياراً وإبطال ما كان سائداً في الجاهلية من الأعمال الشائنة التي يفعلها المشركون بإمائهم.

﴿اللَّهُ نُورُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ مَثَلُ نُورِهِ كَمِشْكَوْفٍ فِيهَا مَصْبَاحٌ الْمِصْبَاحُ فِي زُجَاجَةٍ الزُّجَاجَةُ كَأَنَّهَا كَوْكَبٌ دُرِّيٌّ يُوقَدُ مِنْ شَجَرَةٍ مُبَارَكَةٍ زَيْتُونَةٍ لَا شَرْقِيَّةٍ وَلَا غَرْبِيَّةٍ يَكَادُ زَيْتُهَا يُضِيءُ وَلَوْ لَمْ تَمْسَسْهُ نَارٌ نُورٌ عَلَى نُورٍ يَهْدِي اللَّهُ لِنُورِهِ مَنْ يَشَاءُ وَيَضْرِبُ اللَّهُ الْأَمْثَلَ لِلنَّاسِ وَاللَّهُ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ﴾

بيان الآية:

﴿اللَّهُ نُورُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ﴾ أي: منورهما ومضيئهما فنوره عام في كل شيء من خلقه فمن نوره استنارت الأرض والسماوات والشمس والقمر والنجوم، وكان رسول الله ﷺ إذا قام من الليل قال: (اللهم لك الحمد أنت قيم السموات والأرض ومن فيهن ولك الحمد لك ملك السموات والأرض ومن فيهن ولك الحمد أنت نور السموات والأرض

ومن فيهن^(١). ﴿مِثْلُ نُّورٍ﴾ أي: ما يقذفه الله في قلب عبده المؤمن ﴿كَمِشْكُوفٍ فِيهَا مِصْبَاحٌ الْمِصْبَاحُ فِي زُجَاجَةٍ﴾ مثل كوة البيت فيها سراج في زجاجة مما يزيد قوة الضوء ونقاؤه ﴿الزُّجَاجَةُ كَأَنَّهَا كَوْكَبٌ دُرِّيٌّ﴾ أي: مضيء متوهج من شدة صفائها ﴿يُوقَدُ مِنْ شَجَرَةٍ مُبَارَكَةٍ زَيْتُونَةٍ﴾ أي: إن زيت المصباح من شجرة مباركة هي شجرة الزيتون ﴿لَا شَرْقِيَّةٍ﴾ تصيبها الشمس إذا أشرقت ﴿وَلَا غَرْبِيَّةٍ﴾ تصيبها إذا غربت فليست خالصة للشرق فتسمى شرقية، ولا للغرب فتسمى غربية، بل هي شرقية غربية وهذا أجود لزيته ﴿يَكَادُ زَيْتُهَا يُضِيءُ وَلَوْ لَمْ تَمْسَسْهُ نَارٌ﴾ وذلك لقوته وجودته ﴿نُّورٌ عَلَى نُورٍ﴾ أي: اجتمع في المشكاة ضوء المصباح إلى ضوء الزجاجة، وإلى ضوء الزيت فصار لذلك نور على نور. وهذا مثل ضربه الله للمؤمن في قوة إيمانه.

﴿يَهْدِي اللَّهُ لِنُورِهِ مَن يَشَاءُ﴾ أي: يهدي للإيمان ويخص به من يشاء من عباده ﴿وَيَضْرِبُ اللَّهُ الْأَمْثَالَ لِلنَّاسِ﴾ أي: يضرب لهم الأمثال؛ ليكون ذلك أيسر لهم في الفهم ومعرفة أحكامه ﴿وَاللَّهُ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ﴾ أي: عليم بأحوالهم.

أحكام ومسائل الآية:

في هذه الآية: تقرير أن الله يهدي من يشاء من عباده فيقذف الإيمان في قلبه ويدله على طاعته. وفيها: تقرير ضرب الأمثال للناس

(١) أخرجه البخاري في كتاب التهجد، باب التهجد بالليل، برقم (١١٢٠)، صحيح البخاري مع فتح الباري ج ٣ ص ٥.

لعلهم يفهمون مراد الله من أحكامه.

﴿فِي بُيُوتٍ أَذِنَ اللَّهُ أَنْ تُرْفَعَ وَيُذْكَرَ فِيهَا أَسْمُهُ، يُسَبِّحُ لَهُ فِيهَا بِالْغُدُوِّ وَالْآصَالِ﴾ (٣٦) رِجَالٌ لَا تُلْهِيهِمْ تِجَارَةٌ وَلَا بَيْعٌ عَنْ ذِكْرِ اللَّهِ وَإِقَامِ الصَّلَاةِ وَإِيتَاءِ الزَّكَاةِ يَخَافُونَ يَوْمًا تَتَقَلَّبُ فِيهِ الْقُلُوبُ وَالْأَبْصَارُ ﴿٣٧﴾ لِيَجْزِيََهُمُ اللَّهُ أَحْسَنَ مَا عَمِلُوا وَيَزِيدَهُم مِّن فَضْلِهِ ۗ وَاللَّهُ يَرْزُقُ مَن يَشَاءُ بِغَيْرِ حِسَابٍ ﴿٣٨﴾

بيان الآيات:

بعد أن بين الله عز وجل مثل قلب المؤمن بضيائه وصفائه بالمصباح المضيء في الزجاج الصافية بين أن مكان هذا القلب هو في بيوت الله فيعمرها بالصلاة والتسبيح والذكر فقال ﴿فِي بُيُوتٍ أَذِنَ اللَّهُ أَنْ تُرْفَعَ﴾ الإذن هنا بمعنى الأمر بعمارته، وهذه العمارة على نوعين: الأول: تشييدها، لتكون بيوتا من بيوت الله وتزيينها وتعظيمها وتنظيفها بما يليق بها والنوع الثاني: عمارتها بذكر الله، ويشمل ذلك إقامة الصلاة فيها فرضا ونفلا وحمد الله وذكره وتلاوة كتابه كما قال عز وجل ﴿وَيُذْكَرُ فِيهَا أَسْمُهُ﴾. وقوله ﴿يُسَبِّحُ لَهُ فِيهَا بِالْغُدُوِّ وَالْآصَالِ﴾ أي: يسبح له فيها في الصباح وفي المساء؛ لما لهما من خصوصية في صفاء النفس والاقبال على الله في بداية النهار وعند إقبال الليل ﴿رِجَالٌ لَا تُلْهِيهِمْ تِجَارَةٌ وَلَا بَيْعٌ عَنْ ذِكْرِ اللَّهِ﴾ أي:

لا تشغلهم عن ذكره مطامع الدنيا ومكاسبها وزخرفها بل قلوبهم متعلقة بذكره أنى كانوا وحيثما كانوا ﴿وَإِقَامِ الصَّلَاةِ وَإِيتَاءِ الزَّكَاةِ﴾ أي: كما لا تشغلهم تجارتهم ولا مكاسبهم عن إقامة الصلاة في أوقاتها ولا تشغلهم كذلك عن إيتاء الزكاة فيشحون بها بل يخرجونها طيبة بها نفوسهم وينفقونها حيث أمرهم الله بإنفاقها ﴿يَخَافُونَ يَوْمًا تَتَقَلَّبُ فِيهِ الْقُلُوبُ وَالْأَبْصَارُ﴾ أي: وهو على تلك الحال من ذكر الله يخشون يوم القيامة وما فيه من الخوف والفرع والأهوال.

﴿لِيَجْزِيَهمُ اللَّهُ أَحْسَنَ مَا عَمِلُوا﴾ أي: يثيبهم ويوفيههم أجورهم بأحسن مما عملوا ﴿وَيَزِيدهم مِّن فَضْلِهِ﴾ أي: يضاعف لهم الحسنات التي عملوها كما قال عز وجل ﴿إِنَّ اللَّهَ لَا يَظْلِمُ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ وَإِن تَكُ حَسَنَةً يُضَاعِفْهَا وَيُؤْتِ مِن لَّدُنْهُ أَجْرًا عَظِيمًا﴾ (١). ﴿وَاللَّهُ يَرْزُقُ مَن يَشَاءُ بِغَيْرِ حِسَابٍ﴾ أي: هو ذو الفضل العظيم الذي يعطي عباده دون عد أو حساب.

أحكام ومسائل الآيات:

في هذه الآيات عدة أحكام: منها: وجوب تعظيم بيوت الله تشييدا وبناء وعمارة بذكر الله، والأصل فيه قول الله عز وجل ﴿إِنَّمَا يَعْمُرُ مَسَاجِدَ اللَّهِ مَن ءَامَنَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ﴾ (٢). وقول رسوله

(١) سورة النساء الآية ٤٠ .

(٢) سورة التوبة من الآية ١٨ .

محمد ﷺ: (من بنى مسجدا لله يبتغي به وجه الله بنى الله له مثله في الجنة)^(١). وبناء المساجد يقتضي صيانتها وتنظيفها من الروائح الكريهة، لحديث ابن عمر رضي الله عنهما أن رسول الله ﷺ قال: (من أكل من هذه الشجرة يعني الثوم فلا يقربن مسجدا)^(٢). كما يقتضي عدم اللغو أو البيع فيها، ففي حديث بريدة أن رجلا أنشد في المسجد فقال: من دعا إلى الجمل الأحمر؟ فقال رسول الله ﷺ: (لا وجدت إنما بنيت المساجد لما بنيت له)^(٣). ومن الأحكام: مضاعفة الأجر في الصلاة في المساجد؛ لما ثبت في الصحيحين أن رسول الله ﷺ قال: (صلاة الرجل في الجماعة تضعف على صلاته في بيته وفي سوقه خمسا وعشرين ضعفا وذلك أنه إذا توضأ فأحسن وضوءه ثم خرج إلى المسجد لا يخرجه إلا الصلاة لم يخط خطوة إلا رفعت له بها درجة وحط عنه بها خطيئة فإذا صلى لم تزل الملائكة تصلي عليه ما دام في مصلاه: اللهم صل عليه، اللهم ارحمه، ولا يزال أحدكم في صلاة ما انتظر الصلاة)^(٤).

(١) أخرجه مسلم في كتاب المساجد، باب فضل بناء المساجد والحث عليها، برقم (٥٣٣)، صحيح مسلم بشرح النووي ج ٣ ص ١٧٨٨.

(٢) أخرجه البخاري في كتاب الأذان، باب ما جاء في الثوم النيء والبصل والكراث، برقم (٨٥٣)، صحيح البخاري مع فتح الباري ج ٢ ص ٣٩٤.

(٣) أخرجه مسلم في كتاب المساجد، باب النهي عن نشد الضالة في المسجد وما يقوله من سمع الناشد، برقم (٥٦٩)، صحيح مسلم بشرح النووي ج ٣ ص ١٨٥٥.

(٤) أخرجه البخاري في كتاب الأذان، باب فضل صلاة الجماعة، برقم (٦٤٧)، صحيح البخاري مع فتح الباري ج ٢ ص ١٥٤.

ومن هذه الأحكام: أن الله أثنى على عباده الذين لا تشغلهم تجارتهم ولا بيعهم عن ذكر الله، فإذا سمعوا النداء تركوا كل شغل لهم وتسابقوا إلى المساجد، يحمدون الله، ويسبحونه، ويذكرونه بألسنتهم وقلوبهم. ومنها: مضاعفة الله لحسنات عباده جزاء لهم على أعمالهم.

﴿وَالَّذِينَ كَفَرُوا أَعْمَلُهُمْ كَسَرَابٍ بِقِيعَةٍ يَحْسَبُهُ الظَّمْآنُ مَاءً حَتَّىٰ إِذَا جَاءَهُ لَمْ يَجِدْهُ شَيْئًا وَوَجَدَ اللَّهَ عِنْدَهُ فُوقَهُ حِسَابَهُ ۗ وَاللَّهُ سَرِيعُ الْحِسَابِ ۝٣٩﴾ أَوْ كَظُلُمَةٍ فِي بَحْرٍ لُّجِّيٍّ يَغْشَاهُ مَوْجٌ مِّن فَوْقِهِ مَوْجٌ مِّن فَوْقِهِ سَحَابٌ ۖ ظُلُمَتٌ بَعْضُهَا فَوْقَ بَعْضٍ إِذَا أَخْرَجَ يَدَهُ لَمْ يَكْذِبْهَا ۗ وَمَنْ لَّمْ يَجْعَلِ اللَّهُ لَهُ نُورًا فَمَا لَهُ مِن نُّورٍ ﴿٤٠﴾

بيان الآيتين:

لما ضرب الله مثلا لنوره الذي يقذفه في قلب المؤمن ضرب مثلين للكفار، وأن الأعمال التي يعملونها تذهب سدى ولا تنفعهم بشيء فقال عز وجل ﴿وَالَّذِينَ كَفَرُوا أَعْمَلُهُمْ كَسَرَابٍ بِقِيعَةٍ يَحْسَبُهُ الظَّمْآنُ مَاءً﴾ أي: أن أعمالهم مثل السراب الذي يلوح في القاع من الأرض فيحسبه الظمآن ماء فيتطلع إليه، فإذا اقترب منه لم يجده شيئا كما قال عز وجل ﴿حَتَّىٰ إِذَا جَاءَهُ لَمْ يَجِدْهُ شَيْئًا﴾ فهذا مثل الكافر يزعم أنه عمل عملا صحيحا فيتطلع إلى جزائه من الله، فإذا أقبل عليه وحاسبه لم يجد له

عملا يجزيه عليه كما قال عز وجل ﴿وَوَجَدَ اللَّهُ عِنْدَهُ فَوْقَهُ حِسَابَهُ﴾^١
 ﴿وَاللَّهُ سَرِيعُ الْحِسَابِ﴾ أي: سريع في محاسبته للكافرين.

﴿أَوْ كُظِّلِمَتْ فِي بَحْرٍ لُجِّيٍّ﴾ ومثل الكافر كذلك كمثل من يكون
 في بحر عميق قعره ﴿يَغْشَاهُ مَوْجٌ﴾ أي: يغطيه ثم ﴿مِّنْ فَوْقِهِ﴾
 مَوْجٌ أي: فوق الموج الذي غطاه موج آخر ثم يغطيه من فوقه
 ﴿مِّنْ فَوْقِهِ سَحَابٌ ظُلِمَتْ بَعْضُهَا فَوْقَ بَعْضٍ﴾ أي: ظلمات متراكمة
 ﴿إِذَا أَخْرَجَ يَكْدِرُهَا﴾ وذلك من شدة الظلام، مع أن يده
 أقرب ما تكون إليه ولكن لا يستطيع رؤيتها، فالكافر مثل من كان على
 تلك الحال يتقلب في الظلام بسمعه وبصره وعقله، فلا يكاد يرى من
 الحق شيئا، بسبب ما ران على قلبه من الكفر ﴿وَمَنْ لَّمْ يَجْعَلِ اللَّهُ لَهُ
 نُورًا فَمَا لَهُ مِن نُّورٍ﴾ أي: من لم يهده الله ويدله على الإيمان ويبصره
 به فلا أحد يدلّه أو يهديه إليه.

أحكام ومسائل الآيتين:

تقرير أن أعمال الكافرين هباء وسدى ومثلها مثل من يظن
 السراب ماء، ومثل من يعيش في ظلمة البحر وأمواجه، فلا يرى أمامه
 ما يبصره. ومن الأحكام: تقرير أن من حرّمه الله نور الإيمان بسبب
 كفره وطغيانه فما من أحد يستطيع أن يدلّه أو يهديه إلا الله كما قال
 عز وجل ﴿مَنْ يُضِلِلِ اللَّهُ فَكَأَنَّهُ هَادٍ لَهُ﴾^(١).

﴿الْمُتَرَّانَ أَنَّ اللَّهَ يُسَبِّحُ لَهُ، مَنْ فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَالطَّيْرِ صَفَّتٍ كُلُّ قَدْ عَلِمَ صَلَاتَهُ، وَتَسْبِيحَهُ، وَاللَّهُ عَلِيمٌ بِمَا يَفْعَلُونَ﴾ (٤١) وَلِلَّهِ مُلْكُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَإِلَى اللَّهِ الْمَصِيرُ ﴿٤٢﴾

بيان الآيتين:

﴿الْمُتَرَّانَ أَنَّ اللَّهَ يُسَبِّحُ لَهُ، مَنْ فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ﴾ هذا بيان من الله عز وجل أن كل من السموات والأرض من الملائكة والإنس والجن والحيوان والجماد والنبات يسبح له ﴿وَالطَّيْرِ صَفَّتٍ﴾ أي: وتسبح له الطير وهن صافات أجنتها للطيران ﴿كُلُّ قَدْ عَلِمَ صَلَاتَهُ، وَتَسْبِيحَهُ﴾ أي: إن كلا من هذه المخلوقات يسبح لله كما علمه وحسب لغته وفهمه وما أرشده الله إليه فيسمع عز وجل تسبيحهم ودعاءهم، لا تختلف عليه لغاتهم ولا تشتبه عليه أصواتهم كما قال عز ذكره ﴿وَاللَّهُ عَلِيمٌ بِمَا يَفْعَلُونَ﴾

﴿وَلِلَّهِ مُلْكُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ﴾ لما بين عز وجل أن كل المخلوقات تسبح له بين أنه مالك السموات والأرض وأنه المتصرف فيهما المدبر لهما ومن فيهن ﴿وَإِلَى اللَّهِ الْمَصِيرُ﴾ أي: إليه يوم القيامة مرجع جميع الخلائق ليحاسبهم ويجازيهم على أعمالهم وتشمل رحمته من تشمله منهم فتعالى وتقدس.

أحكام ومسائل الآيتين:

في هاتين الآيتين: الحكم بأن الكون العلوي والسفلي ومن فيهما يسبح لله كما قال عز وجل ﴿وَإِنْ مِنْ شَيْءٍ إِلَّا يُسَبِّحُ بِحَمْدِهِ وَلَكِنْ لَا تَفْقَهُونَ تَسْبِيحَهُمْ﴾^(١). الحكم بأنه عز وجل يعلم تسبيح جميع مخلوقاته، لا تختلف عليه لغاتهم ولا تشبته عليه أسماءهم. الحكم بأنه مالك السموات والأرض المدبر والمتصرف فيهما ومن فيهن، فهم خلقه وعبيده، مرجعهم ومصيرهم إليه كما خلقهم.

﴿الَمْ تَرَ أَنَّ اللَّهَ يُزْجِي سَحَابًا ثُمَّ يُؤَلِّفُ بَيْنَهُ، ثُمَّ يُجْعَلُهُ رُكَّامًا فَتَرَى الْوَدَفَ يَخْرُجُ مِنْ خِلَالِهِ، وَيُنْزِلُ مِنَ السَّمَاءِ مِنْ جِبَالٍ فِيهَا مِنْ بَرَدٍ فَيُصِيبُ بِهِ مَنْ يَشَاءُ وَيَصْرِفُهُ، عَنْ مَنْ يَشَاءُ يَكَادُ سَنَا بَرْقِهِ، يَذْهَبُ بِالْأَبْصَرِ﴾^(٤٣) يُقَلِّبُ اللَّهُ اللَّيْلَ وَالنَّهَارَ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَعِبْرَةً لَأُولِي الْأَبْصَارِ ﴿٤٤﴾

بيان الآيتين:

﴿الَمْ تَرَ أَنَّ اللَّهَ يُزْجِي سَحَابًا﴾ يبين الله تعالى أنه ينشئ السحاب متفرقا ابتداء ﴿ثُمَّ يُؤَلِّفُ بَيْنَهُ﴾ أي: يجمع بعضه مع بعض ﴿ثُمَّ يُجْعَلُهُ رُكَّامًا﴾ أي: متراكباً بعضه فوق بعض مثل الجبال ﴿فَتَرَى الْوَدَفَ يَخْرُجُ مِنْ خِلَالِهِ﴾ وعندئذ يخرج المطر منه وينزل إلى الأرض

(١) سورة الإسراء من الآية ٤٤ .

﴿وَيُنَزِّلُ مِنَ السَّمَاءِ مِنْ جِبَالٍ فِيهَا مِنْ بَرَدٍ﴾ أي: من جبال البرد المترامية
ينزل الله بردا ﴿فَيُصِيبُ بِهِ مَنْ يَشَاءُ وَيَصْرِفُهُ عَنْ مَنْ يَشَاءُ﴾ أي:
قد يكون البرد نقمة أو رحمة حسب إرادة الله وحكمته ﴿يَكَادُ سَنَا
بَرْقِهِ يَذْهَبُ بِالْأَبْصَرِ﴾ أي: يكاد ضوء برقه من قوته يخطف البصر
﴿يَقْلِبُ اللَّهُ اللَّيْلَ وَالنَّهَارَ﴾ أي: يتصرف فيهما فيطيل هذا ويقصر
ذاك ويتعاقب هذا مع ذاك ﴿إِنَّ فِي ذَلِكَ لَعِبْرَةً لَأُولِي الْأَبْصَارِ﴾ أي: في
هذا موعظة لأولي العقول الذين يدركون قدرة الله ويعرفون عظمته
وتصرفه وتدبيره في خلقه.

أحكام ومسائل الآيتين:

تقرير عظمة الله في إنشاء السحاب، وتولد المطر منه ونزوله إلى
الأرض لحاجة العباد، وبيان حكمته في إنزال البرد ومتى يكون رحمة
ومتى يكون نقمة حسب إرادته وتصرفه في خلقه، فإن كان رحمة فهي
منة من الله يمتن بها على خلقه، وإن كان نقمة فهو تذكير لعباده
وتحذير لهم عما ارتكبوه من الخطايا كما قال تعالى ﴿إِنَّ اللَّهَ لَا
يُغَيِّرُ مَا بِقَوْمٍ حَتَّى يُغَيِّرُوا مَا بِأَنْفُسِهِمْ﴾^(١). وقوله ﴿يُرِيكُمْ الْبَرْقَ
خَوْفًا وَطَمَعًا﴾^(٢). ومن الأحكام: تقرير حكمة الله في تعاقب الليل

(١) سورة الرعد من الآية ١١ .

(٢) سورة الروم من الآية ٢٤ .

والنهار وتقلبهما كما قال عز وجل ﴿يُكَوِّرُ اللَّيْلَ عَلَى النَّهَارِ وَيُكَوِّرُ
النَّهَارَ عَلَى اللَّيْلِ﴾ (١).

﴿وَاللَّهُ خَلَقَ كُلَّ دَابَّةٍ مِّن مَّاءٍ فَمِنْهُمْ مَّن يَمْشِي عَلَى بَطْنِهِ وَمِنْهُمْ مَّن
يَمْشِي عَلَى رِجْلَيْنِ وَمِنْهُمْ مَّن يَمْشِي عَلَى أَرْبَعٍ يَخْلُقُ اللَّهُ مَا يَشَاءُ إِنَّ اللَّهَ عَلَى
كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾ (٤٥).

بيان الآية:

﴿وَاللَّهُ خَلَقَ كُلَّ دَابَّةٍ مِّن مَّاءٍ﴾ في سياق ذكر عظمته وقدرته وتدبيره
بين عز وجل أنه ما من دابة على وجه الأرض إلا خلقها من ماء هو مني
الذكور على اختلاف أنواعهم ﴿فَمِنْهُمْ مَّن يَمْشِي عَلَى بَطْنِهِ﴾ كحال
الحيات والزواحف ﴿وَمِنْهُمْ مَّن يَمْشِي عَلَى رِجْلَيْنِ﴾ كحال الإنسان
والطير ﴿وَمِنْهُمْ مَّن يَمْشِي عَلَى أَرْبَعٍ﴾ كحال الحيوانات ﴿يَخْلُقُ اللَّهُ مَا
يَشَاءُ﴾ أي: يخلق بقدرته وحكمته ما يشاء من الخلق ﴿إِنَّ اللَّهَ عَلَى
كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾ أي: لا يعجزه شيء في السموات ولا في الأرض، فما
شاء كان وما لم يشأ لم يكن.

أحكام ومسائل الآية:

تقرير مظاهر قدرة الله وعظمته في كيفية خلقه ومن ذلك حركتهم،
وتفاوت هذه الحركة كل بحسب خلقه وتكوينه.

﴿لَقَدْ أَنْزَلْنَا آيَاتٍ مُبَيِّنَاتٍ وَاللَّهُ يَهْدِي مَنْ يَشَاءُ إِلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ﴾ ٤٦

بيان الآية:

﴿لَقَدْ أَنْزَلْنَا آيَاتٍ مُبَيِّنَاتٍ﴾ أي: أنزلنا آيات القرآن بينة جلية فيها الأحكام، وفيها: الحكم، والأمثال، والدلائل التي تبين للخلق ما فرض الله عليهم وما وعدهم به إذا أطاعوه ﴿وَاللَّهُ يَهْدِي مَنْ يَشَاءُ إِلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ﴾ أي: يدل من يتقيه إلى الطريق القويم الذي يوصله إلى مرضاته.

أحكام ومسائل الآية:

في هذه الآية: بيان نعم الله ومننه على عباده بإنزال القرآن عليهم بما فيه من الآيات البينات التي تدلهم على ما فيه نفعهم وتنذرهم عما فيه ضررهم. الحكم بأنه عز وجل يهدي من يتقيه منهم إلى الطريق القويم الذي يكفل له السعادة في الدارين.

﴿وَيَقُولُونَ ءَأَمَّا بِاللَّهِ وَبِالرَّسُولِ وَأَطَعْنَا ثُمَّ يَتَوَلَّى فَرِيقٌ مِّنْهُمْ مِّنْ بَعْدِ ذَلِكَ وَمَا أُولَئِكَ بِالْمُؤْمِنِينَ﴾ ٤٧
 ﴿لِيَحْكُمَ بَيْنَهُمْ إِذَا فَرِيقٌ مِّنْهُمْ مُّعْرِضُونَ﴾ ٤٨
 ﴿مُذْعِنِينَ﴾ ٤٩ ﴿أَفِي قُلُوبِهِمْ مَّرَضٌ أَمْ ارْتَابُوا أَمْ يَخَافُونَ أَنْ يَحِيفَ اللَّهُ عَلَيْهِمْ

وَرَسُولُهُ، بَلْ أُولَئِكَ هُمُ الظَّالِمُونَ ﴿٥٠﴾ إِنَّمَا كَانَ قَوْلَ الْمُؤْمِنِينَ إِذَا
دُعُوا إِلَى اللَّهِ وَرَسُولِهِ لِيَحْكُمَ بَيْنَهُمْ أَنْ يَقُولُوا سَمِعْنَا وَأَطَعْنَا وَأُولَئِكَ
هُمُ الْمُفْلِحُونَ ﴿٥١﴾ وَمَنْ يُطِيعِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَيَخْشَ اللَّهَ وَيَتَّقْهِ
فَأُولَئِكَ هُمُ الْفَائِزُونَ ﴿٥٢﴾

بيان الآيات:

﴿وَيَقُولُونَ ءَامَنَّا بِاللَّهِ وَبِالرَّسُولِ وَأَطَعْنَا ثُمَّ يَتَوَلَّى فَرِيقٌ مِّنْهُمْ
مِّنْ بَعْدِ ذَلِكَ﴾ هذا بيان من الله جل ثناؤه لحال المنافقين وكونهم
يظهرون بألسنتهم ما ليس في قلوبهم فيقولون: آمنا بالله وصدقنا ما
جاء به رسوله، ولكن أقوالهم هذه تخالف أفعالهم وذلك بإعراضهم
عن الحق ﴿وَمَا أُولَئِكَ بِالْمُؤْمِنِينَ﴾ أي: أنهم ليسوا بمؤمنين
﴿وَإِذَا دُعُوا إِلَى اللَّهِ وَرَسُولِهِ لِيَحْكُمَ بَيْنَهُمْ﴾ أي: إذا قيل لهم تحاكموا
إلى الرسول ﴿إِذَا فَرِيقٌ مِّنْهُمْ مُّعْرِضُونَ﴾ أي: تولوا مستكبرين ﴿وَإِنْ
يَكُنْ لَهُمُ الْحَقُّ يَأْتُوا إِلَيْهِ مُذْعِنِينَ﴾ أي: إذا كان لهم الحق جاؤوا إلى
الرسول منقادين، قيل: إن هذه الآية نزلت - كما سبق ذكره - في رجل
من المنافقين اسمه بشر كانت بينه وبين رجل من اليهود خصومة في
أرض، فدعاه اليهودي إلى التحاكم عند رسول الله ﷺ وكانت دعوى
المنافق باطلة فأبى التحاكم إلى رسول الله ﷺ وقال: إن محمداً

يحيى علينا فلنتحاكم إلى كعب بن الأشرف^(١) وقيل: إنها نزلت في المغيرة بن وائل كانت بينه وبين علي بن أبي طالب خصومة فامتنع المغيرة أن يحاكم علياً إلى رسول الله ﷺ^(٢).

﴿أَفِي قُلُوبِهِمْ مَرَضٌ﴾ أي: فيها مرض؛ بسبب نفاقهم ﴿أَمْ أَرْتَابُونَ﴾ أم شكوا في رسالة رسول الله ﷺ ﴿أَمْ يَخَافُونَ أَنْ يَحِيفَ اللَّهُ عَلَيْهِمْ وَرَسُولُهُ﴾ أم يخافون أن لا يعدل الله ورسوله فيهم بالحق والعدل ﴿بَلْ أَوْلَتْكَ هُمُ الظَّالِمُونَ﴾ أي: إنهم في كل ذلك قد كفروا وظلموا أنفسهم والله ورسوله بريئون مما يقوله الكافرون.

﴿إِنَّمَا كَانَ قَوْلَ الْمُؤْمِنِينَ إِذَا دُعُوا إِلَى اللَّهِ وَرَسُولِهِ لِيَحْكُمَ بَيْنَهُمْ أَنْ يَقُولُوا سَمِعْنَا وَأَطَعْنَا﴾ لما ذكر الله صفة المنافقين وشكوكهم واستكبارهم عن حكم الله ورسوله، ذكر صفات المؤمنين بأنهم إذا دعوا إلى التحاكم إلى كتاب الله ورسوله قالوا: سمعنا وأطعنا، فكان لهم الفوز والفلاح في الدنيا والآخرة كما قال تعالى ﴿وَأُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ﴾. ﴿وَمَنْ يُطِيعِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ﴾ أي: يطيعهما فيما أمراه به، وينتهي عما نهياه عنه ﴿وَيَخْشَ اللَّهَ وَيَتَّقَهُ﴾ أي: يخافه في كل أموره في السر والعلن ﴿فَأُولَئِكَ هُمُ الْفَائِزُونَ﴾ أي: هم الذين أدخلوا الجنة ونجوا من النار.

(١) أسباب نزول القرآن للواحي ص ٥٢٩.

(٢) الجامع لأحكام القرآن ج ١٢ ص ٢٩٣.

أحكام ومسائل الآيات:

في هذه الآيات: التنديد بالمنافقين؛ لإعراضهم عن التحاكم إلى الله ورسوله بسبب ما أصاب قلوبهم من الشك والنفاق وخوفهم من جور الله ورسوله عليهم (تعالى الله عما يقولون علواً كبيراً). وفيها: وجوب التحاكم إلى الله ورسوله قولاً وعملاً حقاً وصدقاً كما قال عز وجل ﴿وَمَا كَانَ لِمُؤْمِنٍ وَلَا مُؤْمِنَةٍ إِذَا قَضَى اللَّهُ وَرَسُولُهُ أَمْرًا أَنْ يَكُونَ لَهُمُ الْخِيَرَةُ مِنْ أَمْرِهِمْ﴾^(١). وفيها: مدح المؤمنين الذين يستجيبون للتحاكم إلى الله ورسوله إذا دعوا إليه، وهذا يقتضي أن من تحاكم إلى غير كتاب الله وسنة رسوله فهو كافر كما قال عز وجل ﴿وَمَنْ لَمْ يَحْكَمْ بِمَا أَنْزَلَ اللَّهُ فَأُولَئِكَ هُمُ الْكَافِرُونَ﴾^(٢).

﴿وَأَقْسَمُوا بِاللَّهِ جَهْدَ أَيْمَانِهِمْ لَئِنْ أَمَرْتَهُمْ لَيَخْرُجُنَّ قُلْ لَا تُقْسِمُوا طَاعَةٌ مَعْرُوفَةٌ إِنَّ اللَّهَ خَيْرٌ بِمَا تَعْمَلُونَ﴾^(٣) قُلْ أَطِيعُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ فَإِن تَوَلَّوْا فَإِنَّمَا عَلَيْهِ مَا حُمِّلَ وَعَلَيْكُمْ مَا حُمِّلْتُمْ وَإِن تُطِيعُوهُ تَهْتَدُوا وَمَا عَلَى الرَّسُولِ إِلَّا الْبَلَاغُ الْمُبِينُ

بيان الآيتين:

﴿وَأَقْسَمُوا بِاللَّهِ جَهْدَ أَيْمَانِهِمْ﴾ المراد بالمقسمين المنافقون فقد

(١) سورة الأحزاب من الآية ٣٦ .

(٢) سورة المائدة من الآية ٤٤ .

اقسموا بالله غاية جهدهم ﴿لَيْنَ أَمْرَتِهِمْ لِيُخْرِجَنَّ﴾ أي: إن أمرتهم يا محمد إلى الجهاد سيحلفون أنهم يخرجون فأمره الله أن يقول ﴿قُلْ لَا تُقْسِمُوا طَاعَةً مَّعْرُوفَةً﴾ أي: لا تحلفوا فطاعتكم معروفة وهي القول وعدم الفعل كما قال تعالى ﴿أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ نَافَقُوا يَقُولُونَ لِإِخْوَانِهِمُ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ لَئِنْ أُخْرِجْتُمْ لَنَخْرُجَنَّ مَعَكُمْ وَلَا نُطِيعُ فِيكُمْ أَحَدًا أَبَدًا وَإِنْ قُوتِلْتُمْ لَنَنْصُرَنَّكُمْ وَاللَّهُ يَشْهَدُ إِنَّهُمْ لَكَاذِبُونَ﴾ (١). ﴿لَيْنَ أُخْرِجُوا لَا يَخْرُجُونَ مَعَهُمْ وَلَئِنْ قُوتِلُوا لَا يَنْصُرُونَهُمْ وَلَئِنْ نَصَرُوهُمْ لَيُولَيَنَّ الْأَدْبَرُ ثُمَّ لَا يَنْصُرُونَ﴾ (٢). ﴿إِنَّ اللَّهَ خَيْرٌ بِمَا تَعْمَلُونَ﴾ أي: عليم بما تقولونه بألسنتكم وتخفونه في صدوركم.

﴿قُلْ أَطِيعُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ﴾ أي: قل لهم يا محمد أطيعوا الله والرسول فيما أمركم به ﴿فَإِنْ تَوَلَّوْا﴾ أي: إن تعرضوا عن الحق ﴿فَإِنَّمَا عَلَيْهِ مَا حُمِّلَ﴾ أي: ما على الرسول إلا إبلاغ ما أرسل به ﴿وَعَلَيْكُمْ مَا حُمِّلْتُمْ﴾ من وجوب قبول ما جاءكم به من أحكام الله ﴿وَإِنْ تُطِيعُوهُ تَهْتَدُوا﴾ أي: إن تطيعوا الرسول فيما أمركم به ترشدوا ﴿وَمَا عَلَى الرَّسُولِ إِلَّا الْبَلَاغُ الْمُبِينُ﴾ أي: ليس عليه إلا أن يبلغ الرسالة وعلى الله الحساب والجزاء.

(١) سورة الحشر الآية ١١.

(٢) سورة الحشر الآية ١٢.

أحكام ومسائل الآيتين:

في هاتين الآيتين الحكم بكذب المنافقين وعدم تصديقهم فيما يقولون؛ لأنهم يخادعون الله والذين آمنوا وهم أشد خطراً من الكافرين؛ ذلك أن هؤلاء - كما سبق ذكره - معروفون بكفرهم فيتم التعامل معهم مع معرفة أمرهم؛ أما المنافقون فهم يحاولون خداع المؤمنين بما يظهرونه لهم من المحبة والصحبة وهم على خلاف ذلك كما قال عز وجل ﴿اتَّخِذُوا أَيْمَنَهُمْ جُنَّةً﴾^(١). وفيهما الأمر بوجوب طاعة الله وطاعة رسوله، فمن أطاعهما فقد اتبع طريق الهدى، ومن عصاهما فقد ضل ضلالاً مبيناً.

﴿وَعَدَ اللَّهُ الَّذِينَ ءَامَنُوا مِنكُمْ وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ لَيَسْتَخْلِفَنَّهُمْ فِي الْأَرْضِ كَمَا اسْتَخْلَفَ الَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ وَلَيُمَكِّنَنَّ لَهُمْ دِينَهُمُ الَّذِي ارْتَضَىٰ لَهُمْ وَلَيُبَدِّلَنَّهُم مِّن بَعْدِ خَوْفِهِمْ أَمْنًا يَعْبُدُونَنِي لَا يُشْرِكُونَ بِي شَيْئًا وَمَن كَفَرَ بَعْدَ ذَلِكَ فَأُولَٰئِكَ هُمُ الْفَاسِقُونَ﴾^(٥٥).

بيان الآية:

﴿وَعَدَ اللَّهُ الَّذِينَ ءَامَنُوا مِنكُمْ وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ لَيَسْتَخْلِفَنَّهُمْ فِي الْأَرْضِ﴾ قيل: في سبب نزول هذه الآية إن بعض أصحاب رسول الله ﷺ شكوا جهد مكافحة العدو وما كانوا فيه من الفرع وأنهم لا

(١) سورة المجادلة من الآية ١٦ .

يضعون أسلحتهم وقال رجل منهم: يا رسول الله أياتي علينا يوم نأمن فيه ونضع السلاح فقال عليه الصلاة والسلام: (لا تلبثون إلا يسيراً حتى يجلس الرجل منكم في الملأ العظيم محتبياً ليس عليه حديدة)^(١).

قلت: وكما وعد الله ووعدته الحق، فقد أظهر الله دينه فبعد أن كان المسلمون خائفين في مكة أمر الله رسوله بالهجرة وتتابع غزواته عليه الصلاة والسلام مع المؤمنين ففُتِحَتْ بلدان جزيرة العرب، ولما لحق عليه الصلاة والسلام بالرفيق الأعلى تتابعت الفتوحات في عهد الخلفاء الراشدين، ففتحت بلاد الروم وفارس، وواصل المسلمون مسيرتهم حتى أوروبا، وقد تحقق وعد الله ووعد رسوله ﷺ بقوله: (إن الله زوى لي الأرض فرأيت مشارقها ومغاربها وسيبلغ ملك أمتي ما زوي لي منها)^(٢).

ولم تتراجع مسيرة المسلمين في الفتوحات إلا حين اختلفوا وتقاتلوا وأصبحوا شيعاً وأحزاباً ودويلات ضعفت فيها جذوة الدين واشتدت فيها جذوة الدنيا، فصاروا هدفاً لأعدائهم فتوالى عليهم الغزو من التتار والصليبيين حتى هذا الزمان مصداقاً لقول رسول الله ﷺ: (إذا تبايعتم بالعينة وأخذتم أذناب البقر ورضيتم بالزرع وتركتم الجهاد سلط الله عليكم ذلاً لا ينزعه حتى ترجعوا إلى دينكم)^(٣).

(١) أسباب نزول القرآن للواحدي ص ٥٢٩-٥٣٠، وتفسير البغوي ص ٩١٥.

(٢) أخرجه مسلم في كتاب الفتن، باب هلاك هذه الأمة بعضهم ببعض، برقم (٢٨٨٩)، صحيح مسلم بشرح النووي ج ١١ ص ٧١١٦.

(٣) أخرجه أبو داود في كتاب الإجارة، باب في النهي عن العينة، برقم (٣٤٦٢)، سنن أبي داود ج ٢ ص ٢٥٣، والإمام أحمد في مسنده ج ٢ ص ٢٥٣.

قوله ﴿كَمَا اسْتَخْلَفَ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ﴾ أي: كما استخلف من الأمم قبلهم لما كانوا يعبدون الله ﴿وَلِيُمَكِّنَ لَهُمْ دِينَهُمُ الَّذِي ارْتَضَى لَهُمْ﴾ أي: الإسلام كما قال عز وجل ﴿وَرَضِيتُ لَكُمُ الْإِسْلَامَ دِينًا﴾^(١). ﴿وَلِيُعَذِّبَهُمُ مِنَ بَعْدِ خَوْفِهِمْ أَمْنًا﴾ أي: بدل خوفهم فجعله أمنا وسلاما ﴿يَعْبُدُونِي لَا يُشْرِكُونَ بِي شَيْئًا﴾ أي: إنه امتن عليهم بهذه الفضائل، لما عبدوا الله ووجدوه وأخلصوا دينهم له فله الحمد والثناء على ما أنعم به على المؤمنين ﴿وَمَنْ كَفَرَ بَعْدَ ذَلِكَ فَأُولَئِكَ هُمُ الْفَاسِقُونَ﴾ أي: من كفر بعد هذه النعم التي أنعم الله بها عليه فقد خرج عن طاعة الله واستحق عقابه.

أحكام ومسائل الآية:

في هذه الآية تقرير وعد الله للمؤمنين بالاستخلاف في الأرض حيث مكن رسول الله ﷺ وصحابته من فتح البلدان وإشاعة الأمن فيها وظهور الإسلام في الأرض. وفيها: الحكم بأن من عبد الله حق عبادته ورث الأرض كما قال عز وجل ﴿وَلَقَدْ كَتَبْنَا فِي الزَّبُورِ مِنْ بَعْدِ الذِّكْرِ أَنَّ الْأَرْضَ يَرِثُهَا عِبَادِيَ الصَّالِحُونَ﴾^(٢). وفيها: أن الأمم التي ينعم الله عليها ثم تتنكر لهذه النعم بالمعصية يسلبها الله منها مع ما يدخره لها من العذاب.

(١) سورة المائدة من الآية ٣.

(٢) سورة الأنبياء الآية ١٠٥.

﴿وَأَقِيمُوا الصَّلَاةَ وَآتُوا الزَّكَاةَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ﴾ ٥٦ لَا تَحْسَبَنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا مُعْجِزِينَ فِي الْأَرْضِ وَمَا أُولَئِهِمُ النَّارُ وَلَيْسَ الْمَصِيرُ ﴿٥٧﴾

بيان الآيتين:

﴿وَأَقِيمُوا الصَّلَاةَ وَآتُوا الزَّكَاةَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ﴾ هذا أمر من الله للمؤمنين أن يقيموا الصلاة في أوقاتها وبأركانها وشروطها وأن يؤدوا الزكاة كما فرضها عليهم عوناً للمحتاجين وطهارة للأموال، وأن يطيعوا رسولهم فيما أمرهم به ودلهم عليه ﴿لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ﴾ أي: إذا فعلوا ذلك يرحمهم الله فيقبل حسناتهم ويعفو عن سيئاتهم ويمكن لهم في الأرض ﴿لَا تَحْسَبَنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا مُعْجِزِينَ فِي الْأَرْضِ﴾ أي: لا تظن يا محمد أن الذين كذبوك وآذوك يعجزون الله بل هو قادر على عذابهم وتمكينك من رقابهم وقد فعل هذا كما حصل لرؤوس المشركين يوم بدر ﴿وَمَا أُولَئِهِمُ النَّارُ﴾ أي: يوم القيامة ﴿وَلَيْسَ الْمَصِيرُ﴾ أي: ببئس هذا المأوى.

أحكام ومسائل الآيتين:

الحكم بوجوب إقامة الصلاة وإيتاء الزكاة وطاعة رسول الله وذلك ابتغاء رحمته ومرضاته. وفيهما: تقرير قدرة الله على الانتقام من الكافرين الذين كذبوا رسوله وآذوه.

﴿يَتَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا لِيَسْتَعِذْنَكُمُ الَّذِينَ مَلَكَتْ أَيْمَانُكُمْ وَالَّذِينَ لَمْ يَبْلُغُوا الْحُلُمَ مِنْكُمْ ثَلَاثَ مَرَّاتٍ مِّن قَبْلِ صَلَاةِ الْفَجْرِ وَحِينَ تَضَعُونَ ثِيَابَكُمْ مِّنَ الظَّهِيرَةِ وَمِن بَعْدِ صَلَاةِ الْعِشَاءِ ثَلَاثُ عَوْرَاتٍ لَّكُمْ لَيْسَ عَلَيْكُمْ وَلَا عَلَيْهِمْ جُنَاحٌ بَعْدُهَا طَوْفُونَ عَلَيْكُمْ بَعْضُكُمْ عَلَى بَعْضٍ كَذَلِكَ يُبَيِّنُ اللَّهُ لَكُمْ الْآيَاتِ ۗ وَاللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ ﴿٥٨﴾ وَإِذَا بَلَغَ الْأَطْفَالُ مِنْكُمُ الْحُلُمَ فَلْيَسْتَعِذُوا كَمَا اسْتَعِذَ الَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ كَذَلِكَ يُبَيِّنُ اللَّهُ لَكُمْ ءَايَاتِهِ ۗ وَاللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ ﴿٥٩﴾ وَالْقَوَاعِدُ مِنَ النِّسَاءِ الَّتِي لَا يَرْجُونَ نِكَاحًا فَلَيْسَ عَلَيْهِنَّ جُنَاحٌ أَن يَضَعْنَ ثِيَابَهُنَّ غَيْرَ مُتَبَرِّجَاتٍ بِزِينَةٍ وَأَن يَسْتَعْفِفْنَ خَيْرٌ لَّهُنَّ ۗ وَاللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ ﴿٦٠﴾﴾

بيان الآيات:

﴿يَتَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا لِيَسْتَعِذْنَكُمُ الَّذِينَ مَلَكَتْ أَيْمَانُكُمْ وَالَّذِينَ لَمْ يَبْلُغُوا الْحُلُمَ مِنْكُمْ ثَلَاثَ مَرَّاتٍ﴾ لما ذكر الله عز وجل وجوب الاستئذان قبل دخول بيوت الأجانب، بين في هذه الآية دخول الأقارب والخاصة. وقيل في نزول هذه الآية: إن رسول الله ﷺ بعث غلاما إلى عمر رضي الله عنه يدعوه، فوجده نائما وقت الظهيرة، فطرق الباب فاستيقظ عمر فانكشف من جسمه شيء، فقال عمر: وددت أن الله نهى أبناءنا

ونساءنا وخدمنا ألا يدخلوا علينا في هذه الساعة إلا بإذن ثم انطلق إلى رسول الله ﷺ فوجد هذه الآية قد أنزلت فسجد شكرا لله (١).

وقد بينت الآية أن حالات الاستئذان ثلاث مرات الأولى ﴿مِنْ قَبْلِ صَلَاةِ الْفَجْرِ﴾ لأن الإنسان يكون في هذا الوقت نائماً ﴿وَحِينَ تَضَعُونَ ثِيَابَكُمْ مِنَ الظَّهْرِ﴾ وهذا وقت القيلولة، وقد يكون الإنسان قد وضع ثيابه ﴿وَمِنْ بَعْدِ صَلَاةِ الْعِشَاءِ﴾ وهو الوقت الذي يذهب فيه المرء للنوم فهذه الحالات ﴿ثَلَاثُ عَوْرَاتٍ لَكُمْ﴾ يجب فيها على خاصة الإنسان كخدمه وأطفاله الذين لم يبلغوا الحلم أن يستأذنوه وفي هذا تربية للمسلمين على المحافظة على الخصوصية. قوله ﴿لَيْسَ عَلَيْكُمْ وَلَا عَلَيْهِمْ جُنَاحٌ بَعْدَهُنَّ﴾ المراد إذا دخلوا عليكم في غير الحالات الثلاث فلا مانع من دخولهم عليكم دون استئذان لأنهم ﴿طَوَافُونَ عَلَيْكُمْ﴾ أي: يقومون بخدمتكم ﴿بَعْضُكُمْ عَلَى بَعْضٍ﴾ أي: أن بعضكم يدخل على بعض للخدمة ﴿كَذَلِكَ يَبَيِّنُ اللَّهُ لَكُمْ آيَاتِهِ﴾ أي: يفصل لكم الأحكام والقواعد الشرعية ﴿وَاللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ﴾ أي: يعلم بأحوال عباده وأسرارهم وما ينفعهم وما يضرهم حكيم فيما يشرعه لهم.

(١) أسباب نزول القرآن للواحدي ص ٥٣١، وتفسير البغوي ص ٩١٧، وزاد المسير لابن الجوزي ص ١٠٠٥، والجامع لأحكام القرآن ج ١٢ ص ٣٠٤.

﴿وَإِذَا بَلَغَ الْأَطْفَالُ مِنْكُمُ الْحُلُمَ﴾ أي: إذا بلغ الأطفال الحلم وهو البلوغ وجب عليهم الاستئذان ليس في الأحوال الثلاث بل في كل الأحوال ﴿فَلْيَسْتَأْذِنُوا كَمَا اسْتَأْذَنَ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ﴾ أي: الذين عناهم الله بقوله ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا لَا تَدْخُلُوا بُيُوتًا غَيْرَ بُيُوتِكُمْ حَتَّى تَسْتَأْذِنُوا﴾ الآية (١). ﴿كَذَلِكَ يُبَيِّنُ اللَّهُ لَكُمْ ءَايَاتِهِ﴾ أي: يفصل لكم أحكامه ﴿وَاللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ﴾ أي: عليم بما يصلح أحوال خلقه.

﴿وَالْقَوَاعِدُ مِنَ النِّسَاءِ﴾ المراد من انقطع حيضهن ويئسن من المحيض ﴿الَّتِي لَا يَرْجُونَ نِكَاحًا﴾ أي: ليس لهن طمع في التزوج بعد أن وصلن إلى هذه السن ﴿فَلَيْسَ عَلَيْهِنَّ جُنَاحٌ أَنْ يَضَعْنَ ثِيَابَهُنَّ غَيْرَ مُتَبَرِّجَاتٍ بِزِينَةٍ﴾ أي: يتخلين عن الخمار والجلباب ونحوهما ولكن يجب أن يكون ذلك بغير التبرج وإظهار الزينة؛ لما يؤدي إليه ذلك من الفتنة بهن ولو كن من القواعد. ﴿وَأَنْ يَسْتَعْفِفْنَ خَيْرٌ لَهُمْ﴾ لما رفع الله عن القواعد الحرج في مسألة الثياب رغب في استعفاهن أي: عدم وضع ثيابهن وعدم خروجهن كاشفات؛ لأن في ذلك الخير والعفاف لهن، فكلما كانت المرأة - أيًا كان عمرها - بعيدة عن الرجال فهو أزكى لها ﴿وَاللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ﴾ أي: سميع لأقوال

عباده في سرهم وعلنهم عليم بأحوالهم وسائر أمورهم.

أحكام ومسائل الآيات:

تضمنت هذه الآيات عدة أحكام: منها: عدم دخول الأطفال غير المميزين والخدم على أهلهم قبل صلاة الفجر ووقت الظهر وبعد صلاة العشاء لكون هذه الأوقات أوقات عورة. ومنها: أن على الأولاد إذا احتلموا أن يستأذنوا في كل الأحوال. ومنها: الرخصة للقواعد من النساء الآيسات من الحيض في كشف وجوههن دون التبرج بالزينة وأن من الخير لهن الاستعفاف والحفاظ على الستر وعدم كشف وجوههن؛ لأن في ذلك الخير لهن.

﴿لَيْسَ عَلَى الْأَعْمَى حَرَجٌ وَلَا عَلَى الْأَعْرَجِ حَرَجٌ وَلَا عَلَى الْمَرِيضِ حَرَجٌ وَلَا عَلَى أَنْفُسِكُمْ أَنْ تَأْكُلُوا مِنْ بُيُوتِكُمْ أَوْ بُيُوتِ آبَائِكُمْ أَوْ بُيُوتِ أُمَّهَاتِكُمْ أَوْ بُيُوتِ إِخْوَانِكُمْ أَوْ بُيُوتِ أَخَوَاتِكُمْ أَوْ بُيُوتِ أَعْمَامِكُمْ أَوْ بُيُوتِ عَمَّاتِكُمْ أَوْ بُيُوتِ أَخْوَالِكُمْ أَوْ بُيُوتِ خَالَاتِكُمْ أَوْ مَا مَلَكَتُمْ أَيْمَانَكُمْ أَوْ صَدِيقَكُمْ لَيْسَ عَلَيْكُمْ جُنَاحٌ أَنْ تَأْكُلُوا جَمِيعًا أَوْ أَشْتَاتًا فَإِذَا دَخَلْتُمْ بُيُوتًا فَسَلِّمُوا عَلَى أَنْفُسِكُمْ تَحِيَّةً مِّنْ عِنْدِ اللَّهِ مُبَرَكََةً طَيِّبَةً كَذَلِكَ يُبَيِّنُ اللَّهُ لَكُمْ

الآيَاتِ لَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ ﴿٦١﴾

بيان الآية:

﴿لَيْسَ عَلَى الْأَعْمَى حَرَجٌ وَلَا عَلَى الْأَعْرَجِ حَرَجٌ وَلَا عَلَى الْمَرِيضِ حَرَجٌ﴾ في هذه الآية: عموم وخصوص؛ أما العموم فليس على هؤلاء حرج فيما يتخلفون عنه؛ لكونهم لا يستطيعونه كالجهاد، وأما الخصوص فهو عدم الحرج في مؤاكلتهم، لما قيل: إن أناسا رأوا أن الأكل مع هؤلاء فيه حرج لهم؛ لأنهم لا يأكلون كما يأكل الأصحاء وأن الله نهاهم عن أكل أموال الناس بالباطل، كما أن أصحاب هذه العاهات يتخرجون من الأكل مع الأصحاء خشية كرههم للأكل معهم كما كان أهل الجاهلية يترفعون عن الأكل معهم فأنزل الله هذه الآية^(١).

﴿وَلَا عَلَى أَنْفُسِكُمْ أَنْ تَأْكُلُوا مِنْ بُيُوتِكُمْ﴾ المراد أنه لا حرج عليكم أن تأكلوا من بيوت أولادكم وليس المراد أن لا حرج عليكم أن تأكلوا من بيوتكم، فهذا حاصل وليس هو مراد الله، وإنما المراد مال الولد؛ لأنه مال لأبيه كما قال رسول الله ﷺ: (أنت ومالك لأبيك)^(٢).

(١) أسباب نزول القرآن للواحي ص ٥٣١-٥٣٢، وتفسير البغوي ص ٩١٨، وزاد المسير ص ١٠٠٦.

(٢) أخرجه ابن ماجة في كتاب التجارات، باب ما للرجل من مال ولده، برقم (٢٢٩١)، سنن ابن ماجة ج ٢ ص ٧٦٩، الإمام أحمد في المسند ج ٢ ص ٢٠٤.

﴿أَوْ بُيُوتِ آبَائِكُمْ أَوْ بُيُوتِ أُمَّهَاتِكُمْ أَوْ بُيُوتِ إِخْوَانِكُمْ أَوْ بُيُوتِ أَخَوَاتِكُمْ أَوْ بُيُوتِ أَعْمَامِكُمْ أَوْ بُيُوتِ عَمَّاتِكُمْ أَوْ بُيُوتِ أَخْوَالِكُمْ أَوْ بُيُوتِ خَالَاتِكُمْ﴾ * فهوؤلاء معروفون بحكم القرابة قوله ﴿أَوْ مَا مَلَكَتُمْ مَفَاتِحَهُ﴾ * أي: البيوت التي أنتم موكلون عليها، وفي حديث عروة عن عائشة رضي الله عنها قالت: كان المسلمون يذهبون في النفير مع رسول الله ﷺ فيدفعون مفاتيحهم إلى ضمانتهم ويقولون: قد أحللنا لكم أن تأكلوا ما احتجتم إليه فكانوا يقولون إنه لا يحل لنا أن نأكل لأنهم أذنوا لنا عن غير طيب أنفسهم، وإنما نحن أمناء فأنزل الله هذه الآية^(١).

﴿أَوْ صَدِيقِكُمْ﴾ * أي: ولا جناح عليكم أن تأكلوا من بيوت أصدقائكم إذا عرفتم أنهم لا يمانعون ذلك ﴿لَيْسَ عَلَيْكُمْ جُنَاحٌ أَنْ تَأْكُلُوا جَمِيعًا أَوْ أَشْتَاتًا﴾ * كان بعض العرب في الجاهلية يرى أن من العار عليه أن يأكل وحده فرخص الله أن يأكل المرء وحده، أو مع الجماعة، مع أن الأكل مع الجماعة أفضل ﴿فَإِذَا دَخَلْتُمْ بُيُوتًا فَسَلِّمُوا عَلَى أَنْفُسِكُمْ﴾ * أي: إذا دخلتم على أهلكم فسلموا عليهم لأن في ذلك استئناساً ومودة لهم لأن السلام أمان ومحبة يدخل

(١) أسباب نزول القرآن للواحي ص ٥٣٣، والجامع لأحكام القرآن ج ١٢ ص ٣١٢.

السرور على المسلم عليهم، فإن لم يكن في البيت أحد فليقل السلام علينا وعلى عباد الله الصالحين وهم الملائكة ﴿تَحِيَّةٌ مِّنْ عِنْدِ اللَّهِ مُبَرَكَاةٌ طَيِّبَةٌ﴾ أي: هي تحية أمر الله بها فهي مباركة وطيبة للمسلم والمسلم عليهم. ﴿كَذَلِكَ يُبَيِّنُ اللَّهُ لَكُمْ الْآيَاتِ لَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ﴾ لما بين الله عز وجل لعباده ما في هذه السورة من الأحكام والآداب الشرعية التي أرشدهم بها إلى ما فيه صلاحهم وخيرهم في دنياهم وآخرتهم أمرهم أن يتدبروها بأفهامهم وعقولهم، لكي يعرفوا نعم الله العظيمة عليهم.

أحكام ومسائل أخرى:

في هذه الآية عدة أحكام: منها: رفع الحرج عن الأكل مع ذوي العاهات، ويستثنى من ذلك إذا كان الممرض أو العاهة تنتقل إلى الغير عن طريق العدوى كما هو الحال في الأمراض المعدية مما هو معروف للأطباء. ومنها: رفع الحرج عن الأكل من بيوت الأبناء والآباء والأمهات والإخوان والأخوات والأعمام والعلمات والأخوال والخالات والبيوت الموكَّلين عليها وبيوت الأصدقاء، على أن يكون ذلك بعدم ممانعة منهم وإلا لم يجز الأكل من بيوتهم. ومن الأحكام: جواز الأكل فرادى أو جماعة مع فضيلة الأكل الجماعي. ومنها: أنه يشرع السلام عند دخول المرء إلى بيته أو دخوله أي مكان آخر كالمساجد

والأماكن المسكونة وغير المسكونة.

﴿إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ الَّذِينَ ءَامَنُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ وَإِذَا كَانُوا مَعَهُ عَلَى أَمْرٍ جَامِعٍ لَمْ يَذْهَبُوا حَتَّى يَسْتَأْذِنُوهُ إِنَّ الَّذِينَ يَسْتَأْذِنُونَكَ أُولَٰئِكَ الَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ فَإِذَا أَسْتَأْذِنُوكَ لِبَعْضِ شَأْنِهِمْ فَأَذَنَ لِمَن شِئْتَ مِنْهُمْ وَاسْتَغْفِرَ لَهُمُ اللَّهُ إِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿٦٢﴾ لَا تَجْعَلُوا دُعَاءَ الرَّسُولِ بَيْنَكُمْ كَدُعَاءِ بَعْضِكُمْ بَعْضًا قَدْ يَعْلَمُ اللَّهُ الَّذِينَ يَتَسَلَّلُونَ مِنْكُمُ لُوَاذًا فَلْيَحْذَرِ الَّذِينَ يُخَالِفُونَ عَنْ أَمْرِهِ أَن تُصِيبَهُمْ فِتْنَةٌ أَوْ يُصِيبَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴿٦٣﴾ أَلَا إِنَّ لِلَّهِ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ قَدْ يَعْلَمُ مَا أَنْتُمْ عَلَيْهِ وَيَوْمَ يُرْجَعُونَ إِلَيْهِ فَيُنَبِّئُهُمْ بِمَا عَمِلُوا وَاللَّهُ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ ﴿٦٤﴾﴾

بيان الآيات:

﴿إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ الَّذِينَ ءَامَنُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ وَإِذَا كَانُوا مَعَهُ عَلَى أَمْرٍ جَامِعٍ﴾ هذا وصف للمؤمنين في أدبهم مع رسول الله ﷺ أو مع إمامهم، فإذا كانوا معه على أمر جامع كيوم الجمعة أو ما فيه أمر جمع الناس لأجله ﴿لَمْ يَذْهَبُوا حَتَّى يَسْتَأْذِنُوهُ﴾ أي: لم يخرجوا من الاجتماع حتى يستأذنوه. ﴿إِنَّ الَّذِينَ يَسْتَأْذِنُونَكَ أُولَٰئِكَ الَّذِينَ

يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ ﴿١﴾ قيل: إنها نزلت في عمر رضي الله عنه فقد استأذن في الرجعة في غزوة تبوك فأذن له رسول الله ﷺ وقال له: (انطلق والله ما أنت بمنافق) يريد بذلك أن يسمع المنافقين^(١) ﴿فَإِذَا أَسْتَأْذَنُوكَ لِبَعْضِ شَأْنِهِمْ فَأَذَنْ لِمَنْ شِئْتَ مِنْهُمْ﴾ أي: إذا استأذنوك فأنت بالخيار إن شئت أذنت وإن شئت منعت ﴿وَأَسْتَغْفِرْ لَهُمْ اللَّهُ﴾ أي: إذا خرجوا عن الاجتماع ولهم عذر ﴿إِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَحِيمٌ﴾ أي: يغفر لعباده خطيئاتهم ويرحمهم ويتجاوز عنهم.

قوله ﴿لَا تَجْعَلُوا دُعَاءَ الرَّسُولِ بَيْنَكُمْ كَدُعَاءِ بَعْضِكُمْ بَعْضًا﴾ هذا أمر من الله للمؤمنين أن يتأدبوا مع رسول الله ﷺ فلا ينادونه باسمه كقولهم: يا محمد، أو يا ابن عبد الله، أو يا أبا القاسم فإنهم بأقوالهم هذه يبسطون العلاقة معه عليه الصلاة والسلام فكان الواجب عليهم أن ينادوه بصفته النبوية: يا نبي الله، يا رسول الله وأن يكون قولهم في أدب ولين ﴿قَدْ يَعْلَمُ اللَّهُ الَّذِينَ يَتَسَلَّلُونَ مِنْكُمْ لِوَاذًا﴾ أي: يعلم الذين يخرجون من صلاة الجمعة ومن اجتماعات الرسول ﷺ واحدا بعد الآخر، يلوذ كل منهم بصاحبه خفية، وقيل: إنهم كانوا يتسللون من العمل أثناء حفر

الخدق، ويعتذرون بأعذار كاذبة^(١) والمعنى ذم المنافقين في سلوكهم وكذبهم قوله ﴿فَلْيَحْذَرِ الَّذِينَ يُخَالِفُونَ عَنْ أَمْرِهِ﴾ هذا تحذير لمن يخالف رسول الله ﷺ في أمره، وهو سنته وطريقته ومنهاجه. ﴿أَنْ تُصِيبَهُمْ فِتْنَةٌ﴾ أي: يصابوا بالزيغ والنفاق في قلوبهم ﴿أَوْ يُصِيبَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾ في الدنيا، وذلك إما بالقتل، أو الخسف، أو الجوع أو سائر أنواع العذاب.

قوله ﴿أَلَا إِنَّ لِلَّهِ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ﴾ هذا بيان من الله عز وجل أنه مالك السموات والأرض ومن فيهن، فهم خلقه وعبيده أوجدتهم ثم يميتهم ثم يحييهم ﴿قَدْ يَعْلَمُ مَا أَنْتُمْ عَلَيْهِ﴾ أي: يعلم بسرائر خلقه وأحوالهم وما هم عليه من الإيمان أو الكفر ﴿وَيَوْمَ يُرْجَعُونَ إِلَيْهِ فَيُنَبِّئُهُمْ بِمَا عَمِلُوا﴾ أي: حين يرجعون إليه بعد موتهم ثم بعثهم سوف يخبرهم بما صنعوا من حسنات أو سيئات فيجازي كلا منهم بما عمل ﴿وَاللَّهُ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ﴾ أي: عليم بكل ما ظهر وما خفي ﴿لَا يَعْزُبُ عَنْهُ مِثْقَالُ ذَرَّةٍ فِي السَّمَوَاتِ وَلَا فِي الْأَرْضِ وَلَا أَصْغَرُ مِنْ ذَلِكَ وَلَا أَكْبَرُ إِلَّا فِي كِتَابٍ مُبِينٍ﴾^(٢).

(١) الجامع لأحكام القرآن ج ١٢ ص ٣٢١.

(٢) سورة سبأ من الآية ٣.

أحكام ومسائل الآيات:

في هذه الآيات أحكام عدة: منها: وجوب التزام المأمور بالطاعة للأمر ومن ذلك الاستئذان منه في الأمور التي تقتضي الاستئذان مثل عدم الخروج للجهاد أو التخلف عن حضور اجتماع ونحو ذلك. ومنها: وجوب احترام رسول الله ﷺ وتعظيمه، والتأدب معه في حياته وبعد مماته؛ ولهذا مدح الله المتأدبين معه وذم الذين ينادونه من بيوت نساءه فقال عز وجل ﴿إِنَّ الَّذِينَ يَغُضُّونَ أَصْوَاتَهُمْ عِنْدَ رَسُولِ اللَّهِ أُولَٰئِكَ الَّذِينَ امْتَحَنَ اللَّهُ قُلُوبَهُمْ لِلنَّقَاةِ لَهُمْ مَغْفِرَةٌ وَأَجْرٌ عَظِيمٌ﴾^(١). ﴿إِنَّ الَّذِينَ يَنَادُونَكَ مِنْ وَرَاءِ الْحُجُرَاتِ أَكْثَرُهُمْ لَا يَعْقِلُونَ﴾^(٢). وَلَوْ أَنَّهُمْ صَبَرُوا حَتَّى تَخْرُجَ إِلَيْهِمْ لَكَانَ خَيْرًا لَهُمْ وَاللَّهُ غَفُورٌ رَحِيمٌ^(٣). ومن هذه الأحكام: وجوب طاعته وعدم مخالفة أمره، وقد مدح الله من أطاعه بقوله ﴿مَنْ يُطِيعِ الرَّسُولَ فَقَدْ أَطَاعَ اللَّهَ﴾^(٤). وحذر الذين يخالفون أمره أن يصيبهم فتنة أو يصيبهم أنواع من العذاب.

(١) سورة الحجرات الآية ٣.

(٢) سورة الحجرات الآية ٤.

(٣) سورة الحجرات من الآية ٥.

(٤) سورة النساء من الآية ٨٠.

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

سورة الفرقان

مكية وآياتها سبع وسبعون آية

﴿تَبَارَكَ الَّذِي نَزَّلَ الْفُرْقَانَ عَلَى عَبْدِهِ لِيَكُونَ لِلْعَالَمِينَ نَذِيرًا﴾ (١)
 الَّذِي لَهُ مُلْكُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَلَمْ يَتَّخِذْ وَلَدًا وَلَمْ يَكُنْ لَهُ شَرِيكٌ فِي
 الْمُلْكِ وَخَلَقَ كُلَّ شَيْءٍ فَقْدَرَهُ نَقْدِيرًا ﴿٢﴾ وَاتَّخَذُوا مِنْ دُونِهِ آلِهَةً
 لَا يَخْلُقُونَ شَيْئًا وَهُمْ يُخْلَقُونَ وَلَا يَمْلِكُونَ لِأَنْفُسِهِمْ ضَرًّا وَلَا نَفْعًا
 وَلَا يَمْلِكُونَ مَوْتًا وَلَا حَيَاةً وَلَا نُشُورًا ﴿٣﴾

بيان الآيات:

﴿تَبَارَكَ الَّذِي نَزَّلَ الْفُرْقَانَ عَلَى عَبْدِهِ﴾ هذا بيان لعظمة الله وقدرته
 الذي عم ببركته وعظيم خيره وجميل إحسانه كل مخلوقاته ومن ذلك
 نزول القرآن على عبده ورسوله محمد ﷺ حيث جعله أفضل أنبيائه
 وأفضل رسله ﴿لِيَكُونَ لِلْعَالَمِينَ نَذِيرًا﴾ أي: ينذرهم جنهم وإنسهم
 من عذاب الله إن كذبوا وكفروا بما جاء به من آيات الله البينات
 ﴿الَّذِي لَهُ مُلْكُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ﴾ وهذا أيضاً بيان أنه عز وجل
 مالك السموات والأرض ومن فيهن، وأنهم كلهم عبيده، وتحت إمرته
 وتصرفه ﴿وَلَمْ يَتَّخِذْ وَلَدًا وَلَمْ يَكُنْ لَهُ شَرِيكٌ فِي الْمُلْكِ﴾ وهذا أيضاً

بيان بأنه عز ذكره منزّه عن الصاحبة والولد وأنه المتفرد في ملكه ليس له فيه ند أو شريك ﴿وَخَلَقَ كُلَّ شَيْءٍ فَقَدَرَهُ نَقْدِيرًا﴾ أي: أنه الخالق لكل ما في الكون علوه وسفله وما بينه، وأنه قدّر الأقدار وأجلّ الآجال، وكل شيء تحت أمره وتصرفه وحكمته.

قوله ﴿وَاتَّخَذُوا مِنْ دُونِهِ آلِهَةً﴾ ومع عظمة الله وقدرته وتفرده بالخلق وبالربوبية، فإن المشركين جعلوا معه آلهة أي: أصناماً يعبدونها مع أن هذه الأصنام ﴿لَا يَخْلُقُونَ شَيْئًا وَهُمْ يُخْلَقُونَ﴾ أي: لا يستطيعون خلق شيء، بل هم مخلوقون مربوبون ﴿وَلَا يَمْلِكُونَ أَنْفُسَهُمْ ضَرًّا وَلَا نَفْعًا﴾ أي: لا يضرّونهم ولا ينفعونهم بشيء ﴿وَلَا يَمْلِكُونَ مَوْتًا وَلَا حَيَاةً وَلَا نُشُورًا﴾ أي: لا يقدرّون على إماتة أحد أو حياته أو بعثه وإنما هم جمادات لا حول لها ولا طول، وعبادة المشركين لهم إنما يدل على جهلهم وسفهمهم وسوء عاقبتهم.

أحكام ومسائل الآيات:

في هذه الآيات: الحكم بعظمة الله وربوبيته وعظيم بركته على خلقه وامتنانه عليهم بإنزال القرآن على نبيه ورسوله محمد ﷺ ليكون نذيراً للعالمين من عقاب الله إذا كفروا بما جاءهم به من البينات. وفيها: تقرير تنزيه الله وتقديسه عن الولد وعن الشريك والند والمثيل. وفيها: الحكم بسفه المشركين وجهلهم وسوء عاقبتهم

حين يعبدون أصناما مخلوقة لا تنفع ولا تضر.

﴿وَقَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا إِنَّ هَذَا إِلَّا إِفْكُ افْتَرَاهُ وَأَعَانَهُ عَلَيْهِ قَوْمٌ
ءَاخَرُونَ فَقَدْ جَاءُوا ظُلْمًا وَزُورًا ﴿٤﴾ وَقَالُوا أَسَاطِيرُ الْأَوَّلِينَ
أَكْتَتَبَهَا فَهِى تُمَلَّى عَلَيْهِ بُكْرَةً وَأَصِيلًا ﴿٥﴾ قُلْ أَنْزَلَهُ الَّذِى
يَعْلَمُ السِّرَّ فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ إِنَّهُ كَانَ غَفُورًا رَحِيمًا ﴿٦﴾﴾
بيان الآيات:

﴿وَقَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا إِنَّ هَذَا إِلَّا إِفْكُ افْتَرَاهُ﴾ لما ذكر الله سفه
الكافرين وضلالهم في عبادة الأصنام ذكر قولهم أن القرآن الذي
يتكلم عنه محمد ما هو إلا كذب افتراه، وليس من عند الله كما يزعم
﴿وَأَعَانَهُ عَلَيْهِ قَوْمٌ ءَاخَرُونَ﴾ أي: وأعانه على هذا الكذب في
وضع القرآن أناس آخرون معه ثم قال تعالى مبينا كذبهم ﴿فَقَدْ
جَاءُوا ظُلْمًا وَزُورًا﴾ أي: كذبوا وظلموا بما قالوه. ﴿وَقَالُوا أَسَاطِيرُ
الْأَوَّلِينَ أَكْتَتَبَهَا﴾ أي: ما هذا القرآن الذي يدعيه إلا أخبار
الأولين التي استنسخها ﴿فَهِيَ تُمَلَّى عَلَيْهِ بُكْرَةً وَأَصِيلًا﴾ أي:
تقرأ عليه في الغداة والعشي، هذا ما كان يقوله المشرك النضر بن
الحارث وأضرابه من المشركين، فقد كان هذا - كما ذكر من قبل -
يذهب إلى الشام وغيرها، ويتعلم أخبار الأمم السابقة، فإذا قام
رسول الله ﷺ من المجلس جلس في مكانه، وقال: سوف أقص

عليكم أحسن مما قصه فيتلوه عليهم كذبه وزوره، وقد رد الله عليه وعلى جهلة المشركين وسفهاءهم مكذبا لهم ﴿قُلْ أَنْزَلَهُ الَّذِي يَعْلَمُ السِّرَّ فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ﴾ أي: قل لهم يا محمد إن الله هو الذي أنزل القرآن بما فيه من قصص الأمم البائدة وأن هذا القرآن هو الحق الذي أنزل من عند الله جملة وتفصيلا وأنه لا أحد في الوجود يستطيع أن يأتي بمثله إلا الله وحده الذي يعلم أسرار الخلق وعلاانيتهم وما تخفيه نفوسهم.

قوله ﴿إِنَّهُ كَانَ غَفُورًا رَحِيمًا﴾ أي: ومع افتراء المشركين وضلالهم وكذبهم فقد دعاهم الله إلى التوبة مما قالوا ووعدهم بالمغفرة إذا تابوا وأنابوا ووحدوا الله كما قال عز وجل ﴿أَفَلَا يَتُوبُونَ إِلَى اللَّهِ وَيَسْتَغْفِرُونَهُ وَاللَّهُ غَفُورٌ رَحِيمٌ﴾ (١).

أحكام ومسائل شرعية

في هذه الآيات: بيان الله عن ضلال المشركين وتكذيبهم لرسوله ﷺ واتهامهم له بوضع القرآن. وفيها: الحكم أن الله هو الذي أنزل القرآن لقوله عز وجل ﴿هُوَ الَّذِي أَنْزَلَ عَلَيْكَ الْكِتَابَ مِنْهُ آيَاتٌ مُحْكَمَاتٌ﴾ (٢). وقوله جل ثناؤه ﴿الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي أَنْزَلَ عَلَى عَبْدِهِ

(١) سورة المائدة الآية ٧٤.

(٢) سورة آل عمران من الآية ٧.

الْكِتَابَ وَلَمْ يَجْعَلْ لَهُ عِوَجًا ﴿١﴾. ﴿قِيَمًا﴾ ﴿٢﴾.

﴿وَقَالُوا مَالِ هَذَا الرَّسُولِ يَأْكُلُ الطَّعَامَ وَيَمْشِي فِي الْأَسْوَاقِ﴾
 ﴿لَوْلَا أَنْزَلَ إِلَيْهِ مَلَكٌ فَيَكُونُ مَعَهُ نَذِيرًا﴾ ﴿٧﴾ أَوْ يُلْقَىٰ إِلَيْهِ
 كَنْزٌ أَوْ تَكُونُ لَهُ جَنَّةٌ يَأْكُلُ مِنْهَا وَقَالَ الظَّالِمُونَ
 إِنْ تَتَّبِعُونَ إِلَّا رَجُلًا مَّسْحُورًا ﴿٨﴾ أَنْظِرْ كَيْفَ ضَرَبُوا لَكَ
 الْأَمْثَلَ فَضَلُّوا فَلَا يَسْتَطِيعُونَ سَبِيلًا﴾ ﴿٩﴾.

بَيَانُ الْآيَاتِ:

﴿وَقَالُوا مَالِ هَذَا الرَّسُولِ يَأْكُلُ الطَّعَامَ﴾ وفي سياق كفرهم
 وسفهم وجهلهم قالوا: هذا الرسول يأكل الطعام مثلنا ﴿وَيَمْشِي
 فِي الْأَسْوَاقِ﴾ أي: يمشي مع الناس ويتعامل معهم ﴿لَوْلَا أَنْزَلَ
 إِلَيْهِ مَلَكٌ فَيَكُونُ مَعَهُ نَذِيرًا﴾ أي: هلا أنزل معه ملك من
 عند الله يؤيد قوله ويصدقه فيما يدعيه ﴿أَوْ يُلْقَىٰ إِلَيْهِ كَنْزٌ﴾
 أي: يكون معه كنز ينفق منه فنعرف أن الله أرسله ﴿أَوْ تَكُونُ
 لَهُ جَنَّةٌ يَأْكُلُ مِنْهَا﴾ أي: يكون معه بستان دائم يأكل منه
 ويطعم غيره منه ﴿وَقَالَ الظَّالِمُونَ إِنْ تَتَّبِعُونَ إِلَّا رَجُلًا
 مَّسْحُورًا﴾ وتماديا في غيهم وضلالهم قالوا لأتباع الرسول ﷺ: إن

(١) سورة الكهف الآية ١

(٢) سورة الكهف من الآية ٢

هذا الذي تتبعونه مجرد رجل مصاب بالسحر وتعاطيه، فخاطب الله نبيه ورسوله محمداً ﷺ بقوله ﴿أَنْظِرْ كَيْفَ ضَرَبُوا لَكَ الْأَمْثَلَ﴾ أي: تدبر فيما قالوه عنك من الكذب والبهتان ﴿فَضَلُّوا فَلَا يَسْتَطِيعُونَ سَبِيلًا﴾ أي: إنهم بأقوالهم تلك قد ضلوا عن طريق الرشاد، فلا يهتدون إلى سبيل الحق.

أحكام ومسائل الآيات:

تقرير ضلال المشركين في طلبهم أن يكون مع رسول الله ملك يصدقه، أو يكون معه بساتين يأكل منها، ومحاولتهم صد المؤمنين عن سبيل الله، واتهامهم للرسول بالسحر، تارة وبالجنون تارة أخرى.

﴿تَبَارَكَ الَّذِي إِنْ شَاءَ جَعَلَ لَكَ خَيْرًا مِنْ ذَلِكَ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ وَيَجْعَلُ لَكَ قُصُورًا ۖ بَلْ كَذَّبُوا بِالسَّاعَةِ وَأَعْتَدْنَا لِمَنْ كَذَّبَ بِالسَّاعَةِ سَعِيرًا ۚ إِذَا رَأَتْهُمْ مِنْ مَكَانٍ بَعِيدٍ سَمِعُوا لَهَا تَغِيْظًا وَزَفِيرًا ۚ وَإِذَا أَلْقَا مِنْهَا مَكَانًا ضَيِّقًا مُقَرَّنِينَ دَعَوْا هُنَالِكَ ثُبُورًا ۚ لَا تَدْعُوا الْيَوْمَ ثُبُورًا وَاحِدًا وَادْعُوا ثُبُورًا كَثِيرًا ۖ﴾

بسم الله الرحمن الرحيم

﴿تَبَارَكَ الَّذِي إِنْ شَاءَ جَعَلَ لَكَ خَيْرًا مِنْ ذَلِكَ﴾ أي: تقدر

الذي جعل لك خيرا مما قالوه وهو ﴿جَنَّتِ بَحْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ وَيَجْعَلُ لَكَ قُصُورًا﴾ أي: يجعل لك -إن شاء- جنات وقصورا في الدنيا أعظم وأحسن مما قالوه، ولكنه أعطاك ما هو أجل وأعظم من ذلك وهو النبوة، ثم بعد ذلك جنات الآخرة التي لا تحول ولا تزول ﴿بَلْ كَذَّبُوا بِالسَّاعَةِ﴾ أي: إن ما قالوه لك لم يكن طلبا للحق وابتغاء له، بل لأنهم ينكرون البعث والحساب ويزعمون أن الدنيا هي نهايتهم ﴿وَأَعْتَدْنَا لِمَنْ كَذَّبَ بِالسَّاعَةِ سَعِيرًا﴾ أي: جعلنا لمن كذب بالساعة نارا شديدة الحرارة.

﴿إِذَا رَأَتْهُمْ مِنْ مَّكَانٍ بَعِيدٍ﴾ أي: إذا رأتهم جهنم من مكان بعيد وقبل أن يصلوا إليها ﴿سَمِعُوا لَهَا تَغِيْظًا﴾ أي: صوتا شديدا من شدة تغيظها وحنقها عليهم كما قال عز وجل ﴿تَكَادُ تَمَيِّزُ مِنَ الْغَيْظِ كُلَّمَا أَلْقَى فِيهَا فَوْجٌ سَأَلَهُمْ خَزَنَتُهَا أَلَمْ يَأْتِكُمْ نَذِيرٌ﴾ (١). ﴿وَزَفِيرًا﴾ أي: ويسمعون زفيرها فتكاد أفئدتهم تتقطع من هول ما يرونه ويسمعونه ﴿وَإِذَا أُلْقُوا مِنْهَا مَكَانًا ضَبِيحًا مُّقْرَنَيْنِ﴾ أي: إذا ألقوا فيها وهم مصفدون بالأغلال والسلاسل ﴿دَعَوْا هُنَالِكَ ثُبُورًا﴾ أي: تحسروا في أنفسهم ودعوا عليها بالثبور والخزي فيقال لهم ﴿لَا نَدْعُوا الْيَوْمَ ثُبُورًا وَاحِدًا﴾ أي: لا تدعوا على أنفسكم مرة واحدة ﴿وَادْعُوا

تُبْورًا كَثِيرًا ﴿١٠﴾ أي: ادعوا على أنفسكم مرات كثيرة، فكل هذا لا يغنيكم ولا ينفعكم شيئاً.

أحكام ومسائل الآيات:

في هذه الآيات: الحكم بأن المشركين لما طلبوا من رسول الله ﷺ أن يكون معه ملك؛ لكي يصدقوه لم يكن مرادهم من هذا طلب الحق، بل كانوا أصلاً مكذبين بالبعث والحساب والجزاء كما قالوا ﴿مَا هِيَ إِلَّا حَيَاتُنَا الدُّنْيَا نَمُوتُ وَنَحْيَا وَمَا يُهْلِكُنَا إِلَّا الدَّهْرُ﴾^(١). وفيها: بيان الحال التي يكون عليها المشركون يوم القيامة ودعائهم على أنفسهم بالثبور والخزي بعد ما يشاهدون جهنم وما فيها من الأهوال.

﴿قُلْ أَذَلِكَ خَيْرٌ أَمْ جَنَّةُ الْخُلْدِ الَّتِي وُعدَ الْمُتَّقُونَ كَانَتْ لَهُمْ جَزَاءً وَمَصِيرًا ﴿١١﴾ لَهُمْ فِيهَا مَا يَشَاءُونَ خَالِدِينَ كَانَتْ عَلَى رَبِّكَ وَعْدًا مَسْئُولاً﴾

﴿قُلْ أَذَلِكَ خَيْرٌ﴾ أي: قل لهم يا محمد أهذا الذي ذكرت لكم عن تغيط النار وزفيرها وحشر الكافرين فيها في مكان ضيق وهم مقرنون في السلاسل هل هو خير؟ ﴿أَمْ جَنَّةُ الْخُلْدِ الَّتِي

(١) سورة الجاثية من الآية ٢٤.

وَعِدَ الْمُتَّقُونَ ﴿١٨﴾ يوم القيامة يتنعمون فيها ﴿١٩﴾ كَانَتْ لَهُمْ جَزَاءُ
وَمَصِيرًا ﴿٢٠﴾ أي: جزاء لهم على توحيدهم وطاعتهم لربهم ﴿٢١﴾ لَهُمْ
فِيهَا مَا يَشَاءُونَ ﴿٢٢﴾ أي: لهم ما يشتهون فيها من سائر الملذات
﴿٢٣﴾ خَالِدِينَ ﴿٢٤﴾ أي: مقيمين فيها أبد الآبدين، لا يتحولون عنها ولا
يزولون ﴿٢٥﴾ كَانَتْ عَلَى رَبِّكَ وَعْدًا مَسْئُولًا ﴿٢٦﴾ أي: هذا عهد واجب قطعه
الله على نفسه لا يتغير ولا يتبدل.

أحكام ومسائل الآيتين:

في هاتين الآيتين: تقرير العهد الذي أخذه الله على نفسه بما أعده
من النعيم للمتقين يوم القيامة، جزاء توحيدهم وطاعتهم له وأن ذلك
خير من الذي أعده للكافرين من النار التي تنغيظ عليهم ويسمعون
من بعيد غيظها وزفيرها.

﴿٢٧﴾ وَيَوْمَ يَحْشُرُهُمْ وَمَا يَعْبُدُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ فَيَقُولُ ءَأَنْتُمْ
أَضَلَلْتُمْ عِبَادِي هَؤُلَاءِ أَمْ هُمْ ضَلُّوا السَّبِيلَ ﴿٢٨﴾ قَالُوا سُبْحَنَكَ
مَا كَانَ يَنْبَغِي لَنَا أَنْ نَتَّخِذَ مِنْ دُونِكَ مِنْ أَوْلِيَاءَ وَلَكِنْ مَتَّعْتَهُمْ
وَبَاءَاءَ هُمْ حَتَّى نَسُوا الذِّكْرَ وَكَانُوا قَوْمًا بُورًا ﴿٢٩﴾ فَقَدْ كَذَّبُوكُمْ
بِمَا تَقُولُونَ فَمَا تَسْتَطِيعُونَ صَرْفًا وَلَا نَصْرًا وَمَنْ يظْلِم
مِنْكُمْ نَذِقْهُ عَذَابًا كَبِيرًا ﴿٣٠﴾

بيان الآيات:

﴿وَيَوْمَ يَحْشُرُهُمْ وَمَا يَعْبُدُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ﴾ المراد أن الله عزوجل حينما يحشر المعبودين والعابدين يوم القيامة يسأل المعبودين ﴿فَيَقُولُ ءَأَنْتُمْ أَضَلَلْتُمْ عِبَادِي هَؤُلَاءِ﴾ أي: هل دعوتموهم إلى عبادتكم من دوني؟ ﴿أَمْ هُمْ ضَلُّوا السَّبِيلَ﴾ أم هم الذين عبدوكم من تلقاء أنفسهم فيجيب المعبودون ﴿قَالُوا سُبْحَنَكَ مَا كَانَ يُنْبَغِي لَنَا أَنْ نَتَّخِذَ مِنْ دُونِكَ مِنْ أَوْلِيَاءَ﴾ أي: ننزهك ونقدسك ما كان لأحد منا ولا لأحد من خلقك أن يعبد أحداً سواك؛ فأنت المعبود الواحد الأحد، لا رب لنا ولا إله لنا إلا أنت وشاهده قوله عز وجل ﴿وَإِذْ قَالَ اللَّهُ يَعْيسَى ابْنُ مَرْيَمَ ءَأَنْتَ قُلْتَ لِلنَّاسِ اتَّخِذُونِي وَأُمِّيَ إِلَهَيْنِ مِنْ دُونِ اللَّهِ قَالَ سُبْحَنَكَ مَا يَكُونُ لِي أَنْ أَقُولَ مَا لَيْسَ لِي بِحَقٍّ إِنْ كُنْتُ قُلْتُهُ فَقَدْ عَلِمْتَهُ تَعَلَّمَ مَا فِي نَفْسِي وَلَا أَعْلَمُ مَا فِي نَفْسِكَ إِنَّكَ أَنْتَ عَلَّامُ الْغُيُوبِ﴾ (١). ﴿مَا قُلْتُ لَهُمْ إِلَّا مَا أَمَرْتَنِي بِهِ أَنْ أَعْبُدُوا اللَّهَ رَبِّي وَرَبَّكُمْ﴾ الآية (٢).

﴿وَلَكِنْ مَتَّعْتَهُمْ وَعَآبَاءَهُمْ حَتَّىٰ نَسُوا الذِّكْرَ﴾ هذا جواب آخر من المعبودين عن سؤال الله عز وجل لهم والمعنى أن هؤلاء المشركين قد كثر عليهم الرزق وطال عليهم الأمد فتركوا ما جاءت به رسلهم من البينات وكانوا قوماً بوراً أي: هالكين بسبب عبادتهم غير الله

(١) سورة المائدة الآية ١١٦ .

(٢) سورة المائدة الآية ١١٧ .

﴿فَقَدْ كَذَّبْتُمْ بِمَا تَقُولُونَ﴾ وهنا يقول الله عز وجل لهؤلاء المشركين، لقد كذبكم الذين عبدتموهم وظننتم أنهم سوف ينفعونكم ويدروون العذاب عنكم ﴿فَمَا تَسْتَطِيعُونَ صَرْفًا وَلَا نَصْرًا﴾ أي: لا يقدرّون اليوم على صرف العذاب عنكم ولا نصركم ﴿وَمَنْ يَظْلِمِ مِنْكُمْ نَذِقْهُ عَذَابًا كَبِيرًا﴾ أي: من يشرك منكم فسوف يلاقي العذاب الأليم.

أحكام ومسائل الآيات:

في هذه الآيات: تقرير أن الله عز وجل يسأل المعبودين يوم القيامة عما إذا كانوا هم الذين أضلوا الذين عبدوهم أم أن عبادتهم لهم كانت من تلقاء أنفسهم، وعندئذ يتبرأ المعبودون من الملائكة والرسل من عبادة من عبدوهم. وفيها: التحذير من نسيان أمر الله؛ بسبب ما يرزق المرء من طول العمر وسعة الرزق؛ ذلك أنه لا خير في طول العمر مع سوء العمل ولهذا قال رسول الله ﷺ: (خيركم من طال عمره وحسن عمله)^(١).

﴿وَمَا أَرْسَلْنَا قَبْلَكَ مِنَ الْمُرْسَلِينَ إِلَّا إِنَّهُمْ لَيَأْكُلُونَ
الطَّعَامَ وَيَمْشُونَ فِي الْأَسْوَاقِ وَجَعَلْنَا بَعْضَكُمْ لِبَعْضٍ فِتْنَةً
أَتَصْبِرُونَ وَكَانَ رَبُّكَ بَصِيرًا﴾.

(١) أخرجه الترمذي في كتاب الزهد، باب ما جاء في طول العمر للمؤمن، برقم (٢٣٣٠)، سنن الترمذي ج ٤ ص ٤٨٩، والدارمي في كتاب الرقائق، باب أي المؤمنين خير، برقم (٢٧٤٢)، سنن الدارمي ج ٢ ص ٣٩٨، والإمام أحمد في المسند ج ٤ ص ١٨٨.

بيان الآية:

﴿وَمَا أَرْسَلْنَا قَبْلَكَ مِنَ الْمُرْسَلِينَ﴾ هذا جواب للمشركين حين قالوا ﴿مَا لِي هَذَا الرَّسُولِ يَأْكُلُ الطَّعَامَ وَيَمْشِي فِي الْأَسْوَاقِ﴾^(١). ﴿لَا إِنَّهُمْ لَيَأْكُلُونَ الطَّعَامَ﴾ أي: ما أحد أرسل من المرسلين إلا وهو يأكل الطعام مثل البشر الآخرين ﴿وَيَمْشُونَ فِي الْأَسْوَاقِ﴾ أي: يعملون ويتجرون ويأكلون من كسب أيديهم ﴿وَجَعَلْنَا بَعْضَكُمْ لِبَعْضٍ فِتْنَةً﴾ أي: ابتلينا بعضكم ببعض أي: يبتلى الغني بالفقير، والكافر بالمؤمن، والصحيح بالمريض، والدنيا كلها دار ابتلاء وفتن ﴿أَتَصْبِرُونَ﴾ أي: هل تصبرون ؟ فإن فعلتم فقد استحققتم الثواب وإن لم تصبروا لم تكن لكم العاقبة الحسنى ﴿وَكَانَ رَبُّكَ بَصِيرًا﴾ أي: علماً بأحوال عباده خبيراً بهم.

أحكام ومسائل الآية:

في هذه الآية: تسليية لرسول الله ﷺ حين عيَّره المشركون بالفقر. وفيها: جواب للمشركين أن الأنبياء والرسل قبل محمد ﷺ كانوا يعملون في التجارة وغيرها، فقد عمل داود في الحدادة كما قال عز وجل ﴿وَعَلَّمْنَاهُ صَنْعَةَ لَبُوسٍ لَكُمْ لِنُخْصِنَكُمْ مِنْ بَأْسِكُمْ﴾^(٢). وعمل نبي الله إدريس في الخياطة، وما من نبي إلا وقد رعى الغنم كما قال رسول

(١) سورة الفرقان من الآية ٧.

(٢) سورة الأنبياء من الآية ٨٠.

الله ﷻ - فيما سبق ذكره:- (كنت أرهاها على قراريط لأهل مكة)^(١). وفيها: التوكيد على أن الرزق يدرك بفعل الأسباب كما قال رسول الله ﷺ: (التمسوا الرزق في خبايا الأرض)^(٢). أي: ابحثوا عن الرزق في الأرض بالحرث والحفر والغرس. وفيها: الحكم بأن هذه الدار دار ابتلاء وفتن وأن الناس يفتن بعضهم ببعض، فالفقير يفتن بالغني، والمريض يفتن بالصحيح، وقد فتن المسلمون الفقراء الأوائل، فكان المشركون أمثال أبي جهل والعاص بن وائل السهمي يتقلبون في النعيم، وكان أبو ذر وعبد الله بن مسعود وعمار وبلال وصهيب وإخوانهم يعانون من الفقر والشدة فصبروا على ما كانوا يقاسونه فجزاهم الله على صبرهم كما قال عز وجل ﴿إِنِّي جَزَيْتُهُمُ الْيَوْمَ بِمَا صَبَرُوا أَنَّهُمْ هُمُ الْفَائِزُونَ﴾^(٣).

﴿وَقَالَ الَّذِينَ لَا يَرْجُونَ لِقَاءَنَا لَوْلَا أُنْزِلَ عَلَيْنَا الْمَلَيِكَةُ أَوْ نَرَىٰ رَبَّنَا لَقَدْ اسْتَكْبَرُوا فِي أَنْفُسِهِمْ وَعَتَوْا عُتُوًّا كَبِيرًا﴾^(٤١) يَوْمَ يَرَوْنَ الْمَلَيِكَةَ لَا بُشْرَىٰ يَوْمَئِذٍ لِلْمُجْرِمِينَ وَيَقُولُونَ حِجْرًا مَّحْجُورًا^(٤٢) وَقَدْ مَنَّآ إِلَىٰ مَا عَمِلُوا مِنْ عَمَلٍ فَجَعَلْنَاهُ هَبَاءً مَنْثُورًا^(٤٣) أَصْحَابُ الْجَنَّةِ يَوْمَئِذٍ خَيْرٌ مُّسْتَقَرًّا وَأَحْسَنُ مَقِيلًا^(٤٤)﴾.

(١) أخرجه البخاري في كتاب الإجارة، باب رعي الغنم على قراريط، برقم (٢٢٦٢)، صحيح البخاري مع فتح الباري ج ٤ ص ٥١٦.

(٢) أخرجه الطبراني في المعجم الأوسط ج ١ ص ٤٩١، برقم (٨٩٩)، والمتقي الهندي في كنز العمال، برقم (٩٣٠٣)، ج ٤ ص ٢١.

(٣) سورة المؤمنون الآية ١١١.

بيان الآيات:

﴿وَقَالَ الَّذِينَ لَا يَرْجُونَ لِقَاءَنَا﴾ أي: قال المكذبون بالبعث ﴿لَوْلَا
 أَنْزَلَ عَلَيْنَا الْمَلٰٓئِكَةُ﴾ أي: هلا أنزل علينا الملائكة فيقولون إن محمدا
 صادق فيما يقول ﴿أَوْ نَرَىٰ رَبَّنَا﴾ جهارا فيخبرنا أنه أرسل إلينا
 محمدا رسولا ﴿لَقَدْ اسْتَكْبَرُوا فِي أَنْفُسِهِمْ﴾ أي: أنهم بهذا القول
 قد تكبروا عن دعوة الحق ﴿وَعَتَوْا عُتُوًّا كَبِيرًا﴾ أي: طغوا بقولهم
 هذا طغيانا كبيرا ﴿يَوْمَ يَرَوْنَ الْمَلٰٓئِكَةَ لَا بُشْرَىٰ يَوْمَئِذٍ لِلْمُجْرِمِينَ﴾
 أي: أنهم سوف يرون الملائكة في يوم لا يسرهم، وذلك حين يأتون
 إليهم لانتزاع أرواحهم فيبشرونهم بالعذاب المعد لهم ﴿وَيَقُولُونَ
 حَبْرًا مَّحْجُورًا﴾ أي: تقول لهم الملائكة حراما محرما عليكم أن
 تدخلوا الجنة، ويقولون لكل واحد منهم عند خروج روحه: أخرجني
 أيتها النفس الخبيثة في الجسد الخبيث ثم يضربونهم على وجوههم
 كما قال عز وجل ﴿وَلَوْ تَرَىٰ إِذْ يَتَوَفَّى الَّذِينَ كَفَرُوا الْمَلٰٓئِكَةُ
 يَضْرِبُونَ وُجُوهَهُمْ وَأَدْبَرَهُمْ وَذُوقُوا عَذَابَ الْحَرِيقِ﴾ (١). ﴿ذٰلِكَ
 بِمَا قَدَّمْتُمْ أَيْدِيَكُمْ وَأَنْتَ اللَّهُ لَيْسَ بِظَلْمٍ لِلْعَبِيدِ﴾ (٢).

﴿وَقَدْ مَنَّآ إِلَىٰ مَا عَمِلُوا مِنْ عَمَلٍ﴾ هذا يوم القيامة يقول الله عز وجل

(١) سورة الأنفال الآية ٥٠.

(٢) سورة الأنفال الآية ٥١.

وعمدنا إلى أعمالهم السيئة التي ظنوا أنها تنفعهم ﴿فَجَعَلْنَاهُ هَبَاءً
مَّنثُورًا﴾ أي: عملاً باطلاً مثل شعاع الشمس في ضعفه لا ينفعهم بشيء
وهذا مثل قوله عز وجل ﴿مَثَلُ الَّذِينَ كَفَرُوا بِرَبِّهِمْ أَعْمَالُهُمْ
كَرَمَادٍ اشْتَدَّتْ بِهِ الرِّيحُ فِي يَوْمٍ عَاصِفٍ﴾^(١). قوله ﴿أَصْحَابُ الْجَنَّةِ
يَوْمَئِذٍ﴾ في ذلك اليوم العاصف بأهواله وشدائده وما فيه من جزاء
الكافرين على سوء أعمالهم يذهب المؤمنون إلى الجنة؛ ليجدوا فيها
مستقرهم الأبدي كما قال عز وجل ﴿خَيْرٌ مُّسْتَقَرًّا وَأَحْسَنُ مَقِيلًا﴾
قيل: إن الله يفرغ من الحساب وسط النهار فيذهب أهل النار إلى
النار، وأهل الجنة إلى الجنة فيقبلون فيها آمنين مطمئنين كما قال
عز وجل ﴿وَالْمَلَائِكَةُ يَدْخُلُونَ عَلَيْهِمْ مِنْ كُلِّ بَابٍ﴾^(٢). ﴿سَلَامٌ عَلَيْكُمْ
بِمَا صَبَرْتُمْ فَنِعَمَ عُقْبَى الدَّارِ﴾^(٣).

أحكام ومسائل الآيات:

في هذه الآيات: ذم الله مشركي مكة؛ لإنكارهم البعث وطلبهم إنزال
الملائكة أو رؤيا الله، وفي هذا دلالة على عتوهم وطغيانهم واستكبارهم
عن قبول دعوة رسول الله محمد ﷺ لهم. وفيها: تأكيد أن الملائكة
حين يأتون لقبض الأرواح يبشرون المؤمنين بما أعد الله لهم من

(١) سورة إبراهيم من الآية ١٨ .

(٢) سورة الرعد من الآية ٢٣ .

(٣) سورة الرعد الآية ٢٤ .

النعيم ويبشرون الكافرين بما أعد لهم من العذاب المقيم. وفيها: أن أعمال الكافرين تتحول يوم القيامة إلى هباء كهباء شعاع الشمس، لا ينتفعون منها بشيء؛ بسبب بطلانها وأن أصحاب الجنة يذهبون يوم القيامة إلى الجنة التي أعدها الله لهم لتكون مستقرا ومقيلا لهم بعد انتهاء الحساب.

﴿وَيَوْمَ تَشْقُقُ السَّمَاءُ بِالْغَمِّمِ وَنَزَلَ الْمَلَائِكَةُ نَزِيرًا ۖ﴾ (٢٥) الْمَلِكُ
يَوْمَئِذٍ الْحَقُّ لِلرَّحْمَنِ وَكَانَ يَوْمًا عَلَى الْكَافِرِينَ عَسِيرًا ﴿٢٦﴾ وَيَوْمَ يَعِضُّ
الظَّالِمُ عَلَى يَدَيْهِ يَقُولُ يَلَيْتَنِي اتَّخَذْتُ مَعَ الرَّسُولِ سَبِيلًا ﴿٢٧﴾ يَوَدُّ لَنِي
لَيْتَنِي لَمْ أَتَّخِذْ فَلَانًا خَلِيلًا ﴿٢٨﴾ لَقَدْ أَضَلَّنِي عَنِ الذِّكْرِ بَعْدَ إِذْ جَاءَنِي
وَكَانَ الشَّيْطَانُ لِلْإِنْسَانِ خَذُولًا ﴿٢٩﴾

بيان الآيات:

﴿وَيَوْمَ تَشْقُقُ السَّمَاءُ بِالْغَمِّمِ﴾ هذا بيان من الله عز وجل عن أهوال يوم القيامة وشدته فينزل الله في ظلل من الغمام كما قال عز وجل ﴿هَلْ يَنْظُرُونَ إِلَّا أَنْ يَأْتِيَهُمُ اللَّهُ فِي ظُلَلٍ مِّنَ الْغَمَامِ وَالْمَلَائِكَةُ﴾ (١). وعندئذ تنشق السماء وتنفطر ﴿وَنَزَلَ الْمَلَائِكَةُ نَزِيرًا﴾ أي: تنزل الملائكة حينئذ من السموات يحيطون بالخلق

من كل جانب حتى يقضي الله بينهم ﴿الْمَلِكُ يَوْمَئِذٍ الْحَقُّ لِلرَّحْمَنِ﴾ وفي ذلك المشهد العظيم يبقى الملك لله وحده هو المتعالي في ملكوته فينادي ﴿لِمَنِ الْمُلْكُ الْيَوْمَ﴾^(١). فيجيب عز وجل ﴿لِلَّهِ الْوَحْدِ الْقَهَّارِ﴾^(٢). ﴿وَكَانَ يَوْمًا عَلَى الْكَافِرِينَ عَسِيرًا﴾ أي: يكون ذلك اليوم يوم شدة وقسوة على الكافرين؛ لأنهم يجدون أنهم قد ضيعوا أنفسهم في الدنيا حين استهانوا بأوامر الله واستكبروا عن اتباع ما جاء به رسوله كما قال عز وجل ﴿فَذَلِكَ يَوْمَئِذٍ يَوْمٌ عَسِيرٌ﴾^(٣). ﴿عَلَى الْكَافِرِينَ غَيْرُ يَسِيرٍ﴾^(٤). قوله ﴿وَيَوْمَ يَعِضُ الظَّالِمُ عَلَى يَدَيْهِ﴾ الظالم هنا عقبة بن أبي معيط، كان أسيرا يوم بدر، فأمر النبي ﷺ بقتله فقال: أأقتل دونهم فقال عليه الصلاة والسلام: (نعم بكفرك وعتوك)^(٥). وهذه الآية وإن كانت خاصة به فهي عامة

(١) سورة غافر من الآية ١٦ .

(٢) سورة غافر من الآية ١٦ .

(٣) سورة المدثر الآية ٩ .

(٤) سورة المدثر الآية ١٠ .

(٥) كان عقبة هذا صديقا لأمية بن خلف الجمحي وكان قد صنع وليمة فدعا إليها قريشا ودعا رسول الله ﷺ فأبى أن يأتيه إلا أن يسلم وكره عقبة أن يتأخر أحد من أشراف قريش عن طعامه فأسلم ونطق بالشهادتين فأثاه رسول الله ﷺ وأكل من طعامه فعابه صديقه أمية بن خلف وقال عقبة رأيت عظيما ألا يحضر طعامي رجل من أشراف قريش فقال له أمية لا أَرْضَى حَتَّى تَرْجِعَ وَتَبْصُقَ فِي وَجْهِهِ وَتَطَأَ عُنُقَهُ وَتَقُولَ كَيْتَ وَكَيْتَ ففعل ما أمره به صديقه فأَنْزَلَ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ ﴿وَيَوْمَ يَعِضُ الظَّالِمُ عَلَى يَدَيْهِ﴾ ولما بصق رجع بصاقه إلى وجهه وشوى شفثيه ووجهه ولم يزل ذلك الأثر فيه حتى قتل كما قتل صديقه أمية بن خلف فكان هذا من دلائل نبوة رسول الله ﷺ لأنه أخبر عنهما بهذا فقتلا على الكفر. الجامع لأحكام القرآن ج ١٣

في كل ظالم سوف يعرض على يديه يوم القيامة ندماً وحسرة على كفره وطغيانه.

﴿يَقُولُ يَلَيْتَنِي أَخَذْتُ مَعَ الرَّسُولِ سَبِيلًا﴾ أي: ليتني اتبعت طريق الرسول وسبيله، فلو فعلت لما حصل لي ما حصل من العذاب ﴿يَوَيْلَ لَيَّتَنِي لَمْ أَخِذْ فُلَانًا خَلِيلًا﴾ هذا تحسر وندم وحزن والمعنى يتحسر ويعرض يديه من الندم على مصاحبته لأمية بن خلف الذي أغواه وأضله، وقد كنى الله عنه بفلان حتى يكون الحكم عاماً وشاملاً لكل من يعصي رسول الله ويتكبر على رسالته.

﴿لَقَدْ أَضَلَّنِي عَنِ الذِّكْرِ بَعْدَ إِذْ جَاءَنِي﴾ أي: أضلني هذا الصديق عن اتباع الرسول بعد إذ جاءني الهدى من الله على يديه ﴿وَكَانَ الشَّيْطَانُ لِلْإِنْسَانِ خَذُولًا﴾ هذا كلام الله عز وجل يبين فيه أن الشيطان يخذل الإنسان ويصرفه عن اتباع الحق ويؤدي بأصحابه إلى الضلال والهلاك.

أحكام ومسائل الآيات:

في هذه الآيات: بيان من الله عز وجل عن أهوال يوم القيامة ونزوله عز وجل في ظلل من الغمام؛ للفصل بين الخلائق وتنزل الملائكة من السموات؛ لكي يحيطوا بالخلائق عند الحساب. وفيها: حكم الله وهو أحكم الحاكمين أن الملك له يومئذ وأنه لا ملك لأحد غيره وأن

الخلق في ذلك المشهد يتساوون لا تنفعهم إلا أعمالهم ورحمة الله لهم. وفيها: تأكيد ما يصيب الظلمة من الحسرة والندامة على سوء أعمالهم وتنكبهم عن طريق الرسول. وفيها: أن الوعيد لأحد الظلمة كالوعيد لعقبة بن أبي معيط لا يختص به وحده وإنما لكل ظالم ضال عن طريق الحق.

﴿وَقَالَ الرَّسُولُ يَرْبِّ إِنَّ قَوْمِي اتَّخَذُوا هَذَا الْقُرْآنَ مَهْجُورًا ۖ وَكَذَلِكَ جَعَلْنَا لِكُلِّ نَبِيٍّ عَدُوًّا مِّنَ الْمُجْرِمِينَ ۚ وَكَفَىٰ بِرَبِّكَ هَادِيًا وَنَصِيرًا ۝٣١﴾ وَقَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا لَوْلَا نُزِّلَ عَلَيْهِ الْقُرْآنُ جُمْلَةً وَاحِدَةً ۚ كَذَلِكَ لِنُثَبِّتَ بِهِ فُؤَادَكَ ۖ وَرَتَّلْنَاهُ تَرْتِيلًا ۝٣٢ وَلَا يَأْتُونَكَ بِمَثَلٍ إِلَّا جِئْنَاكَ بِالْحَقِّ وَأَحْسَنَ تَفْسِيرًا ۝٣٣ الَّذِينَ يُحْشَرُونَ عَلَىٰ وُجُوهِهِمْ إِلَىٰ جَهَنَّمَ أُولَٰئِكَ شَرٌّ مَّكَانًا وَأَضَلُّ سَبِيلًا ۝٣٤﴾

بيان الآيات:

﴿وَقَالَ الرَّسُولُ يَرْبِّ﴾ هذا بيان من الله أن نبيه ورسوله محمداً ﷺ ناداه شاكياً قومه قائلاً ﴿إِنَّ قَوْمِي اتَّخَذُوا هَذَا الْقُرْآنَ مَهْجُورًا﴾ أي: إن قومي الذين أرسلتني إليهم؛ لأبلغهم رسالتك هجروا القرآن فكانوا لا يريدون سماعه وإذا تلوته عليهم أعرضوا عنه ومنهم: من يقول إنه كهانة، ومنهم من يقول: إنه شعر ومنهم من يقول: إنه سحر

وَكَذَلِكَ جَعَلْنَا لِكُلِّ نَبِيٍّ عَدُوًّا مِّنَ الْمُجْرِمِينَ ۚ وَقَدْ أَجَابَهُ رَبُّهُ عَزَّ وَجَلَّ
مسلياً ومعزياً له ومبيناً ما حدث للأنبياء قبله، فكما كان لك أعداء من
المشركين كأبي جهل وأضرابه كان لكل رسول قبلك أعداء فصبروا
على آذاهم فاصبر كما صبروا ۚ وَكَفَىٰ بِرَبِّكَ هَادِيًا وَنَصِيرًا ۚ أي:
سوف ينصرك ربك على أعدائك ويظهرك عليهم فلا تهتم بمن عاداك
منهم فلكل أجل كتاب.

وَقَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا لَوْلَا نُزِّلَ عَلَيْهِ الْقُرْآنُ جُمْلَةً وَاحِدَةً ۖ
عادة الكفرة الجدل والبحث عن الحجج الواهية؛ لتبرير كفرهم فهم
مع هجرهم للقرآن تساءلوا بينهم لماذا لم ينزل القرآن جملة واحدة
كما هو حال الكتب السابقة كالتوراة فأنزل الله قوله ﴿كَذَلِكَ
لِنُنَبِّئَ بِهِ فُؤَادَكَ﴾ أي: أنزلناه منجماً حسب الوقائع والأحوال؛ لأن
نزوله خلال سنوات يزيد في اطمئنان الرسول والمؤمنين بتتابع الوحي
﴿وَرَتَّلْنَاهُ تَرْتِيلًا﴾ أي: أنزلناه متفرقاً، ليكون أيسر لفهمه كما قال
عز وجل ﴿وَقُرْءَانًا فَرَقْنَاهُ لِتَقْرَأَهُ عَلَى النَّاسِ عَلَىٰ مُكْثٍ وَنَزَّلْنَاهُ
نَزِيلًا﴾ (١). قوله ﴿وَلَا يَأْتُونَكَ بِمَثَلٍ﴾ أي: لا يأتيتك المشركون
بمثل يحاجونك به ويعارضون به الحق ويقصدون به الباطل ﴿إِلَّا
حِجْنَكَ بِالْحَقِّ﴾ أي: أنزلنا عليك ما يرد على شبههم وأباطيلهم

﴿وَأَحْسَنَ تَفْسِيرًا﴾ أي: أبين وأوضح وأحق مما ادعوه.

﴿الَّذِينَ يُحْشَرُونَ عَلَىٰ وُجُوهِهِمْ إِلَىٰ جَهَنَّمَ﴾ أي: يسحبون على

وجوههم إلى النار وحشرهم بهذه الصورة زيادة في عذابهم وإهانتهم، بسبب هجرهم القرآن واستهجانهم لنزول القرآن مفرقا. قوله ﴿أُولَٰئِكَ شَرٌّ مَّكَانًا وَأَضَلُّ سَبِيلًا﴾ أي: إن جهنم أشر مكانا وهم كانوا أضل سبيلا في الدنيا.

أحكام ومسائل الآيات:

في هذه الآيات: تقرير شهادة رسول الله ﷺ على من هجروا القرآن فلم يستمعوا له. وفيها: تقرير أنه ما من نبي إلا كان له أعداء يكذبونه ويناصبونه العداوة ويكيدون له، وهذا يشمل كل من دعا إلى الحق وأنكر الباطل؛ لأن حكمة الله قد اقتضت أنه كما كان للدعوة إلى الخير دعاة كان لها أعداء ألداء. وفيها: بيان حكمة الله في إنزال القرآن مفرقا ومنها: تثبيت فؤاد رسول الله ﷺ وتيسير فهم القرآن على الناس. وفيها: تقرير أن المجرمين يحشرون على وجوههم يوم القيامة وفي حديث أنس الذي سبقت الإشارة إليه: أن رجلاً قال: يا رسول الله كيف يحشر الكافر على وجهه يوم القيامة؟ فقال: (أليس الذي أمشاه على رجليه في الدنيا قادراً على أن يمشيه على وجهه يوم القيامة) (١).

(١) أخرجه مسلم في كتاب صفات المنافقين، باب يحشر الكافر على وجهه، برقم (٢٨٠٦)، صحيح مسلم بشرح النووي ج ١١ ص ٦٩٩.

﴿وَلَقَدْ آتَيْنَا مُوسَى الْكِتَابَ وَجَعَلْنَا مَعَهُ أَخَاهُ هَارُونَ وَزِيرًا ﴿٧٥﴾ فَقُلْنَا أَذْهَبَا إِلَى الْقَوْمِ الَّذِينَ كَذَبُوا بِآيَاتِنَا فَدَمَّرْنَاهُمْ تَدْمِيرًا ﴿٧٦﴾ وَقَوْمَ نُوحٍ لَمَّا كَذَبُوا الرُّسُلَ أَغْرَقْنَاهُمْ وَجَعَلْنَاهُمْ لِلنَّاسِ آيَةً ۖ وَأَعْتَدْنَا لِلظَّالِمِينَ عَذَابًا أَلِيمًا ﴿٧٧﴾ وَعَادًا وَثَمُودًا وَأَصْحَابَ الرِّسِّ وَقُرُونًا بَيْنَ ذَلِكَ كَثِيرًا ﴿٧٨﴾ وَكُلًّا ضَرَبْنَاهُ الْأَمْثَلُ ۖ وَكُلًّا تَبَرْنَا تَبِيرًا ﴿٧٩﴾ وَلَقَدْ أَتَوْا عَلَى الْقَرْيَةِ الَّتِي أَمْطَرْنَا مَطَرَ السَّوْءِ ۖ أَفَلَمْ يَكُونُوا يَرُونَهَا بَلِّ كَانُوا لَا يَرْجُونَ نُشُورًا ﴿٨٠﴾﴾

بيان الآيات:

﴿وَلَقَدْ آتَيْنَا مُوسَى الْكِتَابَ﴾ في إطار التهديد للمشركين في مكة بين الله حال من سبقوهم من الأمم البائدة الذين عصوا رسلهم وكذبوا ما جاؤوهم به، فقد أنزل التوراة على موسى بن عمران وبعث معه أخاه هارون ليساعده في دعوته كما قال عز وجل ﴿وَجَعَلْنَا مَعَهُ أَخَاهُ هَارُونَ وَزِيرًا﴾ أي: وأمرناهما أن يذهبا إلى فرعون وقومه ﴿فَقُلْنَا أَذْهَبَا إِلَى الْقَوْمِ الَّذِينَ كَذَبُوا بِآيَاتِنَا﴾ أي: ولما لم يستجب فرعون لدعوة الحق وإنما آثر الباطل وعتا واستكبر حق عليه العذاب فأغرق في البحر ومن معه من الكافرين وهو معنى قول الله عز وجل ﴿فَدَمَّرْنَاهُمْ تَدْمِيرًا﴾.

﴿وَقَوْمَ نُوحٍ لَمَّا كَذَبُوا الرُّسُلَ أَغْرَقْنَاهُمْ﴾ المراد بالرسل نوح

عليه السلام، وقد مكث فيهم تسعمائة وخمسين سنة يدعوهم إلى الله ويحذرهم من عقابه، ولما يئس منهم دعا عليهم فاهلكهم الله بالغرق في الطوفان وجعلهم آية لمن يعتبر بهم كما قال تعالى **أَغْرَقْنَاهُمْ وَجَعَلْنَاهُمْ لِلنَّاسِ آيَةً** وقوله في الآية الأخرى **لِنَجْعَلَهَا لَكُمْ تَذْكِرَةً وَتَعِيَهَا أُذُنٌ وَاعِيَةٌ** ^(١). قوله **وَأَعْتَدْنَا لِلظَّالِمِينَ عَذَابًا أَلِيمًا** أي: هيأنا في الآخرة عذابا شديدا للظالمين المكذبين لرسلهم **وَعَادًا وَثُمُودًا وَأَصْحَابَ الرَّسِّ** عاد قوم هود، وثمود قوم صالح وأصحاب الرس قيل: إنها بئر في ديار ثمود دفن أصحابها نبيهم فيها ^(٢)، فكل هؤلاء أهلكوا ودمروا؛ بسبب طغيانهم وتكذيبهم لرسلهم **وَقَرُونَا بَيْنَ ذَلِكَ كَثِيرًا** أي: وأهلكنا أمما أخرى غير هؤلاء.

وَكُلًّا ضَرَبْنَاهُ الْأَمْثَل أي: كلا من هؤلاء الهالكين بينا له البراهين والحجج فأبى واستكبر فحق عليه العذاب كما قال عز وجل **وَكُلًّا تَبَرْنَا تَبِيرًا** قوله **وَلَقَدْ أَتَوْا عَلَى الْقَرْيَةِ الَّتِي أَمْطَرْنَا مَطَرًا سَوْءًا** المراد بها سدوم قرية قوم لوط **أَفَكَمْ يَكُونُوا يَكُونُهَا** أي: ألا يمرون عليها في أسفارهم ويرون ما حل بأهلها من العذاب كما قال تعالى **وَإِنَّكُمْ لَتَمُرُّونَ عَلَيْهِمْ مُصْبِحِينَ** ^(٣).

(١) سورة الحاقة الآية ١٢ .

(٢) تفسير البغوي ص ٩٢٧، وزاد المسير لابن الجوزي ص ١٠١٧ .

(٣) سورة الصافات الآية ١٣٧ .

وَبَالَيْلٍ أَفَلَا تَعْقِلُونَ ﴿١﴾ بَلْ كَانُوا لَا يَرْجُونَ نُشُورًا

المراد بهم المشركون، فإنهم كانوا يمرون عليها، ولكنهم لم يعتبروا بها؛ لأنهم منكرون للبعث والرجوع إلى الله يوم القيامة.

أهلكتهم ومصلحتهم الآيات:

في هذه الآيات: تقرير حكم الله في إرسال الرسل إلى أقوامهم؛ ليدعوهم إلى الله، فإن آمنوا وصدقوا فقد نجوا، وإن كذبوا أعذر الله منهم فأهلكهم وهذا من رحمته عز وجل بخلقه كما قال وَمَا كُنَّا مُعَذِّبِينَ حَتَّى نَبْعَثَ رَسُولًا ﴿٢﴾. وفيها: أن السبب في عدم اتعاظ المشركين بمن أهلكوا من الأمم قبلهم أنهم لا يؤمنون بالبعث والمعاد يوم القيامة.

وَإِذَا رَأَوْكَ إِِنْ يَتَّخِذُونَكَ إِلَّا هُزُوًا أَهَذَا الَّذِي بَعَثَ اللَّهُ رَسُولًا ﴿٣﴾ إِنْ كَادَ لَيُضِلَّنَا عَنْ إِلَهِنَا لَوْلَا أَنْ صَبَرْنَا عَلَيْهَا وَسَوْفَ يَعْلَمُونَ حَيْثُ يَرَوْنَ الْعَذَابَ مَنْ أَضَلُّ سَبِيلًا ﴿٤﴾ أَرَأَيْتَ مَنْ اتَّخَذَ إِلَهَهُ هَوَاهُ أَفَأَنْتَ تَكُونُ عَلَيْهِ وَكِيلًا ﴿٥﴾ أَمْ تَحْسَبُ أَنَّ أَكْثَرَهُمْ يَسْمَعُونَ أَوْ يَعْقِلُونَ إِنْ هُمْ إِلَّا كَالْأَنْعَامِ بَلْ هُمْ أَضَلُّ سَبِيلًا ﴿٦﴾

(١) سورة الصافات الآية ١٢٨ .

(٢) سورة الإسراء من الآية ١٥ .

بیان آیات:

﴿وَإِذَا رَأَوْكَ إِن يَخِذُونَكَ إِلَّا هُزُوءًا﴾ هذا بيان من الله عزوجل أن المشركين إذا رأوا رسول الله ﷺ استهزؤوا به وسخروا منه واحتقروه ويقولون على سبيل التنقص والازدراء ﴿أَهَذَا الَّذِي بَعَثَ اللَّهُ رَسُولًا﴾ ثم يقولون ﴿إِنْ كَادَ لِيُضِلَّنَا عَنْ إِلَهَتِنَا﴾ أي: كاد يصرفنا عنها إلى دينه الذي يدعيه ﴿لَوْلَا أَن صَبَرْنَا عَلَيْهَا﴾ أي: حبسنا أنفسنا عليها واستمررنا على عبادتها غير طائعين لقوله ﴿وَسَوْفَ يَعْلَمُونَ حِينَ يَرَوْنَ الْعَذَابَ مَنْ أَضَلَّ سَبِيلًا﴾ ثم قال عزوجل متوعدا لهم بأنهم سوف يعلمون حين يرون العذاب بأنهم هم الذين ضلوا السبيل وليس محمدا.

﴿أَرَأَيْتَ مَنِ اتَّخَذَ إِلَهَهُ هَوَاهُ﴾ هذا بيان من الله لنبيه ورسوله محمد ﷺ يقول فيه إن الذي جعل الهوى معبودا له فأضله عن عبادة ربه الذي خلقه ورزقه ثم عمد إلى حجر أصم يعبده ﴿أَفَأَنْتَ تَكُونُ عَلَيْهِ وَكِيلًا﴾ أي: هل تكون عليه كفيلا تصرفه إلى الإيمان بعد أن غلبت عليه الشقاوة فلم يعد يفرق بين الحق والباطل؟ والمراد اتركه فإنما عليك البلاغ وقد بلغت وحساب هؤلاء سيكون على الله ﴿أَمْ تَحْسَبُ أَنَّ أَكْثَرَهُمْ يَسْمَعُونَ أَوْ يَعْقِلُونَ إِنْ هُمْ إِلَّا كَالْأَنْعَامِ﴾ أي: هل تظن يا محمد أن غالبهم يسمع أو يعقل إنهم ليسوا كذلك، وإنما

هم كالأنعام في أكلها وشربها ﴿بَلْ هُمْ أَضَلُّ سَبِيلًا﴾ ﴿٢٢٣﴾ أي: إن الأنعام أفضل منهم فهي رغم أنها لا تعقل إلا أنها تعرف ربها وتأتمر بأمر راعيها بينما هؤلاء تركوا أمر ربهم واتبعوا أهواءهم فهم لا يهتدون.

أحكام ومسائل الآيات:

في هذه الآيات: التنديد بسلوك المشركين تجاه رسول الله ﷺ واستهزائهم به وسخريتهم منه كما كان ذلك حال المشركين من قبلهم. وفيها: أن من جعل الهوى معبوده لا يمكن أن يهتدي. وفيها: أن المشركين أضل من الأنعام، فهذه تعرف ربها ولا تشرك به بينما هم يجعلون معه إلها آخر مع أنهم يعرفون أنه هو الذي خلقهم ورزقهم.

﴿أَلَمْ تَرَ إِلَى رَبِّكَ كَيْفَ مَدَّ الظِّلَّ وَلَوْ شَاءَ لَجَعَلَهُ سَاكِنًا ثُمَّ جَعَلْنَا الشَّمْسُ عَلَيْهِ دَلِيلًا﴾ ﴿٢٢٤﴾ ثُمَّ قَبَضْنَاهُ إِلَيْنَا قَبْضًا يَسِيرًا ﴿٢٢٥﴾ وَهُوَ الَّذِي جَعَلَ لَكُمُ اللَّيْلَ لِبَاسًا وَالنَّوْمَ سُبَاتًا وَجَعَلَ النَّهَارَ نُشُورًا ﴿٢٢٦﴾

بيان الآيات:

﴿أَلَمْ تَرَ إِلَى رَبِّكَ كَيْفَ مَدَّ الظِّلَّ﴾ ﴿٢٢٤﴾ هذا استفهام تقريرى يقول الله فيه ألم تشاهد يا نبينا محمداً عظمة ربك وكمال قدرته كيف مد الظل وذلك قبل أن تطلع الشمس ﴿وَلَوْ شَاءَ لَجَعَلَهُ سَاكِنًا﴾ ﴿٢٢٥﴾ أي: جعله لا

يزول كما قال عز وجل ﴿قُلْ أَرَأَيْتُمْ إِنْ جَعَلَ اللَّهُ عَلَيْكُمُ اللَّيْلَ سَرْمَدًا﴾ (١). ﴿ثُمَّ جَعَلْنَا الشَّمْسَ عَلَيْهِ دَلِيلًا﴾ أي: لولا الشمس لما عرف الظل؛ فإن الضد لا يعرف إلا بضده ﴿ثُمَّ قَبَضْنَاهُ إِلَيْنَا قَبْضًا يَسِيرًا﴾ أي: قبضنا الظل قليلا قليلا حتى يذهب كله، وهكذا يتوالى الظل ثم تدركه الشمس كل يوم تبعا لحركة الليل والنهار مما يدل على عظمة الباري ورعايته لخلقه وحفظه لمنافعهم في حركاتهم وسكناتهم. ﴿وَهُوَ الَّذِي جَعَلَ لَكُمُ اللَّيْلَ لِبَاسًا وَالنَّوْمَ سُبَاتًا﴾ وهذا أيضا من كمال قدرته عز وجل بأن جعل الليل لباسا لعباده يستريحون فيه ثم جعل النوم راحة لهم من الحركة خلال النهار ﴿وَجَعَلَ النَّهَارَ نُشُورًا﴾ أي: جعله وقتا لنشورهم وحركتهم لطلب أرزاقهم كما قال عز وجل ﴿وَمِنْ رَحْمَتِهِ جَعَلَ لَكُمُ اللَّيْلَ وَالنَّهَارَ لِتَسْكُنُوا فِيهِ وَلِتَبْتَغُوا مِنْ فَضْلِهِ وَلَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ﴾ (٢).

أحكام ومسائل الآيات:

في هذه الآيات: تقرير قدرة الله وبيان ما امتن به على خلقه من وجود الظل في وقت معلوم وزواله في وقت معلوم تعرف به أوقات العبادة، وأنه لو جعله ساكنا لئلاهم من ذلك ضرر في حياتهم، ناهيك

(١) سورة القصص من الآية ٧١.

(٢) سورة القصص الآية ٧٣.

عن المنافع الأخرى لعباده من جعل الليل لباسا يستريحهم وجعل النوم راحة لهم وجعل النهار وقتا لطلب أرزاقهم.

وَهُوَ الَّذِي أَرْسَلَ الرِّيحَ بُشْرًا بَيْنَ يَدَيْ رَحْمَتِهِ وَأَنْزَلْنَا مِنَ السَّمَاءِ مَاءً طَهُورًا لِّنُحْيِيَ بِهِ بَلْدَةً مَّيْتًا وَنُسْقِيَهُ مِمَّا خَلَقْنَا أَنْعَامًا وَأَنَاسِيَّ كَثِيرًا وَلَقَدْ صَرَّفْنَاهُ بَيْنَهُمْ لِيَذَكَّرُوا فَأَبَى أَكْثَرُ النَّاسِ إِلَّا كُفُورًا .

وَهُوَ الَّذِي أَرْسَلَ الرِّيحَ بُشْرًا بَيْنَ يَدَيْ رَحْمَتِهِ أي: ومن كمال قدرته ورحمته بخلقه أن أرسل الرياح مبشرات بتكوّن السحاب ثم بنزول المطر وَأَنْزَلْنَا مِنَ السَّمَاءِ مَاءً طَهُورًا أي: جعل من الماء الذي ينزل من السماء طهورا لعباده من الأوساخ والأقذار لِّنُحْيِيَ بِهِ بَلْدَةً مَّيْتًا أي: ونحيي بالماء الأرض التي اغبرت وأصبحت لا حياة فيها من نبات أو خلافة وَنُسْقِيَهُ مِمَّا خَلَقْنَا أَنْعَامًا وَأَنَاسِيَّ كَثِيرًا أي: ويستفيد من هذا الماء الذي ينزل من السماء الأنعام والناس لشربهم وري مزروعاتهم ونباتاتهم وَلَقَدْ صَرَّفْنَاهُ بَيْنَهُمْ أي: أنزلناه على هذه الأرض، ولم ننزله على الأرض الأخرى، وفي هذا قال ابن عباس وابن مسعود رضي الله

عنهما: ليس مطر عام أكثر من مطر عام آخر ولكن الله يصرفه كيف يشاء^(١) ﴿لِيَذْكُرُوا﴾ المراد ينزل الله المطر على هذه الأرض فتحيا به ويمنعه عن الأرض الأخرى تذكرة لعباده ليتوبوا من ذنوبهم وليذكروا أن ما أصابهم من عدم نزول المطر إنما هو بسبب هذه الذنوب ﴿فَأَبَىٰ أَكْثَرُ النَّاسِ إِلَّا كُفُورًا﴾ أي: أبوا أن يشكروا الله على نعمه وجعلوا نزول المطر أو عدم نزوله يرجع إلى أسباب أخرى كالأنواء والأجواء مما ليس لهم به علم.

أحكام ومسائل الآيات:

في هذه الآيات: الحكم بطهورية الماء إذا كان باقيا على أصل خلقته فلم يتغير بشيء خالطه فغير طعمه أو لونه أو رائحته وفي حديث أبي سعيد: قيل لرسول الله ﷺ: أنتوضا من بئر بضاعة وهي بئر يطرح فيه الحيض ولحم الكلاب والنتن؟ فقال: (إن الماء طهور لا ينجسه شيء)^(٢). وفيها: تقرير أن الله عز وجل يصرف نزول الماء من السماء فيخص به أرضا دون أخرى حتى يكون في ذلك عبرة وذكرى لعباده، لعلهم يتوبون إليه إذا حرموا من نزول المطر

(١) جامع البيان عن تأويل آي القرآن ج ١١ ص ٢٢، والجامع لأحكام القرآن ج ١٣ ص ٥٧.

(٢) أخرجه أبو داود في كتاب الطهارة، باب ما جاء في بئر بضاعة، برقم (٦٦)، سنن أبي داود ج ١ ص ٣٩، والنسائي في كتاب المياه، باب ذكر بئر بضاعة، برقم (٣٢٥)، سنن النسائي ج ١ ص ١٩٠، والترمذي في كتاب الطهارة، باب ما جاء أن الماء لا ينجسه شيء، برقم (٦٦)، سنن الترمذي ج ١ ص ٩٥.

وقد شرع لهم الاستسقاء^(١). أما المطر الذي ينزله الله كل عام فهو بمقدار واحد لا يتغير زيادة أو نقصا.

﴿وَلَوْ شِئْنَا لَبَعَثْنَا فِي كُلِّ قَرْيَةٍ نَذِيرًا﴾ ﴿٥٦﴾ ﴿فَلَا تَطْعَمُ الْكَافِرِينَ﴾
 وَجَاهِدْهُمْ بِهِ، جِهَادًا كَبِيرًا ﴿٥٧﴾ ﴿وَهُوَ الَّذِي مَرَجَ الْبَحْرَيْنِ هَذَا عَذْبٌ فُرَاتٌ وَهَذَا مِلْحٌ أُجَاجٌ وَجَعَلَ بَيْنَهُمَا بَرْزَخًا حَجْرًا مَّحْجُورًا﴾ ﴿٥٨﴾ ﴿وَهُوَ الَّذِي خَلَقَ مِنَ الْمَاءِ بَشَرًا فَجَعَلَهُ نَسَبًا وَصِهْرًا وَكَانَ رَبُّكَ قَدِيرًا﴾ ﴿٥٩﴾

بيان الآيات:

﴿وَلَوْ شِئْنَا لَبَعَثْنَا فِي كُلِّ قَرْيَةٍ نَذِيرًا﴾ أي: لو أردنا لبعثنا إلى كل قرية من قرى قومك نذيرا يندرهم، ولكن اخترناك لتكون رسولا إلى أهل الأرض كافة ﴿فَلَا تَطْعَمُ الْكَافِرِينَ﴾ أي: لا تستكن لهم بل بلغهم رسالتنا ﴿وَجَاهِدْهُمْ بِهِ، جِهَادًا كَبِيرًا﴾ أي: جاهدهم بالقرآن، وجادلهم به فسيكون النصر لك عليهم ﴿وَهُوَ الَّذِي مَرَجَ الْبَحْرَيْنِ﴾ أي: خلق المائين المتضادين ﴿هَذَا عَذْبٌ فُرَاتٌ﴾ أي: حلو كمياه الأنهار ﴿وَهَذَا مِلْحٌ أُجَاجٌ﴾ أي: ملح مر تعافه النفوس ﴿وَجَعَلَ بَيْنَهُمَا بَرْزَخًا﴾ أي: جعل بين الماء العذب والماء المالح حاجزا

(١) صلاة الاستسقاء سنة مؤكدة شرعها الله لعباده وقد فعلها رسول الله ﷺ حين تأخر المطر فلم

تنته صلاته عليه الصلاة والسلام إلا وقد نزل المطر.

وَجَجْرًا مَّحْجُورًا أَي: جعل بينهما ما يمنعهما من الاختلاط وَهُوَ
 الَّذِي خَلَقَ مِنَ الْمَاءِ بَشَرًا أَي: خلق الإنسان من نقطة ماء قليلة
 فَجَعَلَهُ نَسَبًا وَصِهْرًا أَي: جعل من هذه النقطة إنسانا يتدرج
 في خلقه حتى يكبر ويتزوج ويصير له أصهار وَكَانَ رَبُّكَ قَدِيرًا
 أَي: قادر على كل شيء لا يعجزه شيء في الأرض ولا في السموات.

في هذه الآيات: تقرير فضل الله على رسوله محمد ﷺ وعلى
 أمته بأن جعله رسولا للناس كافة أحمرهم، وأصفرهم، وأبيضهم،
 وأسودهم، جنهم، وإنسهم كما قال عز وجل قُلْ يَتَايَاهَا النَّاسُ
 إِنِّي رَسُولُ اللَّهِ إِلَيْكُمْ جَمِيعًا ^(١). وقد ثبت في الصحيحين: قول
 رسول الله ﷺ: (كان النبي يبعث إلى قومه خاصة وبعثت إلى كل
 أحمر وأسود) ^(٢). وفيها: الحكم بتحريم طاعة الكافرين مع وجوب
 مجادلتهم بالقرآن. وفيها: تقرير قدرة الله العظيمة في عدم اختلاط
 مياه الأنهار والبحار مع وجودهم متقاربين كما قال عز وجل مَرَجَ
 الْبَحْرَيْنِ يَلْتَقِيَانِ ^(٣). يَنْهَمَا بَرْزَخٌ لَا يَبْغِيَانِ ^(٤). وفيها: مظاهر

(١) سورة الأعراف من الآية ١٥٨ .

(٢) أخرجه مسلم في كتاب المساجد، باب كتاب المساجد ومواضع الصلاة، برقم (٥٢١)، صحيح

مسلم بشرح النووي ج ٣ ص ١٧٦٤ .

(٣) سورة الرحمن الآية ١٩ .

(٤) سورة الرحمن الآية ٢٠ .

قدرة الله عز وجل حيث جعل من نقطة الماء الضعيفة منطلقا لتكاثر الجنس البشري.

وَيَعْبُدُونَ مِن دُونِ اللَّهِ مَا لَا يَنْفَعُهُمْ وَلَا يَضُرُّهُمْ وَكَانَ الْكَافِرُ عَلَىٰ رَبِّهِ ظَهِيرًا وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلَّا مُبَشِّرًا وَنَذِيرًا قُلْ مَا أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ مِنْ أَجْرٍ إِلَّا مِن شَاءَ أَن يَتَّخِذَ إِلَىٰ رَبِّهِ سَبِيلًا وَتَوَكَّلْ عَلَى الْحَيِّ الَّذِي لَا يَمُوتُ وَسَبِّحْ بِحَمْدِهِ وَكَفَىٰ بِهِ بُذُنُوبِ عِبَادِهِ خَبِيرًا الَّذِي خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا فِي سِتَّةِ أَيَّامٍ ثُمَّ اسْتَوَىٰ عَلَى الْعَرْشِ الرَّحْمَنُ فَسَلِّ بِهِ خَيْرًا وَإِذَا قِيلَ لَهُمُ اسْجُدُوا لِلرَّحْمَنِ قَالُوا وَمَا الرَّحْمَنُ أَنَسْجُدُ لِمَا تَأْمُرُنَا وَزَادَهُمْ نُفُورًا

وَيَعْبُدُونَ مِن دُونِ اللَّهِ مَا لَا يَنْفَعُهُمْ وَلَا يَضُرُّهُمْ هذا بيان من الله عن سفه المشركين وجهلهم في عبادة الأصنام التي لا تنفعهم ولا تضرهم؛ لأنها مخلوقه مربوبة لا قدرة لها على شيء وَكَانَ الْكَافِرُ عَلَىٰ رَبِّهِ ظَهِيرًا أي: يعين الشيطان على معصية الله بعد أن أغراه وسؤل له سوء عمله وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلَّا مُبَشِّرًا وَنَذِيرًا أي: ما أرسلك يا محمد إلا بشيرا للمؤمنين بأن لهم الحسنی عند الله، جزاء

إيمانهم ونذيرا لمن عصى الله أن العذاب سوف يحقق به إذا لم يتب ويرجع إلى الله.

﴿قُلْ مَا أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ مِنْ أَجْرٍ﴾ أي: قل يا نبينا محمداً لمن تدعوهم إلى الله إنني لا أسألكم أجرا أو منفعة على إبلاغي لكم؛ لأن أجري عند الله ﴿إِلَّا مَنْ شَاءَ أَنْ يَتَّخِذَ إِلَىٰ رَبِّهِ سَبِيلًا﴾ أي: إلا من شاء منكم أن يسلك سبيل النجاة فهذا أدعوه إلى الله ولكن لا أبتغي عليه أجرا كذلك ﴿وَتَوَكَّلْ عَلَىٰ الْحَيِّ الَّذِي لَا يَمُوتُ﴾ هذا أمر من الله لنبيه ورسوله محمد ﷺ أن يتوكل عليه فهو الحي الدائم ﴿وَسَبِّحْ بِحَمْدِهِ﴾ أي: وحده واعمل في طاعته واذكره غدوة وعشيا ﴿وَكَفَىٰ بِهِ ذُنُوبًا عِבَادَهُ خَيْرًا﴾ أي: كفى به عالما علما مطلقا بذنوب عباده خيرا بكبيرها وصغيرها قليلها وكثيرها ﴿الَّذِي خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا فِي سِتَّةِ أَيَّامٍ﴾ أي: هو الذي خلق السموات السبع والأرضين السبع بكل ما فيهما وما بينهما مما قدره وأحكمه من مخلوقاته ﴿ثُمَّ اسْتَوَىٰ عَلَى الْعَرْشِ الرَّحْمَنُ فَسَأَلَ بِهِ خَيْرًا﴾ أي: استوى على العرش -وهو أعلى سقف المخلوقات- الاستواء الذي يليق به جل جلاله وتقدس أسمائه ﴿فَسَأَلَ بِهِ خَيْرًا﴾ المراد به ذاته العلية، فهو الذي يعلم أوصافه، وكمال

نفسه وعظمة سلطانه ﴿وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ اسْجُدُوا لِلرَّحْمَنِ﴾ أي: إذا قيل للمشركين اسجدوا واعبدوا ربكم الذي خلقكم وصوركم وأحسن صوركم ﴿قَالُوا وَمَا الرَّحْمَنُ﴾ أي: لا نعرفه ﴿أَسْجُدُ لِمَا تَأْمُرُنَا﴾ أي: تريدنا أن نسجد حسب قولك يا محمد ﴿وَزَادَهُمْ نُفُورًا﴾ أي: زادهم أمرهم بالسجود نفورا عن الإيمان بالله وجحودا لربوبيته وألوهيته تعالى الله عما يقول الظالمون علوا كبيرا.

الحكماء ومسائل الآيات:

في هذه الآيات: تقرير أن الأنبياء عليهم السلام لم يأخذوا أجرا على دعوتهم إلى الله، فكانوا يكتسبون رزقهم من عملهم وهذا يشمل كل داعية إلى الله ويستثنى ما تقتضيه حاجة الداعي إذا لم يكن مكتسبا لرزقه - كما سبق ذكره - ومنها: وجوب التوكل على الله في كل شأن من شئون العبد الدينية والدنيوية، فمن يتوكل عليه كفاه كما قال عز وجل ﴿وَمَنْ يَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ فَهُوَ حَسْبُهُ﴾^(١). ومنها: وجوب التسبيح بحمد الله وذكره كما اثنى عز وجل على الذاكرين والذاكرات من عباده بقوله ﴿وَالذَّاكِرِينَ اللَّهَ كَثِيرًا وَالذَّاكِرَاتِ أَعَدَّ اللَّهُ لَهُمْ مَغْفِرَةً وَأَجْرًا عَظِيمًا﴾^(٢). وفيها: وجوب السجود لله عز وجل خضوعا وانقيادا

(١) سورة الطلاق من الآية ٣ .

(٢) سورة الأحزاب من الآية ٣٥ .

وتذللًا إليه، والسجود يشمل السجود للصلاة فرضًا أو نفلًا. كما يشمل السجود عند الآيات المأمور بالسجود فيها. وفيها: وجوب الإيمان باستواء الله على عرشه بما يليق بجلاله.

نَبَارَكُ الَّذِي جَعَلَ فِي السَّمَاءِ بُرُوجًا وَجَعَلَ فِيهَا سِرَاجًا وَقَمَرًا مُنِيرًا
وَهُوَ الَّذِي جَعَلَ اللَّيْلَ وَالنَّهَارَ خِلْفَةً لِمَنْ أَرَادَ أَنْ يَذْكُرَ
أَوْ أَرَادَ شُكُورًا .

نَبَارَكُ الَّذِي جَعَلَ فِي السَّمَاءِ بُرُوجًا أي: تبارك وتقدس بما صنعه وقدره، حيث جعل في السماء الكواكب العظيمة التي تحيط بها وتحرسها من كل جانب كما قال عز وجل وَلَقَدْ زَيَّنَّا السَّمَاءَ الدُّنْيَا بِمَصَابِيحَ وَجَعَلْنَاهَا رُجُومًا لِلشَّيَاطِينِ ^(١) . وَجَعَلَ فِيهَا سِرَاجًا وَقَمَرًا مُنِيرًا المراد بذلك الشمس المشرقة بما فيها من المنافع للعباد في ضيائهم ودفئهم وما فيها من نفع لأنعامهم وزروعهم وسائر نباتهم وكما جعل فيها الشمس جعل فيها القمر المنير لعباده في أسفارهم ومعرفة حسابهم في عباداتهم كما قال عز وجل هُوَ الَّذِي جَعَلَ الشَّمْسُ ضِيَاءً وَالْقَمَرَ نُورًا وَقَدَرَهُ مَنَازِلَ لِتَعْلَمُوا عَدَدَ السَّيِّنِينَ وَالْحِسَابَ ^(٢) .

(١) سورة الملك من الآية ٥ .

(٢) سورة يونس من الآية ٥ .

وَهُوَ الَّذِي جَعَلَ اللَّيْلَ وَالنَّهَارَ خِلْفَةً أَي: يخلف كل واحد منهما الآخر في تعاقب سرمدى، لا يتغير ولا يتبدل لِمَنْ أَرَادَ أَنْ يَذْكُرَ أَي: جعلهما على هذا الصنع الإلهي العظيم لمن أراد أن يعتبر في خلقه وعظيم صنعه، ومن أراد كذلك أن يستدرك ما فاتته في أحدهما كان له ذلك، فمن فاتته ذكر في الليل كان له أن يدركه في النهار، ومن فاتته ذكر أو تسبيح في النهار كان له أن يدركه في الليل، وهكذا أعطى الله عبده ما يحتاجه من الوقت؛ لكي يتدبر أمره، سواء في دينه أو دنياه أَوْ أَرَادَ شُكْرًا أَي: وهبه الله هذا الوقت المتعاقب ليشكره على نعمه فيقابل هذه النعم بالعبادة كالصلاة والصيام والتسبيح والذكر.

في هاتين الآيتين تقرير ما أنعم الله به على عباده، حيث سخر الشمس والقمر لمنافعهم في دينهم ودنياهم. وفيهما: تقرير ما أنعم به عليهم، فجعل الليل والنهار يتعاقبان لمن أراد أن يعتبر ويستفيد منهما في ذكر الله وشكره ويتوب إليه قبل أن يدركه الأجل، لما جاء في الحديث أن الله عز وجل يبسط يده بالليل ليتوب مسيء النهار ويبسط يده بالنهار ليتوب مسيء الليل^(١).

(١) صحيح مسلم بشرح النووي ج ١١ ص ٦٨٨١، كتاب التوبة، باب قبول التوبة من الذنوب وإن تكررت الذنوب، برقم (٢٧٥٩).

﴿وَعِبَادُ الرَّحْمَنِ الَّذِينَ يَمْشُونَ عَلَى الْأَرْضِ هَوْنًا وَإِذَا خَاطَبَهُمُ
الْجَاهِلُونَ قَالُوا سَلَامًا ۖ وَالَّذِينَ يَبِيتُونَ لِرَبِّهِمْ سُجَّدًا
وَقِيَمًا ۖ وَالَّذِينَ يَقُولُونَ رَبَّنَا اصْرِفْ عَنَّا عَذَابَ جَهَنَّمَ إِنَّ
عَذَابَهَا كَانَ غَرَامًا ۖ إِنَّهَا سَاءَتْ مُسْتَقَرًّا وَمُقَامًا ۖ وَالَّذِينَ
إِذَا أَنْفَقُوا لَمْ يُسْرِفُوا وَلَمْ يَقْتُرُوا وَكَانَ بَيْنَ ذَلِكَ قَوَامًا ۖ﴾

بيان الآية:

﴿وَعِبَادُ الرَّحْمَنِ الَّذِينَ يَمْشُونَ عَلَى الْأَرْضِ هَوْنًا﴾ هذه صفة
من صفات عباد الله المؤمنين المخبتين لربهم إذا مشوا على الأرض
لم يمشوا تكبرا ولا استعلاء على غيرهم بل هم متواضعون في
سلوكهم من غير ضعف أو ذلة ﴿وَإِذَا خَاطَبَهُمُ الْجَاهِلُونَ قَالُوا
سَلَامًا﴾ أي: لا يخاطبون الجاهلين في سفههم وسوء أقوالهم
بمثل ما يخاطبونهم به، بل يعفون ويصفحون عنهم ويتجاوزون
عن سوء جهلهم، يقتدون في ذلك بنبيهم وإمامهم رسول الله ﷺ
فقد كان يعفو ويصفح ويحلم على من جهل عليه أو ظلمه، كما
فعل مع قومه الذين آذوه حين قال لهم بعد فتح مكة: (اذهبوا
فأنتم الطلقاء)^(١). ﴿وَالَّذِينَ يَبِيتُونَ لِرَبِّهِمْ سُجَّدًا وَقِيَمًا﴾

(١) السيرة النبوية لابن إسحاق ج ٢ ص ٢٠٨، وتاريخ الأمم والملوك للطبري ج ٣ ص ١٢٠، والبداية
والنهاية لابن كثير ج ٤ ص ٣٠٠.

أي: يركعون ويسجدون في الليل طاعة لربهم وابتغاء مرضاته
كما قال عز وجل في وصفهم **كَانُوا قَلِيلًا مِّنَ اللَّيْلِ مَا يَهْجَعُونَ** (١).
وَبِالْأَسْحَارِ هُمْ يَسْتَغْفِرُونَ (٢).

وَالَّذِينَ يَقُولُونَ رَبَّنَا أَصْرِفْ عَنَّا عَذَابَ جَهَنَّمَ أي: يدعون
الله بقلوب مؤمنة أن ينجيهم من عذاب النار ويصرفه عنهم
إِنَّهَا سَاءَتْ مُسْتَقَرًّا دائما أي: دائما **وَمُقَامًا** أي: بئس المستقر والمقام **وَالَّذِينَ إِذَا أَنْفَقُوا لَمْ يُسْرِفُوا**
وَلَمْ يَقْتُرُوا أي: أنهم لا يبذرون في إنفاقهم فيضيعوا أموالهم،
ولم يبخلوا على أنفسهم، ولا على أولادهم، كما لا يبخلون بالإنفاق
في سبيل الله **وَكَانَ بَيْنَ ذَلِكَ قَوَامًا** أي: هم وسط بين
الإسراف والتقتير.

في هذه الآيات عدة أحكام: منها: وجوب التواضع في السلوك؛ لأن
الله حرم الاستعلاء والتكبر على خلقه كما قال عز وجل **وَلَا تَمْشِ**
فِي الْأَرْضِ مَرَحًا إِنَّكَ لَن تَخْرِقَ الْأَرْضَ وَلَن تَبْلُغَ الْجِبَالَ طُولًا (٣).

(١) سورة الذاريات الآية ١٧ .

(٢) سورة الذاريات الآية ١٨ .

(٣) سورة الإسراء الآية ٣٧ .

وقال عز وجل إِنَّهُ لَا يُحِبُّ الْمُسْتَكْبِرِينَ ^(١). وفي الحديث:
(لا يدخل الجنة من كان في قلبه ذرة من كبر) ^(٢). ومن الأحكام: عدم
مخاطبة الجاهلين بمثل مخاطبتهم، بل يجب درء السيئة بالحسنة ما
أمكن ذلك كما قال عز وجل أَدْفَعْ بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ فَإِذَا الَّذِي بَيْنَكَ
وَبَيْنَهُ عَدَاوَةٌ كَأَنَّهُ وَلِيٌّ حَمِيمٌ ^(٣).

ومنها: فضل قيام الليل كما قال عز وجل نَتَجَافَى جُنُوبُهُمْ
عَنِ الْمَضَاجِعِ يَدْعُونَ رَبَّهُمْ خَوْفًا وَطَمَعًا ^(٤). ومن هذه الأحكام:
تحريم الإسراف في الإنفاق وبذل المال في غير موضعه بما يؤدي إلى
تبذيره كما قال عز وجل إِنَّ الْمُبَذِّرِينَ كَانُوا إِخْوَانَ الشَّيَاطِينِ ^(٥).
وتحريم الإسراف يقتضي تحريم التقثير والبخل في النفقة على
النفس، أو على الأولاد، وهذا كله يقتضي التوسط في الإنفاق كما
قال عز وجل وَلَا تَجْعَلْ يَدَكَ مَغْلُولَةً إِلَىٰ عُنُقِكَ وَلَا تَبْسُطْهَا كُلَّ
الْبَسْطِ فَتَقْعُدَ مَلُومًا مَّحْسُورًا ^(٦).

(١) سورة النحل من الآية ٢٣.

(٢) صحيح مسلم بشرح النووي ج ١ ص ٧٣٥ في كتاب الإيمان، باب بيان تحريم الكبر وبيانه،
برقم (٩١).

(٣) سورة فصلت من الآية ٣٤.

(٤) سورة السجدة من الآية ١٦.

(٥) سورة الإسراء من الآية ٢٧.

(٦) سورة الإسراء الآية ٢٩.

وَالَّذِينَ لَا يَدْعُونَ مَعَ اللَّهِ إِلَهًا آخَرَ وَلَا يَقْتُلُونَ النَّفْسَ الَّتِي حَرَّمَ اللَّهُ إِلَّا بِالْحَقِّ وَلَا يَزْنُونَ وَمَنْ يَفْعَلْ ذَلِكَ يَلْقَ أَثَامًا يُضَاعَفْ لَهُ الْعَذَابُ يَوْمَ الْقِيَمَةِ وَيَخْلُدْ فِيهِ مُهَانًا إِلَّا مَنْ تَابَ وَآمَنَ وَعَمِلَ عَمَلًا صَالِحًا فَأُولَئِكَ يُبَدِّلُ اللَّهُ سَيِّئَاتِهِمْ حَسَنَاتٍ وَكَانَ اللَّهُ غَفُورًا رَحِيمًا وَمَنْ تَابَ وَعَمِلَ صَالِحًا فَإِنَّهُ يَتُوبُ إِلَى اللَّهِ مَتَابًا .

وَالَّذِينَ لَا يَدْعُونَ مَعَ اللَّهِ إِلَهًا آخَرَ ومن صفات عباد الرحمن أنهم لا يشركون بالله، وإنما يعبدونه وحده عبادة إجلال وتعظيم ليس له ند أو شريك أو مثل وَلَا يَقْتُلُونَ النَّفْسَ الَّتِي حَرَّمَ اللَّهُ إِلَّا بِالْحَقِّ ومن صفاتهم عدم قتل المسلم أو غير المسلم المعاهد وعدم وأد البنات كما كان أهل الجاهلية يفعلون وَلَا يَزْنُونَ ومن صفاتهم أنهم يحصنون فروجهم فلا يستحلون إلا ما أباح الله لهم من النكاح وَمَنْ يَفْعَلْ ذَلِكَ يَلْقَ أَثَامًا أي: عقاباً أليماً وقيل: أودية في جهنم يُضَاعَفْ لَهُ الْعَذَابُ يَوْمَ الْقِيَمَةِ أي: يكون عذابه مضاعفاً ومغلظاً وَيَخْلُدْ فِيهِ مُهَانًا أي: يبقى فيه دائماً وهو مهان حقير إِلَّا مَنْ تَابَ وَآمَنَ هذا استثناء لمن تاب إلى الله وأخلص في توبته وَعَمِلَ عَمَلًا صَالِحًا أي: من صلاة

وصيام وصدقة وبر ﴿فَأُولَٰئِكَ يَبْدِلُ اللَّهُ سَيِّئَاتِهِمْ حَسَنَاتٍ﴾ أي: يبدل سيئاتهم إلى حسنات فتكون كل سيئة عملوها ثم تابوا منها حسنة ﴿وَكَانَ اللَّهُ غَفُورًا رَحِيمًا﴾ أي: يغفر ذنوب عباده ويتجاوز عن سيئاتهم ويرحمهم.

﴿وَمَنْ تَابَ وَعَمِلَ صَالِحًا فَإِنَّهُ يَنْوِبُ إِلَى اللَّهِ مَتَابًا﴾ أي: من تاب من ذنوبه، فينبغي أن تكون توبته صادقة خالصة لله عزوجل يتجرد فيها من الذنب الذي عمله ويعزم على عدم العودة إليه ويندم عليه.

في هذه الآيات عدة أحكام: منها: أن الله حرم الشرك وحرم قتل النفس التي حرم الله إلا بالحق. ومنها: أنه حرم الزنى وشاهده أيضا من السنة: ما رواه عبد الله بن مسعود قال: سألت رسول الله ﷺ: أي الذنب أعظم عند الله؟ قال: (أن تجعل لله ندا وهو خلقك) قلت: إن ذلك لعظيم قلت: ثم أي؟ قال: (أن تقتل ولدك تخاف أن يطعم معك) قلت: ثم أي؟ قال: (أن تزاني حليلة جارك)^(١). ومنها: أن من يفعل هذه المحرمات يضاعف ويغلظ له العذاب يوم القيامة.

(١) صحيح البخاري مع فتح الباري ج ١٢ ص ٥٠٠، كتاب التوحيد، باب قوله تعالى (فلا تجعلوا لله أندادا)، برقم (٧٥٢٠).

ومن هذه الأحكام أن التوبة تجب ما قبلها، ومصادقه قول الله عز وجل ﴿إِلَّا مَنْ تَابَ وَآمَنَ وَعَمِلَ عَمَلًا صَالِحًا﴾ وفي مسألة التوبة من القتل لا تعارض بين التوبة في هذه الآية وبين قوله تعالى ﴿وَمَنْ يَقْتُلْ مُؤْمِنًا مُتَعَمِّدًا﴾^(١). فتحمل هذه على عدم التوبة، مع أن هناك خلافاً فيما إذا كان للقاتل العمد توبة أم لا. ومن هذه الأحكام أن من تاب بدل الله سيئاته حسنات. وفي صحيح مسلم: عن أبي ذر رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: (إني لأعلم آخر أهل الجنة دخولا الجنة وآخر أهل النار خروجاً منها رجل يؤتى به يوم القيامة فيقال: اعرضوا عليه صغار ذنوبه وارفعوا عنه كبارها، فتعرض عليه صغار ذنوبه فيقال: عملت يوم كذا وكذا وعملت يوم كذا وكذا وكذا؟ فيقول: نعم لا يستطيع أن ينكر وهو مشفق من كبار ذنوبه أن تعرض عليه فيقال له: فإن لك مكان كل سيئة حسنة. فيقول: رب قد عملت أشياء لا أراها هنا) فلقد رأيت رسول الله ﷺ ضحك حتى بدت نواجذه^(٢).

وفي الحديث: أن شيخاً كبيراً هرباً من كندة قد سقط حاجباه على عينيه قال: يا رسول الله رجل غدر وفجر ولم يدع حاجة ولا داجة إلا

(١) سورة النساء من الآية ٩٣.

(٢) صحيح مسلم بشرح النووي ج ٢ ص ١٠٣٤، كتاب الإيمان، باب أدنى أهل الجنة منزلة فيها برقم (١٩٠)، سنن الترمذي ج ٤ ص ٦١٤، كتاب صفة جهنم، باب (١٠)، برقم (٢٥٩٦)، ومسنند الإمام أحمد ج ٥ ص ١٧٠.

اقتطفها بيمينه لو قسمت خطيئته بين أهل الأرض لأوبقتهم فهل له من توبة ؟ فقال له رسول الله ﷺ: (أسلمت؟) فقال: أما أنا فأشهد ألا إله إلا الله وحده لا شريك له وأن محمدا عبده ورسوله. فقال رسول الله ﷺ: (فإن الله غافر لك ما كنت كذلك ومبدل سيئاتك حسنات) فقال: يا رسول الله وغدراتي وفجراتي؟ فقال: (وغدراتك وفجراتك) فولى الرجل يهلل ويكبر^(١).

وَالَّذِينَ لَا يَشْهَدُونَ الزُّورَ وَإِذَا مَرُّوا بِاللَّغْوِ مَرُّوا كِرَامًا
وَالَّذِينَ إِذَا ذُكِّرُوا بِآيَاتِ رَبِّهِمْ لَمْ يَخِرُّوا عَلَيْهَا صُمًّا وَعُمْيَانًا
وَالَّذِينَ يَقُولُونَ رَبَّنَا هَبْ لَنَا مِنْ أَزْوَاجِنَا وَذُرِّيَّاتِنَا قُرَّةَ أَعْيُنٍ
وَأَجْعَلْنَا لِلْمُتَّقِينَ إِمَامًا .

وَالَّذِينَ لَا يَشْهَدُونَ الزُّورَ ومن صفات عباد الرحمن
أنهم لا يشهدون بالكذب، لاقتطاع الحقوق من أصحابها ولا يشهدون
كذلك مجالس الزور التي تشتمل على الأقوال الباطلة والأفعال المنكرة
التي تصد عن سبيل الله كاللهو والقمار وشرب الخمر وأفعال الفسق
والفجور وكل ما حرم الله من الأقوال والأفعال وَإِذَا مَرُّوا بِاللَّغْوِ مَرُّوا
كِرَامًا أي: إذا سمعوا اللغو ككلام السفهاء والفساق والمتقولين

(١) تفسير القرآن العظيم لابن كثير ج ٢ ص ٣١٧، والدر المنثور للسيوطي ج ٥ ص ١٤٧ .

ابتعدوا عنه ومقتوه **وَالَّذِينَ إِذَا ذُكِّرُوا بِآيَاتِ رَبِّهِمْ لَمْ يَخِرُّوا عَلَيْهَا صُمًّا وَعُمْيَانًا** أي: إذا قرئت عليهم آيات الله وبياناته لم يعرضوا عنها مثل الصم وعميان البصر وإنما يسمعونها ويتلذذون بها في قلوبهم **وَالَّذِينَ يَقُولُونَ رَبَّنَا هَبْ لَنَا مِنْ أَزْوَاجِنَا وَذُرِّيَّاتِنَا قُرَّةَ أَعْيُنٍ** أي: ومن صفات عباد الرحمن أنهم يدعون الله عزوجل أن يهب لهم من أزواجهم ذرية صالحين يعبدون الله ويطيعونه ويوحدونه؛ ذلك أن من سعادة العبد في الدنيا والآخرة أن تقرر عينه بولد صالح **وَأَجْعَلْنَا لِلْمُتَّقِينَ إِمَامًا** أي: اجعلنا أئمة يقتدى بنا في الأقوال والأعمال الصالحة، إذ ليس ثمة مرتبة أعلى وأشرف من مرتبة الإمامة في الدين كما قال عز وجل **وَجَعَلْنَا مِنْهُمْ أَيْمَةً يَهْدُونَ بِأَمْرِنَا لَمَّا صَبَرُوا وَكَانُوا بِآيَاتِنَا يُوقِنُونَ** ^(١).

أحكام ومسائل الآيات:

في هذه الآيات: الحكم بتحريم شهادة الزور قولاً وعملاً، وفيه: قول رسول الله ﷺ: (ألا أنبئكم بأكبر الكبائر الشرك بالله وعقوق الوالدين) وكان متكئاً فجلس وقال: (ألا وقول الزور، ألا وشهادة الزور) فما زال يكررها حتى قلنا (أي الصحابة) لا يسكت ^(٢). وفيها: ذم اللغو من

(١) سورة السجدة الآية ٢٤.

(٢) صحيح البخاري مع فتح الباري ج ١٠ ص ٤١٩، كتاب الأدب، باب عقوق الوالدين من الكبائر، برقم (٥٩٧٦).

القول والعمل وفيه قول الله عز وجل ﴿وَإِذَا سَمِعُوا اللَّغْوَ أَعْرَضُوا عَنْهُ﴾^(١). وفيها: فضيلة الاستماع إلى كتاب الله وعدم الإعراض عند سماعه. وفيها: فضل الدعاء بالذرية الصالحة وفيه: قول رسول الله ﷺ: (إذا مات الإنسان انقطع عنه عمله إلا من ثلاث إلا من صدقة جارية أو علم ينتفع به أو ولد صالح يدعو له)^(٢).

﴿أُولَئِكَ يُجْزَوْنَ الْغُرْفَةَ بِمَا صَبَرُوا وَيُلَقَّوْنَ فِيهَا نَحْوَةً وَسَلَامًا﴾ ﴿٧٥﴾ ﴿خَالِدِينَ فِيهَا حَسُنَتْ مُسْتَقَرًّا وَمُقَامًا﴾ ﴿٧٦﴾ ﴿قُلْ مَا يَعْبُؤُا بِكُمْ رَبِّي لَوْلَا دُعَاؤُكُمْ فَقَدْ كَذَّبْتُمْ فَسَوْفَ يَكُونُ لِزَامًا﴾ ﴿٧٧﴾.

بيان الآيات:

﴿أُولَئِكَ يُجْزَوْنَ الْغُرْفَةَ﴾ لما ذكر عز وجل أن من صفات عباد الرحمن عدم شهادتهم الزور وخضوعهم لذكر الله بقلوبهم وأسماعهم ودعواتهم لربهم أن يهبهم ذرية صالحين، وأن يجعلهم أئمة يقتدى بهم، بين عز ذكره أن لهم الغرفة وهي الدرجة العالية من الجنة ﴿بِمَا صَبَرُوا﴾ أي: لقاء صبرهم على القيام بالأعمال الصالحة ﴿وَيُلَقَّوْنَ فِيهَا نَحْوَةً وَسَلَامًا﴾ أي: تتلقاهم الملائكة بالتحية

(١) سورة القصص من الآية ٥٥ .

(٢) صحيح مسلم بشرح النووي ج ٧ ص ٤٤٥١، كتاب الوصية، باب ما يلحق الإنسان من الثواب بعد وفاته، برقم (١٦٣١) .

وبالسلام فتقول لهم الملائكة ﴿سَلَامٌ عَلَيْكُمْ بِمَا صَبَرْتُمْ فَنِعْمَ عُقْبَى الدَّارِ﴾. ﴿خَالِدِينَ فِيهَا﴾ أي: مقيمين إقامة دائمة لا يزولون عنها ولا يتحولون ﴿حَسُنْتَ مُسْتَقَرًّا وَمُقَامًا﴾ أي: طابت منزلا وحسنت مستقرا ومكانا.

﴿قُلْ مَا يَعْبَوُا بِكُمْ رَبِّي لَوْلَا دُعَاؤُكُمْ﴾ أي: لا يكثر بكم إذا لم تعبدوه وتوحدوه، فإنه إنما خلقكم لعبادته كما قال عز وجل ﴿وَمَا خَلَقْتُ الْجِنَّ وَالْإِنْسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ﴾^(١). فإذا توليتم عن عبادته أعرض عنكم ولم يبال بكم ﴿فَقَدْ كَذَّبْتُمْ فَسَوْفَ يَكُونُ لِزَامًا﴾ أي: أما إنكم أيها الكافرون - والمراد بهم مشركو مكة ومن كان على شاكلتهم - قد كذبتكم بآيات الله وكذبتكم رسوله وأعرضتم عن ذكر الله فسوف يكون تكذيبكم سببا في عذابكم يوم القيامة.

أحكام ومسائل الآيات

في هذه الآيات: وعد الله - ووعدته الحق - لعباده الصالحين بالدرجات العالية من الجنة. وفيها: أن الملائكة تتلقاهم بالتحية والسلام ويدخلونها خالدين فيها لا يزولون عنها ولا يخرجون منها. وفيها: أن الله إنما خلق الخلق لعبادته وطاعته فإذا تخلوا عنها حق عليهم العذاب.

(١) سورة الذاريات الآية ٥٦.

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

سورة الشعراء

مكية وآياتها مائتان وسبع وعشرون آية

طَسَمَ ﴿١﴾ تِلْكَ آيَاتُ الْكِتَابِ الْمُبِينِ ﴿٢﴾ لَعَلَّكَ بَخِيعٌ نَفْسِكَ ﴿٣﴾
 أَلَّا يَكُونُوا مُؤْمِنِينَ ﴿٤﴾ إِنْ نَشَأْ نُزِّلْ عَلَيْهِمْ مِنَ السَّمَاءِ آيَةً فَظَلَّتْ أَعْنَاقُهُمْ ﴿٥﴾
 لَهَا خَضِيعِينَ ﴿٦﴾ وَمَا يَأْتِيهِمْ مِنْ ذِكْرِ مِنَ الرَّحْمَنِ مُحَدَّثٍ إِلَّا كَانُوا عَنْهُ ﴿٧﴾
 مُعْرِضِينَ ﴿٨﴾ فَقَدْ كَذَّبُوا فَسَيَأْتِيهِمْ أَنْبَاءُ مَا كَانُوا بِهِ يَسْتَهْزِءُونَ ﴿٩﴾
 أَوَلَمْ يَرَوْا إِلَى الْأَرْضِ كَمْ أَنْبَلْنَا فِيهَا مِنْ كُلِّ زَوْجٍ كَرِيمٍ ﴿١٠﴾ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَةً ﴿١١﴾
 وَمَا كَانَ أَكْثَرُهُمْ مُؤْمِنِينَ ﴿١٢﴾ وَإِنَّ رَبَّكَ لَهُوَ الْعَزِيزُ الرَّحِيمُ ﴿١٣﴾

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

﴿طَسَمَ﴾ الله أعلم بمراده ﴿تِلْكَ آيَاتُ الْكِتَابِ الْمُبِينِ﴾ أي: هذا الذي أنزل إليك هو آيات الكتاب البين الدال على مراد الله وأحكامه التي شرعها لعباده وأمرهم بالقيام بها، ليكون في ذلك نفعهم في دينهم ودنياهم ﴿لَعَلَّكَ بَخِيعٌ نَفْسِكَ أَلَّا يَكُونُوا مُؤْمِنِينَ﴾ أي: لا تشق على نفسك فتهلكها بسبب عدم إيمان قومك فأنت رسول تبلغهم ما أنزل إليك، فإن هم أطاعوك فذاك خير لهم وإن هم عصوك فما عليك إلا البلاغ وعلينا حسابهم ﴿إِنْ نَشَأْ نُزِّلْ عَلَيْهِمْ مِنَ السَّمَاءِ

ءَايَةً فَظَلَّتْ أَعْنَاقُهُمْ لَهَا خَاضِعِينَ ۖ أَي: لو نشأ لأنزلنا عليهم آية من السماء تخضع وتذل لها أعناقهم فيؤمنون ولكن لم نفعل ذلك؛ لأن الحكمة اقتضت أن يُرسل إليهم الرسول ويُنزل عليهم الكتاب لعلهم يؤمنون طواعية ۖ وَمَا يَأْتِيهِمْ مِّنْ ذِكْرٍ مِّنَ الرَّحْمَنِ مُحَدِّثٍ إِلَّا كَانُوا عَنْهُ مُعْرِضِينَ ۖ أَي: لما جاءهم الهدى من السماء تولوا عنه وأعرضوا فَقَدْ كَذَّبُوا فَسَيَأْتِيهِمْ أَنْبَاءُ مَا كَانُوا بِهِ يَسْتَهْزِءُونَ ۖ أَي: كذبوا ما جاءهم من الحق والهدى وبعد ذلك سيأتيهم عاقبة استهزائهم وفي هذا وعيد لهم.

أَوَلَمْ يَرَوْا إِلَى الْأَرْضِ كَمْ أَنْبَأْنَا فِيهَا مِنْ كُلِّ زَوْجٍ كَرِيمٍ ۖ في هذا بيان من الله عن عظيم قدرته وسلطانه ينبّه فيها عباده أن يتفكروا ويروا ما في الأرض من مختلف النبات وأصنافه وما فيها من أنواع الحيوان ۖ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَةً ۖ وَمَا كَانَ أَكْثَرُهُمْ مُّؤْمِنِينَ ۖ أَي: في ذلك دلالة على عظمة الله وقدرته، ومع ذلك فإن أكثر الناس لم يؤمنوا ۖ وَإِنَّ رَبَّكَ لَهُوَ الْعَزِيزُ الرَّحِيمُ ۖ أَي: هو العزيز الذي سما بعزته وذلت له المخلوقات وقهر الجبابرة والطغاة، الرحيم بخلقه فلا يؤاخذهم بما كسبوا من السيئات، بل ينتظر توبتهم ويفرح بها حتى لا يعذبهم.

أحكام ومسائل الآيات:

في هذه الآيات: الحكم بأن كتاب الله بين في آياته وأحكامه

أنزله على خلقه ليكون هداية لهم إلى الصراط المستقيم. وفيها: تسلية رسول الله ﷺ عما أصابه من تكذيب قومه والنهي له عن مشاقة نفسه، بسبب عدم إيمانهم وأنه رسول لهم يبلغهم ما أنزل إليه، أما حسابهم فهو على الله كما قال عز وجل ﴿فَلَعَلَّكَ بَخِيعُ نَفْسِكَ عَلَىٰ عَائِرِهِمْ إِنْ لَمْ يُؤْمِنُوا بِهَذَا الْحَدِيثِ أَسَفًا﴾^(١). وفيها: الحكم بأن الله لا يكره الناس على الإيمان بل أنزل عليهم الكتاب وأرسل لهم الرسل، وجعل لهم الاختيار بين الطاعة والمعصية كما قال عز وجل ﴿وَلَوْ شَاءَ رَبُّكَ لَأَمَنَّ مِنَ فِي الْأَرْضِ كُلَّهُمْ جَمِيعًا أَفَأَنْتَ تُكْرِهُ النَّاسَ حَتَّىٰ يَكُونُوا مُؤْمِنِينَ﴾^(٢). وفيها: الوعيد للمستهزئين بآيات الله المكذبين بها كما قال عز وجل ﴿وَسَيَعْلَمُ الَّذِينَ ظَلَمُوا أَيَّ مُنْقَلَبٍ يَنْقَلِبُونَ﴾^(٣). وفيها: وجوب الاعتبار بما في الأرض من أصناف النبات والحيوان مما يدل على عظيم قدرة الله ووجوب طاعته.

﴿وَإِذْ نَادَىٰ رَبُّكَ مُوسَىٰ أَنْ أَنْتِ الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ﴾^(١٠) قَوْمَ فِرْعَوْنَ
أَلَا يَتَّقُونَ^(١١) قَالَ رَبِّ إِنِّي أَخَافُ أَنْ يُكَذِّبُونِ^(١٢) وَيَضِيقُ صَدْرِي
وَلَا يَنْطَلِقُ لِسَانِي فَأَرْسِلْ إِلَىٰ هَارُونَ^(١٣) وَلَهُمْ عَلَىٰ ذَنْبٍ فَأَخَافُ

(١) سورة الكهف الآية ٦ .

(٢) سورة يونس الآية ٩٩ .

(٣) سورة الشعراء من الآية ٢٢٧ .

أَنْ يَقْتُلُون ﴿١٤﴾ قَالَ كَلَّا فَإِذْ هَبَا بِأَيِّتِنَا إِنَّا مَعَكُمْ مُسْتَمِعُونَ ﴿١٥﴾
 فَأَتِيَافِرْعَوْنَ فَقُولَا إِنَّا رَسُولُ رَبِّ الْعَالَمِينَ ﴿١٦﴾ أَنْ أَرْسِلَ مَعَنَا بَنِي
 إِسْرَءِيلَ ﴿١٧﴾ قَالَ أَلَمْ نُرَبِّكَ فِينَا وَلِيدًا وَلَبِثْتَ فِينَا مِنْ عُمُرِكَ سِنِينَ
 وَفَعَلْتَ فَعَلَتَكَ الَّتِي فَعَلْتَ وَأَنْتَ مِنَ الْكَافِرِينَ ﴿١٨﴾
 قَالَ فَعَلْنَاهَا إِذَا وَأَنَا مِنَ الضَّالِّينَ ﴿١٩﴾ فَفَرَرْتُ مِنْكُمْ لَمَّا خِفْتُكُمْ فَوَهَبَ
 لِي رَبِّي حُكْمًا وَجَعَلَنِي مِنَ الْمُرْسَلِينَ ﴿٢٠﴾ وَتِلْكَ نِعْمَةٌ تَمُنَّهَا عَلَيَّ أَنْ عَبَّدْتَ
 بَنِي إِسْرَءِيلَ ﴿٢١﴾

بيان الآيات:

﴿وَإِذْ نَادَى رَبُّكَ مُوسَى﴾ أي: أمره بعد مناجاته في الطور أن
 يذهب إلى فرعون ﴿أَنْ أَنْتَ الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ﴾ أي: اذهب إلى القوم
 الذين ظلموا أنفسهم بارتكابهم الكفر ﴿قَوْمَ فِرْعَوْنَ أَلَا يَنْقُوتَ﴾
 أي: اذهب إليهم وأمرهم أمرا لينا لعلهم يتقون الله ويطيعونه فأجابه
 موسى ممتثلا للأمر إلا أنه ﴿قَالَ رَبِّ إِنِّي أَخَافُ أَنْ يُكَذِّبُونِ﴾ أي: لا
 يصدقون ما جئتهم به؛ لأنهم عتاة ومتجبرون، وحينئذ سوف أضيق
 بهم كما قال ﴿وَيَضِيقُ صَدْرِي﴾ أي: بسبب تكذيبهم لي وعدم قدرتي
 عليهم ﴿وَلَا يَنْطَلِقُ لِسَانِي﴾ أي: حينئذ لن ينطلق لساني فأبلغهم
 ما جئتهم به ﴿فَأَرْسِلْ إِلَى هَارُونَ﴾ أي: فأجعل أخي هارون رسولا
 يذهب معي إليهم ويساعدني على دعوتهم فإنه أفصح مني كما قال في

الآيات الأخرى قَالَ رَبِّ اشْرَحْ لِي صَدْرِي ^(١). وَيَسِّرْ لِي أَمْرِي ^(٢).
وَأَحْلِلْ عُقْدَةً مِنْ لِسَانِي ^(٣). يَفْقَهُوا قَوْلِي ^(٤). وقد استجاب الله له
كما في قوله عز وجل قَالَ قَدْ أُوتِيتَ سُؤْلَكَ يَمُوسَى ^(٥).

وقوله وَلَهُمْ عَلَى ذَنْبٍ فَأَخَافُ أَنْ يَقْتُلُونِ المراد ما حصل
من موسى من قتل القبطي حين استنصره عليه أحد شيعته ثم ترك
مصر بعد ذلك قَالَ كَلَّا فَادْهَبَا بِأَيْدِنَا إِنَّا مَعَكُمْ مُسْتَمِعُونَ
أي: لا تخف مما قلته فاذهب أنت وأخوك بما أنزلناه، ونحن معكما
نسمع ونرى كما قال عز وجل فَلَا يَصِلُونَ إِلَيْكُمَا بِأَيْدِنَا أَنْتَمَا وَمَنْ
اتَّبَعَكُمَا الْغَالِبُونَ ^(٦).

﴿فَاتِيَا فِرْعَوْنَ فَقُولَا إِنَّا رَسُولُ رَبِّ الْعَالَمِينَ﴾ أي: قولا لفرعون:
إِنَّا أُرْسِلْنَا إِلَيْكَ مِنْ رَبِّ الْعَالَمِينَ ﴿أَنْ أَرْسِلَ مَعَنَا بَنِي إِسْرَءِيلَ﴾ أي:
جننا إليك، لترسل معنا بني إسرائيل وتطلق سراحهم وتترك تسخيرهم
وتعذيبهم. فلما عرف فرعون ما أَرَادَهُ موسى وأخوه ذَكَرَهُ بما مضى
منه وكيف أَنَّهُ تَرَبَّى فِي بَيْتِهِ ومكث سنين عنده ﴿قَالَ أَلَمْ نُرَبِّكَ فِينَا

(١) سورة طه الآية ٢٥ .

(٢) سورة طه الآية ٢٦ .

(٣) سورة طه الآية ٢٧ .

(٤) سورة طه الآية ٢٨ .

(٥) سورة طه الآية ٣٦ .

(٦) سورة القصص من الآية ٣٥ .

وَلِيدَا ﴿٢٨٩﴾ أَي: أَلَمْ تَكُنَ الَّذِي تَرَبَّى فِي بَيْتِنَا وَأَكَلَ مِنْ نِعْمَتِنَا ﴿٢٩٠﴾ وَلَيْسَتْ
 فِينَا مِنْ عُمْرِكَ سِنِينَ ﴿٢٩١﴾ آمَنَّا مَطْمَئِنَّا، ثُمَّ قَابَلْتُ هَذَا كُلَّهُ بِعَمَلٍ شَائِنٍ
 فَقَتَلْتُ أَحَدَ رَعَايَانَا دُونَ حَقِّ وَهُوَ قَوْلُهُ ﴿٢٩٢﴾ وَفَعَلْتَ فَعَلْتَكَ الَّتِي
 فَعَلْتَ وَأَنْتَ مِنَ الْكَافِرِينَ ﴿٢٩٣﴾ فَأَجَابَهُ مُوسَى عَلَيْهِ السَّلَامُ مُعْتَرِفًا
 بِمَا فَعَلَ بِقَوْلِهِ ﴿٢٩٤﴾ قَالَ فَعَلْتُهَا إِذَا وَأَنَا مِنَ الضَّالِّينَ ﴿٢٩٥﴾ أَي: لَمَّا فَعَلْتُ تِلْكَ
 الْفَعْلَةَ وَهِيَ قَتْلُ الْقَبْطِيِّ كُنْتُ مِنَ الضَّالِّينَ أَي: قَبْلَ أَنْ يَمُنَ اللَّهُ عَلَيَّ
 بِالرِّسَالَةِ وَيَهْدِيَنِي ﴿٢٩٦﴾ فَفَرَرْتُ مِنْكُمْ لَمَّا خِفْتُكُمْ فَوَهَبَ لِي رَبِّي حُكْمًا
 وَجَعَلَنِي مِنَ الْمُرْسَلِينَ ﴿٢٩٧﴾ أَي: فَفَرَرْتُ مِنْكُمْ إِلَى أَرْضِ مَدْيَنَ خَوْفًا عَلَى
 حَيَاتِي مِنْكُمْ، وَقَدْ بَدَلَ اللَّهُ حَالِي فَوَهَبَنِي بِفَضْلِهِ وَنِعْمَتِهِ عِلْمًا يَنْفَعُنِي،
 وَجَعَلَنِي رَسُولًا إِلَيْكُمْ أَدْعُوكُمْ إِلَى طَاعَتِهِ وَأَحْذَرُكُمْ مِمَّا أَنْتُمْ فِيهِ مِنَ
 الْكُفْرِ بِهِ وَمَعْصِيَتِهِ.

وَفِي سِيَاقِ مَجَادَلَةِ مُوسَى لِفِرْعَوْنَ قَالَ ﴿٢٩٨﴾ وَتِلْكَ نِعْمَةٌ تَمُنُّهَا عَلَيَّ أَنْ
 عَبَّدْتُ بَنِيَ إِسْرَءِيلَ ﴿٢٩٩﴾ أَي: إِنْ إِحْسَانِكَ إِلَيَّ كَمَا ذَكَرْتُ إِحْسَانَ إِلَى فِرْدٍ
 وَاحِدٍ مُقَابِلَ مَا فَعَلْتَهُ بَبْنِي إِسْرَءِيلَ مِنْ تَسْخِيرِهِمْ وَتَعْذِيبِهِمْ وَقَتْلِ
 أَوْلَادِهِمْ وَاسْتِرْقَاقِ بَنَاتِهِمْ.

أحكام ومسائل الآيات:

فِي هَذِهِ الْآيَاتِ: تَقْرِيرُ أَنَّ اللَّهَ كُلَّمُ مُوسَى، وَأَمْرُهُ أَنْ يَذْهَبَ
 بِالرِّسَالَةِ إِلَى فِرْعَوْنَ. وَشَاهِدُهُ أَيْضًا قَوْلُهُ عَزَّ وَجَلَّ ﴿٣٠٠﴾ وَكَلَّمَ اللَّهُ مُوسَى

تَكْلِيمًا ﴿١﴾. وفيها: تقرير أن الخوف من طبيعة البشر، سواء كانوا رسلاً أو أفراداً آخرين. وفيها: تقرير مشروعية طلب العون وهو إما أن يكون من الله، وذلك بدعائه والتوسل إليه بأسمائه وصفاته كما قال تعالى ﴿إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ﴾ ﴿٢﴾. أو يكون طلب العون من المخلوقين، وهذا الطلب لا يكون إلا فيما يقدرُونَ عليه من أمور الدنيا كالمساعدة بمال أو حمل متاع أو نحو ذلك مما يتعارف عليه الناس بينهم. وفي هذه الآيات: تقرير أن القتل من الأمور التي تنكرها الطباع البشرية. وفيها: استحباب تذكير الإنسان بإحسانه إلى غيره على سبيل التذكير، وليس على سبيل المنّة والاستعلاء وتحقير المُحْسِنِ إليه كما قال عز وجل ﴿يَتَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا لَا بُطْلُوْا صَدَقَتِكُمْ بِالْمَنِّ وَالْأَذَى﴾ الآية ﴿٣﴾.

وفيها: أن لفظ الضلال قد يراد به الجهل وليس الضلال بمعنى إنكار الحق كما قال عز وجل لنبيه ورسوله محمد ﷺ ﴿وَوَجَدَكَ ضَالًّا فَهَدَى﴾ ﴿٤﴾.

﴿قَالَ فِرْعَوْنُ وَمَا رَبُّ الْعَالَمِينَ﴾ ﴿٢٣﴾ قَالَ رَبُّ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ

(١) سورة النساء من الآية ١٦٤ .

(٢) سورة الفاتحة الآية ٥ .

(٣) سورة البقرة من الآية ٢٦٤ .

(٤) سورة الضحى الآية ٧ .

وَمَا بَيْنَهُمَا إِنْ كُنْتُمْ مُوقِنِينَ ﴿٢٤﴾ قَالَ لِمَنْ حَوْلَهُ أَلَا تَسْمَعُونَ ﴿٢٥﴾
 قَالَ رَبُّكُمْ وَرَبُّ آبَائِكُمُ الْأَوَّلِينَ ﴿٢٦﴾ قَالَ إِنَّ رَسُولَكُمْ الَّذِي أُرْسِلَ
 إِلَيْكُمْ لَمَجْنُونٌ ﴿٢٧﴾ قَالَ رَبُّ الْمَشْرِقِ وَالْمَغْرِبِ وَمَا بَيْنَهُمَا إِنْ كُنْتُمْ
 تَعْقِلُونَ ﴿٢٨﴾

بيان الآيات:

﴿قَالَ فِرْعَوْنُ وَمَا رَبُّ الْعَالَمِينَ﴾ لقد سأل فرعون هذا السؤال مع أنه موقن بربوبية الله كما قال عز وجل ﴿وَحَدِّثُوا بِهَِا وَاسْتَفْتِنَهَا أَنْفُسَهُمْ ظُلُمًا وَعُلُوًّا﴾^(١). ولكنه قال هذا القول أمام قومه الذين رباهم على طاعته وصرفهم عن عبادة الله وقال لهم ﴿مَا عَلِمْتُ لَكُمْ مِنْ إِلَهٍ غَيْرِي﴾^(٢). وقد أجابه موسى عن سؤاله فيما حكاه الله عنه بقوله عز وجل ﴿قَالَ رَبُّ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا﴾ أي: هو خالق السموات وما فيها، وخالق الأرض وما فيها، وخالق ما بينهما وخالق كل شيء مما ترونه من الكواكب السيارة، والبحار والأنهار وكل المخلوقات والنباتات والحيوان وكل ما في الكون علوه وسفله ﴿إِنْ كُنْتُمْ مُوقِنِينَ﴾ أي: هذا هو الله كما وصفته لكم إن كانت لكم عقول تدركون بها حقيقة هذا الكون وخالقه ومدبره ومسيره. ولما استمع

(١) سورة النمل من الآية ١٤ .

(٢) سورة القصص من الآية ٣٨ .

فرعون إلى كلام موسى تعجرف والتفت إلى خاصته الذين يجلسون حوله يخاطبهم ﴿قَالَ لِمَنْ حَوْلَهُ أَلَا تَسْمَعُونَ﴾ أي: ألا تعجبون من هذه المقالة التي يقول فيها إن لكم إلها غيري، فلما سمع موسى قوله خاطبه معقبا ﴿قَالَ رَبُّكُمْ وَرَبُّ آبَائِكُمُ الْأَوَّلِينَ﴾ أي: إن الله الذي ذكرت لكم هو ربكم أي: خالقكم وخالق آبائكم الأولين فحينئذ قال فرعون ﴿قَالَ إِنَّ رَسُولَكُمْ الَّذِي أُرْسِلَ إِلَيْكُمْ لَمَجْنُونٌ﴾ أي: هذا الذي يدعي أنه رسول إليكم، إنما هو مجنون في كلامه وزعمه أن لكم إلها غيري.

وبعد ذلك عقب موسى على كلامه نافيا التهمة التي وجهها إليه فرعون، ثم زاد على ما قاله عن ربوبية الله وخلق السموات والأرض وخلقهم هم وآبائهم ﴿قَالَ رَبُّ الْمَشْرِقِ وَالْمَغْرِبِ وَمَا بَيْنَهُمَا إِنْ كُنْتُمْ تَعْقِلُونَ﴾ أي: هذا هو أيضاً رب المشرق الذي تطلع منه الشمس ورب المغرب الذي تغرب فيه، فهو المالك لكل الوجود وليس كالملك الصغير الذي تحكمه أنت.

أحكام ومسائل الآيات:

في هذه الآيات: تقرير استكبار الطغاة وعدم قبولهم الحق مع إقرارهم به في أنفسهم. وفيها: أن الدعاة إلى الحق يتعرضون في الغالب إلى اتهامهم بشتى التهم لإرغامهم على السكوت عن الحق وعدم الجهر

به. وفيها: أن الطغاة إذا أعيتهم الحيل في رد الحق وخافوا من انتصار أصحابه لجؤوا إلى تهديدهم وعقابهم.

﴿قَالَ لَئِنْ أَخَذَتْ إِلَهًا غَيْرِي لَأَجْعَلَنَّكَ مِنَ الْمَسْجُونِينَ﴾ (٢٩)
 قَالَ أَوْلَوْ جِئْتُكَ بِشَيْءٍ مُّبِينٍ ﴿٣٠﴾ قَالَ فَأْتِ بِهِ إِنْ كُنْتَ مِنَ
 الصّٰدِقِينَ ﴿٣١﴾ فَأَلْقَى عَصَاهُ فَإِذَا هِيَ ثُعْبَانٌ مُّبِينٌ ﴿٣٢﴾ وَنَزَعَ يَدَهُ فَإِذَا
 هِيَ بَيْضَاءُ لِلنّٰظِرِينَ ﴿٣٣﴾ قَالَ لِلْمَلَأِ حَوْلَهُ إِنَّ هَٰذَا لَسِحْرٌ عَلِيمٌ ﴿٣٤﴾
 يُرِيدُ أَنْ يُخْرِجَكُمْ مِنْ أَرْضِكُمْ بِسِحْرِهِ فَمَاذَا تَأْمُرُونَ ﴿٣٥﴾
 قَالُوا أَرْجِهْ وَأَخَاهُ وَأَبْعَثْ فِي الْمَدَائِنِ حَاشِرِينَ ﴿٣٦﴾ يَأْتُوكَ بِكُلِّ
 سَحَابٍ عَلِيمٍ ﴿٣٧﴾

بيان الآيات:

﴿قَالَ لَئِنْ أَخَذَتْ إِلَهًا غَيْرِي لَأَجْعَلَنَّكَ مِنَ الْمَسْجُونِينَ﴾ ﴿٢٩﴾ لما
 أسقط في يد فرعون، وانقطعت حجته، وخشي أن يتقلت منه قومه لما
 رأوا حجة موسى وصدق بيانه التفت إليه متوعدا له بأن يسجنه إذا
 استمر على ما يقوله، لكن موسى عليه السلام لم يكن خائفا منه؛ لأنه
 عرف أن الله سيمنعه منه كما وعده فقال له ملاطفا رغم تهديده
 ووعيده ﴿قَالَ أَوْلَوْ جِئْتُكَ بِشَيْءٍ مُّبِينٍ﴾ ﴿٣٠﴾ أي: هل تسجنني حتى لو
 أتيت لك بدليل واضح على صدق ما أقول. ولما قال هذا تراجع فرعون

وطمع في أن يرى ما يقول موسى ﴿قَالَ فَأَتِ بِهِ إِنْ كُنْتَ مِنَ الصّٰدِقِیْنَ﴾ أي: افعَل ما تقول ﴿فَأَلْقَىٰ عَصَاهُ فَإِذَا هِيَ ثُعْبَانٌ مُّبِينٌ﴾ أي: تحولت العصا بعد أن ألقاها أمام فرعون إلى ثعبان لا شك فيه ﴿وَنَزَعَ يَدَهُ﴾ أي: من جيبه ﴿فَإِذَا هِيَ بَيْضَاءُ لِلنَّظَرِیْنَ﴾ أي: ناصعة البياض لمن ينظر إليها. وكعادة الطغاة في التكبر والتعجرف وعدم تحكيم العقل التفت فرعون إلى من كان حوله من قومه وخاصته قائلاً لهم ﴿إِنَّ هَٰذَا لَسِحْرٌ عَلِيمٌ﴾ أي: بارع في سحره حكيم فيه، ولكي يصدقه قومه نزع إلى ما يؤثر عليهم وهو أن موسى يريد إخراجهم من الأرض الذي يعرف فرعون أنهم يحبونها ويتمسكون بالبقاء فيها فقال لهم ﴿يُرِيدُ أَنْ يُخْرِجَكُم مِّنْ أَرْضِكُمْ بِسِحْرِهِ فَمَاذَا تَأْمُرُونَ﴾ أي: أفيدوني فيما أصنع فيه ﴿قَالُوا أَرْجِهْ وَأَخَاهُ وَأُبْعَثْ فِي الْمَدَآئِنِ حٰشِرِينَ﴾ أي: أخر عقابه وأرسل إلى أهل مملكتك ﴿يَأْتُوكَ بِكُلِّ سَحَابٍ عَلِيمٍ﴾ أي: يجمعوا لك السحرة المبدعين في السحر العارفين به، فعندئذ يتغلبون على سحر موسى فينتهي أمره وتستريح منه.

أحكام ومسائل الآيات:

في هذه الآيات: تقرير المجادلة بالحق وثبوت المعجزات لأنبياء الله كما حدث لإبراهيم وموسى. وأهم معجزة جاء بها رسول الله ﷺ

هي القرآن الذي شرع الله فيه الأحكام لخلقه وجعله خاتم الكتب السماوية. وفيها: تقرير أن السحر حقيقة خلافا لمن قال: إنه مجرد تخيل، مع الحكم بتحريمه صناعة وعلمًا وتعليمًا.

﴿فَجُمِعَ السَّحَرَةُ لِمِيقَاتِ يَوْمٍ مَّعْلُومٍ﴾ (٣٨) وَقِيلَ لِلنَّاسِ هَلْ أَنْتُمْ مُجْتَمِعُونَ ﴿٣٩﴾ لَعَلَّنَا نَتَّبِعَ السَّحَرَةَ إِنْ كَانُوا هُمْ الْغَالِبِينَ ﴿٤٠﴾ فَلَمَّا جَاءَ السَّحَرَةُ قَالُوا لِفِرْعَوْنَ أَإِنَّا لَنَا أَجْرًا إِنْ كُنَّا نَحْنُ الْغَالِبِينَ ﴿٤١﴾ قَالَ نَعَمْ وَإِنَّكُمْ إِذَا لَمِنَ الْمُقَرَّبِينَ ﴿٤٢﴾ قَالَ لَهُمْ مُوسَى أَلْقُوا مَا أَنْتُمْ مُلْقُونَ ﴿٤٣﴾ فَأَلْقَوْا حِبَالَهُمْ وَعَصِيَّهِمْ وَقَالُوا بِعِزَّةِ فِرْعَوْنَ إِنَّا لَنَحْنُ الْغَالِبُونَ ﴿٤٤﴾ فَأَلْقَى مُوسَى عَصَاهُ فَإِذَا هِيَ تَلْقَفُ مَا يَأْفِكُونَ ﴿٤٥﴾ فَأَلْقَى السَّحَرَةُ سَاجِدِينَ ﴿٤٦﴾ قَالُوا آمَنَّا بِرَبِّ الْعَالَمِينَ ﴿٤٧﴾ رَبِّ مُوسَى وَهَارُونَ ﴿٤٨﴾

بيان الآيات:

﴿فَجُمِعَ السَّحَرَةُ لِمِيقَاتِ يَوْمٍ مَّعْلُومٍ﴾ لما أشار خاصة فرعون عليه أن يجمع السحرة من الأقاليم قبل تلك المشورة، فاجتمعوا في صعيد واحد، واجتمع كثير من الناس في ذلك الصعيد ليشاهدوا غلبتهم على ما ظنوه سحر موسى، وكان هذا بإرادة الله ليحقق لرسالته النصر في ذلك المشهد من الناس ﴿وَقِيلَ لِلنَّاسِ هَلْ أَنْتُمْ مُجْتَمِعُونَ﴾ أي: اجتمعوا ﴿لَعَلَّنَا نَتَّبِعَ السَّحَرَةَ إِنْ كَانُوا هُمْ الْغَالِبِينَ﴾ أي: سوف

نتبعهم لاعتقادهم أن موسى ليس رسولا وإنما هو ساحر، كما وصفه لهم فرعون وهم بهذا القول لم يفكروا في اتباع الحق، بل اتباع فرعون وسحرته ﴿فَلَمَّا جَاءَ السَّحَرَةُ قَالُوا لِفِرْعَوْنَ أَإِنَّا لَنَأَجْرًا إِن كُنَّا نَحْنُ الْغَالِبِينَ﴾ لما كان السحرة يعرفون أنهم أجراء يتكسبون بسحرهم سألوا فرعون في تذلل وخضوع عما إذا كان سيعطيهم أجورهم إذا هم غلبوا موسى ﴿قَالَ نَعَمْ وَإِنَّكُمْ إِذَا لَمِنَ الْمُقَرَّبِينَ﴾ أي: سوف تؤتون أجوركم، وستكونون من خاصتي إذا غلبتم. ولما عرف موسى استعدادهم قال لهم ﴿أَلْقُوا مَا أَنْتُمْ مُلْقُونَ﴾ ﴿فَأَلْقَوْا حِبَالَهُمْ وَعَصِيَّهُمْ وَقَالُوا بِعِزَّةِ فِرْعَوْنَ إِنَّا لَنَحْنُ الْغَالِبُونَ﴾ أي: لما ألقوا ما معهم من الحبال والعصي التي جاؤوا بها للتغلب على سحر موسى كما زعموا قالوا: بعزة فرعون أي: استعانة به وتبركا سوف نغلب موسى ﴿فَأَلْقَى مُوسَى عَصَاهُ فَإِذَا هِيَ تَلْقَفُ مَا يَأْفِكُونَ﴾ أي: تبتلع كل ما افتروه من السحر.

﴿فَأَلْقَى السَّحَرَةُ سَجِدِينَ﴾ أي: خروا له سجدا، لما رأوا ما أذهلهم من قدرة الله وعظمته ﴿قَالُوا آمَنَّا بِرَبِّ الْعَالَمِينَ﴾ ﴿رَبِّ مُوسَى وَهَارُونَ﴾ أي: آمنا وصدقنا بربوبية الله، وأنه رب الخلق ورب موسى وهارون وربنا جميعا.

أحكام ومسائل الآيات:

في هذه الآيات: تقرير أن العامة من الناس يحبون مشاهدة الأخبار العامة. وفيها: تقرير طلب الأجر مقابل العمل وأن الذين يقدمون للحاكم خدمة مميزة يكونون أقرب الناس إليه. وفيها: تقرير حقيقة واحدة هي أن الحق ينتصر على الباطل مهما كانت قوته وفيها: منة الله على من يشاء من عباده فيجعل له من الأسباب ما يهديه إليه كما جعل اجتماع السحرة من أقاليم مصر سببا في هدايتهم وإيمانهم بربوبية الله والتبرئ من اتباع فرعون.

﴿قَالَ ءَامَنْتُمْ لَهُ قَبْلَ أَنْ ءَاذَنَ لَكُمْ إِنَّهُ لَكَبِيرُكُمُ الَّذِي عَلَّمَكُمُ السِّحْرَ فَلَسَوْفَ تَعْلَمُونَ لَا قُطْعَنَ أَيْدِيكُمْ وَأَرْجُلُكُمْ مِّنْ خَلْفٍ وَلَا صَلْبَتَكُمْ أَجْمَعِينَ ﴿٤٩﴾ قَالُوا لَا ضَيْرَ إِنَّا إِلَىٰ رَبِّنَا مُنْقَلِبُونَ ﴿٥٠﴾ إِنَّا نَطْمَعُ أَنْ يَغْفِرَ لَنَا رَبُّنَا خَطِيئَتَنَا أَن كُنَّا أَوَّلَ الْمُؤْمِنِينَ ﴿٥١﴾﴾

بيان الآيات:

﴿قَالَ ءَامَنْتُمْ لَهُ قَبْلَ أَنْ ءَاذَنَ لَكُمْ﴾ لما رأى فرعون ما رأى من إيمان السحرة بالله وتبرئهم من اتباعه رغم ما وعدهم به من الأجر والقرب منه، خشي أن يكون ذلك بداية لزوال حكمه، فأنكر عليهم إيمانهم بموسى قبل أن يأذن لهم في ذلك ثم اتهمهم بتبعيتهم له

لكونه كبيرهم ومعلمهم السحر بقوله ﴿إِنَّهُ لَكَبِيرُكُمُ الَّذِي عَلَّمَكُمُ السِّحْرَ﴾ ثم توعدهم بتعذيبهم بقوله ﴿فَلَسَوْفَ تَعْلَمُونَ لَأُقَطِّعَنَّ أَيْدِيَكُمْ وَأَرْجُلَكُمْ مِّنْ خَلْفٍ﴾ أي: أقطع اليد اليمنى والرجل اليسرى من كل واحد منكم ﴿وَلَأُصَلِّبَنَّكُمْ أَجْمَعِينَ﴾ أي: لأصلببنكم بعد ذلك على الأخشاب ليراكم الناس وتكونوا عبرة لغيركم ﴿قَالُوا لَا ضَيْرَ﴾ أي: أن إيمان السحرة وتحولهم من الكفر إلى الإيمان بعدما رأوا عظمة قدرة الله جعلهم لا يبالون بتهديد فرعون فقالوا: لا حرج مما ستفعله بنا، فلن يضيرنا ذلك ولن نخشاه ﴿إِنَّا إِلَىٰ رَبِّنَا مُنْقَلِبُونَ﴾ أي: إن مرجعنا إلى الله عز وجل فلا نبالي بأحد سواه ﴿إِنَّا نَطْمَعُ أَنْ يَغْفِرَ لَنَا رَبُّنَا خَطِيئَتَنَا﴾ أي: نوُمل ونرجو أن يغفر الله لنا ما ارتكبنا من الذنوب والخطايا وما اكرهتنا عليه من السحر ﴿أَن كُنَّا أَوَّلَ الْمُؤْمِنِينَ﴾ أي: بسبب إعلان توبتنا ومبادرتنا بالإيمان بما جاء به موسى صلى الله على محمد وعليه وعلى جميع رسل الله تعالى أجمعين.

أحكام ومسائل الآيات:

في هذه الآيات: تقرير كذب التهمة التي لا تستند إلى دليل، فعندما اتهم فرعون السحرة بأنهم يتبعون موسى وسحره كان كاذباً؛ لأنه لم يكن بينهم وبين موسى أي صلة قبل اجتماعهم به في الاجتماع الذي دعا إليه فرعون. وفيها: تقرير أن إيمان المرء بعقيدته يجعله يتحدى

كل معاني الخوف ولو أدى ذلك إلى قتله. وفيها: أن المؤمن يطمع في رحمة الله، ولا يخاف فيه لومة لائم.

﴿وَأَوْحَيْنَا إِلَىٰ مُوسَىٰ أَنْ أَسْرِ بِعِبَادِي إِنَّكُمْ مُّتَّبِعُونَ﴾ ٥٢ ﴿فَأَرْسَلَ فِرْعَوْنُ فِي الْمَدَائِنِ حَاشِرِينَ﴾ ٥٣ ﴿إِنَّ هَؤُلَاءِ لَشِرْذِمَةٌ قَلِيلُونَ﴾ ٥٤ ﴿وَأِنَّهُمْ لَنَا لَغَآئِطُونَ﴾ ٥٥ ﴿وَأِنَّا لَجَمِيعٌ حَاذِرُونَ﴾ ٥٦ ﴿فَأَخْرَجْنَاهُمْ مِنْ جَنَّاتٍ وَعُيُونٍ﴾ ٥٧ ﴿وَكُنُوزٍ وَمَقَامٍ كَرِيمٍ﴾ ٥٨ ﴿كَذَٰلِكَ وَأَوْرَثْنَاهَا بَنِي إِسْرَءِيلَ﴾ ٥٩ ﴿

بيان الآيات:

﴿وَأَوْحَيْنَا إِلَىٰ مُوسَىٰ أَنْ أَسْرِ بِعِبَادِي إِنَّكُمْ مُّتَّبِعُونَ﴾ لما بلغ موسى رسالة الله إلى فرعون وقومه وأبى إلا أن يتكبر عن عبادة الله، وطال المقام ببني إسرائيل، أمر الله موسى أن يسير بهم من مصر إلى حيث أمره الله، فسار بهم نحو البحر كما أوحى إليه أن فرعون وقومه سوف يتبعونهم ليردوهم وهذا هو ما حدث؛ ذلك أن فرعون لما علم بخروج بني إسرائيل أرسل في بلاده ليجمع السحرة كما قال عزوجل ﴿فَأَرْسَلَ فِرْعَوْنُ فِي الْمَدَائِنِ حَاشِرِينَ﴾ ولما اجتمعوا خاطبهم قائلاً ﴿إِنَّ هَؤُلَاءِ لَشِرْذِمَةٌ قَلِيلُونَ﴾ أي: طائفة قليلة ﴿وَأِنَّهُمْ لَنَا لَغَآئِطُونَ﴾ أي: إنهم بأفعالهم يعملون ما يغيظنا ويؤذينا ﴿وَأِنَّا لَجَمِيعٌ حَاذِرُونَ﴾ أي: كلنا نحن القبط حذرون من غوائلهم وشروهم.

ثم قال عز وجل ﴿فَأَخْرَجْنَاهُمْ مِّنْ جَنَّتٍ وَعُيُونٍ﴾ المراد به خروج فرعون وقومه في طلب بني إسرائيل، وبخروجهم هذا تركوا ما كانوا يملكونه من الجنان على ضفاف نهر النيل وعيون المياه التي كانت تتفرع منه ﴿وَكُنُوزٍ وَمَقَامٍ كَرِيمٍ﴾ المراد به الأموال الوفيرة التي كانت لديهم والمساكن الكريمة التي كانوا يسكنونها مع ما كانوا فيه من الرفاهية وقوة المال.

﴿كَذَلِكَ وَأَوْرَثْنَاهَا بَنِي إِسْرَءِيلَ﴾ لعل التأويل أن بني إسرائيل ورثوا مثل هذه الجنات لما وصلوا أرض فلسطين، وليس المراد أنهم ورثوا أرض مصر بعد هلاك فرعون وقومه؛ ذلك أنه ليس هناك ما يدل على أنهم عادوا إلى مصر بعد ما خرج بهم موسى منها وشاهده قول الله عز وجل في سورة الدخان ﴿كَذَلِكَ وَأَوْرَثْنَاهَا قَوْمًا آخَرِينَ﴾^(١).

أحكام ومسائل الآيات:

في هذه الآيات: تقرير استحباب السير في الليل؛ للتخفي عن العدو. وفيها: أن من يريد مطاردة عدوه عليه جمع الجند والاستعداد له وهو ما يسمى في الوقت الحاضر بالتعبئة العامة للحرب. وفيها: تقرير أن من يخشى من عدو عليه أن يحذر منه. وفيها: تقرير أن الله يورث

(١) سورة الدخان الآية ٢٨ .

الأرض من يشاء من عباده وذلك لحكمة يراها وقدر يقدره كما قال تعالى ﴿وَأَوْرَثْنَا الْقَوْمَ الَّذِينَ كَانُوا يُسْتَضَعُونَ مَشْرِقِ الْأَرْضِ وَمَغْرِبَهَا﴾ الآية (١).

﴿فَاتَّبَعُوهُمْ مُشْرِقِينَ﴾ ٦٠ ﴿فَلَمَّا تَرَاءَ الْجَمْعَانِ قَالَ أَصْحَابُ مُوسَى إِنَّا لَمُدْرِكُونَ﴾ ٦١ ﴿قَالَ كَلَّا إِنَّ مَعِيَ رَبِّي سَيَهْدِينِ﴾ ٦٢ ﴿فَأَوْحَيْنَا إِلَى مُوسَى أَنْ أَضْرِبْ بِعَصَاكَ الْبَحْرَ فَانْفَلَقَ فَكَانَ كُلُّ فِرْقٍ كَالطَّوْدِ الْعَظِيمِ﴾ ٦٣ ﴿وَأَزَلْنَا ثُمَّ الْآخَرِينَ﴾ ٦٤ ﴿وَأَنْجَيْنَا مُوسَى وَمَنْ مَعَهُ أَجْمَعِينَ﴾ ٦٥ ﴿ثُمَّ أَغْرَقْنَا الْآخَرِينَ﴾ ٦٦ ﴿إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَةً وَمَا كَانَ أَكْثَرُهُمْ مُؤْمِنِينَ﴾ ٦٧ ﴿وَإِنَّ رَبَّكَ هُوَ الْعَزِيزُ الرَّحِيمُ﴾ ٦٨.

بيان الآيات:

﴿فَاتَّبَعُوهُمْ مُشْرِقِينَ﴾ لما تجهز فرعون وجنده خرجوا في إثر موسى وقومه فأدركوهم بعد شروق الشمس عند سيف البحر أي: بحر القلزم المعروف الآن بالبحر الأحمر ﴿فَلَمَّا تَرَاءَ الْجَمْعَانِ﴾ أي: لما رأى كل من موسى وقومه وفرعون وقومه بعضهما البعض ﴿قَالَ أَصْحَابُ مُوسَى إِنَّا لَمُدْرِكُونَ﴾ أي: خائفون من فرعون وقومه فحينئذ طمأنهم موسى وهدأ من خوفهم وقال ﴿قَالَ كَلَّا إِنَّ مَعِيَ رَبِّي سَيَهْدِينِ﴾ أي:

يجب عليكم ألا تخافوا ولا تحزنوا، فإن الله قد وعدنا بالنصر ولن يخلف وعده، فلما اقترب من البحر أوحى الله إليه أن يضرب بعصاه البحر كما قال تعالى ﴿فَأَوْحَيْنَا إِلَىٰ مُوسَىٰ أَنْ أَضْرِبْ بِعَصَاكَ الْبَحْرَ﴾ ﴿١﴾ فلما ضربه بعصاه تحققت المعجزة الإلهية فتحول إلى فرقتين كل فرقة مثل الجبل العظيم كما قال تعالى ﴿فَانْفَلَقَ فَكَانَ كُلُّ فِرْقٍ كَالطَّوْدِ الْعَظِيمِ﴾ وقد تحول البحر إلى يابسة كما قال تعالى ﴿فَأَضْرِبْ لَهُم مَّطَرِيْقًا فِي الْبَحْرِ يَبَسًا لَا تَخَفُ دَرَكًا وَلَا تَخْشَىٰ﴾ ﴿٢﴾. ﴿وَأَزَلَفْنَا ثُمَّ الْآخَرِينَ﴾ أي: قربنا فرعون وجنوده من البحر ﴿وَأَنْجَيْنَا مُوسَىٰ وَمَنْ مَعَهُ أَجْمَعِينَ﴾ أي: نجيناه وقومه ومن معه من مؤمني آل فرعون ﴿ثُمَّ أَغْرَقْنَا الْآخَرِينَ﴾ أي: أغرقنا فرعون ومن معه جميعا فلم يبق منهم أحد إلا وقد غرق.

﴿إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَآيَةً﴾ أي: إن ما حدث من نجاة موسى وقومه وهلاك فرعون وجنده لدليل على أن الله ينصر عباده المؤمنين ويهلك الكافرين ﴿وَمَا كَانَ أَكْثَرُهُمْ مُّؤْمِنِينَ﴾ أي: ما كان أكثر قوم فرعون بمؤمنين، بل كانوا كافرين؛ أما المؤمنون الذين آمنوا بموسى واتبعوه فقد نجاهم الله معه ﴿وَإِنَّ رَبَّكَ لَهُوَ الْعَزِيزُ الرَّحِيمُ﴾ أي: إن ربك يا نبينا محمداً هو القاهر بعزته الطغاة والجبابرة، وهو الرحيم الذي

(١) سورة طه من الآية ٧٧.

يرحم من يتوب من عباده وينيب إليه فاصبر على ما أصابك من قومك
وسوف يكون لك النصر عليهم كما كان لموسى من قبلك.

أحكام ومسائل الآيات:

في هذه الآيات: تقرير حقيقة الخوف عند البشر كما ذكر آنفا وفيها:
تقرير إرادة الله وحكمته في نصره عباده إذا أخلصوا عملهم وثبتوا على
طاعة ربهم كما قال عز وجل ﴿إِنَّا لَنَنْصُرُ رُسُلَنَا وَالَّذِينَ آمَنُوا فِي
الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَيَوْمَ يَقُومُ الْأَشْهَادُ﴾^(١). وفيها: تقرير المعجزة الإلهية في
فلق البحر وتحوله إلى أرض يابسة.

قلت: إن ما حدث لبني إسرائيل وفرعون ليس تفضيلا لبني
إسرائيل لجنسهم، أو كما يزعمون زورا أنهم شعب الله المختار، وإنما
المسألة مسألة دين وكفر، فلو كان فرعون وقومه مؤمنين لما كان بنو
إسرائيل أفضل منهم، لكن فرعون وقومه كانوا طغاة أنكروا ربوبية
الله وكذبوا ما جاءهم به موسى من عنده، بينما كان بنو إسرائيل
يؤمنون بالله ولما كفروا وعصوا رسلهم وعبدوا العجل عاقبهم الله
ولعنهم كما قصه في كتابه العزيز.

﴿وَأَنذِرْ عَلَيْهِمْ نَبَأَ إِبْرَاهِيمَ﴾^(٦٥) إِذْ قَالَ لِأَبِيهِ وَقَوْمِهِ مَا تَعْبُدُونَ
﴿٧٠﴾ قَالُوا نَعْبُدُ أَصْنَامًا فَنَظَّلُهَا عَنكِفَيْنِ ﴿٧١﴾ قَالَ هَلْ يَسْمَعُونَكَ إِذْ

تَدْعُونَ ﴿٧٢﴾ أَوْ يَنْفَعُونَكُمْ أَوْ يَضُرُّونَ ﴿٧٣﴾ قَالُوا بَلْ وَجَدْنَا آبَاءَنَا كَذَلِكَ يَفْعَلُونَ ﴿٧٤﴾ قَالَ أَفَرَأَيْتُمْ مَا كُنْتُمْ تَعْبُدُونَ ﴿٧٥﴾ أَنْتُمْ وَعِبَادُكُمْ الْأَقْدَمُونَ ﴿٧٦﴾ فَإِنَّهُمْ عَدُوٌّ لِي إِلَّا رَبَّ الْعَالَمِينَ ﴿٧٧﴾ ﴿٧٧﴾

بيان الآيات:

﴿وَاتْلُ عَلَيْهِمْ نَبَأَ إِبْرَاهِيمَ﴾ هذا أمر من الله لنبيه ورسوله محمد ﷺ أن يتلو على أمته قصة نبيه إبراهيم فقد كان عليه السلام مخلصا لله في عبادته، محاربا للشرك منذ صغره فكان ينكر على أبيه وقومه عبادة الأصنام وهو ما أخبر الله عنه بقوله ﴿إِذْ قَالَ لِأَبِيهِ وَقَوْمِهِ مَا تَعْبُدُونَ﴾ أي: ما هذه العبادة التي تمارسونها ﴿قَالُوا نَعْبُدُ أَصْنَامًا فَنَظُلُّ لَهَا عَكَفِينَ﴾ أي: نعبد هذه الأصنام التي تراها ونقيم على عبادتها، فحينئذ سأل إبراهيم أباه وقومه قائلا: ﴿قَالَ هَلْ يَسْمَعُونَكُمْ إِذْ تَدْعُونَ﴾ أي: هل يسمعون دعاءكم إذا دعوتموهم ﴿أَوْ يَنْفَعُونَكُمْ أَوْ يَضُرُّونَ﴾ أي: هل وجدتم أنهم ينفعونكم بشيء تريدونه منهم؟ أو هل وجدتم أنهم يضرّونكم بشيء فأردتم أن تستعيذوا منهم وتطلبوا عدم ضررهم؟ فأجابوه ﴿قَالُوا بَلْ وَجَدْنَا آبَاءَنَا كَذَلِكَ يَفْعَلُونَ﴾ وهنا أقروا بأن هذه الأصنام لا تسمع ولا تنفع ولا تضر، ولكنهم وجدوا آباءهم يعبدونها فعبدوها

مِثْلَهُمْ ﴿قَالَ أَفَرَأَيْتُمْ مَا كُنْتُمْ تَعْبُدُونَ﴾ ﴿مِنْ هَذِهِ الْأَصْنَامِ﴾ ﴿أَنْتُمْ
وَعِبَاؤُكُمْ الْأَقْدَمُونَ﴾ ﴿الْأُولُونَ فَإِنِّي عَدُوٌّ لِهَذِهِ الْأَصْنَامِ أَمْقَتَهَا
وَأَكْفَرُ بِهَا وَهُمْ أَعْدَاءُ لِي يَوْمَ الْقِيَامَةِ إِن أَنَا عَبْدَتُهُمْ؛ لِأَنَّهُمْ حِينَئِذٍ
سَيَتَبَرَّوْنَ مِنِّي وَهُوَ مَعْنَى قَوْلِهِ ﴿فَإِنَّهُمْ عَدُوٌّ لِّي﴾ وَقَوْلِهِ ﴿إِلَّا
رَبَّ الْعَالَمِينَ﴾ أَي: أَعْبُدْ رَبَّ الْعَالَمِينَ الَّذِي لَا يَتَبَرَّأُ مِنَ الَّذِي يَعْبُدُهُ
بَلْ يَجَازِيهِ خَيْرَ الْجَزَاءِ عَلَى عِبَادَتِهِ.

أحكام ومسائل الآيات:

في هذه الآيات: تقرير أهمية الحوار بين الداعي والمدعو ومحاولة
إقناع هذا عن طريق العقل كما كان إبراهيم عليه السلام يدعو أباه
وقومه، ويبين لهم أن أصنامهم لا تنفعهم. وفيها: تقرير أن مجرد
التبعية للمتبعين الضال عن سواء السبيل يعد خطأ وإثمًا كبيراً. وفيها:
الحكم بأن من عبد معبوداً غير الله من نبي أو ولي أو صنم أو وثن
سيكون عدواً له ويتبرأ منه يوم القيامة. وفيها: الحكم بأن عبادة غير
الله شرك أكبر لا يغفر الله لصاحبه.

﴿الَّذِي خَلَقَنِي فَهُوَ يَهْدِينِ﴾ ﴿وَالَّذِي هُوَ يُطْعِمُنِي وَيَسْقِينِ﴾ ﴿وَالَّذِي
مَرَضْتُ فَهُوَ يَشْفِينِ﴾ ﴿وَالَّذِي يُمِيتُنِي ثُمَّ يُحْيِينِ﴾ ﴿وَالَّذِي أَطْمَعُ أَنْ يَغْفِرَ لِي خَطِيئَتِي يَوْمَ الدِّينِ﴾.

بيان الآيات:

﴿الَّذِي خَلَقَنِي فَهُوَ يَهْدِينِ﴾ لما ذكر إبراهيم عليه السلام فضل الله وإنعامه على من يعبد به بقوله ﴿إِلَّا رَبَّ الْعَالَمِينَ﴾ عدد فضائله قائلًا: هو ذاك الذي خلقتني من العدم إلى الوجود وهو الذي يهديني إلى صراطه المستقيم ﴿وَالَّذِي هُوَ يُطْعِمُنِي وَيَسْقِينِ﴾ أي: هو رازقي بما سخره لي من أسباب الرزق ﴿وَإِذَا مَرِضْتُ فَهُوَ يَشْفِينِ﴾ أي: إذا أصابني المرض فهو القادر على شفائي منه فلا أحد يقدر على هذا الشفاء إلا هو ﴿وَالَّذِي يُمِيتُنِي ثُمَّ يُحْيِينِ﴾ أي: هو القادر على موتي عن انتهاء أجلي وهو القادر على إحيائي يوم يبعث الناس من قبورهم ﴿وَالَّذِي أَطْمَعُ أَنْ يَغْفِرَ لِي خَطِيئَتِي يَوْمَ الدِّينِ﴾ أي: هو القادر الذي أرجو أن يغفر لي ذنوبي يوم العرض عليه.

أحكام ومسائل الآيات:

في هذه الآيات: تقرير عبودية أبي الأنبياء إبراهيم عليه السلام وإخلاصه العبادة لله وحده وتعليمه لأبيه وقومه أن الله عز وجل هو الذي خلق الخلق وهو القادر على هدايتهم، وأنه هو الذي يطعمهم ويسقيهم، ويشفي مرضاهم، وهو القادر وحده على موتهم ثم حياتهم، وبعثهم ليوم القيامة وهو القادر وحده على غفران ذنوبهم

وخطاياهم، فهذا هو المستحق وحده للعبادة، وليس الأصنام والأوثان التي لا تملك نفعا ولا ضرا.

﴿رَبِّ هَبْ لِي حُكْمًا وَالْحَقْنِي بِالصَّالِحِينَ﴾ ٨٣ ﴿وَأَجْعَلْ لِي
لِسَانَ صِدْقٍ فِي الْآخِرِينَ﴾ ٨٤ ﴿وَأَجْعَلْنِي مِنْ وَرَثَةِ جَنَّةِ النَّعِيمِ﴾ ٨٥ ﴿وَأَغْفِرْ
لَاِيَّ إِنَّهُ كَانَ مِنَ الصَّالِينَ﴾ ٨٦ ﴿وَلَا تُخْزِنِي يَوْمَ يُبْعَثُونَ﴾ ٨٧ ﴿يَوْمَ لَا يَنْفَعُ مَالٌ
وَلَا بَنُونَ﴾ ٨٨ ﴿إِلَّا مَنْ أَتَى اللَّهَ بِقَلْبٍ سَلِيمٍ﴾ ٨٩

بيان الآيات:

﴿رَبِّ هَبْ لِي حُكْمًا وَالْحَقْنِي بِالصَّالِحِينَ﴾ ٨٣ لما دعا
إبراهيم أباه وقومه إلى الله وحاول إقناعهم بأنه هو المستحق وحده
للعبادة دعا ربه أن يهب له حكما أي: علما ينتفع به في عبادته لربه
وأن يلحقه بال صالحين ويجعله منهم في الدنيا ويحشره معهم في
الآخرة ﴿وَأَجْعَلْ لِي لِسَانَ صِدْقٍ فِي الْآخِرِينَ﴾ ٨٤ أي: واجعل لي ذكرا
جميلا يذكرني به من يأتي بعدي من الآخرين ﴿وَأَجْعَلْنِي مِنْ وَرَثَةِ
جَنَّةِ النَّعِيمِ﴾ ٨٥ أي: اجعلني ممن يدخل الجنة مع عبادك الصالحين
﴿وَأَغْفِرْ لَاِيَّ إِنَّهُ كَانَ مِنَ الصَّالِينَ﴾ ٨٦ كان عليه السلام يدعو لأبيه
بالمغفرة؛ لأنه وعده أن يترك الأصنام ويعبد الله فلما لم يف بوعده
رجع عن دعائه كما قال عز وجل ﴿وَمَا كَانَ أَسْتَغْفَارُ إِبْرَاهِيمَ

لَا إِلَهَ إِلَّا عَنْ مَوْعِدَةٍ وَعَدَهَا إِيَّاهُ فَلَمَّا بَيَّنَّ لَهُ أَنَّهُ عَدُوٌّ لِلَّهِ
تَبَرَّأَ مِنْهُ إِنَّ إِبْرَاهِيمَ لَأَوَّاهٌ حَلِيمٌ ﴿١﴾.

﴿وَلَا تُخْزِنِي يَوْمَ يُبْعَثُونَ﴾ أي: لا تهني يوم القيامة يوم تبعث
الخلائق. وقد روى البخاري حديثاً يفسر هذه الآية عن أبي هريرة عن
رسول الله ﷺ قال: (يلقى إبراهيم أباه آزر يوم القيامة وعلى وجه
آزر قتره وغبرة. فيقول له إبراهيم: ألم أقل لك لا تعصني؟ فيقول أبوه:
فاليوم لا أعصيك. فيقول إبراهيم: يا رب إنك وعدتني أن لا تخزيني
يوم يبعثون فأني خزي أخزى من أبي الأبعد؟ فيقول الله تعالى إني
حرمت الجنة على الكافرين) ﴿٢﴾. ﴿يَوْمَ لَا يَنْفَعُ مَالٌ وَلَا بَنُونَ﴾ أي: لا
ينفع العبد يوم القيامة لا مال يفتديه ولا بنون يفتدونه، فلا ينفعه إلا
توحيد الله وطاعته وبراءته من الشرك ﴿إِلَّا مَنْ أَتَى اللَّهَ بِقَلْبٍ سَلِيمٍ﴾
أي: سالم من الشرك والمعاصي.

أحكام ومسائل الآيات:

في هذه الآيات: تقرير مشروعية الدعاء بل ووجوبه؛ لأن الله أمر
به في قوله عز وجل ﴿وَقَالَ رَبُّكُمْ ادْعُونِي أَسْتَجِبْ لَكُمْ﴾ ﴿٣﴾. وقد

(١) سورة التوبة الآية ١١٤.

(٢) صحيح البخاري مع فتح الباري ج ٦ ص ٤٤٥، كتاب الأنبياء، باب قوله تعالى ﴿وَاتَّخَذَ اللَّهُ
إِبْرَاهِيمَ خَلِيلًا﴾ برقم (٣٣٥٠).

(٣) سورة غافر من الآية ٦٠.

يقال: إن هذا الأمر للندب أو الاستحباب والأصح - والله أعلم- أنه للوجوب؛ لأن الله تعالى أمر به في قوله عز وجل ﴿ادْعُونِي﴾ والأمر في هذا يقتضي التكليف، ولأن الدعاء عبادة، لما رواه بشير بن النعمان رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال: (الدعاء هو العبادة)^(١). وقد عاقب الله المستكبرين عن عبادته بقوله عز وجل ﴿إِنَّ الَّذِينَ يَسْتَكْبِرُونَ عَنْ عِبَادَتِي سَيَدْخُلُونَ جَهَنَّمَ دَاخِرِينَ﴾^(٢). وفيه قول الشاعر:

الله يغضب إن تركت سؤاله وبُنَيَّ آدم حين يُسألُ يغضب

وفيها: مشروعية الدعاء أن يجعل الله للعبد ذكرا وعملا صالحا يذكر به في الدنيا بعد مماته كالعلم والصدقة الجارية. وفيها: مشروعية الدعاء للوالدين إذا لم يكونا مشركين، فإن كانا كذلك وجبت مصاحبتهما في الدنيا بالمعروف كما قال عز وجل ﴿وَصَاحِبُهُمَا فِي الدُّنْيَا مَعْرُوفًا﴾^(٣). وفيها: تقرير أنه لا ينفع يوم القيامة المال ولا البنون وإنما ينفع العمل الصالح وفي الحديث القدسي: (إنما هي أعمالكم أحصيتها لكم ثم أوفيكم إياها، فمن وجد خيرا فليحمد الله ومن وجد غير ذلك فلا يلومن إلا نفسه)^(٤).

(١) صحيح سنن أبي داود للألباني، ج ١ ص ٢٧٧، برقم (١٣١٢).

(٢) سورة غافر الآية ٦٠.

(٣) سورة لقمان من الآية ١٥.

(٤) صحيح مسلم بشرح النووي ج ١٠ ص ٦٥٩٢، كتاب البر والصلة، باب تحريم الظلم، برقم

(٢٥٧٧).

﴿وَأُزْلِفَتِ الْجَنَّةُ لِلْمُتَّقِينَ ﴿٩٠﴾ وَبُرِّزَتِ الْجَحِيمُ لِلْغَاوِينَ ﴿٩١﴾ وَقِيلَ لَهُمْ آيَنَ مَا كُنْتُمْ تَعْبُدُونَ ﴿٩٢﴾ مِنْ دُونِ اللَّهِ هَلْ يَنْصُرُونَكُمْ أَوْ يَنْصَرُونَ ﴿٩٣﴾ فَكَبَّكُوا فِيهَا هُمْ وَالْغَاوُونَ ﴿٩٤﴾ وَجُنُودُ إِبْلِيسَ أَجْمَعُونَ ﴿٩٥﴾ قَالُوا وَهُمْ فِيهَا يَخْتَصِمُونَ ﴿٩٦﴾ تَاللَّهِ إِنْ كُنَّا لَفِي ضَلَالٍ مُبِينٍ ﴿٩٧﴾ إِذْ نُسَوِّكُمْ بِرَبِّ الْعَالَمِينَ ﴿٩٨﴾ وَمَا أَضَلَّنَا إِلَّا الْأَلْمَجُّرُونَ ﴿٩٩﴾ فَمَا لَنَا مِنْ شَافِعِينَ ﴿١٠٠﴾ وَلَا صَدِيقٍ حَمِيمٍ ﴿١٠١﴾ فَلَوْ أَنَّ لَنَا كَرَّةً فَنَكُونُ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ ﴿١٠٢﴾ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَةً وَمَا كَانَ أَكْثَرُهُمْ مُؤْمِنِينَ ﴿١٠٣﴾ وَإِنَّ رَبَّكَ هُوَ الْعَزِيزُ الرَّحِيمُ ﴿١٠٤﴾﴾

بيان الآيات:

﴿وَأُزْلِفَتِ الْجَنَّةُ لِلْمُتَّقِينَ﴾ أي: قربت للذين اتقوا ربهم، لكي يدخلوها بسلام آمنين ﴿وَبُرِّزَتِ الْجَحِيمُ لِلْغَاوِينَ﴾ أي: جعلت بارزة ظاهرة للفاستدين الذين أغواهم الشيطان وصدهم عن سبيل الله ﴿وَقِيلَ لَهُمْ آيَنَ مَا كُنْتُمْ تَعْبُدُونَ﴾ أي: يقال لهم على سبيل التوبيخ والتقريع آين الذين كنتم تعبدونهم ﴿مِنْ دُونِ اللَّهِ هَلْ يَنْصُرُونَكُمْ أَوْ يَنْصَرُونَ﴾ أي: آين الأوثان والأصنام ومن كنتم تصرفون عبادتكم لهم من دون الله هل ينصرونكم اليوم من العذاب الذي تواجهونه أم هل ينتصرون لأنفسهم ﴿فَكَبَّكُوا فِيهَا هُمْ وَالْغَاوُونَ﴾ أي: ألقوا فيها مدحرجين منكبين على وجوههم هم ومن أغواهم وسؤل لهم إبليس

المعاصي ﴿وَجُنُودُ إِبْلِيسَ أَجْمَعُونَ﴾ أي: ألقوا فيها وكل من اتبع إبليس وأطاعه من الإنس والجن.

﴿قَالُوا وَهُمْ فِيهَا يَخْتَصِمُونَ﴾ أي: قال الذين أدخلوا النار للذين عبدوهم وهم يتخاصمون بينهم ﴿تَاللَّهِ إِنْ كُنَّا لَفِي ضَلَالٍ مُّبِينٍ﴾ ﴿إِذْ نُسَوِّيكُمْ بِرَبِّ الْعَالَمِينَ﴾ أي: لقد ضللنا حين ساويناكم في العبادة والطاعة مع رب العالمين، مع أنكم لستم مساوين له ولستم له بأكفاء قالوا ذلك على سبيل التهكم، يلومون فيه أنفسهم ويتحسرون على سابق فعلهم ﴿وَمَا أَضَلَّنَا إِلَّا الْمُجْرِمُونَ﴾ أي: ما دفعنا إلى هذا الضلال إلا المجرمون ﴿فَمَا لَنَا مِنْ شَافِعِينَ﴾ أي: لا أحد يشفع لنا اليوم فينقذنا مما نشاهده من العذاب ﴿وَلَا صَدِيقٍ حَمِيمٍ﴾ أي: وليس لنا اليوم صديق قريب ينفعنا ﴿فَلَوْ أَنَّ لَنَا كَرَّةً فَنَكُونُ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ﴾ أي: يا ليتنا نرد إلى الدنيا، فنعمل صالحا غير الذي كنا نعمل فنكون حينئذ من المؤمنين ﴿إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَةً﴾ أي: إن فيما يلاقيه المشركون من العذاب يوم القيامة ولومهم لأنفسهم ولمن عبدوهم لعبرة لمن يعتبر ﴿وَمَا كَانَ أَكْثَرُهُمْ مُؤْمِنِينَ﴾ أي: ما كان أكثر المشركين في مكة مؤمنين، مثلهم في ذلك مثل قوم إبراهيم الذين لم يعتبروا بالآيات ﴿وَإِنَّ رَبَّكَ هُوَ الْعَزِيزُ الرَّحِيمُ﴾ أي: ذو العزة التي لا تضام، الرحيم بمن يتوب من عباده.

أحكام ومسائل الآيات:

في هذه الآيات تقرير مسائلة المشركين يوم القيامة عنم كانوا يعبدونهم من دون الله، وما إذا كانوا يستطيعون نصرهم أو نصر أنفسهم كما قال عز وجل ﴿أَيُشْرِكُونَ مَا لَا يَخْلُقُ شَيْئًا وَهُمْ يُخْلِقُونَ﴾^(١). ﴿وَلَا يَسْتَطِيعُونَ لَهُمْ نَصْرًا وَلَا أَنْفُسُهُمْ يَنْصُرُونَ﴾^(٢). وفيها: تقرير أن المشركين يتخاصمون يوم القيامة مع من عبدوهم كما قال تعالى ﴿إِنَّ ذَلِكَ لَحَقٌّ تَخَاصُمُ أَهْلِ النَّارِ﴾^(٣). كما أنهم يلومون أنفسهم ويتحسرون على أفعالهم حين ساووا المخلوقين بالخالق كما أنهم يتحسرون حين لا يجدون شفيعا يشفع لهم أو صديقا يسليهم عما هم فيه من الهوان والعذاب. وفيها: تقرير أن أهل النار يتمنون العودة إلى الدنيا كما قال عز وجل عنهم ﴿يَلَيْتُنَا نَرُدُّ وَلَا نُكَذِّبُ بِآيَاتِ رَبِّنَا وَنَكُونُ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ﴾^(٤).

﴿كَذَّبَتْ قَوْمُ نُوحٍ الْمُرْسَلِينَ﴾^(١٠٥) إِذْ قَالَ لَهُمْ أَخُوهُمْ نُوحٌ أَلَا تَتَّقُونَ ﴿١٠٦﴾
 إِنِّي لَكُمْ رَسُولٌ أَمِينٌ ﴿١٠٧﴾ فَاتَّقُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا ﴿١٠٨﴾ وَمَا أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ مِنْ أَجْرٍ
 إِنْ أَجْرِيَ إِلَّا عَلَى رَبِّ الْعَالَمِينَ ﴿١٠٩﴾ فَاتَّقُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا ﴿١١٠﴾

(١) سورة الأعراف الآية ١٩١ .

(٢) سورة الأعراف الآية ١٩٢ .

(٣) سورة ص الآية ٦٤ .

(٤) سورة الأنعام من الآية ٢٧ .

بيان الآيات:

﴿كَذَّبَتْ قَوْمُ نُوحٍ الْمُرْسَلِينَ﴾ هذا بيان من الله عن قصة نوح مع قومه فهو أول رسول أرسل إلى أهل الأرض بعد أن ضل قومه فعبدوا الأصنام وجعلوها شركاء مع الله، وقد لبث فيهم تسعمائة وخمسين سنة وهو يدعوهم إلى الله فكذبوه فكان تكذيبهم له تكذيباً لجميع الرسل؛ لأن دعوة الرسل واحدة وهي عبادة الله وحده لا شريك له ﴿إِذْ قَالَ لَهُمْ أَخُوهُمْ نُوحٌ﴾ أي: قال لهم أخوهم في النسب، وليس في الدين؛ لأنهم كانوا مشركين ﴿أَلَا تَتَّقُونَ﴾ أي: ألا تتقون الله فتعبدوه وحده وتنزهوه عن الشرك ﴿إِنِّي لَكُمْ رَسُولٌ أَمِينٌ﴾ أي: إني أرسلت إليكم من بينكم ومن نسبكم أمين على ما أمرني الله به من إبلاغ الرسالة لكم دون زيادة أو نقصان وهي عبادة الله وحده ﴿فَاتَّقُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا﴾ أي: اتقوه بترك ما أنتم عليه من الشرك وأطيعوني فيما بلغتكم به من عند الله.

﴿وَمَا أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ مِنْ أَجْرٍ﴾ أي: لا أسئلكم أجراً أو جزاء على إبلاغ رسالة الله لكم ﴿إِنْ أَجْرِيَ إِلَّا عَلَى رَبِّ الْعَالَمِينَ﴾ أي: لا اطلب الأجر والثواب إلا من الله عز وجل ﴿فَاتَّقُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا﴾ هذا تأكيد وتكرار لدعوتهم إلى الله.

أحكام ومسائل الآيات:

في هذه الآيات: تقرير أن رسالات الله إلى الناس واحدة وهي عبادته

وحده لا شريك له؛ فمن كذب أحد رسله فقد كذبهم جميعا. وفيها: أن الرسل يختارون من بين قومهم حتى لا يكون ذلك سببا في جفوتهم منهم. وفيها - كما سبق ذكره -: عدم جواز أخذ الأجرة على الدعوة إلى الله، هذا من حيث العموم إلا أنه لما أصبح الدعاة إلى الله يحتاجون إلى ما يساعدهم في حياتهم جاز أخذهم الأجرة ليس بقصد التكبسب، وإنما لغرض الرزق لسد الحاجة.

﴿ قَالُوا أَنْتُمْ لَكُمْ وَاتَّبَعَكَ الْأَرْذَلُونَ ﴾ (١١١) قَالَ وَمَا عَلِمِي بِمَا كَانُوا يَعْمَلُونَ ﴿ ١١٢ ﴾ إِنْ حَسَابُهُمْ إِلَّا عَلَىٰ رَبِّي لَوْ تَشْعُرُونَ ﴿ ١١٣ ﴾ وَمَا أَنَا بِطَارِدِ الْمُؤْمِنِينَ ﴿ ١١٤ ﴾ إِنْ أَنَا إِلَّا نَذِيرٌ مُّبِينٌ ﴿ ١١٥ ﴾

بيان الآيات:

﴿ قَالُوا أَنْتُمْ لَكُمْ وَاتَّبَعَكَ الْأَرْذَلُونَ ﴾ أي قال الكبراء من قوم نوح: لن نؤمن بما جئت به وقد اتبعك وصدقك أراذلنا وسفلتنا وهذا مما يدل على طغيانهم وعنادهم واستكبارهم كما قال عنهم ﴿ وَأَصْرُوا وَأَسْتَكْبَرُوا ﴾ استكباراً^(١). ﴿ قَالَ وَمَا عَلِمِي بِمَا كَانُوا يَعْمَلُونَ ﴾ أي: ليس لي علم بعملهم ولا بخفائهم، إنما أخذهم بظاهرهم وما هم عليه من الإيمان ﴿ إِنْ حَسَابُهُمْ إِلَّا عَلَىٰ رَبِّي لَوْ تَشْعُرُونَ ﴾ أي: إن ربي هو الذي يحاسبهم على أعمالهم ونياتهم، فلو كنتم عقلاء لما قلتم هذا، بل الواجب عليكم

(١) سورة نوح من الآية ٧ .

إصلاح أنفسكم والبراءة من الشرك الذي أنتم عليه ﴿وَمَا أَنَا بِطَارِدِ
الْمُؤْمِنِينَ﴾ في هذا دليل على أنهم سألوه أن يطردهم أي: لن أطرد الذين
آمنوا بي وصدقوني، فهم مؤمنون بما جئتهم به ﴿إِن أَنَا إِلَّا نَذِيرٌ مُّبِينٌ﴾
أي: لست إلا نذيرا من عذاب الله فمن أطاعني وصدق ما جئت به فقد
أطاع الله ومن عصاني فأنا نذير له من عذاب الله.

أحكام ومسائل الآيات:

في هذه الآيات: تقرير أن رؤساء القوم والمتنفذين فيهم يكرهون
ضعفهم ويحتقرونهم ويطلبون طردهم وإبعادهم عن رسل الله
وقد حدث هذا من مشركي مكة حين طلبوا من رسول الله ﷺ طرد
بلال، وعمار، وسلمان، وصهيب، وغيرهم من ضعفة المسلمين فأنزل
الله فيهم قوله ﴿وَلَا تَطْرُدِ الَّذِينَ يَدْعُونَ رَبَّهُمْ بِالْغَدَاةِ وَالْعَشِيِّ
يُرِيدُونَ وَجْهَهُ مَا عَلَيْكَ مِنْ حِسَابِهِمْ مِنْ شَيْءٍ وَمَا مِنْ حِسَابِكَ عَلَيْهِمْ
مِنْ شَيْءٍ فَتَطْرُدَهُمْ فَتَكُونَ مِنَ الظَّالِمِينَ﴾^(١). ﴿وَلَا تَعْدُ عَيْنَاكَ
عَنْهُمْ تُرِيدُ زِينَةَ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا﴾^(٢). وفيها: تقرير تحريم طرد
المؤمنين؛ لإرضاء المشركين؛ لأن المعيار عند الله التقوى والإيمان،
وليس المال أو القوة أو الجاه، فالمؤمنون الضعفاء هم الأعلى عند
الله، والمشركون والمجرمون هم الأسفلون عند الله.

(١) سورة الأنعام الآية ٥٢.

(٢) سورة الكهف من الآية ٢٨.

﴿قَالُوا لَئِنْ لَمْ تَنْتَهِ يَنُوحُ لَتَكُونَنَّ مِنَ الْمَرْجُومِينَ﴾ (١١٦) قَالَ رَبِّ
 إِنَّ قَوْمِي كَذَّبُونِ ﴿١١٧﴾ فَأَفْنَحْ بَيْنِي وَبَيْنَهُمْ فَتْحًا وَنَجِّنِي وَمَنْ مَعِيَ مِنَ
 الْمُؤْمِنِينَ ﴿١١٨﴾ فَأَنْجَيْنَاهُ وَمَنْ مَعَهُ فِي الْفُلِّ الْمَشْحُونِ ﴿١١٩﴾ ثُمَّ أَغْرَقْنَا
 بَعْدَ الْبَاقِينَ ﴿١٢٠﴾ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَةً وَمَا كَانَ أَكْثَرُهُمْ مُؤْمِنِينَ ﴿١٢١﴾
 وَإِنَّ رَبَّكَ لَهُوَ الْعَزِيزُ الرَّحِيمُ ﴿١٢٢﴾

بيان الآيات:

﴿قَالُوا لَئِنْ لَمْ تَنْتَهِ يَنُوحُ لَتَكُونَنَّ مِنَ الْمَرْجُومِينَ﴾ ﴿١١٦﴾ لما مكث نوح
 عليه السلام في قومه سنوات عديدة وهو يدعوهم ليلا ونهارا وسرا
 وجهارا إلى توحيد الله ضاقوا به ذرعا وهددوه بالرجم إذا لم ينته
 ويكف عن دعوتهم وعندئذ دعا عليهم و﴿قَالَ رَبِّ إِنَّ قَوْمِي كَذَّبُونِ﴾
 أي: سفهوني وهددوني ﴿فَأَفْنَحْ بَيْنِي وَبَيْنَهُمْ فَتْحًا﴾ ﴿١١٧﴾ أي: أحكم
 بيني وبينهم ﴿وَنَجِّنِي وَمَنْ مَعِيَ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ﴾ ﴿١١٨﴾ أي: نجني ومن
 اتبعني ممن آمن برسالتك من العذاب الذي سيصيبهم، فاستجاب
 الله دعاءه بقوله ﴿فَأَنْجَيْنَاهُ وَمَنْ مَعَهُ فِي الْفُلِّ الْمَشْحُونِ﴾ ﴿١١٩﴾ لما كانوا
 في السفينة التي أمره الله بصنعها وجعل فيها أزواجا من الحيوانات
 والطيور، ثم أغرق الذين كذبوه وعصوه بعد أن نجاه الله ومن كان
 معه من المؤمنين. قال عز وجل ﴿ثُمَّ أَغْرَقْنَا بَعْدَ الْبَاقِينَ﴾ ﴿١٢٠﴾ وقوله
 ﴿إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَةً﴾ ﴿١٢١﴾ أي: فيما حدث بين نوح وقومه ومن ثم ففي

إِنجاء الله له وإغراق من كفر به لعبرة للمعتبرين ﴿وَمَا كَانَ أَكْثَرُهُمْ مُّؤْمِنِينَ﴾ أي: ما كان أكثر قوم نوح بمؤمنين، وإنما الذين آمنوا بما جاء به كانوا قلة ﴿وَإِنَّ رَبَّكَ لَهُوَ الْعَزِيزُ الرَّحِيمُ﴾ أي: العزيز في ذاته وبقوته، الرحيم بمن تاب من خلقه.

أحكام ومسائل الآيات:

في هذه الآيات: تقرير أن الطغاة والجبابرة يكرهون الجدل الحسن ويعرضون عن سماع الحق، وعندما يغلبهم المجادلون لهم بالحق يهددونهم بالقوة. وفيها: مشروعية الدعاء على الظالمين كما فعل نوح بقوله ﴿رَبِّ لَا تَذَرْ عَلَى الْأَرْضِ مِنَ الْكَافِرِينَ دَيَّارًا﴾^(١). ﴿إِنَّكَ إِن تَذَرَهُمْ يَضِلُّوا عِبَادَكَ وَلَا يَلِدُوا إِلَّا فِاجِرًا كَفَّارًا﴾^(٢). وفيها: وجوب طلب النصر من الله والقضاء بين الظلمة والمظلومين.

﴿كَذَبَتْ عَادُ الْمُرْسَلِينَ﴾^(١٢٣) إِذْ قَالَ لَهُمُ أَخُوهُمْ هُودٌ أَلَا نُنْقِوُ^(١٢٤) إِنِّي لَكُمْ رَسُولٌ أَمِينٌ^(١٢٥) فَاتَّقُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا^(١٢٦) وَمَا أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ مِنْ أَجْرٍ إِنْ أَجْرِيَ إِلَّا عَلَى رَبِّ الْعَالَمِينَ^(١٢٧) أَتَبْنُونَ بِكُلِّ رِيعٍ آيَةً تَعْبَثُونَ^(١٢٨) وَتَتَّخِذُونَ مَصَانِعَ لَعَلَّكُمْ تَخْلُدُونَ^(١٢٩) وَإِذَا بَطَشْتُمْ بَطَشْتُمْ جَبَّارِينَ^(١٣٠) فَاتَّقُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا^(١٣١) وَاتَّقُوا الَّذِي أَمَدَّكُمْ

(١) سورة نوح الآية ٢٦.

(٢) سورة نوح الآية ٢٧.

بِمَا تَعْلَمُونَ ﴿١٣٢﴾ أَمَدَّكُمْ بِأَنْعَمِ وَبَيْنَ ﴿١٣٣﴾ وَجَنَّتْ وَعُيُونٍ ﴿١٣٤﴾ إِنِّي أَخَافُ عَلَيْكُمْ عَذَابَ يَوْمٍ عَظِيمٍ ﴿١٣٥﴾

بيان الآيات:

﴿كَذَّبَتْ عَادَ الْمُرْسَلِينَ﴾ عاد كانوا يسكنون الأحقاف من جهة اليمن، وكانوا أهل عمران وحضارة وقوة في الزراعة وال عمران، وقد أرسل الله إليهم نبيهم هودا يدعوهم إلى عبادة الله وتوحيده ﴿إِذْ قَالَ لَهُمْ أَخُوهُمْ هُودٌ أَلَا نُنْقِوْنَ﴾ أخوهم هود في النسب فقال لهم داعيا ومحذرا: اتقوا الله بطاعته و توحيده ﴿إِنِّي لَكُمْ رَسُولٌ أَمِينٌ﴾ أي: إني مرسل لكم من عند الله أنقل لكم رسالته بكل صدق وأمانة ﴿فَاتَّقُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا﴾ أي: اتقوا الله بطاعته وتوحيده والبراءة من عبادة غيره ﴿وَمَا أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ مِنْ أَجْرٍ﴾ أي: لا أسألكم نفعا على ما أدعوكم إليه، وإنما أدعوكم لمنفعتكم بدرء العذاب عنكم ﴿إِنْ أَجْرِيَ إِلَّا عَلَى رَبِّ الْعَالَمِينَ﴾ أي: أني أرجو الأجر من الله فيما أدعوكم إليه ﴿أَتَبْنُونَ بِكُلِّ رِيعٍ آيَةً تَعْبَثُونَ﴾ المراد أنكم تبنون في المرتفعات وفي الطرقات أبنية شاهقة وكثيرة لا تحتاجون إليها مما يدل على عبثكم ولهوكم ولعبكم وتبذيركم للأموال ﴿وَتَتَّخِذُونَ مَصَانِعَ لَعَلَّكُمْ تَخْلُدُونَ﴾ أي: تبنون حصونا، كأنكم مخلصون في الدنيا بينما أنتم زائلون عنها ﴿وَإِذَا بَطِشْتُمْ بَطِشْتُمْ جَبَّارِينَ﴾

أي: تبطشون بالقوة والجبروت، ليس في قلوبكم شفقة أو رحمة
﴿فَاتَّقُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا﴾ هذا تكرار لدعوتهم إلى طاعة الله.

﴿وَاتَّقُوا الَّذِي أَمَدَّكُمْ بِمَا تَعْلَمُونَ﴾ أي: أطيعوا الذي أنعم عليكم
بما تعلمون وقد فسرهُ بقوله ﴿أَمَدَّكُمْ بِأَنْعَمٍ وَبَيْنَ﴾ أي: سخر لكم
الإبل والبقر والغنم لتركبوها ولتشربوا من ألبانها وتأكلوا من لحومها،
وأمدكم بالذرية التي هي زينة الحياة الدنيا ﴿وَجَنَّتِ وَعُيُونِ﴾
أي: أمدكم بالبساتين بما فيها من النخيل والأشجار والثمار التي
ترويه العيون النابعة من الأرض. ﴿إِنِّي أَخَافُ عَلَيْكُمْ عَذَابَ يَوْمٍ
عَظِيمٍ﴾ أي: أخشى عليكم العذاب إذا لم تتقوا الله وتوحدوه وتركوا
لهوكم وعبثكم.

أحكام ومسائل الآيات:

في هذه الآيات: تقرير أن رسالات الرسل هي دعوتهم أقوامهم
إلى تقوى الله وتوحيده وطاعته والبراءة من عبادة غيره. وفيها:
ذم العبث واللغو والاسراف في المساكن كما قال عز وجل ﴿وَكُلُوا
وَأَشْرَبُوا وَلَا تُسْرِفُوا إِنَّهُ لَا يُحِبُّ الْمُسْرِفِينَ﴾^(١). وقوله ﴿وَلَا تُبْذَرُوا
تَبْذِيرًا﴾^(٢). ﴿إِنَّ الْمُبْذِرِينَ كَانُوا إِخْوَانَ الشَّيَاطِينِ﴾^(٣). وفيها: ذم

(١) سورة الأعراف من الآية ٣١.

(٢) سورة الإسراء من الآية ٢٦.

(٣) سورة الإسراء من الآية ٢٧.

العنف في التعامل. وفيها: أن من وسائل الدعوة تخويف المدعويين من عذاب الله، مع ترغيبهم في رحمته وعفوه إذا تابوا وأصلحوا.

﴿قَالُوا سَوَاءٌ عَلَيْنَا أَوَعَضْتَ أَمْ لَمْ تَكُنْ مِنَ الْوَاعِظِينَ ﴿١٣٦﴾
 إِنَّ هَذَا إِلَّا خُلُقُ الْأَوَّلِينَ ﴿١٣٧﴾ وَمَا نَحْنُ بِمُعَذِّبِينَ ﴿١٣٨﴾ فَكَذَّبُوهُ
 فَأَهْلَكْنَاهُمْ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَةً ۖ وَمَا كَانَ أَكْثَرُهُمْ مُؤْمِنِينَ ﴿١٣٩﴾ وَإِنَّ رَبَّكَ
 لَهُوَ الْعَزِيزُ الرَّحِيمُ ﴿١٤٠﴾﴾

بيان الآيات:

﴿قَالُوا سَوَاءٌ عَلَيْنَا أَوَعَضْتَ أَمْ لَمْ تَكُنْ مِنَ الْوَاعِظِينَ﴾ لما دعا
 هود قومه عاداً، وبالغ في دعوتهم وحذرهم من عاقبة أمرهم قالوا:
 لن نطيعك، ولن نتبعك، سواء وعظت أو لم تعظ ﴿إِنَّ هَذَا إِلَّا
 خُلُقُ الْأَوَّلِينَ﴾ أي: هذا الذي نعمله هو عمل آبائنا من قبل وقيل:
 إن المراد أن ما جئتنا به أساطير الأولين أي: أحاديث لا نظام لها
 ﴿وَمَا نَحْنُ بِمُعَذِّبِينَ﴾ أي: سوف نعيش كما عاش من كان قبلنا، ثم
 نموت وليس بعد الموت حياة. ولما استمروا على تلك الحال من العناد
 والطغيان أخبر الله عن تكذيبهم وهلاكهم فقال عز وجل ﴿فَكَذَّبُوهُ
 فَأَهْلَكْنَاهُمْ﴾ وكان هلاكهم بالريح الشديدة كما قال تعالى ﴿وَأَمَّا
 عَادٌ فَأُهْلِكُوا بِرِيحٍ صَرْصَرٍ عَاتِيَةٍ﴾^(١). ﴿سَخَّرَهَا عَلَيْهِمْ سَبْعَ

(١) سورة الحاقة الآية ٦.

لَيَالٍ وَثَمَنِيَّةَ أَيَّامٍ حُسُومًا فَتَرَى الْقَوْمَ فِيهَا صَرْعَى كَأَنَّهُمْ أُعِجَازٌ مُخْلِ
خَاوِيَةً ﴿١٤١﴾. ﴿فَهَلْ تَرَى لَهُم مِّن بَاقِيَةٍ﴾ ﴿١٤٢﴾.

﴿إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَةً﴾ أي: إن لكم عبرة فيما ذكرنا من هلاك عاد
﴿وَمَا كَانَ أَكْثَرُهُمْ مُّؤْمِنِينَ﴾ أي: كان أكثرهم على الشرك والطغيان
﴿وَإِنَّ رَبَّكَ لَهُوَ الْعَزِيزُ الرَّحِيمُ﴾ أي: الذي أهلك بقوته عاداً، ورحم
نبيه هوداً ومن معه من المؤمنين.

أحكام ومسائل الآيات:

في هذه الآيات: تقرير أن الطغاة يتمادون في غيهم ويصرون على سوء
أفعالهم، رغم تكرار الدعوة لهم ونصحهم. وفيها: سوء التقليد وكون المقلد
يصادر عقله فلا يفكر إلا فيما فعله من سبقه رغم ما فيه من الخطأ.

﴿كَذَّبَتْ ثَمُودُ الْمُرْسَلِينَ﴾ ﴿١٤١﴾ إِذْ قَالَ لَهُمُ أَخُوهُمْ صَالِحٌ أَلَا تَتَّقُونَ
﴿١٤٢﴾ إِنِّي لَكُمْ رَسُولٌ أَمِينٌ ﴿١٤٣﴾ فَاتَّقُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا ﴿١٤٤﴾ وَمَا
أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ مِنْ أَجْرٍ إِنْ أَجْرِيَ إِلَّا عَلَى رَبِّ الْعَالَمِينَ ﴿١٤٥﴾.

بيان الآيات:

﴿كَذَّبَتْ ثَمُودُ الْمُرْسَلِينَ﴾ إِذْ قَالَ لَهُمُ أَخُوهُمْ صَالِحٌ ﴿١٤١﴾ ثمود: قبيلة
عربية ديارها مدينة الحجر الواقعة بين وادي القرى والشام، وقد

(١) سورة الحاقة الآية ٧.

(٢) سورة الحاقة الآية ٨.

أرسل الله إليهم أخاهم صالحا يدعوهم إلى عبادة الله وحده فقال لهم ﴿أَلَا نُنْقُونَ﴾ أي: ألا تتقون الله وتوحدونه ولا تشركوا به شيئا ﴿إِنِّي لَكُمْ رَسُولٌ أَمِينٌ﴾ أي: مرسل من الله أبلغكم رسالته، وإني أمين في إبلاغها لكم وأنتم تعرفون صدقي وأمانتي فيكم ﴿فَاتَّقُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا﴾ هذا تكرار لدعوتهم إلى تقوى الله وطاعته ﴿وَمَا أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ مِنْ أَجْرٍ﴾ أي: لا أسألكم مالا أو نفعا على ما أبلغه لكم ﴿إِنْ أَجْرِيَ إِلَّا عَلَىٰ رَبِّ الْعَالَمِينَ﴾ أي: لا أطلب أجري ومثوبتي إلا من الله.

أحكام ومسائل الآيات:

تقرير أن دعوات الرسل لأقوامهم متماثلة، فكل واحد منهم يدعو قومه إلى توحيد الله وإفراده بالعبادة والتبرئ من الشرك به ثم يذكر لهم: أنه رسول من عند الله أمين على رسالته ويدعوهم إلى تصديق ما جاء به ويقول لهم: إنه لا يطلب منهم أجرا ولا جاها ولا رئاسة عليهم لأن أجره عند الله الذي أرسله.

﴿أَتُركُونَ فِي مَا ههنا ءَامِنِينَ﴾ (١٤٦) ﴿فِي جَنَّتٍ وَعُيُونٍ﴾ (١٤٧) ﴿وَزُرُوعٍ وَنَخْلٍ طَلْعُهَا هَضِيمٌ﴾ (١٤٨) ﴿وَتَنَحُّثُونَ مِنَ الْجِبَالِ بُيُوتًا فَرِهِينَ﴾ (١٤٩) ﴿فَاتَّقُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا﴾ (١٥٠) ﴿وَلَا تُطِيعُوا أَمْرَ الْمُسْرِفِينَ﴾ (١٥١) ﴿الَّذِينَ يَفْسِدُونَ فِي الْأَرْضِ وَلَا يُصْلِحُونَ﴾ (١٥٢).

بيان الآيات:

﴿أَتُرْكُونَ فِي مَا هَاهُنَا ءَامِنِينَ﴾ أي: هل تحسبون أنكم سوف تتركون في سلامتكم ورفاهيتكم وتعصون الله وأنتم تتمتعون ﴿فِي جَنَّاتٍ وَعُيُونٍ﴾ أي: بساتين وعيون مياه ﴿وَزُرُوعٍ وَنَخْلٍ طَلْعُهَا هَضِيمٌ﴾ أي: زروع وفيرة ونخل طلعه لين ﴿وَتَنَحُّتُونَ مِنَ الْجِبَالِ بُيُوتًا فَرَهِينَ﴾ حتى أصبحتم تنحوتون الجبال وأنتم حاذقون بنحتها. ﴿فَاتَّقُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا﴾ تأكيد وتكرار في دعوتهم ﴿وَلَا تُطِيعُوا أَمْرَ الْمُسْرِفِينَ﴾ المراد بهم رؤسائهم وكبرائهم الذين يصدونهم عن سبيل الله وقد وصفهم الله بقوله ﴿الَّذِينَ يُفْسِدُونَ فِي الْأَرْضِ وَلَا يُصْلِحُونَ﴾ أي: إن عملهم الفساد في الأرض بمعصية الله وعدم صلاحهم فيها بطاعته.

أحكام ومسائل الآيات:

في هذه الآيات: تقرير أن العباد لا يتركون يلهون ويعبثون ويتنعمون في ملذات الدنيا وهم على الكفر، وقد اقتضت حكمة الله إما التعجيل لهم بالعقوبة في الدنيا كما حدث لقوم نوح وهود وصالح، وإما تأجيل عقوبتهم إلى الآخرة. وفيها: نهي العباد وتحذيرهم من طاعة الرؤساء الذين يصدونهم عن سبيل الله بقصد الفساد في الأرض.

﴿قَالُوا إِنَّمَا أَنْتَ مِنَ الْمُسَحَّرِينَ ۝١٥٣ مَا أَنْتَ إِلَّا بَشَرٌ مِّثْلُنَا فَأْتِ بِآيَةٍ إِنْ كُنْتَ مِنَ الصَّادِقِينَ ۝١٥٤﴾ قَالَ هَذِهِ نَاقَةٌ لَهَا شِرْبٌ وَلَكُمْ شِرْبُ يَوْمٍ مَعْلُومٍ ۝١٥٥ وَلَا تَمَسُّوهَا بِسُوءٍ فَيَأْخُذَكُمْ عَذَابُ يَوْمٍ عَظِيمٍ ۝١٥٦ فَعَقَرُوهَا فَاصْبَحُوا نَدِيمِينَ ۝١٥٧ فَأَخَذَهُمُ الْعَذَابُ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَةً وَمَا كَانَ أَكْثَرُهُمْ مُؤْمِنِينَ ۝١٥٨ وَإِنَّ رَبَّكَ لَهُوَ الْعَزِيزُ الرَّحِيمُ ۝١٥٩﴾

بيان الآيات:

﴿قَالُوا إِنَّمَا أَنْتَ مِنَ الْمُسَحَّرِينَ﴾ أي قالت ثمود لنبيهم صالح: إنما أنت من المسحورين ﴿مَا أَنْتَ إِلَّا بَشَرٌ مِّثْلُنَا﴾ أي: لست إلا مثلنا فكيف يوحي إليك من دوننا ﴿فَأْتِ بِآيَةٍ إِنْ كُنْتَ مِنَ الصَّادِقِينَ﴾ أي: إن كنت صادقاً فيما تقول، فأت لنا بآية تدل على صدقك أنك مرسل من الله. وقد تشاوروا فيما بينهم ثم طلبوا منه - كما سبق ذكره - أن يخرج لهم من صخرة مشهورة عندهم ناقة عشراء، فوافقهم على ذلك وأخذ عليهم العهد والميثاق أنه إن أجابهم إلى طلبهم سوف يتبعونه ويصدقونه، فوافقوا على ذلك وعندئذ دعا ربه فاستجاب له، فانفجرت الصخرة عن ناقة عشراء حسبما وصفوه فأمن بعضهم، وكفر البعض الآخر ﴿قَالَ

هَذِهِ نَاقَةُ هَآ شَرِبٌ وَلَكُمُ شَرِبُ يَوْمٍ مَّعْلُومٍ ﴿١٩﴾ أي: تتركونها ترد ماءكم يوما واليوم الآخر لكم وسوف تنتفعون من لبنها ﴿٢٠﴾ وَلَا تَمْسُوهَا بِسُوءٍ فَيَأْخُذَكُمْ عَذَابُ يَوْمٍ عَظِيمٍ ﴿٢١﴾ أي: لا تتعرضوا لها بسوء فإن فعلتم ذلك فسوف تتعرضون لعذاب يوم عظيم تندمون فيه. وقد غلبت عليهم الشقاوة فتمالؤوا على قتلها كما قال تعالى ﴿فَعَقَرُوهَا فَاصْبَحُوا نَدِمِينَ﴾ ﴿٢٢﴾ ﴿فَأَخَذَهُمُ الْعَذَابُ﴾ وهو نزول الصيحة فيهم وتقطع قلوبهم وهلاكهم ﴿إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَةً﴾ ﴿٢٣﴾ أي: عبرة ودلالة على قوة الله وقدرته في إهلاك الكافرين ﴿وَمَا كَانَ أَكْثَرُهُمْ مُّؤْمِنِينَ﴾ ﴿٢٤﴾ أي: ما كان أكثر قوم صالح مؤمنين إذ لم يؤمن إلا القليل منهم ﴿وَلِإِنَّ رَبَّكَ لَهُوَ الْعَزِيزُ﴾ ﴿٢٥﴾ أي: القادر بقوته على إهلاك قوم صالح ﴿الرَّحِيمُ﴾ ﴿٢٦﴾ بعباده المؤمنين.

أحكام ومسائل الآيات:

في هذه الآيات: تقرير أن السحر حقيقة، وأنه معروف عند الأمم السابقة. وفيها: تقرير أن الله يعطي أنبياءه آيات بيّنات تساعدكم في دعوة الخلق إلى الله، فمنهم من يؤمن بها، ومنهم من يكذب بها. وفيها: الحكم بأن الكافرين يندمون على سوء أفعالهم حين يحل بهم العذاب وحينذاك لا ينفعهم الندم.

﴿كَذَبَتْ قَوْمُ لُوطٍ الْمُرْسَلِينَ ﴿١٦٠﴾ إِذْ قَالَ لَهُمْ أَخُوهُمْ لُوطُ أَلَا تَتَّقُونَ ﴿١٦١﴾ إِنِّي لَكُمْ رَسُولٌ أَمِينٌ ﴿١٦٢﴾ فَاتَّقُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا ﴿١٦٣﴾ وَمَا أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ مِنْ أَجْرٍ إِنْ أَجْرِيَ إِلَّا عَلَى رَبِّ الْعَالَمِينَ ﴿١٦٤﴾﴾

بيان الآيات:

﴿كَذَبَتْ قَوْمُ لُوطٍ الْمُرْسَلِينَ﴾ .. الآيات. وكما دعا الأنبياء: نوح، وهود، وصالح، أقوامهم إلى عبادة الله وحده والبراءة من الشرك دعا لوط قومه الذين يسكنون قرية سدوم مما يلي الأردن إلى الاستقامة وترك الفواحش والالتزام بتقوى الله وأخبرهم أنه رسول من عند الله أمين على رسالته، وأنه لا يسألهم أجرا على دعوته لهم، ولكنهم مع ذلك كذبوه وآذوه فأهلكهم الله وتحولت بلادهم إلى بحيرة تعرف الآن ببحيرة لوط أو ما يسمى الآن البحر الميت، وقد سبقت الإشارة إلى ذلك.

أحكام ومسائل الآيات:

تقرير عرض لوط عليه السلام لقومه أن يتقوا الله ويطيعوه ويجتنبوا الفواحش المنتشرة بينهم وإبلاغه لهم أنه رسول أمين حريص على نجاتهم من العذاب إذا اتقوا الله وتركوا ما هم فيه من الجرائم.

﴿أَتَاتُونَ الذِّكْرَانَ مِنَ الْعَالَمِينَ ﴿١٦٥﴾ وَتَذَرُونَ مَا خَلَقَ لَكُمْ رَبُّكُمْ مِنْ أَرْوَاحِكُمْ بَلْ أَنْتُمْ قَوْمٌ عَادُونَ ﴿١٦٦﴾﴾ قَالَوا لَئِنْ لَمْ تَنْتَهِ يَلُوطُ لَتَكُونَنَّ

مِنَ الْمُخْرَجِينَ ﴿١٦٧﴾ قَالَ إِنِّي لِعَمَلِكُمْ مِنَ الْقَالِينَ ﴿١٦٨﴾ رَبِّ بَحْنِي وَأَهْلِي
 مِمَّا يَعْمَلُونَ ﴿١٦٩﴾ فَجَنَّتْهُ وَأَهْلَهُ أَجْمَعِينَ ﴿١٧٠﴾ إِلَّا عَجُوزًا فِي الْغَابِرِينَ
 ﴿١٧١﴾ ثُمَّ دَمَرْنَا الْآخِرِينَ ﴿١٧٢﴾ وَأَمْطَرْنَا عَلَيْهِمْ مَطَرًا فَسَاءَ مَطَرُ الْمُنْذِرِينَ
 ﴿١٧٣﴾ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَةً وَمَا كَانَ أَكْثَرُهُمْ مُؤْمِنِينَ ﴿١٧٤﴾ وَإِنَّ رَبَّكَ لَهُوَ
 الْعَزِيزُ الرَّحِيمُ ﴿١٧٥﴾

بيان الآيات:

﴿تَأْتُونَ الذِّكْرَانَ مِنَ الْعَالَمِينَ﴾ لما رأى لوط عليه السلام ما
 عليه قومه من ارتكاب الفواحش المستقذرة أنبهم ووبخهم وقال لهم:
 كيف تأتون هذه الفاحشة المنكرة ﴿وَتَذَرُونَ مَا خَلَقَ لَكُمْ رَبُّكُمْ مِنْ
 أَزْوَاجِكُمْ﴾ أي: تتركون ما أحله لكم من الأزواج وترتكبون ما حرم
 عليكم ﴿بَلْ أَنْتُمْ قَوْمٌ عَادُونَ﴾ أي: معتدون على حرمان الله
 منتهكون لحدوده ﴿قَالُوا لَيْنَ لَمْ تَنْتَهِ يَلُوطُ لَتَكُونَ مِنَ الْمُخْرَجِينَ﴾
 أي: لأن لم تترك قولك هذا سوف نخرجك من أرضنا ونبعدك عنها كما
 قال تعالى ﴿فَمَا كَانَتْ جَوَابَ قَوْمِهِ إِلَّا أَنْ قَالُوا أَخْرِجُوهُ أَلْ لُوطُ
 مِنْ قَرْيَتِكُمْ إِنَّهُمْ أَنْاسٌ يَنْطَهُرُونَ﴾^(١).

﴿قَالَ إِنِّي لِعَمَلِكُمْ مِنَ الْقَالِينَ﴾ لما سمع لوط عليه السلام
 مقالته هذه قال لهم: إني أكره عملكم هذا وأتبرأ منه فهو من
 الضلال وأعمال الشيطان ثم قال ﴿رَبِّ بَحْنِي وَأَهْلِي مِمَّا يَعْمَلُونَ﴾

أي: دعا ربه أن ينجيه وأهله من أعمالهم؛ لأنه عرف أن الله سوف يهلكهم وقد استجاب الله دعاءه بقوله ﴿فَنَجَّيْنَاهُ وَأَهْلَهُ أَجْمَعِينَ﴾ أي: نجاه وكافة أهله ﴿إِلَّا عَجُوزًا فِي الْغَابِرِينَ﴾ والمراد بها امرأته فقد كانت ترضى بأفعال قومها وقبل هلاكهم أمره الله أن يسري بأهله إلا امرأته، كما أمرهم ألا يلتفتوا إذا سمعوا الصيحة، وقد فعلوا فنزلت الصيحة بقومه عند شروق الشمس كما قال عز وجل ﴿ثُمَّ دَمَرْنَا الْأَخْرِينَ﴾ ﴿وَأَمْطَرْنَا عَلَيْهِمْ مَطَرًا فَسَاءَ مَطَرُ الْمُنْذَرِينَ﴾ المراد به الحجارة التي نزلت عليهم كما قال عز وجل ﴿فَجَعَلْنَا عَلَيْهِمَا سَافِلَهًا وَأَمْطَرْنَا عَلَيْهِمْ حِجَارَةً مِنْ سِجِّيلٍ﴾^(١). ﴿إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَةً﴾ أي: عبرة في إهلاك قوم لوط ﴿وَمَا كَانَ أَكْثَرُهُمْ مُؤْمِنِينَ﴾ أي: لم يؤمن من قوم لوط إلا قلة قليلة، أما الأكثرية فكانوا كافرين ﴿وَلِإِنَّ رَبَّكَ لَهُوَ الْعَزِيزُ﴾ أي: القوي على إهلاكهم ﴿الرَّحِيمُ﴾ أي: بإنجاء نبيه لوط ومن معه من المؤمنين.

أحكام ومسائل الآيات:

في هذه الآيات: تقرير أن جريمة قوم لوط من أحقر وأحط الجرائم في الأرض، ولا يرتكبها إلا من سفلت أخلاقهم، وفسد سلوكهم، وماتت قيمهم، فاستحقوا بذلك مقت الله وغضبه. وفيها: أن الطغاة والمتنفذين كانوا يهددون الدعاة إلى الحق والمصلحين بالنفي والطرده. وفيها: أن

(١) سورة الحجر الآية ٧٤.

على الأمم التنديد بالفساد إذا بدأ فيها، مع ما يجب عليهم من مقتته ومقت أصحابه حتى يعذروا، وإلا حلّ بهم العقاب جميعهم. وفيها: أن الله يستجيب دعاء الأنبياء والصالحين إذا رأوا أنه لا حيلة لهم في أقوامهم إلا الدعاء عليهم كما حدث لنوح وهود وصالح ولوط.

﴿كَذَّبَ أَصْحَابُ لَيْكَةِ الْمُرْسَلِينَ ﴿١٧٦﴾ إِذْ قَالَ لَهُمْ شُعَيْبٌ أَلَا
تُنْقُونَ ﴿١٧٧﴾ إِنِّي لَكُمْ رَسُولٌ أَمِينٌ ﴿١٧٨﴾ فَاتَّقُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا وَمَا
أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ مِنْ أَجْرٍ إِنْ أَجَرْتُ إِلَّا عَلَى رَبِّ الْعَالَمِينَ ﴿١٨٠﴾﴾

بيان الآيات:

﴿كَذَّبَ أَصْحَابُ لَيْكَةِ الْمُرْسَلِينَ﴾ .. الآيات. أصحاب الأيكة: هم أصحاب مدين، والأيكة: الشجر المتكاثف وتعد جزءاً من مدين أو قريباً منها، فهم أهل بلد واحد، فشعيب عليه السلام من مدين كما قال تعالى ﴿وَإِلَى مَدْيَنَ أَخَاهُمْ شُعَيْبًا﴾^(١). وقد شملت دعوته أهل مدين وأصحاب الأيكة فلم ينسبه الله إلى أصحاب الأيكة فقال ﴿إِذْ قَالَ لَهُمْ شُعَيْبٌ أَلَا تُنْقُونَ﴾ ولم يقل: (أخوهم شعيب). وكما كان رسل الله يفعلون مع أقوامهم فعل شعيب مع هؤلاء فدعاهم إلى تقوى الله وعبادته وترك عبادة غيره وأخبرهم أنه رسول من عند الله وأنه أمين على رسالته صادق فيما يدعوهم إليه وأنه لا يبتغي منهم أجراً ومع ذلك فقد كذبوه.

(١) سورة الأعراف من الآية ٨٥ .

أحكام ومسائل الآيات:

من الأحكام في هذه الآيات: وجوب تقوى الله وطاعته؛ وذلك بامتثال أوامره واجتناب نواهيه. ومنها: وجوب طاعة الرسل الذين أرسلهم الله إلى أممهم وأقوامهم ولكن هذه الطاعة محدودة بأزمة رسالاتهم. أما بعد مبعث رسول الله محمد ﷺ فلا يجب إلا طاعته لأنه خاتم الرسل وإمامهم وقد نسخت رسالته ما سبقها من الرسالات؛ فطاعته طاعة للرسل وتصديقه تصديق لهم. ومن الأحكام: أن الرسل لا يأخذون أجرا على دعوتهم ومثلهم الدعاة إلا أنه يستثنى من كان من الدعاة في حاجة إلى هذا الأجر - كما سبقت الإشارة إليه -.

﴿أَوْفُوا الْكَيْلَ وَلَا تَكُونُوا مِنَ الْمُخْسِرِينَ﴾ (١٨١) ﴿وَزِنُوا بِالْقِسْطَاسِ الْمُسْتَقِيمِ﴾ (١٨٢) ﴿وَلَا تَبْخَسُوا النَّاسَ أَشْيَاءَهُمْ وَلَا تَعْتُوا فِي الْأَرْضِ مُفْسِدِينَ﴾ (١٨٣) ﴿وَاتَّقُوا الَّذِي خَلَقَكُمْ وَالْجِلَّةَ الْأَوَّلِينَ﴾ (١٨٤).

بيان الآيات:

﴿أَوْفُوا الْكَيْلَ وَلَا تَكُونُوا مِنَ الْمُخْسِرِينَ﴾ هذا أمر من شعيب عليه السلام لقومه بأن يوفوا الكيل، والمراد إذا كلتم في بيعكم فكيلوه وافيا لغيركم ولا تنقصوه، بينما أنتم تأخذونه وافيا إذا استوفيتموه من غيركم ﴿وَزِنُوا بِالْقِسْطَاسِ الْمُسْتَقِيمِ﴾ أي: يجب أن يكون وزنكم بالعدل السوي ﴿وَلَا تَبْخَسُوا النَّاسَ أَشْيَاءَهُمْ﴾ أي:

لا تنقصوهم من أموالهم شيئاً ﴿وَلَا تَعْتَوُوا فِي الْأَرْضِ مُفْسِدِينَ﴾ أي:
لا تفسدوا في الأرض بأي نوع من أنواع الفساد كالقتل أو السرقة
أو قطع الطريق كما قال عز وجل ﴿وَلَا تَقْعُدُوا بِكُلِّ صِرَاطٍ
تُوعِدُونَ وَتَصُدُّونَ عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ مَنْ ءَامَنَ بِهِ وَتَبْغُونَهَا
عِوَجًا﴾ الآية (١). ﴿وَاتَّقُوا الَّذِي خَلَقَكُمْ وَالْجِيلَ الْأَوَّلِينَ﴾ أي:
أطيعوا الله الذي خلقكم وسائر الخلق من قبلكم.

أحكام ومسائل الآيات:

في هذه الآيات: الحكم بوجوب الوفاء بالكيل وتحريم التطفيف
فيه كما قال عز وجل ﴿وَبَلِّغْ لِلْمُطَفِّينَ﴾ (٢). ﴿الَّذِينَ إِذَا أَكَالُوا عَلَى
النَّاسِ يَسْتَوْفُونَ﴾ (٣). ﴿وَإِذَا كَالُوهُمْ أَوْ وَزَنُوهُمْ يُخْسِرُونَ﴾ (٤). وفي
الحديث: (رحم الله رجلاً إذا باع وإذا اشترى وإذا اقتضى) (٥).
وفيها: الحكم بتحريم بخس الناس حقوقهم، سواء كان هذا البخس
بخساً مناطه الحقوق المادية، كسرقة أشياءهم، أو جحد عارياتهم، أو
استغلال حاجاتهم عند مداينتهم، أو كان مناط هذا البخس الحقوق
المعنوية كالتنقص منهم أو الاستهزاء أو السخرية بهم.

(١) سورة الأعراف من الآية ٨٦ .

(٢) سورة المطففين الآية ١ .

(٣) سورة المطففين الآية ٢ .

(٤) سورة المطففين الآية ٣ .

(٥) صحيح البخاري مع فتح الباري ج ٤ ص ٣٥٩، كتاب البيوع، باب السهولة والسماحة في الشراء
والبيع ومن طلب حقاً فليطلبه في عفاف، برقم (٢٠٧٦) .

وفيها: الحكم بتحريم الفساد في الأرض بأي نوع من أنواعه كما قال عز وجل ﴿وَلَا تُفْسِدُوا فِي الْأَرْضِ بَعْدَ إِصْلَاحِهَا﴾^(١). وقوله في ذم المنافقين ﴿وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ لَا تُفْسِدُوا فِي الْأَرْضِ قَالُوا إِنَّمَا نَحْنُ مُصْلِحُونَ﴾^(٢). ﴿أَلَا إِنَّهُمْ هُمُ الْمُفْسِدُونَ وَلَكِنْ لَا يَشْعُرُونَ﴾^(٣).

﴿قَالُوا إِنَّمَا أَنْتَ مِنَ الْمُسَحَّرِينَ﴾^(١٨٥) وَمَا أَنْتَ إِلَّا بَشَرٌ مِثْلُنَا وَإِنْ نَظُنُّكَ لَمِنَ الْكَاذِبِينَ^(١٨٦) فَاسْقِطْ عَلَيْنَا كِسْفًا مِّنَ السَّمَاءِ إِنْ كُنْتَ مِنَ الصَّادِقِينَ^(١٨٧) قَالَ رَبِّيَ أَعْلَمُ بِمَا تَعْمَلُونَ^(١٨٨) فَكَذَّبُوهُ فَأَخَذَهُمْ عَذَابُ يَوْمِ الظُّلَّةِ إِنَّهُ كَانَ عَذَابٌ يَوْمٍ عَظِيمٍ^(١٨٩) إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَةً وَمَا كَانَ أَكْثَرُهُمْ مُّؤْمِنِينَ^(١٩٠) وَإِنَّ رَبَّكَ هُوَ الْعَزِيزُ الرَّحِيمُ^(١٩١).

بيان الآيات:

﴿قَالُوا إِنَّمَا أَنْتَ مِنَ الْمُسَحَّرِينَ﴾ لما دعا شعيب قومه ونصحهم وحاول ثنيهم عن ضلالهم بفصاحته وخطابته المتميزة قالوا له: إنما أنت مسحور ﴿وَمَا أَنْتَ إِلَّا بَشَرٌ مِثْلُنَا﴾ أي: ليس لك فضيلة أو ميزة علينا حتى تنصحنا ﴿وَإِنْ نَظُنُّكَ لَمِنَ الْكَاذِبِينَ﴾ بل نزعم أنك تكذب وأنت لست برسول ﴿فَاسْقِطْ عَلَيْنَا كِسْفًا مِّنَ السَّمَاءِ﴾

(١) سورة الأعراف من الآية ٨٥ .

(٢) سورة البقرة الآية ١١ .

(٣) سورة البقرة الآية ١٢ .

إِنْ كُنْتَ مِنَ الصّٰدِقِيْنَ ﴿١٩﴾ وهذا مما يدل على سفههم وجهلهم حين استبعدوا عقاب الله فقالوا: اسقط علينا قطعا من السماء إن كنت صادقا فيما تقول ﴿٢٠﴾ قَالَ رَبِّیْۤ اَعْلَمُ بِمَا تَعْمَلُوْنَ ﴿٢١﴾ هذا جواب لهم والمراد أن الله أعلم بأحوالكم وهو المتصرف فيكم وسوف يجازيكم بما تستحقون ﴿٢٢﴾ فَكَذَّبُوْهُ فَاَخَذَهُمْ عَذَابُ یَوْمِ الظُّلَّةِ اِنَّهٗ كَانَ عَذَابَ یَوْمٍ عَظِیْمٍ ﴿٢٣﴾ لما سألوا شعيبا أن ينزل عليهم كسفا من السماء أرسل الله عليهم سحابة أظلتهم من الحر الشديد الذي نزل بهم فطفقوا يستظلون فلما اجتمعوا تحتها تحولت إلى نار أحرقتهم فهلكوا جميعا.

﴿٢٤﴾ اِنَّ فِیْ ذٰلِكَ لَاٰیَةًۭ ؕ ﴿٢٥﴾ أي: دلالة على إهلاك الله للكافرين ﴿٢٦﴾ وَمَا كَانَ اَكْثَرُهُمْ مُّؤْمِنِيْنَ ﴿٢٧﴾ أي: ما آمن مع شعيب واتبعه إلا قليل من أهل مدين، أما الأكثرون فكانوا كافرين ﴿٢٨﴾ وَاِنَّ رَبَّكَ لَهٗوَ الْعَزِیْزُ الرَّحِيْمُ ﴿٢٩﴾ أي: القادر على الانتقام من الكافرين المكذبين لرسولهم وهو الرحيم بعباده المؤمنين.

أحكام ومسائل الآيات:

في هذه الآيات عن قوم شعيب وما سبقها من الآيات عن قوم نوح وهود وصالح ولوط: إخبار من الله عز وجل لنبيه ورسوله محمد ﷺ عما لاقاه هؤلاء الأنبياء من التكذيب والأذى، وأن عليه أن يصبر في دعوته كما صبروا؛ لأن حكمة الله اقتضت ألا يعذب أحدا إلا بعد

أن تبلغه الرسالة. وفيها: تحذير المشركين الذين آذوا رسول الله ﷺ وكذبوه أن مصيرهم قد يكون مثل مصير تلك الأمم التي عذبها الله. ورغم ما أصاب رسول الله ﷺ من الأذى من قومه إلا أنه صبر عليهم ولم يدع عليهم سوى أيام قليلة دعا فيها على مضر وذكوان، ثم نهاه الله عن ذلك، فامتنع وقال وهو يمسح الدم عن جبينه: (اللهم اغفر لقومي فإنهم لا يعلمون)^(١).

﴿وَأَنَّهُ لَنَزِيلُ رَبِّ الْعَالَمِينَ ﴿١٩٢﴾ نَزَلَ بِهِ الرُّوحُ الْأَمِينُ ﴿١٩٣﴾ عَلَى قَلْبِكَ لِتَكُونَ مِنَ الْمُنذِرِينَ ﴿١٩٤﴾ بِلِسَانٍ عَرَبِيٍّ مُبِينٍ ﴿١٩٥﴾﴾

بيان الآيات:

﴿وَأَنَّهُ لَنَزِيلُ رَبِّ الْعَالَمِينَ﴾ لما قص الله على نبيه ورسوله محمد ﷺ قصص الأنبياء - كما ذكر - بين أنه أنزل هذا القرآن بما فيه من الأحكام والشرائع لهداية خلقه وبيان الصراط المستقيم الذي يعرفون من خلاله ما ينفعهم وما يضرهم في دينهم ودنياهم. قوله ﴿نَزَلَ بِهِ الرُّوحُ الْأَمِينُ﴾ أي: نزل به جبريل مؤتمنا عليه لم يزد فيه ولم ينقص وإنما بلغه كما نزل من اللوح المحفوظ ﴿عَلَى قَلْبِكَ لِتَكُونَ مِنَ الْمُنذِرِينَ﴾ أي: نزل القرآن على قلبك مباشرة من لدن جبريل ونزوله على القلب سبب مباشر لحفظه ووعيه؛ لأن القلب

(١) صحيح البخاري مع فتح الباري ج ٦ ص ٥٩٣، كتاب الأنبياء، باب (٥٤)، برقم (٣٤٧٧).

وعاء الفهم والإدراك والأصل في نزول القرآن عليك يا نبينا محمداً أن تكون به منذراً للذين يعصون الله وأن تكون به مبشراً للذين يطيعونه ﴿بِلِسَانٍ عَرَبِيٍّ مُبِينٍ﴾ أي: وهذا القرآن أنزل باللسان العربي الفصيح وهو لسانك ولسان قومك؛ ليكون أكثر فهما واشمل بيانا لهم وأعظم حجة عليهم.

أحكام ومسائل الآيات:

في هذه الآيات الحكم بأن هذا القرآن هو الذي أنزله الله رب العالمين وأن الذي نزل به جبريل. وفيها: أن رسول الله ﷺ كان يتلقى نزول القرآن بقلبه، وفي حديث عائشة رضي الله عنها: أن الحارث بن هشام سأل رسول الله فقال: يا رسول الله كيف يأتيك الوحي فقال رسول الله ﷺ: (أحيانا يأتيني مثل صلصلة الجرس وهو أشده علي فيفصم عني وقد وعيت عنه ما قال وأحيانا يتمثل لي الملك رجلا فيكلمني فأعي ما يقول)^(١). وفيها: أن هذا القرآن أنزل بلسان رسول الله ﷺ وقومه العرب وهو لسان عربي مبين وقد اقتضت حكمة الله أن تكون الرسالات إلى الأمم بالسنتهم، ليكون ذلك أقوى للحجة عليهم في فهم ما يؤمرون به كما قال عز وجل ﴿وَمَا أَرْسَلْنَا مِنْ رَّسُولٍ إِلَّا بِلِسَانِ قَوْمِهِ لِيُبَيِّنَ لَهُمْ﴾^(٢).

(١) صحيح البخاري مع فتح الباري ج ١ ص ٢٥، كتاب بدء الوحي، باب (٢) برقم (٢).

(٢) سورة إبراهيم من الآية ٤.

﴿وَإِنَّهُ لَفِي زُبْرِ الْأَوَّلِينَ﴾ ١٩٦ ﴿أَوْ لَمْ يَكُنْ لَهُمْ آيَةٌ أَنْ يَعْلَمَهُ عُلَمَتُ بَنِي إِسْرَءِيلَ﴾ ١٩٧ ﴿وَلَوْ نَزَّلْنَاهُ عَلَىٰ بَعْضِ الْأَعْجَمِينَ﴾ ١٩٨ ﴿فَقَرَأَهُ عَلَيْهِمْ مَا كَانُوا بِهِ مُؤْمِنِينَ﴾ ١٩٩ ﴿

بيان الآيات:

﴿وَإِنَّهُ لَفِي زُبْرِ الْأَوَّلِينَ﴾ أي: إن هذا القرآن منوه عنه في زبر الأولين أي: كتبهم ورسالاتهم ﴿أَوْ لَمْ يَكُنْ لَهُمْ آيَةٌ أَنْ يَعْلَمَهُ عُلَمَتُ بَنِي إِسْرَءِيلَ﴾ المراد بالخطاب هنا أهل مكة والمعنى ألا يكفيهم دلالة أن بني إسرائيل يعرفون أن هذا القرآن منصوص عليه في كتبهم والمراد ببني إسرائيل هنا المؤمنون منهم كعبد الله بن سلام وأضرابه ممن آمنوا بالقرآن وبرسالة رسول الله ﷺ.

﴿وَلَوْ نَزَّلْنَاهُ عَلَىٰ بَعْضِ الْأَعْجَمِينَ﴾ أي: لو نزلنا هذا القرآن على أعجمي لا يحسن العربية ﴿فَقَرَأَهُ عَلَيْهِمْ﴾ بغير لغتهم ﴿مَا كَانُوا بِهِ مُؤْمِنِينَ﴾ أي: لقالوا: لا نؤمن به ولا نعرف ما فيه كما قال عز وجل ﴿وَلَوْ جَعَلْنَاهُ قُرْءَانًا أَعْجَمِيًّا لَقَالُوا لَوْلَا فُصِّلَتْ آيَاتُهُ ۖ أَءَعْجَمِيٌّ وَعَرَبِيٌّ﴾ (١).

أحكام ومسائل الآيات:

في هذه الآيات: الحكم بأن القرآن مذكور في الكتب السماوية السابقة.

(١) سورة فصلت من الآية ٤٤.

وفيها: تقرير أن من اتبع هواه واستنكف عن اتباع الحق لا ينفع فيه دليل، بل يكون متبعاً لهواه فيضله عن سبيل الله كما قال عز وجل ﴿أَرَأَيْتَ مَنِ اتَّخَذَ إِلَهَهُ هَوَاهُ ۚ هَوَاهُ أَفَأَنْتَ تَكُونُ عَلَيْهِ وَكِيلًا﴾^(١).

﴿كَذَلِكَ سَلَكْنَاهُ فِي قُلُوبِ الْمُجْرِمِينَ ﴿٢٠٠﴾ لَا يُؤْمِنُونَ بِهِ ۚ حَتَّىٰ يَرَوْا الْعَذَابَ الْأَلِيمَ ﴿٢٠١﴾ فَيَأْتِيهِمْ بَغْتَةً وَهُمْ لَا يَشْعُرُونَ ﴿٢٠٢﴾ فَيَقُولُوا هَلْ نَحْنُ مُنْظَرُونَ ﴿٢٠٣﴾ أَفِعَذَابِنَا يَسْتَعْجِلُونَ ﴿٢٠٤﴾ أَفَرَأَيْتَ إِنْ مَتَّعْنَاهُمْ سِنِينَ ﴿٢٠٥﴾ ثُمَّ جَاءَهُمْ مَا كَانُوا يُوعَدُونَ ﴿٢٠٦﴾ مَا أَغْنَىٰ عَنْهُمْ مَا كَانُوا يُمْتَعُونَ ﴿٢٠٧﴾ وَمَا أَهْلَكْنَا مِنْ قَرْيَةٍ إِلَّا لَهَا مُنْذِرُونَ ﴿٢٠٨﴾ ذِكْرَىٰ وَمَا كُنَّا ظَالِمِينَ﴾.

بيان الآيات:

﴿كَذَلِكَ سَلَكْنَاهُ فِي قُلُوبِ الْمُجْرِمِينَ﴾ لما ذكر الله عز وجل تكذيب الأمم البائدة لرسولهم قال: كذلك أدخلنا هذا التكذيب في قلوب المجرمين من مشركي مكة؛ ذلك لأنهم أنكروا القرآن واتهموا الرسول بوضعه ﴿لَا يُؤْمِنُونَ بِهِ ۚ حَتَّىٰ يَرَوْا الْعَذَابَ الْأَلِيمَ﴾ أي: لا يؤمنون بهذا القرآن حتى يروا أن العذاب محيط بهم، وحينئذ لا ينفعهم إيمانهم ﴿فَيَأْتِيهِمْ بَغْتَةً وَهُمْ لَا يَشْعُرُونَ﴾ أي: يأتيهم العذاب على حين غفلة وهم لا يشعرون به فيكون أكثر ألماً لهم.

﴿فَيَقُولُوا هَلْ نَحْنُ مُنْظَرُونَ﴾ المراد أنهم يتمنون أن يمهلوا قليلا حتى يتوبوا وهذا محال؛ لأن العذاب إذا وقع لا ينفع معه ندم ولا توبة ﴿أَفِعْذَابُنَا يَسْتَعْجِلُونَ﴾ هذا توبيخ وإنكار عليهم في استعجالهم عذاب الله عندما قالوا للرسول ﴿أَنَّا نَحْنُ عَذَابُ اللَّهِ إِنْ كُنْتَ مِنَ الصَّادِقِينَ﴾^(١). ثم قال تعالى ﴿أَفَرَأَيْتَ إِنْ مَتَّعْنَاهُمْ سِنِينَ﴾ أي: أفرايت يا نبينا محمداً إن أمهلناهم فلم ننزل عليهم العذاب بغتة وتركناهم يتمتعون وقتاً طويلاً في الدنيا ﴿ثُمَّ جَاءَهُمْ مَا كَانُوا يُوعَدُونَ﴾ من العذاب ﴿مَا أَغْنَى عَنْهُمْ مَا كَانُوا يُمْتَعُونَ﴾ أي: لم يغن عنهم تمتعهم شيئاً ﴿وَمَا أَهْلَكْنَا مِنْ قَرِيَةٍ إِلَّا هَا مُنْذِرُونَ﴾ هذا من عدل الله ورحمته أنه لم يهلك أو يعذب أحداً من خلقه إلا بعد أن يأتيه النذير والبلاغ عن طريق الرسل والكتب والبيانات ﴿ذَكَرْنِي وَمَا كُنَّا ظَالِمِينَ﴾ أي: ننذرهم لإقامة الحجة عليهم، ولن نكون ظالمين لهم فنعاقبهم دون إنذارهم.

أحكام ومسائل الآيات:

في هذه الآيات: تقرير أن المكذب لآيات الله بعد أن تتبين له ينغرس التكذيب في قلبه، فلم يعد يؤمن إلا بعد ما يرى العذاب محيطاً به على حين غرة. وفيها: تقرير سفاهة المشركين وحمقهم حين يستعجلون

(١) سورة العنكبوت من الآية ٢٩ .

عذاب الله ويظنون أنه غير واقع بهم. وحينما يرونه يصيبهم الندم فيقولون: آمنا بالله كما قال عز وجل ﴿فَلَمَّا رَأَوْا بَأْسَنَا قَالُوا آمَنَّا بِاللَّهِ وَحَدُّهُ وَكَفَرْنَا بِمَا كُنَّا بِهِ مُشْرِكِينَ﴾^(١). ﴿فَلَمْ يَكُنْ يَنْفَعُهُمْ إِيمَانُهُمْ لَمَّا رَأَوْا بَأْسَنَا سُنَّتَ اللَّهِ الَّتِي قَدْ خَلَتْ فِي عِبَادِهِ وَخَسِرَ هُنَالِكَ الْكَافِرُونَ﴾^(٢).

وفيها: تقرير أن إمهال الكافرين في الدنيا لا يغنيهم شيئا، طالما أنهم يصرون على تكذيب رسل الله وآياته كما قال تعالى ﴿يُودُّ أَحَدُهُمْ لَوْ يُعَمَّرُ أَلْفَ سَنَةٍ وَمَا هُوَ بِمُرَحِّزٍ لَهُ مِنْ الْعَذَابِ أَنْ يُعَمَّرَ﴾^(٣). وفيها: الحكم بعدل الله، وأنه لا يعذب أحدا من خلقه إلا بعد أن يأتيه البلاغ من الله عن طريق كتبه ورسله. كما قال عز وجل ﴿وَمَا كُنَّا مُعَذِّبِينَ حَتَّى نَبْعَثَ رَسُولًا﴾^(٤). وقوله ﴿وَمَا كَانَ رَبُّكَ مُهْلِكَ الْقُرَى حَتَّى يَبْعَثَ فِي أُمِّهَا رَسُولًا يَتْلُوا عَلَيْهِمْ أَيْنَتْنَا وَمَا كُنَّا مُهْلِكِي الْقُرَى إِلَّا وَأَهْلُهَا ظَالِمُونَ﴾^(٥).

﴿وَمَا نَزَّلَتْ بِهِ الشَّيَاطِينُ﴾^(٦) وَمَا يَنْبَغِي لَهُمْ وَمَا يَسْتَطِيعُونَ

(١) سورة غافر الآية ٨٤ .

(٢) سورة غافر الآية ٨٥ .

(٣) سورة البقرة من الآية ٩٦ .

(٤) سورة الإسراء من الآية ١٥ .

(٥) سورة القصص الآية ٥٩ .

﴿٢١١﴾ إِنَّهُمْ عَنِ السَّمْعِ لَمَعْزُولُونَ ﴿٢١٢﴾

بيان الآيات:

﴿وَمَا نَزَّلَتْ بِهِ الشَّيَاطِينُ﴾ هذا بيان من الله عز وجل رداً على المشركين الذين قالوا: إن الشياطين يلقون القرآن على رسول الله ﷺ كما أنه بيان عن حفظ الله لكتابه العزيز وأنه غاية في الكمال والبعد عن النقص، فالذي نزل به جبريل عليه السلام وهو أشد الملائكة قوة ﴿وَمَا يَنْبَغِي لَهُمْ وَمَا يَسْتَطِيعُونَ﴾ أي: ما كان ينبغي للشياطين التعرض للقرآن لأنه فوق قدرتهم فلا يستطيعون النيل منه ﴿إِنَّهُمْ عَنِ السَّمْعِ لَمَعْزُولُونَ﴾ أي: معزولون عن القرآن؛ لأن السماء ملئت حرساً شديداً وشهباً عند نزوله على رسول الله ﷺ.

أحكام ومسائل الآيات:

في هذه الآيات: إبطال دعاوى المشركين وزعمهم أن الشياطين تنزل بالقرآن. وفيها: تقرير أن الشياطين لا يستطيعون التعرض للقرآن؛ لأنه نزل من اللوح المحفوظ، نزل به جبريل وقد امتلأت السماء حراساً وشهباً حين نزوله كما قال عز وجل عن الجن ﴿وَأَنَّا لَمَسْنَا السَّمَاءَ فَوَجَدْنَاهَا مُلْتَأَتْ حَرَسًا شَدِيدًا وَشُهَبًا﴾^(١). ﴿وَأَنَّا كُنَّا نَقْعُدُ مِنْهَا

(١) سورة الجن الآية ٨.

مَقْعِدَ السَّمْعِ فَمَنْ يَسْتَمِعِ الْآنَ يَجِدْ لَهُ شِهَابًا رَصَدًا ﴿٢١٣﴾ (١).

﴿فَلَا تَدْعُ مَعَ اللَّهِ إِلَهًا آخَرَ فَتَكُونَ مِنَ الْمُعَذِّبِينَ﴾ (٢١٣)
وَأَنْذِرْ عَشِيرَتَكَ الْأَقْرَبِينَ ﴿٢١٤﴾ وَأَخْفِضْ جَنَاحَكَ لِمَنِ اتَّبَعَكَ مِنَ
الْمُؤْمِنِينَ ﴿٢١٥﴾ فَإِنْ عَصَوْكَ فَقُلْ إِنِّي بَرِيءٌ مِمَّا تَعْمَلُونَ ﴿٢١٦﴾ وَتَوَكَّلْ
عَلَى الْعَزِيزِ الرَّحِيمِ ﴿٢١٧﴾ الَّذِي يَرِنَكَ حِينَ تَقُومُ ﴿٢١٨﴾ وَتَقْلُبُكَ فِي
السَّجْدِينَ ﴿٢١٩﴾ إِنَّهُ هُوَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ ﴿٢٢٠﴾.

بيان الآيات:

﴿فَلَا تَدْعُ مَعَ اللَّهِ إِلَهًا آخَرَ فَتَكُونَ مِنَ الْمُعَذِّبِينَ﴾ هذا أمر من
الله لنبيه ورسوله محمد ﷺ - وهو أمر لأُمَّته - أن يخلص العبادة
لله وحده لا شريك له مبينا له أن من أشرك معه غيره سيناله العذاب
يوم القيامة ﴿وَأَنْذِرْ عَشِيرَتَكَ الْأَقْرَبِينَ﴾ وكما أمره أن يجعل
العبادة له وحده لا شريك له أمره أن ينذر قومه الأقربين له بأن
العبادة لا تكون إلا له وحده لا شريك له ﴿وَأَخْفِضْ جَنَاحَكَ لِمَنِ
اتَّبَعَكَ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ﴾ وهذا أيضا أمر من الله لنبيه ورسوله
أن يلين جناحه للمؤمنين ويرفق بهم ويتلطف بهم؛ لأنهم خاصته
وأقرب الناس إليه ﴿فَإِنْ عَصَوْكَ فَقُلْ إِنِّي بَرِيءٌ مِمَّا تَعْمَلُونَ﴾

أي: من عصاك ممن دعوته إلى توحيد الله وطاعته فقل له إنك بريء من عمله.

﴿وَتَوَكَّلْ عَلَى الْعَزِيزِ الرَّحِيمِ﴾ أي: توكل عليه في كل أمر تريد فعله فإنه هو معينك وناصرك وكافيك شر أعدائك ﴿الَّذِي يَرَبُّكَ حِينَ تَقُومُ﴾ أي: الذي يراك وأنت تصلي وتركع وتسجد ولهذا قال تعالى ﴿وَتَقَبَّلَكَ فِي السَّجْدَيْنِ﴾ ﴿إِنَّهُ هُوَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ﴾ أي: السميع لما يقوله عباده في سرهم وجهرهم والعليم بأحوالهم.

أحكام ومسائل الآيات:

في هذه الآيات: الحكم بوجوب توحيد الله وحده وتحريم الشرك به وأن من أشرك معه غيره سيكون العذاب جزاءه كما قال عز وجل ﴿إِنَّهُ مَنْ يُشْرِكْ بِاللَّهِ فَقَدْ حَرَّمَ اللَّهُ عَلَيْهِ الْجَنَّةَ وَمَأْوَاهُ النَّارُ﴾^(١). وفيها: تقرير أن الأصل في الدعوة البدء بالأقرب إلى الداعي من أهله حتى يكون ذلك أدعى لقبول العامة لدعوته.

وامتثالاً لأمر الله بدأ رسول الله ﷺ - كما سبق ذكره - بدعوة أقرب الناس إليه فقال: (يا فاطمة بنت محمد، يا صفية بنت عبدالمطلب يا بني عبدالمطلب لا أملك لكم من الله شيئاً سلوني من مالي ما شئتم)^(٢).

(١) سورة المائدة من الآية ٧٢.

(٢) صحيح مسلم بشرح النووي ج ٢ ص ١٠٨١، كتاب الإيمان، باب في قوله تعالى ﴿وَأَنْذِرْ عَشِيرَتَكَ الْأَقْرَبِينَ﴾ برقم (٢٠٥).

ثم خاطب قومه على الصفا قائلاً: (يا بني عبد المطلب يا بني فهر يا بني لؤي أرايتم لو أخبرتكم أن خيلاً بسفح هذا الجبل تريد أن تغير عليكم صدقتموني؟) قالوا: نعم، قال: (فإني نذير لكم بين يدي عذاب شديد) فقال أبو لهب: تباً لك سائر اليوم، أما دعوتنا إلا لهذا، فأَنْزَلَ اللهُ تعالى قوله ﴿تَبَّتْ يَدَا أَبِي لَهَبٍ وَتَبَّ﴾^(١).

والبدء بدعوة الخاصة لا ينافي وجوب الدعوة العامة، ولهذا قال تعالى ﴿وَهَذَا كِتَابٌ أَنْزَلْنَاهُ مُبَارَكٌ مُصَدِّقُ الَّذِي بَيْنَ يَدَيْهِ وَلِتُنْذِرَ أُمَّ الْقُرَى وَمَنْ حَوْلَهَا﴾^(٢). وقال عز ذكره ﴿وَأَنْذِرْ بِهِ الَّذِينَ يَخَافُونَ أَنْ يُحْشَرُوا إِلَى رَبِّهِمْ﴾^(٣).

وفي هذه الآيات: وجوب الرفق بالمدعوين إلى الدين والتلطف بهم خاصة من كان منهم حديث عهد بالإسلام. وقد أكد الله على ذلك بأمره لنبيه أن يكون معهم بقوله عز وجل ﴿وَأَصْبِرْ نَفْسَكَ مَعَ الَّذِينَ يَدْعُونَ رَبَّهُمْ بِالْغَدَاةِ وَالْعَشِيِّ يُرِيدُونَ وَجْهَهُ وَلَا تَعْدُ عَيْنَاكَ عَنْهُمْ تُرِيدُ زِينَةَ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا﴾^(٤). وفيها: أن المدعوين إذا

(١) أسباب نزول القرآن للواحدي ص ٧٥٠، وأخرجه مسلم في كتاب الإيمان، باب في قوله تعالى ﴿وَأَنْذِرْ عَشِيرَتَكَ الْأَقْرَبِينَ﴾، برقم (٢٠٧)، صحيح مسلم بشرح النووي ٢ ص ١٠٨٣.

(٢) سورة الأنعام من الآية ٩٢.

(٣) سورة الأنعام من الآية ٥١.

(٤) سورة الكهف من الآية ٢٨.

عصوا الدعوة وجبت البراءة منهم. وفيها: وجوب التوكل على الله فهو الكافي والحافظ والنصير كما قال عز وجل ﴿وَمَنْ يَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ فَهُوَ حَسْبُهُ﴾^(١). وقوله عز ذكره ﴿وَتَوَكَّلْ عَلَى الْحَيِّ الَّذِي لَا يَمُوتُ﴾^(٢). وفي هذه الآيات التوكيد على أهمية الصلاة فرضا كانت أو نفلا، وأن الله يرى المصلين في حركاتهم في ركوعهم وسجودهم.

﴿هَلْ أُنَبِّئُكُمْ عَلَىٰ مَن تَنَزَّلُ الشَّيَاطِينُ﴾^(٢٢٢) تَنَزَّلَ عَلَىٰ كُلِّ أَفَّاكٍ أَثِيمٍ ﴿يُلْقُونَ السَّمْعَ وَأَكْثُرُهُمْ كَذِبُونَ﴾^(٢٢٣) وَالشُّعْرَاءُ يَتَّبِعُهُمُ الْغَاوُونَ ﴿أَلَمْ تَرَ أَنَّهُمْ فِي كُلِّ وَادٍ يَهِيمُونَ﴾^(٢٢٤) وَأَنَّهُمْ يَقُولُونَ مَا لَا يَفْعَلُونَ ﴿إِلَّا الَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ وَذَكَرُوا اللَّهَ كَثِيرًا وَانْتَصَرُوا مِنْ بَعْدِ مَا ظَلَمُوا﴾^(٢٢٥) وَسَيَعْلَمُ الَّذِينَ ظَلَمُوا أَيَّ مُنْقَلَبٍ يَنْقَلِبُونَ ﴿٢٢٦﴾

بيان الآيات:

﴿هَلْ أُنَبِّئُكُمْ عَلَىٰ مَن تَنَزَّلُ الشَّيَاطِينُ﴾ هذا رد وتكذيب لمن قال من المشركين أن شيطانا ينزل على محمد ﷺ فنزه الله رسوله عن كذبهم وافترائهم، وأخبر أن الذين تنزل عليهم الشياطين الكذبة الفسقة الفجرة من الكهان وأضرابهم ولهذا قال تعالى ﴿تَنَزَّلُ عَلَىٰ

(١) سورة الطلاق من الآية ٣.

(٢) سورة الفرقان من الآية ٥٨.

كُلِّ أَفَّاكٍ أَثِيمٍ ﴿١٠﴾ أي: كذابٍ في أقواله آثمٍ في أفعاله ﴿١١﴾ يُلْقُونَ السَّمْعَ
وَأَكْثُرُهُمْ كَاذِبُونَ ﴿١٢﴾ المراد بهم الشياطين الذين يسترقون السمع
من السماء فيسمعون الكلمة من علم الغيب فيضيفون إليها مائة
كذبة ثم يبعثونها إلى أوليائهم من الإنس فيصدقهم الناس بسبب
صدق كلمة واحدة ﴿١٣﴾ وَالشُّعْرَاءُ يَتَّبِعُهُمُ الْغَاوُونَ ﴿١٤﴾ المراد بهم
الشعراء الذين يتهاجون بينهم ويجتمع حول كل واحد منهم فئام
من الناس يناصرونه فينتصر لهذا قوم ولذاك قوم آخرون فيحصل
من جراء ذلك هرج وفتن كثيرة.

﴿١٥﴾ أَلَمْ تَرَ أَنَّهُمْ فِي كُلِّ وَادٍ يَهِيمُونَ ﴿١٦﴾ أي: أنهم يتيهون في
الكلام بالذم والقدح أو المدح مما لا طائل منه ﴿١٧﴾ وَأَنَّهُمْ يَقُولُونَ
مَا لَا يَفْعَلُونَ ﴿١٨﴾ أي: يتجاوزون في الكلام فيدعون فعلا لم يفعلوه
﴿١٩﴾ إِلَّا الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ ﴿٢٠﴾ هذا استثناء من الله يخرج
الشعراء الصالحين من الصحابة كحسان بن ثابت، وكعب بن مالك
ونحوهم من الشعراء المدوحين ﴿٢١﴾ وَذَكِّرُوا أَنَّهُ كَثِيرًا مِّنْ
بَعْدِ مَا ظَلَمُوا ﴿٢٢﴾ هذه صفة للشعراء في مدح رسول الله ﷺ والمؤمنين
وينتصرون بشعرهم في هجاء وذم المشركين ﴿٢٣﴾ وَسَيَعْلَمُ الَّذِينَ ظَلَمُوا
أَيَّ مُنْقَلَبٍ يَنْقَلِبُونَ ﴿٢٤﴾ المراد سيعلم الذين رموا رسول الله ﷺ بالكذب

واتهامه بالكهانة والشعر أي منقلب ينقلبون إليه يوم القيامة وهو النار جزاء كذبهم وافترائهم.

أحكام ومسائل الآيات:

في هذه الآيات: تقرير كذب المشركين وإبطال زيفهم ورد دعاواهم أن القرآن مما توحى به الشياطين. وفيها: تقرير أن الشياطين تنزل على الأفاكين والكذبة والفسقة، أما الرسل صلوات الله وسلامه عليهم فهم منزهون كل التنزيه من الكهانة أو العلاقة مع الشياطين؛ لأن هؤلاء الشياطين لا يتعاملون إلا مع بعضهم ومن على شاكلتهم من الجن والإنس وهم جميعا مطرودون من رحمة الله. وفيها: تقرير ذم الشعراء الذين يتهاجون بينهم ثم ينتصر لكل منهم طغام من الناس فينتج عن فعلهم فتن وأباطيل، مع استثناء الشعراء الذين يَسْمُونَ بشعرهم عن الكذب والهجاء المذموم وهم في ذاتهم مؤمنون بالله وينتصرون بشعرهم لرسالته ولنبيه محمد ﷺ. وفي هذه الآيات: تقرير أن الظلمة الذين يفترون الكذب على رسول الله أو على المؤمنين سيلقون جزاءهم من العذاب يوم يرجعون إلى الله كما قال عز وجل ﴿وُفِّيَتْ كُلُّ نَفْسٍ مَّا عَمِلَتْ وَهُوَ أَعْلَمُ بِمَا يَفْعَلُونَ﴾^(١).

(١) سورة الزمر الآية ٧٠.

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

سورة النمل

مكية وآياتها ثلاث وتسعون آية

﴿طسَّ تِلْكَ ءَايَاتُ الْقُرْآنِ وَكِتَابٍ مُبِينٍ ① هُدًى وَبُشْرَى
لِلْمُؤْمِنِينَ ② الَّذِينَ يُقِيمُونَ الصَّلَاةَ وَيُؤْتُونَ الزَّكَاةَ وَهُمْ بِالْآخِرَةِ
هُمْ يُوقِنُونَ ③ إِنَّ الَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِالْآخِرَةِ زَيَّنَّا لَهُمْ أَعْمَالَهُمْ فَهُمْ
يَعْمَهُونَ ④ أُولَئِكَ الَّذِينَ لَهُمْ سُوءُ الْعَذَابِ وَهُمْ فِي الْآخِرَةِ هُمْ
الْأَخْسَرُونَ ⑤ وَإِنَّكَ لَلْقَلْبِ الْقُرْآنِ مِنَ لَدُنْ حَكِيمٍ عَلِيمٍ ⑥﴾.

﴿طسَّ﴾ طس من الحروف المقطعة، وقد تقدم الكلام فيها
والله أعلم بمراده ﴿تِلْكَ ءَايَاتُ الْقُرْآنِ﴾ أي: هذه يا نبينا محمداً
آيات القرآن التي أنزلت عليكم ﴿وَكِتَابٍ مُبِينٍ﴾ هذا بيان من
الله، فيه أحكامه وشرعه وما أمر به العباد، وما نهاهم عنه، وفيه:
أخبار الأمم السابقة وما حل ببعضها من الهلاك ليكون في ذلك عبرة
لمن يسير على نهجهم، وفيه شفاء الصدور من الأغلال والآلام النفسية
والمادية كما قال عز وجل ﴿وَنَزَّلْنَا مِنَ الْقُرْآنِ مَا هُوَ شِفَاءٌ وَرَحْمَةٌ
لِّلْمُؤْمِنِينَ ①﴾. ﴿هُدًى وَبُشْرَى لِلْمُؤْمِنِينَ﴾ وفيه الوعد للمؤمنين

بالبشارة لهم بالنصر والعزة في الدنيا والسعادة في الأرض والبشارة لهم بنعيم الله يوم القيامة، وفي آياته الحصن المنيع من وساوس الشياطين ونزغاتهم وأهوائهم، فمن آمن به واتبع ما جاء فيه تحققت له الحسنی في الدارين.

﴿الَّذِينَ يُقِيمُونَ الصَّلَاةَ﴾ وهذه إحدى صفات الذين لهم الهدى والبشرى بأنهم يقيمون الصلاة ويؤدونها في ركوعها وسجودها وأركانها وواجباتها وشروطها ﴿وَيُؤْتُونَ الزَّكَاةَ﴾ وهم أيضا الذين يؤدون زكاة أموالهم طيبة بها نفوسهم ﴿وَهُمْ بِالْآخِرَةِ هُمْ يُوقِنُونَ﴾ أي: بلغوا مرحلة اليقين بأن الساعة آتية لا ريب فيها وأنهم سيعرضون على ربهم فهم يتطلعون إلى لقائه رجاء رحمته وغفرانه.

﴿إِنَّ الَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِالْآخِرَةِ﴾ أي: ينكرون وقوعها ويكذبون من يؤمن ويصدق بها ﴿زَيَّنَّا لَهُمْ أَعْمَالَهُمْ فَهُمْ يَعْمَهُونَ﴾ أي: حببنا المعاصي لهم؛ بسبب ضلالهم فهم في هذا الضلال يهيمون ﴿أُولَئِكَ الَّذِينَ لَهُمْ سُوءُ الْعَذَابِ﴾ أي: إن هؤلاء الضالين لهم سوء العذاب أي: شديده في الدنيا ﴿وَهُمْ فِي الْآخِرَةِ هُمْ الْآخَسِرُونَ﴾ أي: الذين يخسرون أنفسهم؛ بسبب ضلالهم فيساقون إلى العذاب ﴿وَإِنَّكَ لَنُلَقِّي الْقُرْآنَ مِنْ لَدُنْ حَكِيمٍ عَلِيمٍ﴾ أي: يا رسولنا محمداً إِنَّكَ

تأخذ هذا القرآن وتحفظه من عند حكيم في تصرفه في خلقه وتدبيره لهم عليم بأحوالهم.

أحكام ومسائل الآيات:

في هذه الآيات: الحكم بأن القرآن هدى وبشرى للمؤمنين أي: هدى لهم من الضلال إذا صدقوه وآمنوا بما فيه كما أنه بشرى لهم في الدنيا بما ينفعهم فيها، وبشرى لهم في الآخرة يوم يرجعون إلى الله. وفيها: الحكم بأن من أوصاف المؤمنين إقامة الصلاة وإيتاء الزكاة والإيمان بالبعث. وفيها: الحكم بضلال الدهريين والملاحدة بسبب كفرهم بالآخرة. وفيها: الحكم بأن رسول الله ﷺ قد تلقى هذا القرآن من الله، وهذا رد متكرر على المشركين والكفرة الذين افتروا الكذب وزعموا أنه يتلقاه من عند غير الله.

﴿إِذْ قَالَ مُوسَىٰ لِأَهْلِهِ إِنِّي آنَسْتُ نَارًا سَآتِيكُمْ مِنْهَا بِخَبَرٍ أَوْ بَشِيرٍ أَوْ نَذِيرٍ أَوْ تَنْصَلُونَ﴾ (٧) فَلَمَّا جَاءَهَا نُودِيَ أَنْ بُورِكَ مَنْ فِي النَّارِ وَمَنْ حَوْلَهَا وَسُبْحَنَ اللَّهُ رَبِّ الْعَالَمِينَ ﴿٨﴾ يَمْوَسَّىٰ إِنَّهُ أَنَا اللَّهُ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ ﴿٩﴾ وَأَلْقِ عَصَاكَ فَلَمَّا رَآهَا تَهْتَزُّ كَأَنَّهَا جَانٌّ وَلَّى مُدْبِرًا وَلَمْ يُعَقِّبْ يَمْوَسَّى لَا تَخَفْ إِنِّي لَا يَخَافُ لَدَى الْمُرْسَلُونَ ﴿١٠﴾ إِلَّا مَنْ ظَلَمَ ثُمَّ بَدَّلَ حُسْنًا بَعْدَ سُوءٍ فَإِنِّي غَفُورٌ رَحِيمٌ ﴿١١﴾ وَأَدْخِلْ يَدَكَ فِي جَيْبِكَ

تَخْرُجُ بَيِّضَاءَ مِنْ غَيْرِ سَوَءٍ فِي تِسْعِ آيَاتٍ إِلَى فِرْعَوْنَ وَقَوْمِهِ إِنَّهُمْ كَانُوا قَوْمًا فَاسِقِينَ ﴿١٢﴾ فَلَمَّا جَاءَتْهُمْ آيَاتُنَا مُبْصِرَةً قَالُوا هَذَا سِحْرٌ مُبِينٌ ﴿١٣﴾ وَجَحَدُوا بِهَا وَاسْتَيْقَنَتْهَا أَنْفُسُهُمْ ظُلْمًا وَعُلُوًّا فَانْظُرْ كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الْمُفْسِدِينَ ﴿١٤﴾ ﴿١٤﴾

بيان الآيات:

﴿إِذْ قَالَ مُوسَى لِأَهْلِهِ﴾ لما ذكر الله عز وجل لنبيه ورسوله محمد ﷺ شرف القرآن وفضله، ذكره بما حدث لنبي كان قبله هو موسى بن عمران قبل ابتداء الوحي إليه حيث سار بأهله من أرض مدين إلى مصر في طريق مظلم، فبينما هو فيه أحس بنور عظيم فقال ﴿إِنِّي أَنَسْتُ نَارًا سَاءَتِ كُفْرُهَا مِنْهَا بَخْبَرٍ﴾ أي: رأيت نارا بعيدة سوف آتيكم بخبرها عن الطريق لأنهم ضلوه ﴿أَوَّاتِيكُمْ بِشَهَابٍ قَبَسٍ لَعَلَّكُمْ تَصْطَلُونَ﴾ أي: آتيكم بشعلة من هذه النار تستدفئون منها من البرد الذي تقاسونه ﴿فَلَمَّا جَاءَهَا نُودِيَ أَنْ بُورِكَ مَنْ فِي النَّارِ﴾ لم يكن ما رآه موسى نارا، بل كان نوراً وبورك من فيه، قال محمد بن كعب - كما سبق ذكره -: نور الرحمن والنور هو الله. وقال ابن عباس: كان نور رب العالمين في الشجرة^(١). ﴿وَمَنْ حَوْلَهَا﴾ أي: من حول هذا النور وهم الملائكة ﴿وَسُبْحَانَ اللَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ﴾ أي: تقدس في ذاته وصفاته وعدم

مشابته لأحد من مخلوقاته ليس كمثله شيء.

﴿يَمُوسَىٰ إِنَّهُ أَنَا اللَّهُ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ﴾ أي: ناداه الله باسمه بأن الذي يناديه هو الله العزيز الذي ذلت له الجبابرة وخضع له كل شيء في الوجود علوه وسفله الحكيم فيما يفعل ﴿وَأَلْقِ عَصَاكَ﴾ هذا أمر من الله لموسى أن يلقي عصاه، ليرى كيف تتحول إلى شيء آخر يدل على عظمة الله وقدرته ﴿فَلَمَّا رَأَاهَا تَهْتَزُّ كَأَنَّهَا جَانٌّ﴾ أي: لما رأى موسى عصاه قد تحولت إلى حية عظيمة عبر الله عنها بالجان ﴿وَلَّىٰ مُدَبِّرًا لَّمْ يَعْقَبْ﴾ أي: أصابه الخوف مما رأى فرجع مدبراً فلم يلتفت ﴿يَمُوسَىٰ لَا تَخَفْ إِنِّي لَا يَخَافُ لَدَى الْمَرْسُولِ﴾ أي: لقد اخترتك لإبلاغ رسالتي، فلا تخف مما رأيت فإن الذين أصطفيهم لرسالتي لا يخافون. وقوله ﴿إِلَّا مَنْ ظَلَمَ ثُمَّ بَدَّلْ حَسَنًا بَعْدَ سُوءٍ فَإِنِّي غَفُورٌ رَحِيمٌ﴾ هذا استثناء والمراد إلا رسولا بدر منه ظلم قبل حمله الرسالة، ثم تاب منه، وبدل سيئته حسنة فإن الله يغفر له وفي هذا تطمين لموسى بأن الله تجاوز عن خطيئته بقتل القبطي حين قال ﴿هَذَا مِنْ عَمَلِ الشَّيْطَانِ إِنَّهُ عَدُوٌّ مُضِلٌّ مُبِينٌ﴾^(١). ﴿قَالَ رَبِّ إِنِّي ظَلَمْتُ نَفْسِي فَاغْفِرْ لِي﴾^(٢). فاستجاب الله له بقوله ﴿فَغَفَرَ لَهُ إِنَّهُ هُوَ الْغَفُورُ الرَّحِيمُ﴾^(٣).

(١) سورة القصص من الآية ١٥.

(٢) سورة القصص من الآية ١٦.

(٣) سورة القصص من الآية ١٦.

﴿وَأَدْخُلْ يَدَكَ فِي جَيْبِكَ تَخْرُجْ بَيْضَاءَ مِنْ غَيْرِ سُوءٍ﴾ هذه آية من آيات الله التي تدل على عظمته وقدرته، والمراد أن موسى لما خاف من عصاه التي تحولت إلى حية طمأنه الله وقال: ادخل يدك في جيبك ثم أخرجها لترأها بيضاء لامعة من غير عاهة كالبرص ﴿فِي تِسْعَ آيَاتٍ إِلَىٰ فِرْعَوْنَ وَقَوْمِهِ﴾ أي: أن تحول عصاك إلى حية تسعى وإخراج يدك من جيبك بيضاء آيتان من ضمن تسع آيات تذهب بها إلى فرعون وقومه كما قال تعالى ﴿وَلَقَدْ ءَاتَيْنَا مُوسَىٰ تِسْعَ آيَاتٍ بَيِّنَاتٍ﴾ (١). ﴿إِنَّهُمْ كَانُوا قَوْمًا فَاسِقِينَ﴾ أي: معاندين للحق مشركين بالله ﴿فَلَمَّا جَاءَتْهُمْ ءَايُنَا مُبْصِرَةً﴾ أي: بيّنة لا شك فيها ولا ريب ﴿قَالُوا هَذَا سِحْرٌ مُّبِينٌ﴾ هذه إشارة إلى قول فرعون ﴿إِنَّ هَذَا لَسِحْرٌ عَلِيمٌ﴾ (٢) كما تقدم.

﴿وَجَحَدُوا بِهَا﴾ أي: جحدوا هذه الآيات جهارا بعد أن أعماهم الكبر والضلال ﴿وَأَسْتَقْبَلَتْهَا أَنْفُسُهُمْ﴾ أي: أيقنوا في أنفسهم أن هذه الآيات من عند الله ﴿ظُلُمًا وَعَلْوًا﴾ أي: جحدوها علوا وتكبّرا وعنادا، فظلموا بذلك أنفسهم ﴿فَانْظُرْ كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الْمُفْسِدِينَ﴾ أي: انظر يا نبينا محمداً كيف كان عاقبة فرعون وقومه وما أصابهم من

(١) سورة الإسراء من الآية ١٠١ .

(٢) سورة الشعراء الآية ٣٤ .

الغرق في البحر وذهاب جناتهم التي كانوا يتنعمون فيها وفيما حدث لهم عبرة لقومك إن لم يؤمنوا بما جئت به ويصدقوه.

أحكام ومسائل الآيات:

في هذه الآيات: مشروعية الاستطلاع عن الأحوال التي تهم الإنسان وعائلته أو قومه بوصفه قيماً على أهله أو مندوباً عن قومه أو رئيساً فيهم ومسؤولاً عنهم. وفيها: تقرير أن الله تجلى في البقعة المباركة وكانت مناجاته لموسى لتكليفه بالرسالة إلى فرعون وقومه. وفيها: أن الظلم يلزم نفس الظالم فيكون هاجساً له خشية من عقوبته إلا إذا تاب إلى الله وأقلع عن الظلم، فإن الله يغفر له فتطمئن نفسه من شعوره بوعده الله له بالمغفرة. وفيها: تقرير أن الأنبياء والرسل لا يخافون؛ لأن الله وعدهم بالنصر والتمكين بعد صبرهم في دعوتهم. وفيها: تقرير أن الكافرين والمشركين يوقنون بآيات الله في أنفسهم ويعرفون أنها حق، ولكن الشيطان يضلهم فيجحدونها علواً واستكباراً أو خوفاً من ضياع مصالحهم وذهاب رئاستهم في قومهم.

﴿وَلَقَدْ ءَاتَيْنَا دَاوُدَ وَسُلَيْمَانَ عِلْمًا وَقَالَ الْחَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي فَضَّلَنَا عَلَى كَثِيرٍ مِّنْ عِبَادِهِ الْمُؤْمِنِينَ﴾ (١٥) **وَوَرِثَ سُلَيْمَانُ دَاوُدَ وَقَالَ يَتَىٰ أَيُّهَا النَّاسُ عَلِمْنَا مَنَظِقَ الطَّيْرِ وَأُوتِينَا مِنْ كُلِّ شَيْءٍ إِنَّ هَٰذَا لَهُوَ الْفَضْلُ الْمُبِينُ** (١٦) **وَحُشِرَ لِسُلَيْمَانَ جُنُودُهُ مِنَ الْجِنِّ وَالْإِنسِ وَالطَّيْرِ فَهُمْ**

يُوزَعُونَ ﴿١٧﴾ حَتَّىٰ إِذَا أَتَوْا عَلَىٰ وَادِ النَّمْلِ قَالَتْ نَمْلَةٌ يَأَيُّهَا النَّمْلُ ادْخُلُوا مَسْكِنَكُمْ لَا يَحْطِمَنَّكُمْ سُلَيْمَانُ وَجُنُودُهُ وَهُمْ لَا يَشْعُرُونَ ﴿١٨﴾ فَبَسَّ ضَاحِكًا مِّنْ قَوْلِهَا وَقَالَ رَبِّ أَوْزِعْنِي أَنْ أَشْكُرَ نِعْمَتَكَ الَّتِي أَنْعَمْتَ عَلَيَّ وَعَلَىٰ وَالِدَتِي وَأَنْ أَعْمَلَ صَالِحًا تَرْضَاهُ وَأَدْخِلْنِي بِرَحْمَتِكَ فِي عِبَادِكَ الصَّالِحِينَ ﴿١٩﴾

بيان الآيات:

﴿وَلَقَدْ ءَاتَيْنَا دَاوُدَ وَسُلَيْمَانَ عِلْمًا﴾ هذا بيان من الله عز وجل عما أنعم به على داود وابنه سليمان من النعم الكثيرة فقد أعطاهما الرسالة في الدين، فجعلهما نبيين إلى قومهما وعلمهما الحكمة وصناعة الحديد إضافة إلى سعادتهما في الآخرة لكونهما من أنبياء الله الحاملين لرسالته ﴿وَقَالَا الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي فَضَّلَنَا عَلَىٰ كَثِيرٍ مِّنْ عِبَادِهِ الْمُؤْمِنِينَ﴾ ومقابلة لتلك النعم التي أنعم الله عليهما بها بين الله أنهما حمداه وشكراه على ما أنعم به عليهما وفضلهما على كثير من العباد ﴿وَوَرِثَ سُلَيْمَانُ دَاوُدَ﴾ أي: ورث منه العلم والنبوة والملك ﴿وَقَالَ يَأَيُّهَا النَّاسُ عَلِمْنَا مَنَاطِقَ الطَّيْرِ وَأُوتِينَا مِنْ كُلِّ شَيْءٍ﴾ أي: أخبر سليمان أن الله علّمه لغة الطير وأصواتها وسخر له الإنس والجن والشياطين وعلمه أمور الملك وسياسته وغيرها ﴿إِنَّ هَذَا لَهُوَ الْفَضْلُ الْمُبِينُ﴾ أي: فضل الله البين الذي تفضل به عليه وعلى أبيه داود.

﴿وَحِشْرَ لِسُلَيْمَانَ جُنُودَهُ، مِنَ الْجِنَّ وَالْإِنْسِ وَالطَّيْرِ فَهُمْ يُوزَعُونَ﴾ أي: اجتمع لسليمان جنده من هذه الأصناف في نظام وتنسيق لا يتقدم أحدهم على الآخر ﴿حَتَّىٰ إِذَا أَتَوْا عَلَىٰ وَادِ النَّمْلِ﴾ أي: لما مر سليمان وجنوده على وادي النمل قيل: إنه في الشام ﴿قَالَتْ نَمْلَةٌ يَأْتِيهَا النَّمْلُ АДْخُلُوا مَسَكِنَكُمْ لَا يَحْطِمَنَّكُمْ سُلَيْمَانُ وَجُنُودُهُ، وَهُمْ لَا يَشْعُرُونَ﴾ أي: الزموا مساكنكم فلا تخرجوا أمام هذا الجند الكثير فقد يؤذونكم دون قصد منهم بذلك ﴿فَنَبَسِمَ ضَاحِكًا مِّن قَوْلِهَا﴾ أي: تعجب من قولها واعتذارها لصاحباتها بأن الجند لا يقصدونهم بالأذى، وإنما لأنهم لا يرونهم ﴿وَقَالَ رَبِّ أَوْزِعْنِي أَنْ أَشْكُرَ نِعْمَتَكَ الَّتِي أَنْعَمْتَ عَلَيَّ وَعَلَىٰ وَالِدَيَّ وَأَنْ أَعْمَلَ صَالِحًا تَرْضَاهُ﴾ أي: ألهمني وذكرني أن أشكرك على ما أنعمت علي وعلى والدي بالدين وإخلاص العبادة لك وحدك لا شريك لك وأن أعمل عملاً ترضى عنه وتقبله مني ﴿وَأَدْخِلْنِي بِرَحْمَتِكَ فِي عِبَادِكَ الصَّالِحِينَ﴾ أي: إذا قدمت عليك بعد موتي أن تظلني برحمتك وتجعلني من عبادك الذين صلحت أقوالهم وأعمالهم فرضيت عنهم.

أحكام ومسائل الآيات:

في هذه الآيات: تقرير أن الوراثة بين الأنبياء تكون بالنبوة لا بالمال

لقول رسول الله ﷺ: (نحن معاشر الأنبياء لا نورث وما تركناه فهو صدقة)^(١). وفيها: أن الله يتفضل على من يشاء من عباده بفضائل خاصة به دون غيره كما علم سليمان لغة الطير وسخر له الإنس والجن والشياطين. وفيها: الإشارة إلى خاصية النمل وذكائه وهذه الخاصية مشهودة في دأبه على جمع رزقه من الطعام في مواسم الحبوب وادخاره لحاجته. وفيها: تقرير أن على المرء أن يشكر الله ويحمده عندما ينعم الله عليه بنعمه.

﴿وَتَفَقَّدَ الطَّيْرَ فَقَالَ مَا لِيَ لَا أَرَى الْهُدْهَدَ أَمْ كَانَ مِنَ الْغَائِبِينَ﴾ (٢٠) ﴿لَأُعَذِّبَنَّهُ عَذَابًا شَدِيدًا أَوْ لَأَذْبَحَنَّهُ أَوْ لِيَأْتِنِي بِسُلْطَانٍ مُبِينٍ﴾ (٢١) ﴿فَمَكَثَ غَيْرَ بَعِيدٍ فَقَالَ أَحَطْتُ بِمَا لَمْ نَحْطُ بِهِ، وَجِئْتُكَ مِنْ سَبَإٍ بِنَا يُقِينُ﴾ (٢٢) ﴿إِنِّي وَجَدْتُ أَمْرًا تَمْلِكُهُمْ وَأُوتِيَتْ مِنْ كُلِّ شَيْءٍ وَلَهَا عَرْشٌ عَظِيمٌ﴾ (٢٣) ﴿وَجَدْتُهَا وَقَوْمَهَا يَسْجُدُونَ لِلشَّمْسِ مِنْ دُونِ اللَّهِ وَزَيْنَ لَهُمُ الشَّيْطَانُ أَعْمَلَهُمْ فَصَدَّهُمْ عَنِ السَّبِيلِ فَهُمْ لَا يَهْتَدُونَ﴾ (٢٤) ﴿أَلَا يَسْجُدُوا لِلَّهِ الَّذِي يُخْرِجُ الْخَبَاءَ فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَيَعْلَمُ مَا تُخْفُونَ وَمَا تُعْلِنُونَ﴾ (٢٥) ﴿اللَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ رَبُّ الْعَرْشِ الْعَظِيمِ﴾ (٢٦)

(١) صحيح البخاري مع فتح الباري ج ٦ ص ٩٧، كتاب فضائل الصحابة، باب مناقب قرابة رسول الله ﷺ، برقم (٣٧١٢)، بلفظ: قال «لا نورث ما تركنا فهو صدقة».

بيان الآيات:

﴿وَتَفَقَّدَ الطَّيْرَ﴾ أي: نظر إليها بمعنى تعهدها بالنظر
 ﴿فَقَالَ مَا لِيَ لَا أَرَى الْهَدْدَ﴾ أي: لم أر الهدد وهو أحد أنواع
 الطيور ﴿أَمْ كَانَ مِنَ الْغَائِبِينَ﴾ أي: بل كان من الغائبين دون
 عذر ﴿لَا عَذْبَئِهِ عَذَابًا شَدِيدًا﴾ أي: سوف أعاقبه بما ينبغي
 معاقبته به ﴿أَوْ لَأَذْبَحَنَّهُ أَوْ لَيَأْتِيَنِي بِسُلْطَنٍ مُّبِينٍ﴾ أي: بعذر
 واضح أقبله منه.

﴿فَمَكَثَ غَيْرَ بَعِيدٍ﴾ أي: لم يطل غيابه عن الطير ﴿فَقَالَ
 أَحَطْتُ بِمَا لَمْ تُحِطْ بِهِ﴾ أي قال لسليمان: لقد اطلعت على أمر لم
 تطلع عليه ﴿وَجِئْتُكَ مِنْ سَبَإٍ بِنَاءٍ يَقِينٍ﴾ أي: أتيت لك من مملكة
 سبأ، وهي مملكة حمير بخبر صادق ثم قال ﴿إِنِّي وَجَدْتُ امْرَأَةً
 تَمْلِكُ لَهُمْ﴾ أي: وجدت ملكهم امرأة والمراد بها بلقيس المعروفة
 في التاريخ ﴿وَأُوتِيَتْ مِنْ كُلِّ شَيْءٍ﴾ أي: أعطيت الكثير من الأموال
 مما يدل على قوتها ومنعتها ﴿وَلَهَا عَرْشٌ عَظِيمٌ﴾ أي: لها سرير
 عظيم تجلس عليه، وكان الملوك في ذلك الزمان يفخمون عروشهم
 للدلالة على عظمة ملكهم وقوته.

﴿وَجَدْتُهَا وَقَوْمَهَا يَسْجُدُونَ لِلشَّمْسِ مِنْ دُونِ اللَّهِ﴾ المراد أنهم
 كانوا من عبدة الشمس والكواكب ﴿وَزَيْنَ لَهُمُ الشَّيْطَانُ أَعْمَالَهُمْ﴾

فَصَدَّهُمْ عَنِ السَّبِيلِ ﴿٦٠﴾ أي: أن الشيطان هو الذي جعلهم يسجدون للشمس ولا يسجدون لله فصدهم بذلك عن سبيل الحق ﴿٦١﴾ فَهُمْ لَا يَهْتَدُونَ ﴿٦٢﴾ إليه بسبب ما زينه لهم الشيطان من الضلال. ﴿٦٣﴾ أَلَا يَسْجُدُوا لِلَّهِ ﴿٦٤﴾ المراد أنه لما زين لهم الشيطان الغي والضلال لم يهتدوا ليسجدوا لله ﴿٦٥﴾ الَّذِي يُخْرِجُ الْخَبْءَ فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ ﴿٦٦﴾ أي: الذي يطلع على كل صغيرة في السموات والأرض دقيقها وجليلها ظاهرها وباطنها ﴿٦٧﴾ وَيَعْلَمُ مَا تُخْفُونَ وَمَا تُعْلِنُونَ ﴿٦٨﴾ أي: ويعلم ما يخفيه الخلق من أقوالهم وأفعالهم وما يعلنونه منها ﴿٦٩﴾ اللَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ رَبُّ الْعَرْشِ الْعَظِيمِ ﴿٧٠﴾ أي: لا تكون العبادة إلا له لأنه الذي لا إله غيره في الوجود وهو رب العرش العظيم الذي لا حدود لعظمته وسلطانه .

أحكام ومسائل الآيات:

في هذه الآيات عدة مسائل: منها: أن سليمان قد أعطي هذه الخاصية وهي كون جنوده من الإنس والجن والطير. ومنها: أن تفقد الجند واستعراضهم حالة قديمة مما يدل على التوارث في الأفعال بين البشر منذ الأزل. ومنها: أن معاقبة الجند عند مخالفتهم لأمر قائدهم حالة معروفة ما زالت متوارثة. ومنها: أن من البشر من كان يعبد الكواكب، ويتقرب بها لاعتبارات عدة منها: خوفهم منها أو استشعارهم لأهميتها أو لظنهم أنها تنفعهم في حياتهم الدنيا وقد نهاهم الله عن هذا الفعل

وحذرهم منه فقال تعالى ﴿وَمِنْ آيَاتِهِ اللَّيْلُ وَالنَّهَارُ وَالشَّمْسُ وَالْقَمَرُ لَا تَسْجُدُوا لِلشَّمْسِ وَلَا لِلْقَمَرِ وَاسْجُدُوا لِلَّهِ الَّذِي خَلَقَهُنَّ إِن كُنتُمْ إِيَّاهُ تَعْبُدُونَ﴾^(١). ومن المسائل: أن الأمم القديمة عرفت رئاسة المرأة وهي من المذمومات ومنها: أن السجود لا يكون إلا لله؛ لأنه خالق المخلوقات ومديرها ومصرفها المحيط بكل صغيرة وكبيرة في الوجود العلوي والسفلي.

﴿قَالَ سَنَنْظُرُ أَصَدَقْتَ أَمْ كُنتَ مِنَ الْكَاذِبِينَ﴾^(٢٧) أَذْهَبَ بِكِتَابِي هَذَا فَأَلْقَاهُ إِلَيْهِمْ ثُمَّ تَوَلَّى عَنْهُمْ فَانْظُرْ مَاذَا يَرْجِعُونَ^(٢٨) قَالَتْ يَا أَيُّهَا الْمَلَأُوْءِ إِنِّي أَفْقَى إِلَيْكِ كِتَابُ كَرِيمٍ^(٢٩) إِنَّهُ مِنْ سُلَيْمَانَ وَإِنَّهُ بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ^(٣٠) أَلَا تَعْلَمُونَ عَلَىٰ وَأْتُونِي مُسْلِمِينَ^(٣١)﴾

بيان الآيات:

﴿قَالَ سَنَنْظُرُ أَصَدَقْتَ أَمْ كُنتَ مِنَ الْكَاذِبِينَ﴾ قال سليمان للهدد: سوف نتثبت ونتأكد عما إذا كنت صادقاً في قولك عن ملكة سبأ وقومها أم أنك كاذب فيما قلت ﴿أَذْهَبَ بِكِتَابِي هَذَا فَأَلْقَاهُ إِلَيْهِمْ﴾ لعل سليمان بهذا صدق الهدد فيما قال، وذلك حين كتب كتاباً إلى ملكة سبأ وقال للهدد: سلمه لهم ﴿ثُمَّ تَوَلَّى عَنْهُمْ﴾ أي: انتظر قليلاً

(١) سورة فصلت الآية ٣٧ .

متخفياً عنهم ﴿فَانْظُرْ مَاذَا يَرْجِعُونَ﴾ أي: ماذا يكون ردها ورد قومها على الكتاب، فلما قرأته جمعت قومها ثم ﴿قَالَتْ يَا أَيُّهَا الْمَلَأُوٓأَلِ إِنِّي آتِيَةٌ إِلَيْكَ بِكَتَابٍ كَرِيمٍ﴾ أي: قالت لزعماء قومها وأشرافهم: قد وصل إلي كتاب كريم ثم قرأته عليهم ﴿إِنَّهُ مِنْ سُلَيْمَانَ وَإِنَّهُ بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ﴾ المراد أن هذا الكتاب مرسل من سليمان بن داود، وأنه مستفتح بسم الله الرحمن الرحيم ﴿أَلَا تَعْلَمُونَ عَلَىٰ﴾ أي: لا تتكبروا وتتجبروا اعتزازاً بملككم ﴿وَأَتُونِي مُسْلِمِينَ﴾ أي: خاضعين لسلطاني، أو يكون المراد كونوا مسلمين لله طائعين له واتركوا عبادة الشمس والسجود لها من دون الله.

أحكام ومسائل الآيات:

في هذه الآيات: الحكم بوجوب التثبت من الخبر وما يقتضيه الأمر أحياناً من اختبار المخبر؛ لمعرفة مدى صدقه من كذبه ولهذا قال عز وجل ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا إِن جَاءَكُمْ فَاسِقٌ بِنَبَأٍ فَتَبَيَّنُوا أَن تُصِيبُوا قَوْمًا بِجَهَالَةٍ فَتُصْحَبُوا عَلَىٰ مَا فَعَلْتُمْ نَادِمِينَ﴾^(١). ومنها: مشروعية التخاطب بين الملوك والرؤساء في أمر يكون من مصلحتهم التخاطب فيه، دفعاً لما قد ينشأ بينهم من خلاف، ومنها: أن من الأهمية للملوك والرؤساء اختيار الأكفاء في المهمات. ومنها: وجوب - وقيل

(١) سورة الحجرات الآية ٦.

باستحباب- كتابة (بسم الله الرحمن الرحيم) في الرسائل التي يتم فيها التخاطب بين المسلمين أنفسهم أو مع غيرهم وفي ذلك قول رسول الله ﷺ: (كل أمر ذي بال لا يفتح بذكر الله فهو أبتَر)^(١). وفيه أن رسول الله ﷺ كان يفتح كتبه إلى الملوك بالتسمية ودرج على ذلك الصحابة والسلف الصالح.

﴿قَالَتْ يَا أَيُّهَا الْمَلَأُ أَفْتُونِي فِي أَمْرِي مَا كُنْتُ قَاطِعَةً أَمْرًا حَتَّى تَشْهَدُونِ﴾ ٣٢ ﴿قَالُوا نَحْنُ أَوْلُوا قُوَّةٍ وَأُولُوا بَأْسٍ شَدِيدٍ وَالْأَمْرُ إِلَيْكِ فَانْظُرِي مَاذَا تَأْمُرِينَ﴾ ٣٣ ﴿قَالَتْ إِنَّ الْمُلُوكَ إِذَا دَخَلُوا قَرْيَةً أَفْسَدُوهَا وَجَعَلُوا أَعِزَّةَ أَهْلِهَا أَذِلَّةً وَكَذَلِكَ يَفْعَلُونَ﴾ ٣٤ ﴿وَإِنِّي مُرْسِلَةٌ إِلَيْهِمْ بِهَدِيَّةٍ فَنَاظِرَةٌ بِمَ يَرْجِعُ الْمُرْسَلُونَ﴾ ٣٥ ﴿

بيان الآيات:

﴿قَالَتْ يَا أَيُّهَا الْمَلَأُ أَفْتُونِي فِي أَمْرِي﴾ لما قرأت بلقيس الكتاب على قومها استشارتهم وقالت لهم: أشيروا علي في هذا الأمر ﴿مَا كُنْتُ قَاطِعَةً أَمْرًا حَتَّى تَشْهَدُونِ﴾ أي: تشيرون علي بما أفعل نحو هذا الكتاب والجواب عليه ﴿قَالُوا نَحْنُ أَوْلُوا قُوَّةٍ وَأُولُوا بَأْسٍ شَدِيدٍ﴾ أي: نحن أقوىاء وأشداء إذا اقتضى الأمر محاربة سليمان، ومع ذلك

(١) أخرجه الإمام أحمد في مسنده ج ٢ ص ٣٥٩، والألباني في إرواء الغليل ج ١ ص ٢٩، وقال: ضعيف جداً.

تأدبوا معها فلم يفرضوا عليها رأيهم فقالوا لها ﴿وَالْأَمْرُ إِلَيْكِ فَانْظُرِي مَاذَا تَأْمُرِينَ﴾ أي: مع قوتنا وبأسنا واستعدادنا للحرب، إلا أن الأمر متروك لك وما تريينه فيه، فنحن طائعون له.

﴿قَالَتْ إِنَّ الْمُلُوكَ إِذَا دَخَلُوا قَرْيَةً أَفْسَدُوهَا﴾ أي: إن الملوك إذا دخلوا قرية بالقوة أفسدوها ودمروها ﴿وَجَعَلُوا أَعِزَّةَ أَهْلِهَا أَذِلَّةً﴾ أي: أهانوا أهلها وأذلّوهم واستصغروهم ﴿وَكَذَلِكَ يَفْعَلُونَ﴾ أي: يفعل سليمان وقومه هذا الفعل ﴿وَإِنِّي مُرْسِلَةٌ إِلَيْهِمْ بِهَدِيَّةٍ فَنَاظِرَةٌ بِمَ يَرْجِعُ الْأَمْرُ سَلَوْنَ﴾ أي: يبدو أنها كانت عاقلة ولم تكن متعجلة في تصرفها، فحاولت أن تستميل سليمان بإرسال الهدايا له، وقالت لقومها: سننظر ماذا سيكون جوابه للذين يحملون الهدايا له.

أحكام ومسائل الآيات:

في هذه الآيات عدة مسائل: منها: وجوب استشارة الحاكم رعيته في أموره. وشاهده أيضا قول الله عز وجل ﴿وَشَاوِرْهُمْ فِي الْأَمْرِ﴾^(١). وقوله في وصف المؤمنين ﴿وَأَمْرُهُمْ شُورَى بَيْنَهُمْ﴾^(٢). وفيها: أن الاستعداد للحرب يستوجب الاستعداد لها بالقوة المعنوية والمادية. وفيها: الإشارة إلى أن العدو إذا دخل البلاد بالقوة يفسد فيها وهذا مشاهد في الغالب في كل زمان خاصة إذا كان غير مسلم كما حدث في

(١) سورة آل عمران من الآية ١٥٩.

(٢) سورة الشورى من الآية ٣٨.

بلاد المسلمين التي دخلتها جيوش التتار والصليبيين ولا تزال تدخلها في هذا الزمان كما حدث في بلاد الأفغان وفي العراق من القتل والتدمير وانتهاك الأعراض واستباحة ما في البلاد.

﴿فَلَمَّا جَاءَ سُلَيْمَنَ قَالَ أُمِدُّونَنِي بِمَالٍ فَمَا آتَنِيَ اللَّهُ خَيْرٌ مِّمَّا آتَاكُمْ بَلْ أَنْتُمْ بِهَدْيِكُمْ تَفْرَحُونَ ﴿٣٦﴾ أَرْجِعْ إِلَيْهِمْ فَلَنَأَيِّنَهُمْ بِجُنُودٍ لَا قِبَلَ لَهُمْ بِهَا وَلَنُخْرِجَنَّهُمْ مِنْهَا أَذِلَّةً وَهُمْ صَاغِرُونَ ﴿٣٧﴾﴾

بيان الآيتين:

﴿فَلَمَّا جَاءَ سُلَيْمَنَ﴾ أي: لما جاء رسول الملكة بلقيس بالهدايا إلى سليمان ﴿قَالَ أُمِدُّونَنِي بِمَالٍ﴾ أي: تهodon إليّ مالا ﴿فَمَا آتَنِيَ اللَّهُ خَيْرٌ مِّمَّا آتَاكُمْ﴾ أي: عندي من الأموال العظيمة أكثر مما عندكم ﴿بَلْ أَنْتُمْ بِهَدْيِكُمْ تَفْرَحُونَ﴾ أي: أنكم تحبون هذه الأموال وتفرحون بها، أما أنا فلا أهتم بها وإنما أهتم بدخولكم الإسلام وترككم الشرك ﴿أَرْجِعْ إِلَيْهِمْ فَلَنَأَيِّنَهُمْ بِجُنُودٍ لَا قِبَلَ لَهُمْ بِهَا﴾ أي قال سليمان للرسول الذي جاء بالهدايا: ارجع إلى من أرسلوك بهديتهم، وقل لهم سوف نأتيهم بجنود لا يستطيعون قتالهم ﴿وَلَنُخْرِجَنَّهُمْ مِنْهَا أَذِلَّةً وَهُمْ صَاغِرُونَ﴾ أي: سوف نخرجهم من بلادهم وهم أذلاء صاغرون إن لم يأتوني مسلمين.

أحكام ومسائل الآيتين:

تقرير أن المسلم يجب ألا يقبل هدية، أو مالا مقابل مصانعة غير المسلم أو التهاون معه؛ لأن الدعوة إلى العقيدة أهم من أمور الدنيا. ومن الأحكام: مشروعية التهديد باستعمال القوة ضد العدو أملا في قبول ما طلب منه دون اللجوء إلى استعمال القوة معه وفي هذا قول رسول الله ﷺ: (لا تتمنوا لقاء العدو وسلوا الله العافية)^(١).

﴿قَالَ يَتَانِهَا أَلْمَلُوا أَيُّكُمْ يَأْتِينِي بَعْرَشَهَا قَبْلَ أَنْ يَأْتُونِي مُسْلِمِينَ﴾
 ﴿٣٨﴾ قَالَ عِفْرِيتٌ مِّنَ الْجِنِّ أَنَا ءَانِيكَ بِهِ قَبْلَ أَنْ تَقُومَ مِنْ مَّقَامِكَ
 وَإِنِّي عَلَيْهِ لَقَوِيٌّ أَمِينٌ ﴿٣٩﴾ قَالَ الَّذِي عِنْدَهُ عِلْمٌ مِّنَ الْكِتَابِ أَنَا ءَانِيكَ
 بِهِ قَبْلَ أَنْ يَرْتَدَّ إِلَيْكَ طَرْفُكَ فَلَمَّا رَآهُ مُسْتَقِرًّا عِنْدَهُ قَالَ هَذَا مِنْ
 فَضْلِ رَبِّي لِيَبْلُوَنِي ءَأَشْكُرُ أَمْ أَكْفُرُ وَمَنْ شَكَرَ فَإِنَّمَا يَشْكُرُ لِنَفْسِهِ
 وَمَنْ كَفَرَ فَإِنَّ رَبِّي غَنِيٌّ كَرِيمٌ ﴿٤٠﴾

بيان الآيات:

﴿قَالَ يَتَانِهَا أَلْمَلُوا أَيُّكُمْ يَأْتِينِي بَعْرَشَهَا قَبْلَ أَنْ يَأْتُونِي مُسْلِمِينَ﴾

لما أبلغ سليمان رسول بلقيس بما ذكر في الآية السابقة استفسر من أعوانه عمن هو القادر منهم على أن يأتي بعرشها قبل قدومها إليه

(١) صحيح البخاري مع فتح الباري ج ٦ ص ١٤٠، كتاب الجهاد والسير، باب كان النبي ﷺ إذا لم يقاتل أول النهار أخر القتال حتى تزول الشمس، برقم (٢٩٦٦).

وقومها وهم مسلمون ﴿قَالَ عِفْرِيتٌ مِّنَ الْجِنِّ﴾ أي: وهو أحد مرده الجن وأقواهم ﴿أَنَاْ أَمِيرُكَ بِهِ قَبْلَ أَنْ تَقُومَ مِنْ مَّقَامِكَ﴾ أي: قبل أن تقوم من مجلسك ﴿وَإِنِّي عَلَيْهِ لَقَوِيٌّ أَمِينٌ﴾ أي: لدي القوة والطاقة لحمله وأنا أمين على ما فيه من الجواهر وغيرها ﴿قَالَ الَّذِي عِنْدَهُ عِلْمٌ مِّنَ الْكِتَابِ أَنَاْ أَمِيرُكَ بِهِ قَبْلَ أَنْ يَرْتَدَّ إِلَيْكَ طَرْفُكَ﴾ ذكر أهل التفسير أن الذي قال هذا هو آصف بن برخيا وزير سليمان وكان مستجاب الدعوة، وقد يكون المراد به سليمان نفسه أن يأتي بالعرش قبل ارتداد الطرف، ولهذا دعا هو أو وزيره ربه فاستجاب الله له فكان العرش بين يديه في لحظة ارتداد الطرف ﴿فَلَمَّا رَأَاهُ مُسْتَقِرًّا عِنْدَهُ قَالَ هَذَا مِنْ فَضْلِ رَبِّي﴾ أي: لما رأى العرش بين يديه شكر الله وقال: هذا من فضله ونعمه علي ﴿لِيَبْلُوَنِيْٓ أَأَشْكُرُ أَمْ أَكْفُرُ﴾ أي: ليمتحنني أشكره على ما أنعم به علي فأكون من الشاكرين أم أكفر فأكون من الكافرين ثم قال ﴿وَمَنْ شَكَرَ فَإِنَّمَا يَ شْكُرُ لِنَفْسِهِ﴾ أي: يكون جزاء شكره له ﴿وَمَنْ كَفَرَ فَإِنَّ رَبِّي غَنِيٌّ كَرِيمٌ﴾ أي: ومن كفر فإن سوء كفره يرجع إليه، أما الله سبحانه فليس في حاجة إلى شكره؛ لأنه غني في ذاته العلية، كريم يعم بكرمه وفضله عباده المطيع والعاصي منهم.

أحكام ومسائل الآيات:

في هذه الآيات: الإشارة إلى أن سليمان كان يستخدم الجن بوصفهم من جنوده الذين سخرهم الله له. وفيها: أن استجابة الله لدعاء عباده يستوجب منهم الشكر له وفائدة هذا الشكر ترجع إليهم؛ لأن الله يزيدهم منه كما قال عز وجل ﴿لَئِنْ شَكَرْتُمْ لَأَزِيدَنَّكُمْ﴾^(١). أما الله فهو غني عنهم.

﴿قَالَ نَكِرُوا لَهَا عَرْشَهَا نَنْظُرْ أَتَهْدِي أَمْ تَكُونُ مِنَ الَّذِينَ لَا يَهْتَدُونَ﴾^(٤١) فَلَمَّا جَاءَتْ قِيلَ أَهَكَذَا عَرْشُكِ قَالَتْ كَأَنَّهُ هُوَ وَأُوتِينَا الْعِلْمَ مِنْ قَبْلِهَا وَكُنَّا مُسْلِمِينَ^(٤٢) وَصَدَّهَا مَا كَانَتْ تَعْبُدُ مِنْ دُونِ اللَّهِ إِنَّهَا كَانَتْ مِنْ قَوْمٍ كَافِرِينَ^(٤٣) قِيلَ لَهَا ادْخُلِي الصَّرْحَ فَلَمَّا رَأَتْهُ حَسِبَتْهُ لُجَّةً وَكَشَفَتْ عَنْ سَاقِهَا قَالَتْ إِنَّهُ صَرْحٌ مُّمَرَّدٌ مِّنْ قَوَارِيرٍ قَالَتْ رَبِّ إِنِّي ظَلَمْتُ نَفْسِي وَأَسْلَمْتُ مَعَ سُلَيْمَانَ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ^(٤٤) ﴿

بيان الآيات:

﴿قَالَ نَكِرُوا لَهَا عَرْشَهَا نَنْظُرْ أَتَهْدِي أَمْ تَكُونُ مِنَ الَّذِينَ لَا يَهْتَدُونَ﴾ لما استقر عرش بلقيس عند سليمان أراد اختبارها فقال لخدمه: غيروا عرشها بما يزيد أو ينقص في شكله لنرى هل تعرفه أو

(١) سورة إبراهيم من الآية ٧.

لا تعرفه ﴿فَلَمَّا جَاءَتْ قِيلَ أَهَكَذَا عِرْشُكَ﴾ أي: لما وفدت إلى سليمان
سُئِلَتْ عما إذا كان الذي رأيته هو عرشها التي كانت تجلس عليه في
مملكتها ﴿قَالَتْ كَأَنَّهُ هُوَ﴾ وقد دل هذا على قوة ذكائها وفطنتها
فلم تقل: إنه هو على وجه التوكيد ولم تنفيه فجعلت جوابها محتملا
للإثبات والنفي ﴿وَأُوتِينَا الْعِلْمَ مِنْ قَبْلِهَا وَكُنَّا مُسْلِمِينَ﴾ وقد أعجب
سليمان بجوابها وعقلها وقال: لقد أوتينا العلم من قبلها وكنا مسلمين
لله، بينما كانت غير ذلك ﴿وَصَدَّهَا مَا كَانَتْ تَعْبُدُ مِنْ دُونِ اللَّهِ إِنَّهَا كَانَتْ
مِنْ قَوْمٍ كَافِرِينَ﴾ أي: منعها من عبادة الله أنها كانت من قوم يكفرون
بالله ويسجدون للشمس.

﴿قِيلَ لَهَا ادْخُلِي الصَّرْحَ﴾ فلما رأيته حسبته لجة وكشفت عن
ساقيتها ﴿الصرح هو القصر، وكان تحت ردهته بركة ماء مسقوفة
بزجاج شفاف، فلما دخلت كشفت عن ساقيتها ظانة أنها سوف تخوض
الماء الذي تراءى لها فقبل لها ﴿إِنَّهُ صَرْحٌ مُّمَرَّدٌ مِنْ قَوَارِيرَ﴾ أي:
مملس مكون من قوارير من الزجاج والماء تحته، فلما رأت ما رأيته من
العجب مما لم تكن تعرفه في بلادها أدركت أنها لم تكن على حق في
عبادتها وقومها للشمس ثم قالت ﴿قَالَتْ رَبِّ إِنِّي ظَلَمْتُ نَفْسِي
وَأَسْلَمْتُ مَعَ سُلَيْمَانَ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ﴾ وبهذا تكون قد تخلت عن
دينها وأصبحت مسلمة.

أحكام ومسائل الآيات:

في هذه الآيات: دليل على أن عبادة غير الله تصد العقل وتصرفه عن إدراك الحق فيتبع الباطل كما قال تعالى ﴿فَإِنَّهَا لَا تَعْمَى الْأَبْصَارُ وَلَكِنْ تَعْمَى الْقُلُوبُ الَّتِي فِي الصُّدُورِ﴾^(١). ومن الأحكام: وجوب نظر المرء في نفسه والتفكر في مخلوقات الله حتى لا يكون ضحية لتقليد غيره، ولهذا قال عز وجل في آيات كثيرة من كتابه العزيز ﴿إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِّقَوْمٍ يَعْقِلُونَ﴾^(٢). ﴿إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَةً لِّقَوْمٍ يَذَّكَّرُونَ﴾^(٣). وفيها: تحريم كشف المرأة عن ساقها؛ لأنها كلها عورة سواء كانت مسلمة أم غير مسلمة.

﴿وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا إِلَى ثَمُودَ أَخَاهُمْ صَالِحًا أَنْ اعْبُدُوا اللَّهَ فَإِذَا هُمْ فَرِيقَانِ يَخْتَصِمُونَ﴾^(٤٥) قَالَ يَتَقَوْمٍ لِمَ تَسْتَعْجِلُونَ بِالسَّيِّئَةِ قَبْلَ الْحَسَنَةِ لَوْلَا تَسْتَغْفِرُونَ اللَّهَ لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ^(٤٦) قَالُوا أَطِيعْنَا بَكَ وَبِمَنْ مَعَكَ قَالَ طَاعُواكُمْ عِنْدَ اللَّهِ بَلْ أَنْتُمْ قَوْمٌ تُفْتَنُونَ^(٤٧) وَكَانَ فِي الْمَدِينَةِ تِسْعَةُ رَهْطٍ يُفْسِدُونَ فِي الْأَرْضِ وَلَا يُصْلِحُونَ^(٤٨) قَالُوا نَقَاسْمُ بِاللَّهِ لَنُبَيِّتَنَّهُ وَأَهْلَهُ ثُمَّ لَنَقُولَنَّ لِوَلِيِّهِ

(١) سورة الحج من الآية ٤٦ .

(٢) سورة الرعد من الآية ٤ .

(٣) سورة النحل من الآية ١٣ .

مَا شَهِدْنَا مَهْلِكَ أَهْلِهِ وَإِنَّا لَصَدِيقُونَ ﴿٤٩﴾ وَمَكْرُؤًا مَكَرًا وَهُمْ لَا يَشْعُرُونَ ﴿٥٠﴾ فَانْظُرْ كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ مَكْرِهِمْ أَنَا دَمَرْنَاهُمْ وَقَوْمَهُمْ أَجْمَعِينَ ﴿٥١﴾ فَتِلْكَ بُيُوتُهُمْ خَاوِيَةٌ بِمَا ظَلَمُوا إِن فِي ذَلِكَ لَآيَةً لِّقَوْمٍ يَعْلَمُونَ ﴿٥٢﴾ وَأَنْجَيْنَا الَّذِينَ ءَامَنُوا وَكَانُوا يَنْقُوتُونَ ﴿٥٣﴾

بيان الآيات:

﴿وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا إِلَى ثَمُودَ أَخَاهُمْ صَالِحًا أَنْ اعْبُدُوا اللَّهَ﴾ هذا بيان من الله عز وجل أنه أرسل نبيه صالحا إلى ثمود بأن يعبدوا الله ويوحده ولا يشركوا به شيئا ﴿فَإِذَا هُمْ فَرِيقَانِ يَخْتَصِمُونَ﴾ أي: فريق آمن بما جاء به صالح، وفريق كفر بما جاء به ﴿قَالَ يَنْقُومَ لِمَ تَسْتَعْجِلُونَ بِالسَّيِّئَةِ قَبْلَ الْحَسَنَةِ﴾ أي قال لهم نبيهم صالح: لم تعملون السيئات التي تضركم وتتركون الحسنات التي تنفعكم في دينكم ودنياكم؟ ﴿لَوْ لَا تَسْتَغْفِرُونَ اللَّهَ لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ﴾ أي: هلا تطلبون مغفرة ربكم وتتوبون إليه من الشرك لعله يرحمكم فينجيكم من العذاب الذي سينزل بكم إن لم تتوبوا إليه.

﴿قَالُوا أَطِيزَنَا بِكَ وَبِمَنْ مَعَكَ﴾ لما أرشدهم نبي الله صالح إلى الهدى قالوا له: إنا تشاء منا بك وبقومك المؤمنين بك؛ لأننا لم

نر منكم خيرا ﴿قَالَ طَٰغِيْرُكُمْ عِنْدَ اللَّهِ﴾ أي: أجابهم صالح قائلا إن ما أصابكم هو بسبب ذنوبكم وأفعالكم السيئة ﴿بَلْ أَنْتُمْ قَوْمٌ تُفْتَنُونَ﴾ أي: تبتلون بالخير والشر والمكروه والبأساء والضراء لعلمكم تتفكرون وترجعون عن شرككم ومعاصيكم وتتوبون إلى الله مما أنتم فيه.

﴿وَكَاٰنَ فِي الْمَدِيْنَةِ سَعَةُ رَهْطٍ﴾ أي: كان في مدينة ثمود تسعة نفر ﴿يُفْسِدُوْنَ فِي الْأَرْضِ وَلَا يُصْلِحُوْنَ﴾ المراد أن هؤلاء النفر كانوا قد حملوا لواء الفساد في الأرض أي: في ديار ثمود بحيث كانوا يمنعون قومهم من الاستجابة لدعوة صالح، بل ويحاربون هذه الدعوة، فكانوا أكثر فسادا وأبعد عن الصلاح ﴿قَالُوا تَقَاسَمُوا بِاللَّهِ لَنُبَيِّتَنَّهُ وَأَهْلَهُ﴾ أي: تعاهد هؤلاء النفر بينهم على قتل صالح وأهله ﴿ثُمَّ لَنَقُولَنَّ لِوَلِيِّهِ مَا شَهِدْنَا مَهْلِكَ أَهْلِهِ﴾ أي: سنقول حينئذ لولي دم صالح بأننا لا نعرف مقتله ولا مقتل أهله ﴿وَإِنَّا لَصٰدِقُوْنَ﴾ فيما نقسم عليه فيما ذكرناه عن عدم معرفتنا بمقتله ومقتل أهله.

﴿وَمَكْرُؤٌ مَّكْرًا وَمَكْرْنَا مَكْرًا وَهُمْ لَا يَشْعُرُوْنَ﴾ هذا بيان من الله عز وجل أن هؤلاء النفر مكروا بصالح فقد ذكر أهل التفسير أنه كان لصالح مسجد في الحجر يصلي فيه فخرج هؤلاء إلى

كهف هناك فاتفقوا على أنه إذا قام يصلي قتلوه ثم يعودون إلى أهله فيقتلونهم، فبينما هم يتعاهدون على ذلك سقطت عليهم صخرة من الجبل الذي حولهم فأهلكتهم في الغار وهذا هو معنى قوله ﴿وَمَكْرَنَا مَكْرًا وَهُمْ لَا يَشْعُرُونَ﴾ ﴿فَانْظُرْ كَيْفَ كَانَتْ عِقَبَةُ مَكْرِهِمْ﴾ أي: انظر يا محمد كيف أهلكنا هؤلاء؛ بسبب مكرهم حين اتفقوا على قتل نبينا صالح وأهله ﴿أَنَّا دَمَرْنَاهُمْ وَقَوْمَهُمْ أَجْمَعِينَ﴾ أي: أهلكنا هؤلاء النفر التسعة هم وقومهم الكافرين حين أخذتهم الصيحة فأصبحوا في ديارهم جاثمين.

﴿فَتِلْكَ بُيُوتُهُمْ خَاوِيَةٌ بِمَا ظَلَمُوا﴾ أي: أصبحت ديارهم مهجورة خاوية؛ بسبب ظلمهم وشركهم ﴿إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَةً لِّقَوْمٍ يَعْلَمُونَ﴾ أي: إن في ذلك دلالة على عظمة الله وقدرته وعبرة للذين يعلمون آيات الله وعظمته.

﴿وَأَنْجَيْنَا الَّذِينَ ءَامَنُوا وَكَانُوا يَتَّقُونَ﴾ أي: أنجينا صالحا وقومه المؤمنين من العذاب الذي حاق بثلود المكذبين لنبيهم. أحكام ومسائل الآيات:

في هذه الآيات: تقرير أن من سوء الكافرين وسفاهتهم وجهلهم أنهم يبادرون بعمل السيئات التي تضرهم ويتركون الحسنات التي

تنفعهم في دينهم ودنياهم كما قال تعالى ﴿أَلَا سَاءَ مَا يَحْكُمُونَ﴾^(١). ومن الأحكام: تحريم التشاؤم، كتشاؤم العرب من بعض النساء والطيور، كالغراب وتشاؤمهم من شهر صفر، وقد نهى رسول الله ﷺ عن ذلك بقوله: (لا عدوى ولا طيرة ولا هامة ولا صفر)^(٢). ومنها: تحريم الفساد في الأرض، سواء كان مناط هذا الفساد الدين أو أمور الدنيا. ومنها: أن المشركين وسائر الكفرة لا يتورعون عن التآمر على المصلحين بقتلهم أو الكيد لهم ثم ينكرون ما يفعلونه ويقسمون على هذا الإنكار. ومنها: أن المكر يعود على فاعله كما قال عز وجل ﴿وَلَا يَحِيقُ الْمَكْرُ السَّيِّئُ إِلَّا بِأَهْلِهِ﴾^(٣). ومنها: الحكم أن ديار الظالمين والمفسدين تكون عرضة للزوال كما قال عز ذكره ﴿وَدَمَّرْنَا مَا كَانُوا يَصْنَعُونَ فِرْعَوْنُ وَقَوْمُهُ وَمَا كَانُوا يَعْرِشُونَ﴾^(٤).

﴿وَلَوْ طَا إِذْ قَالَ لِقَوْمِهِ أَتَأْتُونَ الْفَاحِشَةَ وَأَنْتُمْ تُبْصِرُونَ﴾^(٥٤) أَيْتَكُمْ لَتَأْتُونَ الرِّجَالَ شَهْوَةً مِّنْ دُونِ النِّسَاءِ بَلْ أَنْتُمْ قَوْمٌ تَجْهَلُونَ ﴿٥٥﴾ فَمَا كَانَتْ جَوَابَ قَوْمِهِ إِلَّا أَنْ قَالُوا أَخْرِجُوهُمْ أَلْ لَّوْطُ مِنْ قَرْيَتِكُمْ إِنَّهُمْ أَنْأَسُ يَنْطَهُرُونَ ﴿٥٦﴾ فَأَنْجَيْنَاهُ

(١) سورة النحل من الآية ٥٩ .

(٢) صحيح البخاري مع فتح الباري ج ١٠ ص ١٦٧، كتاب الطب، باب الجذام، برقم (٥٧٠٧).

(٣) سورة فاطر من الآية ٤٣ .

(٤) سورة الأعراف من الآية ١٣٧ .

وَأَهْلَهُ إِلَّا أُمَّرَأَتَهُ، قَدَرْنَاهَا مِنَ الْغَابِرِينَ ﴿٥٧﴾ وَأَمْطَرْنَا عَلَيْهِمْ
مَطَرًا فَسَاءَ مَطَرُ الْمُنْذِرِينَ ﴿٥٨﴾.

بيان الآيات:

﴿وَلُوطًا إِذْ قَالَ لِقَوْمِهِ أَتَأْتُونَ الْفَاحِشَةَ وَأَنْتُمْ
تَبْصُرُونَ﴾ هذا بيان من الله لنبيه ورسوله محمد ﷺ ليذكر قومه
قصة لوط وهو أنه عليه السلام استنكر على قومه فعل الفاحشة
الشنعاء والجريمة النكراء التي تستهجنها الحيوانات قبل البشر بينما
هم يأتونها جهارا دون حياء ولا خجل.

﴿أَيْنَكُمْ لَتَأْتُونَ الرِّجَالَ شَهْوَةً مِّنْ دُونِ النِّسَاءِ بَلْ أَنْتُمْ قَوْمٌ
بَٰجِلُونَ﴾ أي: إنكم ترتكبون ما حرم الله عليكم من اللواط الذي
تستقبحه النفوس الشريفة وتتركون ما أحل الله لكم من النساء التي
جبلت على حبها الطباع، فأنتم بهذا قوم جهلة فاسدون لا تعرفون
معروفا ولا شرعا ولا فضيلة.

﴿فَمَا كَانَتْ جَوَابَ قَوْمِهِ إِلَّا أَنْ قَالُوا أَخْرِجُوْهُ أَلْ لُّوطِ
مِّنْ قَرْيَتِكُمْ﴾ أي: لما سمعوا كلام لوط ونصحه لهم ونهيه لهم عن
ارتكاب الفاحشة قالوا: اطردهوا لوطا وقومه من دياركم ﴿إِنَّهُمْ
أُنَاسٌ يَّظْهَرُونَ﴾ عن فعل الفاحشة ﴿فَأَنْجَيْنَاهُ وَأَهْلَهُ إِلَّا
أُمَّرَأَتَهُ، قَدَرْنَاهَا مِنَ الْغَابِرِينَ﴾ المراد أن قوم لوط لما استمروا

على فعلهم القبيح وعجز نبيهم عن اقناعهم أهلكهم الله ونجى لوطا وأهله المؤمنين، واستثنى منهم امرأته وكانت هذه العجوز - كما سبق ذكره - فاسدة تشجع قومها على فعل الفاحشة وكان هلاكهم بما أخبر الله عنه بقوله ﴿وَأَمْطَرْنَا عَلَيْهِمْ مَطَرًا فَسَاءَ مَطَرُ الْمُنْذَرِينَ﴾^(١) المراد بالمطر حجارة من سجيل أهلكتهم فبئس عاقبة هؤلاء الذين أذروا بالعذاب، فلم يستجيبوا لنصح رسولهم ودعوته لهم إلى البعد عن الفواحش.

أحكام ومسائل الآيات:

في هذه الآيات: الحكم بتحريم اللواط بوصفه فاحشة كبرى وجريمة من أشد الجرائم. وكما بين كتاب الله شر هذه الجريمة وإهلاك قوم لوط، بين رسول الله ﷺ أن من يفعلها مطرود من رحمة الله بقوله: (لعن الله من عمل عمل قوم لوط)^(١). ومن الأحكام: أن الطغاة في قديم الزمان وحاضره يكرهون قول الحق ويخوفون دعاة ويهددونهم بالطرد والعقاب. ومنها: أن الله يهلك الظلمة من خلقه وأن من حكمته وعدله ألا يعذبهم إلا بعد إنذارهم وإمهالهم؛ لكي يتداركوا أنفسهم ويتوبوا إليه، كما أن من لطفه ورحمته بالمؤمنين من خلقه أنه ينجيهم مما يحل بالظالمين من العذاب.

(١) أخرجه الإمام أحمد في مسنده ج ١ ص ٣٠٩، والمنذري في الترغيب والترهيب ج ٣ ص ٢٨٧.

﴿قُلِ الْحَمْدُ لِلَّهِ وَسَلَامٌ عَلَىٰ عِبَادِهِ الَّذِينَ اصْطَفَىٰ ۗ اللَّهُ خَيْرٌ مَّا يُشْرِكُونَ﴾ (٥٩) أَمَّنْ خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ وَأَنْزَلَ لَكُمْ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَأَنْبَتْنَا بِهِ حَدَائِقَ ذَاتَ بَهْجَةٍ مَّا كَانَ لَكُمْ أَنْ تُنْبِتُوا شَجَرَهَا ۗ أَلَيْسَ اللَّهُ مَعَ اللَّهِ بَلْ هُمْ قَوْمٌ يَعْدِلُونَ﴾ (٦٠) أَمَّنْ جَعَلَ الْأَرْضَ قَرَارًا وَجَعَلَ خِلَالَهَا أَنْهَارًا وَجَعَلَ لَهَا رَوَاسِيَ وَجَعَلَ بَيْنَ الْبَحْرَيْنِ حَاجِزًا ۗ أَلَيْسَ اللَّهُ مَعَ اللَّهِ بَلْ أَكْثَرُهُمْ لَا يَعْلَمُونَ﴾ (٦١) أَمَّنْ يُجِيبُ الْمُضْطَرَّ إِذَا دَعَاهُ وَيَكْشِفُ السُّوءَ وَيَجْعَلُكُمْ خُلَفَاءَ الْأَرْضِ ۗ أَلَيْسَ اللَّهُ مَعَ اللَّهِ قَلِيلًا مَّا تَذَكَّرُونَ﴾ (٦٢) أَمَّنْ يَهْدِيكُمْ فِي ظُلُمَاتِ الْبَرِّ وَالْبَحْرِ وَمَنْ يُرْسِلُ الرِّيَّحَ بُشْرًا بَيْنَ يَدَيْ رَحْمَتِهِ ۗ أَلَيْسَ اللَّهُ مَعَ اللَّهِ تَعَالَى اللَّهُ عَمَّا يُشْرِكُونَ﴾ (٦٣) أَمَّنْ يَبْدَأُ الْخَلْقَ ثُمَّ يُعِيدُهُ وَمَنْ يَرْزُقُكُمْ مِنَ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ ۗ أَلَيْسَ اللَّهُ مَعَ اللَّهِ قُلْ هَاتُوا بُرْهَانَكُمْ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ﴾ (٦٤)

بيان الآيات:

﴿قُلِ الْحَمْدُ لِلَّهِ﴾ أي: قل يا نبينا محمداً: الحمد لله على نعمه الظاهرة والباطنة التي أنعم بها على عباده في أسماعهم وأبصارهم وفي دينهم بما بيَّنه لهم من الأحكام وفي دنياهم بما سخر لهم من المعاش والأرزاق ﴿وَسَلَامٌ عَلَىٰ عِبَادِهِ الَّذِينَ اصْطَفَىٰ﴾ أي: وسلام يا محمد على الأنبياء والمرسلين الذين اختارهم الله لإبلاغ رسالته

﴿إِنَّ اللَّهَ خَيْرٌ أَمَّا يُشْرِكُونَ﴾ * هذا استفهام إنكاري على المشركين في عبادتهم الأوثان والأصنام أي: أخلق السموات والأرض وخالق الخلق أجمعين خير أم الأصنام والأوثان التي يعبدونها هؤلاء؟ وهي لا تنفعهم ولا تضرهم، فالله خير مما يشركون.

﴿أَمَّنْ خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ﴾ * أي: خلق السماء في ارتفاعها بغير عمد ترونها وخلق فيها الكواكب بكل ضيائها، وخلق الأرض بكل ما فيها من المنافع ﴿وَأَنْزَلَ لَكُمْ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً﴾ * أي: أنزله وقدره لخيركم ومعاشكم ﴿فَأَنْبَتْنَا بِهِ حَدَائِقَ ذَاتَ بَهْجَةٍ﴾ * أي: أنبتنا بهذا الماء بساتين بما فيها من الزروع والفواكه والأشجار المبهجة ﴿مَا كَانَتْ لَكُمْ أَنْ تُنْبِتُوا شَجَرَهَا﴾ * أي: ليس لكم القدرة على إنبات هذه الأشجار؛ وإنما القدرة لله الذي خلقكم وخلقها ﴿أَوَلَمْ يَكُنْ مَعَ اللَّهِ﴾ * فَعَلَ هذه الأفعال، ومن كان هذا فعله هل يعبد معه غيره؟ حاشا وكلا إن الذي فعلها هو الخالق الواحد، والإله الواحد سبحانه وتعالى عما يشركون ﴿بَلْ هُمْ قَوْمٌ يَعْدِلُونَ﴾ * أي: المشركون يساوون به غيره مع أنهم يدركون أنه الخالق الواحد والإله الواحد كما قال عز وجل عنهم ﴿وَلَكِنْ سَأَلْتَهُمْ مَنْ خَلَقَهُمْ لَيَقُولُنَّ اللَّهُ﴾ * (١).

﴿أَمَّنْ جَعَلَ الْأَرْضَ قَرَارًا﴾ * أي: هو الذي جعل الأرض راسية

لا تميد ولا تتحرك وجعلها صالحة للسكن والقرار عليها ﴿وَجَعَلَ خِلَالَهَا أَنْهَارًا﴾ أي: هو الذي جعل الأنهار كبيرها وصغيرها تتخلل الأرض ويستفيد منها الخلق لحياتهم ﴿وَجَعَلَ لَهَا رَوَاسِيَ﴾ أي: جبالا ثابتة تمنعها من أن تميد ﴿وَجَعَلَ بَيْنَ الْبَحْرَيْنِ حَاجِزًا﴾ أي: هو الذي جعل حاجزا بين البحار المالحة والأنهار العذبة فلا تفسد المياه المالحة المياه العذبة ﴿أَيُّ لَهٗ مَعَ اللَّهِ﴾ أي: هل فعل هذا إله مع الله؟ حاشا وكلا ﴿بَلْ أَكْثَرُهُمْ لَا يَعْلَمُونَ﴾ فيما يفعلونه من عبادة غير الله معه.

﴿أَمَّنْ يُجِيبُ الْمُضْطَرَّ إِذَا دَعَاهُ﴾ أي: هو الذي يجيب المكروب، وينصر المظلوم، ويغيث المستغيث، ويعيد المستعيز، ويكون بعلمه مع الداعي إذا دعاه عند الشدائد والمحن وهو الذي يسمع دبيب النملة السوداء على صفاة سوداء في ظلمات الليالي الحوالك ﴿وَيَكْشِفُ السُّوءَ﴾ وهو الذي يزيل المحن وينجي من الفتن ﴿وَيَجْعَلُكُمْ خُلَفَاءَ الْأَرْضِ﴾ أي: هو الذي يأتي بالخلائق جيلا بعد جيل وزمنا بعد زمن ﴿أَيُّ لَهٗ مَعَ اللَّهِ﴾ أي: يقدر على ذلك ويعبد من دونه حاشا وكلا، لا أحد يفعل ذلك إلا هو ﴿قَلِيلًا مَّا تَذَكَّرُونَ﴾ أي: أيها المشركون إنكم قليلا ما تتدبرون وتعقلون وتعرفون أن خالقكم هو الله الذي لا إله غيره ولا معبود سواه.

﴿أَمْ يَهْدِيكُمْ فِي ظُلُمَاتٍ أَلْبَرٍ وَالْبَحْرِ﴾ أي: هو الذي يدلکم على دروبکم، وأنتم تسعون لمعاشکم في ظلمات البر والبحر ذلك بما سخره لكم من الشمس والقمر والنجوم وسائر الأفلاك ﴿وَمَنْ يُرْسِلُ الرِّيحَ بُشْرًا بَيْنَ يَدَيْ رَحْمَتِهِ﴾ أي: يرسل الرياح فتثير السحاب، ثم ينزل منه المطر فيكون رحمة لكم في سقياکم وإنبات النبات لكم ولأنعامکم. ﴿أَوَلَمْ يَكُنْ لَهُ مَعَ اللَّهِ﴾ فعل ذلك؟ حاشا وكلا، وإنما فعله الواحد الأحد الذي لا يقدر على هذا سواه. ﴿تَعْلَى اللَّهُ عَمَّا يُشْرِكُونَ﴾ أي: تعالى وتنزه وتقدس عن الأوثان والأصنام أن تعبد معه.

﴿أَمْ يَبْدُوُا أَنْ يَخْلُقَ ثُمَّ يُعِيدُهُ﴾ أي: هو القادر وحده على بدء الخلق لجميع المخلوقات فينشئها من العدم إلى الوجود ثم يعيدها كما بدأها يوم يبعث الخلائق ويقوم الناس له طائعين ﴿وَمَنْ يَرْزُقُكُمْ مِّنَ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ﴾ أي: بما ينزله عليكم من السماء من المطر ثم ينبت به النبات من الزروع والثمار وكافة أنواع النباتات لكم ولأنعامکم ﴿أَوَلَمْ يَكُنْ لَهُ مَعَ اللَّهِ﴾ أي: فعل هذا؟ حاشا وكلا لا أحد يقدر عليه إلا الله الواحد الأحد ﴿قُلْ هَاتُوا بُرْهَانَكُمْ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ﴾ أي: هاتوا حجتکم ودليلکم على فعلکم في عبادة غيره. قال هذا وهو أعلم العالمين أنهم لن يأتوا بأي دليل ولا برهان على شرکهم، وإنما أقام الحجة عليهم يوم يجازيهم على ما سوله لهم الشيطان من الإثم والخطيئة.

أحكام ومسائل الآيات:

في هذه الآيات: وجوب الحمد لله تعالى والشكر له في كل حال ومشروعية السلام على الأنبياء والمرسلين - على محمد وعليهم الصلاة والسلام- عند مرور ذكرهم تقديرا لهم على إبلاغهم رسالة الله إلى عباده كما قال تعالى ﴿وَسَلِّمْ عَلَى الْمُرْسَلِينَ﴾^(١). وفيها: تحريم الشرك بالله بأي صورة من الصور، سواء كانت بعبادة وثن أو صنم أو كانت على نحو رياء أو تمجيد لأحد يكون فيه مظنة إشراكه مع الله. وفيها: الحكم بأن الله الذي خلق السموات والأرض المنزل للماء من السماء وأنبت به النبات وأن المشركين يقرون بذلك كما قال تعالى ﴿وَلَيْن سَأَلْتَهُمْ مَنْ نَزَّلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَأَحْيَا بِهِ الْأَرْضَ مِنْ بَعْدِ مَوْتِهَا لَيَقُولُنَّ اللَّهُ﴾^(٢). وفيها: الحكم بأن الله هو الذي جعل الأرض قرارا وبث فيها البحار والأنهار وأرسى فيها الجبال كما قال عز وجل ﴿اللَّهُ الَّذِي جَعَلَ لَكُمْ الْأَرْضَ قَرَارًا﴾^(٣). وفيها: الحكم بأن الله هو الذي يجيب دعوة المضطر إذا دعاه عند الشدائد كما قال عز وجل ﴿وَإِذَا مَسَّكُمُ

(١) سورة الصافات الآية ١٨١ .

(٢) سورة العنكبوت من الآية ٦٣ .

(٣) سورة غافر من الآية ٦٤ .

الضَّرُّ فِي الْبَحْرِ ضَلَّ مَنْ تَدْعُونَ إِلَّا إِيَّاهُ ﴿١﴾. وقوله عز ذكره ﴿ثُمَّ إِذَا مَسَّكُمْ الضَّرُّ فَالِيهِ تَجْشَرُونَ﴾ ﴿٢﴾.

وقد روى الإمام أحمد في مسنده: عن رجل من الهجيم قال: قلت يا رسول الله إلامَ تدعو؟ قال: (أدعو إلى الله وحده من إذا كان بك ضرٌّ فدعوته كشفه عنك، ومن إذا أصابك بسنة فدعوته أنبت لك، ومن إذا كنت في أرض قفر فأصللت فدعوته رد عليك) قال قلت: أوصني يا رسول الله. قال: (لا تسبَّ أحداً، ولا تزهد في المعروف ولو منبسطاً وجهك إلى أخيك وأن تكلمه وأفرغ من دلوك في إناء المستسقي، واتزر إلى نصف الساق فإن أبيت فإلى الكعبين وإياك وإسبال الإزار فإنها من المخيلة، والله لا يحب المخيلة) ﴿٣﴾.

وفيها: تقرير أنه لا أحد يهدي الخلق في ظلمات البراري والبحار ويثير السحاب من الرياح إلا الله كما قال عز وجل ﴿وَهُوَ الَّذِي جَعَلَ لَكُمُ النُّجُومَ لِتَهْتَدُوا بِهَا فِي ظُلُمَاتِ اللَّيْلِ وَالْبَحْرِ﴾ ﴿٤﴾. وفيها: تقرير أنه لا أحد يخلق المخلوقات من العدم إلى الوجود ثم يعيدها

(١) سورة الإسراء من الآية ٦٧.

(٢) سورة النحل من الآية ٥٣.

(٣) أخرجه الإمام أحمد في مسنده ج ٤ ص ٦٥، وج ٥ ص ٦٣-٦٤، وأبو داود ج ٤ ص ٢٢، كتاب اللباس، باب ما جاء في إسبال الإزار، برقم (٤٠٨٤).

(٤) سورة الأنعام من الآية ٩٧.

إلا الله كما قال عز ذكره ﴿وَهُوَ الَّذِي يَبْدُؤُا الْخَلْقَ ثُمَّ يُعِيدُهُ﴾^(١). وفيها: تقرير أن دعاوى المشركين والملحدين باطلة من أصلها لأنها لا تقوم على دليل أو برهان بل هي مجرد أوهام وضلال.

﴿قُلْ لَا يَعْلَمُ مَنْ فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ الْغَيْبَ إِلَّا اللَّهُ وَمَا يَشْعُرُونَ أَيَّانَ يُبْعَثُونَ﴾^(٦٥) بَلِ أَدْرَكَ عِلْمُهُمْ فِي الْآخِرَةِ بَلْ هُمْ فِي شَكٍّ مِنْهَا بَلْ هُمْ مِنْهَا عَمُونَ^(٦٦).

بيان الآيتين:

﴿قُلْ لَا يَعْلَمُ مَنْ فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ الْغَيْبَ﴾ أي: قل يا محمد لقومك لا أحد يعلم من الملائكة أو الناس الغيب ﴿إِلَّا اللَّهُ﴾ أي: لا يعلمه إلا هو لا ملك مقرب، ولا نبي مرسل، فعلمه من اختصاصه وعلمه المطلق ﴿وَمَا يَشْعُرُونَ﴾ أي: ولا يعرف أحد من الخلق إنسهم وجنهم وملئكتهم ﴿أَيَّانَ يُبْعَثُونَ﴾ أي: متى يبعثون فهذا من اختصاص الله وعلمه الذي لا يعلمه إلا هو.

﴿بَلِ أَدْرَكَ عِلْمُهُمْ فِي الْآخِرَةِ﴾ أي: ضعف علم الخلق عن قيام الساعة ووقتها ﴿بَلْ هُمْ فِي شَكٍّ مِنْهَا﴾ المراد بهم الكافرون الذين يكذبون بالبعث أحيانا ويترددون في تصديقهم به أحيانا أخرى ﴿بَلْ

هُم مِّنْهَا عَمُونَ ﴿١﴾ أي: إن الكافرين في عمى عن معرفة قيامها.

أحكام ومسائل الآيتين:

في هاتين الآيتين: الحكم بأن الغيب لا يعلمه إلا الله وحده كما قال عزوجل ﴿وَعِنْدَهُ مَفَاتِحُ الْغَيْبِ لَا يَعْلَمُهَا إِلَّا هُوَ﴾^(١). وقوله ﴿وَعِنْدَهُ عِلْمُ السَّاعَةِ﴾^(٢). وقوله ﴿ثُقُلَتْ فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ لَا تَأْتِيكُمُ إِلَّا بَغْثَةٌ﴾^(٣). وفيها: أن أهل السموات من الملائكة وأهل الأرض من الناس يتساوون في عدم علمهم بقيام الساعة.

﴿وَقَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا أَإِذَا كُنَّا تُرَابًا وَءَابَاؤُنَا إِنَّا الْمُخْرَجُونَ﴾^(٦٧)
لَقَدْ وَعَدْنَا هَذَا نَحْنُ وَءَابَاؤُنَا مِنْ قَبْلُ إِنْ هَذَا إِلَّا أَسَاطِيرُ الْأَوَّلِينَ
﴿٦٨﴾ قُلْ سِيرُوا فِي الْأَرْضِ فَانظُرُوا كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الْمُجْرِمِينَ ﴿٦٩﴾
وَلَا تَحْزَنْ عَلَيْهِمْ وَلَا تَكُنْ فِي ضَيْقٍ مِّمَّا يَمْكُرُونَ ﴿٧٠﴾

بيان الآيات:

﴿وَقَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا أَإِذَا كُنَّا تُرَابًا وَءَابَاؤُنَا﴾ أي قال المشركون: إذا تحولنا نحن وأبائنا إلى تراب بعد موتنا ﴿إِنَّا الْمُخْرَجُونَ﴾ هل نبعث من جديد؟ أي: لن نبعث وهذا يدل على إنكارهم للبعث

(١) سورة الأنعام من الآية ٥٩ .

(٢) سورة الزخرف الآية ٨٥ .

(٣) سورة الأعراف من الآية ١٨٧ .

﴿لَقَدْ وَعَدْنَا هَذَا نَحْنُ وَءَابَاؤُنَا مِنْ قَبْلُ﴾ أي: قيل لنا ولآبائنا هذا القول ولا نراه صحيحاً ﴿إِنْ هَذَا إِلَّا أَسْطِيرُ الْأَوَّلِينَ﴾ أي: أقاويل وكذب الأولين التي دونوها في كتبهم فأصبح بعضهم ينقلها عن بعض ﴿قُلْ سِيرُوا فِي الْأَرْضِ فَانظُرُوا كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الْمُجْرِمِينَ﴾ أي: قل يا نبينا محمداً لهؤلاء المكذبين بالبعث سيحوا في الأرض وانظروا كيف أهلك الله الأمم قبلكم من قوم هود وصالح ولوط وغيرهم ممن كذبوا بالبعث فحل بهم عقاب الله.

﴿وَلَا تَحْزَنْ عَلَيْهِمْ﴾ في هذا تسليية لرسول الله ﷺ بألا يحزن على هؤلاء في عدم استجابتهم لدعوته وتكذيبهم للبعث ﴿وَلَا تَكُنْ فِي ضَيْقٍ مِمَّا يَمْكُرُونَ﴾ أي: لا يضق بك مكرهم ولا يحزنك كيدهم فإن الله سوف ينصرك عليهم لأن العاقبة للمتقين.

أحكام ومسائل الآيات:

في هذه الآيات: الحكم بأن الله قد أهلك الكافرين الذين أنكروا البعث، وفيها: تسليية رسول الله ﷺ بعدم الحزن على قومه الذين كذبوه، وتسليته كذلك بعدم الضيق من كيدهم ومكرهم لأن الله وعده بالنصر، وهذا هو ما حدث حين انهزم المشركون وساد الإسلام ودخل الناس في دين الله أفواجا وفتح الله لرسوله وللمسلمين مدن كسرى وهرقل وغيرها من الممالك.

﴿وَيَقُولُونَ مَتَى هَذَا الْوَعْدُ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ﴾ (٧١) ﴿قُلْ عَسَى أَنْ يَكُونَ رَدِفَ لَكُمْ بَعْضُ الَّذِي تَسْتَعْجِلُونَ﴾ (٧٢) ﴿وَإِنَّ رَبَّكَ لَذُو فَضْلٍ عَلَى النَّاسِ وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَهُمْ لَا يَشْكُرُونَ﴾ (٧٣) ﴿وَإِنَّ رَبَّكَ لَيَعْلَمُ مَا تُكِنُّ صُدُورُهُمْ وَمَا يُعْلِنُونَ﴾ (٧٤) ﴿وَمَا مِنْ غَائِبَةٍ فِي السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ إِلَّا فِي كِتَابٍ مُبِينٍ﴾ (٧٥) ﴿

بيان الآيات:

﴿وَيَقُولُونَ مَتَى هَذَا الْوَعْدُ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ﴾ أي: وزيادة في تكذيبهم بالبعث يقولون: متى يأتي عذابنا إن كنتم صادقين بأن هناك بعثاً؟ وهذا مما يدل على سفههم وجهلهم فإن عدم العلم بيوم البعث لا يدل على عدم حدوثه لأن أجله عند الله لحكمة حكمها وقدر قدره ﴿قُلْ عَسَى أَنْ يَكُونَ رَدِفَ لَكُمْ بَعْضُ الَّذِي تَسْتَعْجِلُونَ﴾ أي: قل لهم يا محمد، عسى أن يكون قد دنا منكم العذاب الذي تستعجلونه، وقد حدث لهم بالفعل يوم قتلوا شر قتلة وهزموا شر هزيمة يوم بدر.

﴿وَإِنَّ رَبَّكَ لَذُو فَضْلٍ عَلَى النَّاسِ﴾ أي: يا نبينا محمداً إن ربك هو المنعم على عباده المتفضل عليهم بنعمه وعطائه والساثر لهم بستره والراحم لهم برحمته رغم كفرهم. ﴿وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَهُمْ لَا يَشْكُرُونَ﴾ أي: لا يشكره إلا قليل منهم على هذه النعم ﴿وَإِنَّ رَبَّكَ لَيَعْلَمُ مَا تُكِنُّ

صُدُّورُهُمْ وَمَا يَعْلَمُونَ ﴿٧٦﴾ أي: إن ربك يا محمد يعلم مكنونات خلقه في علانيتهم وسرهم وما تخفي صدورهم ﴿٧٧﴾ وَمَا مِنْ غَائِبَةٍ فِي السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ إِلَّا فِي كِتَابٍ مُبِينٍ ﴿٧٨﴾ أي: ما من أمر أو حادث يحدث في السماء والأرض، إلا وهو مدون في اللوح المحفوظ.

أحكام ومسائل الآيات:

في هذه الآيات: بيان جهل المشركين وسفهمهم في استعجالهم العذاب مع استبعادهم له وقد عجله الله لهم في الدنيا حيث قتلوا شر قتلة في غزوة بدر. وفيها: تقرير أن الله يتفضل على عباده بالنعم ويتلطف بهم ويرحمهم ومع ذلك فلا يشكره إلا القليل منهم. وفيها: تقرير أن الله يعلم مكنونات خلقه وما يسرون وما يعلنون كما قال عز وجل ﴿يَعْلَمُ السِّرَّ وَأَخْفَى﴾^(١). وفيها: الحكم بأنه ما من حادث في العالم العلوي أو السفلي إلا وهو مدون في اللوح المحفوظ كما قال عز وجل ﴿أَلَمْ تَعْلَمْ أَنَّ اللَّهَ يَعْلَمُ مَا فِي السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ إِنَّ ذَلِكَ فِي كِتَابٍ إِنَّ ذَلِكَ عَلَى اللَّهِ يَسِيرٌ﴾^(٢).

﴿إِنَّ هَذَا الْقُرْآنَ يَفُصُّ عَلَى بَنِي إِسْرَءِيلَ أَكْثَرَ الَّذِي هُمْ فِيهِ يَخْتَلِفُونَ﴾^(٧٦) وَإِنَّهُ هُدًى وَرَحْمَةٌ لِّلْمُؤْمِنِينَ ﴿٧٧﴾ إِنَّ رَبَّكَ

(١) سورة طه من الآية ٧.

(٢) سورة الحج الآية ٧٠.

يَقْضِي بَيْنَهُمْ بِحُكْمِهِ ۚ وَهُوَ الْعَزِيزُ الْعَلِيمُ ﴿٧٨﴾ فَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ إِنَّكَ عَلَى الْحَقِّ الْمُبِينِ ﴿٧٩﴾ إِنَّكَ لَا تَسْمِعُ الْمَوْتَى وَلَا تَسْمِعُ الضَّمَمَ الدُّعَاءَ إِذَا وَلُوا مَدْبِرِينَ ﴿٨٠﴾ وَمَا أَنْتَ بِهَادِيَ الْعَمَىٰ عَنْ ضَلَالَتِهِمْ ۚ إِنْ تَسْمِعُ إِلَّا مَنْ يُؤْمِنُ بِآيَاتِنَا فَهُمْ مُسْلِمُونَ ﴿٨١﴾

بيان الآيات:

﴿إِنَّ هَذَا الْقُرْآنَ يَقْضُ عَلَىٰ بَنِي إِسْرَءِيلَ﴾ المراد أن كتاب الله بما فيه من البيان والإيضاح يقص على بني إسرائيل وهم أهل التوراة والإنجيل ما وقع بينهم من الاختلاف كما قال تعالى ﴿كَثُرَ الَّذِي هُمْ فِيهِ يَخْتَلِفُونَ﴾ وهذا من فضل الله الذي أنزل القرآن على رسول هذه الأمة، فكان أفضل كتب الله لما بينه وفصله من أحكام الله في الحلال والحرام وفي أمور الدنيا والدين فحري بهذه الأمة أن تعظم هذا الكتاب وتجعله حَكَمًا ومصدرها في دينها ودنياها؛ فإذا فعلت ذلك لن تكون هدفًا للغزاة والمستعمرين.

﴿وَإِنَّهُ لَهْدَىٰ وَرَحْمَةً لِّلْمُؤْمِنِينَ﴾ أي: هدى من الضلالة لمن اتبعه وحكمه ورحمة للذين آمنوا به واتبعوا أحكامه بما سينالهم؛ بسبب ذلك من رحمة الله لهم ﴿إِنَّ رَبَّكَ يَقْضِي بَيْنَهُمْ بِحُكْمِهِ﴾ أي: إن ربك سيقضي بعدله بين بني إسرائيل وبين كل المختلفين المتخاصمين في الدنيا فهو الحكم العدل الذي لا تشبهه عليه اللغات

ولا تختلف عليه الخصومات ﴿وَهُوَ الْعَزِيزُ الْعَلِيمُ﴾ العزيز بقوته،
والعليم بأحوال خلقه ﴿فَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ﴾ أي: توكل يا نبينا محمداً
على الله في دعوتك وإبلاغ رسالتك وفي سائر أمورك فهو معك
بعلمه وناصرك من أعدائك ﴿إِنَّكَ عَلَى الْحَقِّ الْمُبِينِ﴾ أي: تسير
على الصراط المستقيم الذي بيّنه الله لك فلا يضرك من خالفك من
الكافرين ﴿إِنَّكَ لَا تَسْمِعُ الْمَوْتَى﴾ أي: لا تستطيع أن تسمع الموتى
صوتك ودعوتك وهؤلاء المكذبون لك هم بمثابة الأموات الذين لا
يسمعون ﴿وَلَا تَسْمِعُ الصَّمَّ الدُّعَاءَ إِذَا وَلَّوْا مُدْبِرِينَ﴾ وكما أن الصم
لا يسمعون النداء إذا كانوا مدبرين - وهذا غاية عدم السمع - فإن
المكذبين هم مثل هؤلاء في عدم سمعهم.

﴿وَمَا أَنْتَ بِهَادِي الْعُمَى عَنْ ضَلَالَتِهِمْ﴾ أي: ما أنت يا نبينا محمداً
تستطيع أن تهدي من أعمى الله قلبه وبصيرته؛ بسبب كفره فترده
عن ضلالته ﴿إِنْ تَسْمِعُ إِلَّا مَنْ يُؤْمِنُ بِآيَاتِنَا﴾ أي: لن يستمع لك
إلا الذين آمنوا بآياتنا وصدقوها ﴿فَهُمْ مُسْلِمُونَ﴾ أي: أسلمت
قلوبهم واستسلمت لله رب العالمين.

أحكام ومسائل الآيات:

في هذه الآيات: الحكم بأن القرآن هو أفضل الكتب السماوية
المنزلة، لاشتماله وبيانه وتفصيله لأحكام الله كما أنه بيّن اختلاف

بني إسرائيل في توراتهم وإنجيلهم، فقد بين لهم أن عزيزا عبد من عباد الله، وأن عيسى كذلك وأن ما يدعيه بنو إسرائيل والنصارى عن بنوة هذين لله قول باطل وافتراء على الله سيجزون عليه. وفيها: تقرير أن القرآن هدى للمؤمنين ورحمة لهم فيما بينه لهم من أمر دينهم ودنياهم.

وفيها: تقرير أن الله سوف يحكم يوم القيامة بعدله بين المختلفين والمتخاصمين. وفيها: وجوب توكل العبد على الله في مختلف أموره كما قال عز وجل ﴿وَمَنْ يَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ فَهُوَ حَسْبُهُ﴾^(١). وفيها: وصف المشركين والكفرة بالأموات الذين لا يسمعون النداء وأن على الدعاة أن يحتسبوا في دعوتهم ويصبروا على أذاهم كما صبر الرسل على أسلافهم.

﴿وَإِذَا وَقَعَ الْقَوْلُ عَلَيْهِمْ أَخْرَجْنَا لَهُمْ دَابَّةً مِّنَ الْأَرْضِ تُكَلِّمُهُمْ أَنَّ النَّاسَ كَانُوا بِآيَاتِنَا لَا يُوقِنُونَ﴾^(٨٢).

بيان الآية:

﴿وَإِذَا وَقَعَ الْقَوْلُ عَلَيْهِمْ أَخْرَجْنَا لَهُمْ﴾ هذا بيان من الله أنه إذا وقع ما أراده من العذاب بالناس؛ بسبب كفرهم وتركهم لدين الله في آخر الزمان أخرج لهم ﴿دَابَّةً مِّنَ الْأَرْضِ تُكَلِّمُهُمْ أَنَّ النَّاسَ

(١) سورة الطلاق من الآية ٣.

كَانُوا بِآيَاتِنَا لَا يُوقِنُونَ ﴿٨٣﴾ أي: تخرج هذه الدابة من الأرض وهو المكان الذي أراده الله فتكلم الناس عن كفرهم فيعرف الكافر من المؤمن وهذه الدابة من آيات الله وحكمته ليبين للناس حقيقة عملهم.

أحكام ومسائل الآية:

الحكم بأنه في آخر الزمان تظهر للناس دابة تبين ما هم عليه من الكفر وفي حديث مسلم: عن عبد الله بن عمرو قال: حفظت من رسول الله ﷺ حديثاً لم أنسه بعدما سمعت رسول الله ﷺ يقول: (إن أول الآيات خروجا طلوع الشمس من مغربها وخروج الدابة على الناس ضحى وأيهما ما كانت قبل صاحبها فالأخرى على إثرها قريباً) (١).

﴿وَيَوْمَ نَخْشِرُ مِنْ كُلِّ أُمَّةٍ فَوْجًا مِمَّنْ يُكَذِّبُ بِآيَاتِنَا فَهُمْ يُوزَعُونَ﴾
 حَتَّىٰ إِذَا جَاءُوا قَالَ أَكَذَّبْتُمْ بِآيَاتِي وَلَمْ تُحِيطُوا بِهَا عِلْمًا أَمْ آذًا ﴿٨٣﴾
 كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ ﴿٨٤﴾ وَوَقَعَ الْقَوْلُ عَلَيْهِمْ بِمَا ظَلَمُوا فَهُمْ لَا يَنْطِقُونَ ﴿٨٥﴾
 أَلَمْ يَرَوْا أَنَّا جَعَلْنَا آلِيلَ لَيْسَ كُنُوفِهِ وَالنَّهَارَ مُبْصِرًا ۚ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِّقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ ﴿٨٦﴾

(١) صحيح مسلم بشرح النووي ج ٩ ص ٤١١، كتاب الفتن، باب في خروج الدجال ومكنه في الأرض ونزول عيسى وقتله إياه، برقم (٢٩٤١).

بيان الآيات:

﴿وَيَوْمَ نَحْشُرُ مِنْ كُلِّ أُمَّةٍ فَوْجًا﴾ هذا بيان من الله عز وجل أنه في يوم القيامة يحشر أفواجا من الناس أي: أقواماً أو طوائف ﴿مَنْ يُكَذِّبُ بِآيَاتِنَا﴾ أي: الذين كانوا على مدار الزمان يكذبون بآيات الله، ويستهزئون بها فيكذبون ما جاءت به رسلكم وينكرون البعث والحساب والجزاء ﴿فَهُمْ يُوزَعُونَ﴾ أي: يرد بعضهم على بعض فوجاً فوجاً ﴿حَتَّىٰ إِذَا جَاءُوهُ قَالَ أَكَذَّبْتُمْ بِآيَاتِي وَلَمْ تُحِطُوا بِهَا عِلْمًا أَمَآذَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ﴾ أي: إذا حضروا جرى سؤالهم على سبيل التوبيخ والتقريع فيقول الله لهم: أكذبتُم بآياتي البينات التي أرسلت لكم ولم تحيطوا بها علماً فتعلمون أنها الحق الذي لا ريب فيه أم ماذا كنتم تعملون كما يسألهم عن عملهم الذي عملوه في الدنيا، ولأنهم لم يعملوا العمل الصالح الذي أمروا به يتبين لهم أنهم قد خسروا آخرتهم؛ بسبب سوء أعمالهم في الدنيا، وحينئذٍ حق عليهم العذاب كما قال عز وجل ﴿وَوَقَعَ الْقَوْلُ عَلَيْهِمْ بِمَا ظَلَمُوا فَهُمْ لَا يَنْطِقُونَ﴾ أي: لا يتكلمون لأنه ليس لهم حجة فيما كانوا يفعلون.

﴿أَلَمْ يَرَوْا أَنَّا جَعَلْنَا آلِيلَ لِسَانِكُمْ فِيهِ﴾ أي: ألم يعلم هؤلاء بعقولهم وأبصارهم أنا جعلنا الليل سكوناً لهم وراحة لأجسامهم

﴿وَالنَّهَارَ مُبْصِرًا﴾ أي: جعلنا النهار مضيئاً لهم يعملون فيه من أجل معاشهم وأرزاقهم وهذه آيات عظيمة لا ينكرها إلا من سفه نفسه وعميت بصيرته ﴿إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِّقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ﴾ أي: إن هذه الآيات العظيمة للذين آمنوا بالله وصدقوا رسله.

أحكام ومسائل الآيات:

في هذه الآيات: الحكم بحقيقة بعث الناس يوم القيامة ومساءلتهم عن أعمالهم وجزائهم عليها كل بما يستحقه عن عمله الذي عمله في الدنيا. وفيها: تقرير أن آية الليل والنهار كافية للعلم بقدرة الله وعظمته، فلم يعتبر بها المنكرون للبعث فاستحقوا عقاب الله؛ أما المؤمنون فهم معتبرون بها، وذلك ليقينهم وتصديقهم بالله وما جاءت به رسله من البينات.

﴿وَيَوْمَ يُنْفَخُ فِي الصُّورِ فَفَزِعَ مَنْ فِي السَّمَوَاتِ وَمَنْ فِي الْأَرْضِ إِلَّا
مَنْ شَاءَ اللَّهُ وَكُلُّ أَتَوَّهٍ دَاخِرِينَ﴾ (٨٧) وَتَرَى الْجِبَالَ تَحْسَبُهَا جَامِدَةً وَهِيَ
تَمُرُّ مَرَّ السَّحَابِ صُنِعَ اللَّهُ الَّذِي أَنْقَضَ كُلَّ شَيْءٍ إِنَّهُ خَيْرٌ بِمَا تَفْعَلُونَ
(٨٨) مَنْ جَاءَ بِالْحَسَنَةِ فَلَهُ خَيْرٌ مِّنْهَا وَهُمْ مِّنْ فَزَعٍ يَوْمَئِذٍ ءَامِنُونَ (٨٩)
وَمَنْ جَاءَ بِالسَّيِّئَةِ فَكُبَّتْ وُجُوهُهُمْ فِي النَّارِ هَلْ تُجْزَوْنَ إِلَّا مَا
كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ ﴿٩٠﴾

بيان الآيات:

﴿وَيَوْمَ يُنْفَخُ فِي الصُّورِ﴾ أي: يوم ينفخ إسرافيل في القرن لقيام الناس للبعث ﴿فَفَزَعَ مَنْ فِي السَّمَوَاتِ وَمَنْ فِي الْأَرْضِ﴾ أي: حينما يسمع أهل السموات والأرض هذا النفخ يفزعون من شدة الهول ﴿إِلَّا مَنْ شَاءَ اللَّهُ﴾ إلا من أراد الله بحكمته ورحمته ألا يفزع من هذا النفخ ﴿وَكُلُّ أَوْتَاهُ دَاخِرِينَ﴾ أي: كل من في السموات والأرض يأتون إلى الله وهم صاغرون أدلة ليشهدوا حسابهم وجزاءهم في ذلك اليوم الذي كانوا يوعدون.

﴿وَتَرَى الْجِبَالَ تَحْسَبُهَا جَامِدَةً وَهِيَ تَمُرُّ مَرَّ السَّحَابِ﴾ أي: وفي ذلك اليوم ومن هوله وشدته ترى الجبال ثابتة لا تتحرك بينما هي تمر مثل مرور السحاب من خفتها وتفتت أحجارها ثم تلاشيها ﴿صُنْعَ اللَّهِ الَّذِي أَتَقَنَ كُلَّ شَيْءٍ﴾ أي: كل ذلك يقع بقوته وعظمته ﴿إِنَّهُ خَيْرٌ بِمَا تَفْعَلُونَ﴾ أي: عليم بما يفعله عباده من الحسنات والسيئات.

﴿مَنْ جَاءَ بِالْحَسَنَةِ فَلَهُ خَيْرٌ مِنْهَا﴾ أي: من جاء يوم عرضه بحسنة؛ فإن الله يجازيه بأحسن منها فيكون جزاؤه عند الله الجنة ﴿وَهُمْ مِّنْ فِرْعَ يَوْمٍ ذِي أَمْنٍ﴾ أي: يأتي يوم القيامة وهم آمنون من

أهواله ﴿وَمَنْ جَاءَ بِالسَّيِّئَةِ فَكُبَّتْ وُجُوهُهُمْ فِي النَّارِ﴾ ❀ أي: من جاء يوم القيامة وليس له حسنة أو كان له حسنات ورجحت بها سيئاته دخل النار مكبا على وجهه والعياذ بالله ﴿هَلْ تُجْزَوْنَ إِلَّا مَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ﴾ ❀ أي: لا تجزون إلا بما عملتموه في الدنيا، فالمحسن يجازى بإحسانه، والمسيء يجازى على إساءته وهذا من عدل الله بعباده.

أحكام ومسائل الآيات:

في هذه الآيات: تقرير واقعة النفخ في الصور؛ لقيام الناس للبعث والحساب كما قال عز وجل ﴿يَوْمَ يَدْعُوكُمْ فَتَسْجُدُونَ بِحَمْدِهِ وَتَظُنُّونَ إِن لَّبِثْتُمْ إِلَّا قَلِيلًا﴾ ❀ (١). وقوله ﴿ثُمَّ إِذَا دَعَاكُمْ دَعْوَةً مِّنَ الْأَرْضِ إِذَا أَنتُمْ تَخْرُجُونَ﴾ ❀ (٢). وقوله ﴿وَنُفِخَ فِي الصُّورِ فَإِذَا هُم مِّنَ الْأَجْدَاثِ إِلَىٰ رَبِّهِمْ يَنسِلُونَ﴾ ❀ (٣). وفيها: تقرير أن من عباد الله من لا يفرع عند النفخ في الصور. وفيها: تقرير أن الجبال بعد النفخ في الصور تتحول إلى هباء، فيراها الرائي في ذلك المشهد كأنها لا تتحرك، بينما هي تمر مثل مر السحاب لكي تتلاشى. وفيها: الحكم بأن الأمر يوم القيامة جزاء فيجزي المحسن بإحسانه والمسيء بعمله ولا يظلم الله أحدا من خلقه.

(١) سورة الإسراء الآية ٥٢ .

(٢) سورة الروم من الآية ٢٥ .

(٣) سورة يس الآية ٥١ .

﴿إِنَّمَا أُمِرْتُ أَنْ أَعْبُدَ رَبَّ هَذِهِ الْبَلَدَةِ الَّذِي حَرَّمَهَا وَلَهُ كُلُّ شَيْءٍ وَأُمِرْتُ أَنْ أَكُونَ مِنَ الْمُسْلِمِينَ﴾ ٩١ ﴿وَأَنْ أَتْلُوا الْقُرْآنَ فَمَنْ أَهْتَدَىٰ فَإِنَّمَا يَهْتَدَىٰ لِنَفْسِهِ وَمَنْ ضَلَّ فَقُلْ إِنَّمَا أَنَا مِنَ الْمُنذِرِينَ﴾ ٩٢ ﴿وَقُلِ الْحَمْدُ لِلَّهِ سِيرِكُمْ وَأَيْنُهُ فَتَعْرِفُونَهَا وَمَا رَبُّكَ بِغَفِلٍ عَمَّا تَعْمَلُونَ﴾ ٩٣ ﴿

بيان الآيات:

﴿إِنَّمَا أُمِرْتُ أَنْ أَعْبُدَ رَبَّ هَذِهِ الْبَلَدَةِ﴾ هذا أمر من الله لرسوله محمد ﷺ أن يقول للناس: إنما أُمِرْتُ أَنْ أَعْبُدَ وَأَطِيعَ رَبَّ هَذِهِ الْبَلَدَةِ والمراد بها مكة المكرمة وقد ورد النص عليها تشريفا لها ﴿الَّذِي حَرَّمَهَا﴾ أي: جعلها حراما بتحريمه لها ﴿وَلَهُ كُلُّ شَيْءٍ﴾ أي: وهو رب السموات والأرض ورب الخلق أجمعين ﴿وَأُمِرْتُ أَنْ أَكُونَ مِنَ الْمُسْلِمِينَ﴾ أي: أُمِرْتُ أَنْ أَكُونَ مِنَ الْمُسْلِمِينَ المستسلمين لله المنقادين له بالطاعة المتبرئين من الشرك به ﴿وَأَنْ أَتْلُوا الْقُرْآنَ﴾ أي: وأُمِرْتُ أَنْ أَبْلُغَ الْقُرْآنَ وَأَبِينَهُ لِلْعِبَادِ إِنْ سَهُمْ وَجَنَّهُمْ ﴿فَمَنْ أَهْتَدَىٰ فَإِنَّمَا يَهْتَدَىٰ لِنَفْسِهِ﴾ فَمَنْ سَمِعَنِي وَأَطَاعَنِي وَاتَّبَعَ مَا جِئْتُ بِهِ مِنَ الْهُدَىٰ مِنْ عِنْدِ اللَّهِ فَتَنْفَعُ ذَلِكَ يَعُودُ إِلَيْهِ ﴿وَمَنْ ضَلَّ فَقُلْ إِنَّمَا أَنَا مِنَ الْمُنذِرِينَ﴾ أي: مَنْ عَصَى وَاتَّبَعَ هَوَاهُ فَإِنَّمَا أَنَا مُنْذِرٌ لَهُ مِنَ الْعَذَابِ أَمَا حَسَابُهُ فَعِنْدَ اللَّهِ.

﴿وَقُلِ الْحَمْدُ لِلَّهِ سَيُرِيكُمْ آيَاتِهِ فَتَعْرِفُونَهَا﴾ أي: قل يا محمد إن الحمد لله الذي أنعم على عباده بما أنزله عليهم من البينات فلا يجازي أحدا منهم إلا بعد أن تقوم الحجة عليه. ﴿وَمَارُبُّكَ يَغْفِلُ عَمَّا تَعْمَلُونَ﴾ أي: العليم بأفعالكم، الشاهد عليكم بما أسررتهم وما أعلنتم فله الحمد والمنة في كل حال.

أحكام ومسائل الآيات:

في هذه الآيات: تقرير أن الله حرم مكة المكرمة كما ثبت عن ابن عباس رضي الله عنهما أن رسول الله ﷺ قال يوم فتح مكة: (إن الله حرم مكة يوم خلق السموات والأرض فهي حرام بتحريم الله إلى يوم القيامة لم تحل لأحد قبلي ولا تحل لأحد بعدي ولم تحل لي قط إلا ساعة من الدهر لا ينفر صيدها، ولا يعضد شجرها، ولا يختل خلاها، ولا تحل لقطتها إلا لمنشد)^(١). وفيها: الحكم بأن الله أمر نبيه محمدا ﷺ أن يكون من المسلمين وقد فعل ذلك فهو نبي الإسلام ورسوله، والأمر له أمر لأمته أن يستقيموا على هذا الدين. وفيها: تقرير أن من عمل شيئا يعود نفعه أو ضرره عليه.

(١) صحيح البخاري مع فتح الباري ج ٧ ص ٦٢، كتاب المغازي، باب أحاديث أخرى عن الفتح، برقم (٤٣١٢).

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

سورة القصص

مكية وآياتها ثمان وثمانون آية

﴿طسّم ١﴾ تِلْكَ آيَاتُ الْكِتَابِ الْمُبِينِ ﴿٢﴾ نَتْلُوهُ عَلَيْكَ
 مِنْ نَبَأِ مُوسَى وَفِرْعَوْنَ بِالْحَقِّ لِقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ ﴿٣﴾ إِنَّ فِرْعَوْنَ
 عَلَا فِي الْأَرْضِ وَجَعَلَ أَهْلَهَا شِيَعًا يَسْتَضِعُّ طَائِفَةً مِنْهُمْ يذِبحُ
 أَبْنَاءَهُمْ وَيَسْتَحْيِي نِسَاءَهُمْ إِنَّهُ كَانَ مِنَ الْمُفْسِدِينَ ﴿٤﴾ وَنُرِيدُ أَنْ
 نَمُنَّ عَلَى الَّذِينَ اسْتَضَعُّوا فِي الْأَرْضِ وَنَجْعَلَهُمْ أئِمَّةً وَنَجْعَلَهُمُ
 الْوَارِثِينَ ﴿٥﴾ وَنُمَكِّنَ لَهُمْ فِي الْأَرْضِ وَنُرِيَ فِرْعَوْنَ وَهَامَانَ
 وَجُنُودَهُمَا مِنْهُمْ مَا كَانُوا يَحْذَرُونَ ﴿٦﴾

بيان الآيات:

﴿طسّم﴾ الله أعلم بمراده ﴿تِلْكَ آيَاتُ الْكِتَابِ الْمُبِينِ﴾ أي: هذه الآيات التي نزلت عليك يا محمد هي آيات كتاب الله المبين في أحكامه وقصصه ومعارفه ﴿نَتْلُوهُ عَلَيْكَ مِنْ نَبَأِ مُوسَى وَفِرْعَوْنَ بِالْحَقِّ﴾ أي: سوف نقص عليكم ما حدث لموسى مع فرعون ﴿لِقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ﴾ أي: لكي يتدبروا ويعتبروا ويزدادوا إيماناً و يقيناً بأن العاقبة للمتقين والخسران للكافرين ﴿إِنَّ فِرْعَوْنَ عَلَا فِي الْأَرْضِ﴾

أي: طغى وتجبر وتكبر ﴿وَجَعَلَ أَهْلَهَا شِيَعًا﴾ أي: طوائف يميز كل طائفة عن الأخرى ويتصرف فيهم كما يريد ﴿يَسْتَضِعُّ طَائِفَةٌ مِّنْهُمْ﴾ المراد بهم بنو إسرائيل ﴿يَذِيحُ أَبْنَاءَهُمْ﴾ أي: يقتلهم خشية أن يكون فيهم الولد الذي يخشى أن ينزع منه ملكه ﴿وَيَسْتَحْيِ نِسَاءَهُمْ﴾ أي: بُبْقِيَّهِنَّ ليكنَّ خادِمات له ولقومه ﴿إِنَّهُ كَانَ مِنَ الْمُفْسِدِينَ﴾ أي: كان فاسدا في عمله وتصرفه وطمغيانه.

﴿وَنُرِيدُ أَنْ نَمُنَّ عَلَى الَّذِينَ اسْتُضْعِفُوا فِي الْأَرْضِ﴾ المراد بهم بنو إسرائيل، فقد كانوا مؤمنين خلافا لأهل زمانهم وقد أراد الله أن ينقذهم من فرعون وطمغيانه ﴿وَنَجْعَلَهُمْ آيَةً﴾ أي: في الدين ﴿وَنَجْعَلَهُمُ الْوَارِثِينَ﴾ أي: نجعلهم يرثون البلاد التي سيرحلون إليها من مصر كما قيل والمراد إذا كانوا صالحين ﴿وَنُمَكِّنْهُمْ فِي الْأَرْضِ﴾ ما داموا طائعين لله ﴿وَنُرِيَ فِرْعَوْنَ وَهَمَانَ وَجُنُودَهُمَا مِنْهُمْ مَا كَانُوا يَحْذَرُونَ﴾ أي: نري فرعون ووزيره هامان وجنودهما ما كانوا يحذرونه من بني إسرائيل وخاصة خشيتهم من المولود الذي قيل لفرعون: إنه سيدمر ملكك مما جعله يلجأ إلى قتل ما يولد لهم من ذكر.

أحكام ومسائل الآيات:

في هذه الآيات: تقرير أن العلو والتكبر في الأرض من أفعال الطغاة وعاقبته هلاك أصحابه ودمارهم وخراب ممالكهم. وفيها: تقرير أن

الله يورث الأرض لعباده المستضعفين إذا آمنوا بالله وصدقوا ما جاءت به رسله وصبروا على ما ينالهم من الأذى في سبيله. وهذا هو ما حدث لرسول الله ﷺ وقومه فقد كانوا قلة مستضعفين في مكة ولما صبروا على دين الله وتوكلوا عليه أورثهم أرض المشركين وممالكهم فكانت لهم العزة والسيادة.

﴿وَأَوْحَيْنَا إِلَىٰ أُمِّ مُوسَىٰ أَنْ أَرْضِعِيهِ ۖ فَإِذَا خِفَتْ عَلَيْهِ فَالْقِيهِ فِي الْيَمِّ وَلَا تَخَافِي وَلَا تَحْزَنِي ۚ إِنَّا رَادُّوهُ إِلَيْكِ وَجَاعِلُوهُ مِنَ الْمُرْسَلِينَ ۝٧﴾ فَأَلْقَطَهُ ءَالُ فِرْعَوْنَ لِيَكُونَ لَهُمْ عَدُوًّا وَحَزَنًا ۚ إِنَّ فِرْعَوْنَ وَهَمَانَ وَجُنُودَهُمَا كَانُوا خَاطِئِينَ ۝٨﴾ وَقَالَتِ امْرَأَتُ فِرْعَوْنَ قُرْتُ عَيْنِي لِي وَلَكَ لَا تَقْتُلُوهُ عَسَىٰ أَنْ يَنْفَعَنَا أَوْ نَتَّخِذَهُ وَلَدًا وَهُمْ لَا يَسْعُرُونَ ۝٩﴾

بيان الآيات:

﴿وَأَوْحَيْنَا إِلَىٰ أُمِّ مُوسَىٰ أَنْ أَرْضِعِيهِ﴾ أي: أبلغت عن طريق الإلهام أو عن طريق ملك - الله أعلم - أن أرضعيه ﴿فَإِذَا خِفَتْ عَلَيْهِ﴾ أي: أن يقتله فرعون وقومه ﴿فَالْقِيهِ فِي الْيَمِّ﴾ أي: نيل مصر بعد أن تضعيه في صندوق ﴿وَلَا تَخَافِي وَلَا تَحْزَنِي﴾ أي: لا تخافي عليه من الضياع، ولا تحزني على إلقاءك إياه في النيل ﴿إِنَّا رَادُّوهُ إِلَيْكِ﴾

أي: سنرجعه إليك ﴿وَجَاعِلُوهُ مِنَ الْمُرْسَلِينَ﴾ أي: سيكرمه الله بالرسالة ﴿فَالنَّقْطَةُءُءَالُ فِرْعَوْنَ لِيَكُونَ لَهُمْ عَدُوًّا وَحَزَنًا﴾ أي: أخذه رجال فرعون وسلموه لامرأة فرعون آسية بنت مزاحم وما علم آل فرعون أن هذا الصبي سيكون عدوا وحزنا لهم، لما قدره الله وقضى به وهم لا يشعرون ﴿إِنَّ فِرْعَوْنَ وَهَمَمْنَ وَجُنُودَهُمَا كَانُوا خَاطِئِينَ﴾ وذلك لأنهم كانوا ظالمين فأراد الله أن يجعل من موسى عدوا لهم وسوف يحزنون مما ستؤول إليه حالهم بعد أن يكبر هذا الصبي ويبدأ في إبلاغ رسالته إلى فرعون وقومه.

﴿وَقَالَتِ امْرَأَتُ فِرْعَوْنَ قُرْتُ عَيْنِي لِي وَلَكَ لَا تَقْتُلُوهُ﴾ هذه مقالة امرأة فرعون لما رأت أن زوجها يكره موسى، بل كان يهم بقتله خوفا من أن يكون من بني إسرائيل فأرادت أن تحببه إليه وتنقذه من القتل بقولها ﴿عَسَى أَن يَنْفَعَنَا﴾ أي: يكون خادما يفيدنا ﴿أَوْ نَتَّخِذَهُ وَلَدًا﴾ أي: أن يكون لنا ولدا نتبناه وذلك أنه لم يكن لهما ولد ﴿وَهُمْ لَا يَشْعُرُونَ﴾ أي: لم يكن فرعون أو زوجته أو رجال فرعون وقومه يشعرون بما سيؤول إليه أمر هذا الصبي وما قدره الله من نهاية فرعون وظلمه.

أحكام ومسائل الآيات:

في هذه الآيات: الحكم بأن الله إذا قضى أمرا وقع لا محالة؛ ليكون

في هذا عبرة للعباد فيعتبر به المؤمن ويغفل عنه العاصي فيترتب الجزاء على كل منهما بحسب عمله، وفي تربية موسى في قصر فرعون المثال الأوفى. وفيها: الحكم بأن مآل الظلم الهلاك في الدنيا والخسران في الآخرة. وفيها: أن النية الحسنة توصل صاحبها إلى مراده رغم كل الأسباب المانعة، فإيمان امرأة فرعون جعلها تدافع عن موسى، مع أنها لا تعرف ما سيؤول إليه أمره فكان حسن نيتها سبباً لإيمانها ونجاتها وجزاء الله لها ببيت في الجنة كما قال عز وجل ﴿وَضَرَبَ اللَّهُ مَثَلًا لِلَّذِينَ آمَنُوا امْرَأَتَ فِرْعَوْنَ إِذْ قَالَتْ رَبِّ ابْنِ لِي عِنْدَكَ بَيْتًا فِي الْجَنَّةِ وَنَجِّنِي مِنْ فِرْعَوْنَ وَعَمَلِهِ وَنَجِّنِي مِنَ الْقَوْمِ الظَّالِمِينَ﴾^(١).

﴿وَأَصْبَحَ فُؤَادُ أُمِّ مُوسَىٰ فَرِغًا إِنْ كَادَتْ لَتُبْدَىٰ بِهِ لَوْلَا أَن رَّبَطْنَا عَلَىٰ قَلْبِهَا لِتَكُونَ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ﴾^(١٠) وَقَالَتْ لِأُخْتِهِ قُصِّيهِ فَبَصُرَتْ بِهِ عَنْ جُنْبٍ وَهُمْ لَا يَشْعُرُونَ ﴿١١﴾ وَحَرَمْنَا عَلَيْهِ الْمَرَاضِعَ مِنْ قَبْلُ فَقَالَتْ هَلْ أَدُلُّكُمْ عَلَىٰ أَهْلِ بَيْتٍ يَكْفُلُونَهُ لَكُمْ وَهُمْ لَهُ نَاصِحُونَ ﴿١٢﴾ فَرَدَدْنَاهُ إِلَىٰ أُمِّهِ كَيْ تَقَرَّ عَيْنُهَا وَلَا تَحْزَنَ وَلِتَعْلَمَ أَنَّ وَعْدَ اللَّهِ حَقٌّ وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَهُمْ لَا يَعْلَمُونَ ﴿١٣﴾

بيان الآيات:

﴿وَأَصْبَحَ فُؤَادُ أُمِّ مُوسَىٰ فَرَجًا﴾ لما ألقى موسى في النيل أصبح قلب أمه خاويا من كل شيء إلا من التفكير فيه حالها في ذلك حال الأم التي يتعلق قلبها بولدها لما وضعه الله من محبة الوالد للولد ﴿إِنْ كَادَتْ لَتُبْدِيَ بِهِ﴾ أي: من شدة ما كانت تعانيه من الحزن عليه أن تظهر ذلك للناس ﴿لَوْ لَا أَن رَّبَطْنَا عَلَىٰ قَلْبِهَا لِتَكُونَ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ﴾ إلا أن الله ثبت قلبها فصبرت على فراق ولدها وآمنت بما وعدها الله به من إرجاعه إليها وأنه سيكون من المرسلين ﴿وَقَالَتْ لِأُخْتِهِ قُصِّيهِ﴾ أي: أمرت أخته أن تقص أثره وأن تتبعه من كل جانب حتى تعرف مكانه ﴿فَبَصَّرَتْ بِهِ عَنْ جُنُبٍ﴾ أي: رأته على حذر حتى تأكدت أنه دخل الماء الذي ينتهي إلى القصر ﴿وَهُمْ لَا يَشْعُرُونَ﴾ أي: لم يكونوا يشعرون أنها أخته حين كانت تلاحظ سيره في الماء.

﴿وَحَرَّمْنَا عَلَيْهِ الْمَرَاضِعَ مِنْ قَبْلُ﴾ لما استقر موسى في القصر كان لابد له من رضاعة فعرضوه على المرضعات التي في القصر فلم يقبل ثدي أي منهن، وذلك لأن الله حرم عليه المرضعات من غير أمه فذهبوا به إلى السوق، لعلهم يجدون مرضعة يقبل ثديها، فلما لاحظت أخته أنهم يبحثون عن مرضعة له ﴿فَقَالَتْ هَلْ أَدُلُّكُمْ عَلَىٰ

أَهْلَ بَيْتٍ يَكْفُلُونَهُ لَكُمْ وَهُمْ لَهُ نَاصِحُونَ ﴿١٠١﴾ أي: لما قالت هذه المقالة شكوا في معرفتها له وقالوا لها: وما يدريك عن نصحهم له؟ فقالت: إن قصدي هو أن أهل البيت الذين يكفلونه ناصحون للملك ويحبون خدمته بكفالة هذا الصبي، وهنا وافقوا وذهبوا معها إلى بيتهم فلما أعطته أمه ثديها التقمه، فسروا لذلك وهنا عرضت زوجة فرعون على أمه أن تقيم معها في القصر لإرضاعه فاعتذرت عن ذلك مبدية استعدادها لإرضاعه في بيتها، فقبلت زوجة الملك بذلك فعادت به أمه ليستقر عندها وهو معنى قوله تعالى ﴿فَرَدَدْنَاهُ إِلَىٰ أُمِّهِ كَيْ تَقَرَّ عَيْنُهَا وَلَا تَحْزَنَ﴾ ﴿١٠٢﴾ أي: تسكن به ولا تحزن على فراقه ﴿وَلِتَعْلَمَ أَنَّ وَعْدَ اللَّهِ حَقٌّ﴾ ﴿١٠٣﴾ أي ولتؤمن بأن ما وعدها الله به من رده إليها حق وصدق ﴿وَلَكِنَّ أَكْثَرَهُمْ لَا يَعْلَمُونَ﴾ ﴿١٠٤﴾ أي: لا يعلمون مراد الله وتدبيره في خلقه، ولهذا ما كان أحد يعرف وعد الله لأُم موسى، وأن الفتاة التي كانت تقص أثره هي أخته وأن الأم التي قبل ثديها هي أمه فهذا كله من تدبير الله وكرامته لموسى ورسالته.

أحكام ومسائل الآيات:

في هذه الآيات: تقرير حنان الأمومة وعاطفتها وأن الولد يكون قرة عينها حتى لو لم يكن براً بها فرغم علم أم موسى بوعد الله لها برده

إليها وأنه سيكون من المرسلين، إلا أنها رغم تصديقها بذلك كانت تعاني من إلقائه في النيل. وفيها: الحكم بأن قضاء الله نافذ وأن وعده حق وأنه لا يخلف الميعاد.

﴿وَلَمَّا بَلَغَ أَشُدَّهُ، وَاسْتَوَىٰ ءَايَتُهُ حُكْمًا وَعِلْمًا وَكَذَٰلِكَ نَجْزِي الْمُحْسِنِينَ ﴿١٤﴾ وَدَخَلَ الْمَدِينَةَ عَلَىٰ حِينٍ غَفْلَةٍ مِّنْ أَهْلِهَا فَوَجَدَ فِيهَا رَجُلَيْنِ يَقْتَتِلَانِ هَٰذَا مِنْ شِيعَتِهِ وَهَٰذَا مِنْ عَدُوِّهِ فَاسْتَغْنَتْهُ الَّذِي مِنْ شِيعَتِهِ عَلَى الَّذِي مِنْ عَدُوِّهِ فَوَكَرَهُ مُوسَىٰ فَقَضَىٰ عَلَيْهِ قَالَ هَٰذَا مِنْ عَمَلِ الشَّيْطَانِ إِنَّهُ عَدُوٌّ مُّضِلٌّ مُّبِينٌ ﴿١٥﴾ قَالَ رَبِّ إِنِّي ظَلَمْتُ نَفْسِي فَاغْفِرْ لِي فَغَفَرَ لَهُ إِنَّهُ هُوَ الْغَفُورُ الرَّحِيمُ ﴿١٦﴾ قَالَ رَبِّ بِمَا أَنْعَمْتَ عَلَيَّ فَلَن أَكُونَ ظَهِيرًا لِلْمُجْرِمِينَ ﴿١٧﴾﴾

بيان الآيات:

﴿وَلَمَّا بَلَغَ أَشُدَّهُ، وَاسْتَوَىٰ﴾ أي: لما بلغ مبلغ الرجال وشدتهم واستوى عقله ونضجه ربما قارب الأربعين من عمره ﴿ءَايَتُهُ حُكْمًا وَعِلْمًا﴾ أي: أوتي النبوة بما فيها من التكليف ﴿وَكَذَٰلِكَ نَجْزِي الْمُحْسِنِينَ﴾ أي: نجزي كل محسن كما جزينا موسى وأمه ﴿وَ دَخَلَ الْمَدِينَةَ عَلَىٰ حِينٍ غَفْلَةٍ مِّنْ أَهْلِهَا﴾ أي: في وقت يكون فيه راحتهم كوقت القيلولة والمراد بالمدينة إحدى قرى مصر قيل

إنها منف^(١) وهي مصر نفسها ﴿فَوَجَدَ فِيهَا رَجُلَيْنِ يَقْتَتِلَانِ﴾ أي: يتشاجران ﴿هَذَا مِنْ شِيعِنِهِ وَهَذَا مِنْ عَدُوِّهِ﴾ أي: أحدهما من بني إسرائيل والآخر من الأقباط ﴿فَاسْتَعْنَاهُ الَّذِي مِنْ شِيعِنِهِ عَلَى الَّذِي مِنْ عَدُوِّهِ﴾ أي: طلب منه الإسرائيلي مساعدته على قتال القبطي ﴿فَوَكَرَهُ مُوسَى فَقَضَى عَلَيْهِ﴾ أي: ضرب موسى القبطي بكفه فقتله ﴿قَالَ هَذَا مِنْ عَمَلِ الشَّيْطَانِ إِنَّهُ عَدُوٌّ مُضِلٌّ مُبِينٌ﴾ أي قال موسى: إن ما عملته كان من تزيين الشيطان وإغوائه؛ لأنه عدو يضل ويغوي ثم استغفر موسى ربه عما عمله وأقر بأنه ظلم نفسه وطلب منه أن يتجاوز عن خطيئته بقوله ﴿قَالَ رَبِّ إِنِّي ظَلَمْتُ نَفْسِي فَاغْفِرْ لِي﴾ قوله ﴿فَغَفَرَ لَهُ﴾ أي: استجاب دعاءه وسر له ذنبه ﴿إِنَّهُ هُوَ الْغَفُورُ﴾ أي: يغفر لعباده ذنوبهم إذا تابوا منها ﴿الرَّحِيمُ﴾ بهم إذا أخلصوا له هذه التوبة منيبين إليه.

﴿قَالَ رَبِّ بِمَا أَنْعَمْتَ عَلَيَّ﴾ أي: بما أفضلت به علي من العلم والحكمة ﴿فَلَنْ أَكُونُ ظَاهِرًا﴾ أي: ناصرا ومعينا ﴿لِلْمُجْرِمِينَ﴾ أي: الكافرين بك والمخالفين لأحكامك.

أحكام ومسائل الآيات:

في هذه الآيات: الحكم بأن الله ينعم على أنبيائه ورسله بالنبوة بما

(١) في مصر حالياً محافظة تسمى المنوفية.

فيها من العلم والحكمة ليكونوا مبلغين لرسالاته عارفين بأحكامها. وفيها: وجوب إغاثة المظلوم إذا كان حقا مظلوما وشاهده قول رسول الله ﷺ: (أنصر أخاك ظالما أو مظلوما) فقال رجل: يا رسول الله أنصره إذا كان مظلوماً أفرأيت إذا كان ظالما كيف أنصره؟ قال: (تحجزه أو تمنعه من الظلم فإن ذلك نصره)^(١). وفيها: وجوب التوبة من الخطيئة كما قال عز وجل ﴿وَتُوبُوا إِلَى اللَّهِ جَمِيعًا أَيُّهَ الْمُؤْمِنُونَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ﴾^(٢). ومن شروط التوبة: الاعتراف بالخطيئة والندم عليها والعزم على عدم العودة إليها.

﴿فَأَصْبَحَ فِي الْمَدِينَةِ خَائِفًا يَتَرَقَّبُ فَإِذَا الَّذِي اُسْتَنْصَرُهُ بِالْأَمْسِ يَسْتَصْرِخُهُ قَالَ لَهُ مُوسَى إِنَّكَ لَغَوِيٌّ مُبِينٌ﴾^(١٨) فَلَمَّا أَنْ أَرَادَ أَنْ يَبْطِشَ بِالَّذِي هُوَ عَدُوٌّ لَهُمَا قَالَ يَمْوَسَّى اأَتْرِيدُ أَنْ تَقْتُلَنِي كَمَا قَتَلْتَ نَفْسًا بِالْأَمْسِ إِنْ تُرِيدُ إِلَّا أَنْ تَكُونَ جَبَّارًا فِي الْأَرْضِ وَمَا تُرِيدُ أَنْ تَكُونَ مِنَ الْمُصْلِحِينَ﴾^(١٩)

بيان الآيتين:

﴿فَأَصْبَحَ فِي الْمَدِينَةِ خَائِفًا يَتَرَقَّبُ﴾ لما قتل موسى القبطي أصابه

(١) صحيح البخاري مع فتح الباري ج ١٢ ص ٣٣٨، كتاب الإكراه، باب يمين الرجل لصاحبه أنه أخوه إذا خاف عليه القتل أو نحوه .. برقم (٦٩٥٢) .

(٢) سورة النور من الآية ٣١ .

الوجل فأصبح يترقب ما قد يحدث له من آل فرعون من سوء، وبينما هو على تلك الحال ﴿فَإِذَا الَّذِي اُسْتَنْصَرُهُ بِالْأَمْسِ يَسْتَصْرِخُهُ﴾ أي: سمع الإسرائيلي الذي ناصره من قبل يستنجد به مرة أخرى على شجار حدث بينه وبين قبطي ﴿قَالَ لَهُ مُوسَى إِنَّكَ لَغَوِيٌّ مُبِينٌ﴾ أي: كثير السوء مختلق للشر ثم عزم موسى على نصرته ﴿فَلَمَّا أَنْ أَرَادَ أَنْ يَبْطِشَ بِالَّذِي هُوَ عَدُوٌّ لَهُمَا﴾ والمراد به القبطي ظن الإسرائيلي أن موسى يريد قتله لما قال له ﴿إِنَّكَ لَغَوِيٌّ مُبِينٌ﴾ ﴿قَالَ يَمُوسَى أَتُرِيدُ أَنْ تَقْتُلَنِي كَمَا قَتَلْتَ نَفْسًا بِالْأَمْسِ﴾ أي: كما قتلت القبطي يوم أمس تريد أن تقتلني كذلك؛ لأنه لم يكن أحد يعلم بتلك الحادثة إلا هو وموسى إلى قوله ﴿إِنْ تُرِيدُ إِلَّا أَنْ تَكُونَ جَبَّارًا فِي الْأَرْضِ وَمَا تُرِيدُ أَنْ تَكُونَ مِنَ الْمُصْلِحِينَ﴾ أي: قال الإسرائيلي: إنك بقتلك القبطي ومحاولة قتلي اليوم تريد أن تكون حاكما متجبرا في الأرض ولا تريد الإصلاح فيها. فلما سمع القبطي مقالة الإسرائيلي عن موسى ذهب بها إلى قصر فرعون، فاجتمع قوم فرعون للتشاور بينهم في أمر موسى، وكان من بينهم رجل يكتُم إيمانه فأقبل على موسى سرا يخبره بما سيفعل به فرعون وقومه.

أحكام ومسائل الآيتين:

في هاتين الآيتين: تقرير أن الخوف حالة طبيعية خاصة من العدو

الذي لا تؤمن مباغتته لخصمه. وفيهما: الإشارة إلى أن لصاحب العقيدة أو الملة أن يستنجد بأخيه فيها لكي ينصره من عدو لهما أو لأحدهما. وفيهما: الإشارة إلى غباء الإسرائيلي حين ظن أن موسى يريد قتله مما جعل خصمه القبطي يبلغ فرعون عن موسى.

﴿وَجَاءَ رَجُلٌ مِّنْ أَقْصَا الْمَدِينَةِ يَسْعَىٰ قَالَ يَمُوسَىٰ إِنَّكَ الْأَمَلَاءُ يَأْتِمُرُونَ بِكَ لِيَقْتُلُوكَ فَاخْرُجْ إِنِّي لَكَ مِنَ النَّاصِحِينَ ﴿٢٠﴾ فَخَرَجَ مِنْهَا خَائِفًا يَتَرَقَّبُ قَالَ رَبِّ نَجِّنِي مِنَ الْقَوْمِ الظَّالِمِينَ ﴿٢١﴾ وَلَمَّا تَوَجَّهَ تَلَقَّاءَ مَدْيَنَ قَالَ عَسَىٰ رَبِّي أَن يَهْدِيَنِي سَوَاءَ السَّبِيلِ ﴿٢٢﴾ وَلَمَّا وَرَدَ مَاءَ مَدْيَنَ وَجَدَ عَلَيْهِ أُمَّةً مِّنَ النَّاسِ يَسْقُونَ وَوَجَدَ مِنْ دُونِهِمُ امْرَأَتَيْنِ تَذُودَانِ قَالَ مَا خَطْبُكُمَا قَالَتَا لَا نَسْقِي حَتَّىٰ يُصْدِرَ الرِّعَاءُ وَأَبُونَا شَيْخٌ كَبِيرٌ ﴿٢٣﴾ فَسَقَىٰ لَهُمَا ثُمَّ تَوَلَّىٰ إِلَى الظِّلِّ فَقَالَ رَبِّ إِنِّي لِمَا أَنزَلْتَ إِلَيَّ مِنْ خَيْرٍ فَقِيرٌ ﴿٢٤﴾﴾

بيان الآيات:

﴿وَجَاءَ رَجُلٌ مِّنْ أَقْصَا الْمَدِينَةِ يَسْعَىٰ﴾ أي: لما عرف مؤمن آل فرعون ما يحاك لموسى جاءه من أطراف المدينة و ﴿قَالَ يَمُوسَىٰ إِنَّكَ الْأَمَلَاءُ يَأْتِمُرُونَ بِكَ﴾ أي: يتشاورون ﴿لِيَقْتُلُوكَ فَاخْرُجْ إِنِّي لَكَ مِنَ النَّاصِحِينَ﴾ أي: أخرج من هذه البلاد إنني ناصح لك

﴿فَخَرَجَ مِنْهَا خَائِفًا يَتَرَقَّبُ﴾ أي: خرج من مصر وهو منها خائف
 يترقب ما قد يحدث له من فرعون وقومه ﴿قَالَ رَبِّ نَجِّنِي مِنَ الْقَوْمِ
 الظَّالِمِينَ﴾ أي: نجني من فرعون وقومه الظالمين ﴿وَلَمَّا تَوَجَّهَ
 تَلَقَّاءَ مَدْيَنَ﴾ أي: سلك طريقا طويلا صعبا ﴿قَالَ عَسَىٰ رَبِّي
 أَن يَهْدِيَنِي سَوَاءَ السَّبِيلِ﴾ أي: يدلني للوصول إلى ماء مدين سالما
 من فرعون ومن مصاعب الطريق وطوله ووعورته.

﴿وَلَمَّا وَرَدَ مَاءَ مَدْيَنَ﴾ أي: لما وصل إلى مدين ورد ماءها وهو أهم
 ما يتطلع إليه القادم من السفر ليروي عطشه ﴿وَجَدَ عَلَيْهِ أُمَّةً مِّنَ
 النَّاسِ يَسْقُونَ﴾ أي: وجد جماعة على الماء يسقون منه ﴿وَوَجَدَ
 مِنْ دُونِهِمُ امْرَأَتَيْنِ تَذُودَانِ﴾ أي: تمنعان أغنامهما من الماء حتى
 ينتهي الناس من سقياهم خشية مزاحمتهم خاصة الرجال منهم ﴿قَالَ
 مَا خَطْبُكُمَا﴾ أي: قال موسى لهما: ما أمركما لا تسقيان غنمكما؟
 ﴿قَالَتَا لَا نَسْقِي حَتَّىٰ يُصْدِرَ الرِّعَاءُ﴾ أي: لن نستسقي إلا بعد أن يفرغ
 الناس من سقياهم ﴿وَأَبُونَا شَيْخٌ كَبِيرٌ﴾ لا يقدر على سقي الغنم
 فنسقيها نحن ﴿فَسَقَىٰ لَهُمَا﴾ أي: لما عرف وضعهن سقى ماشيتهن
 ﴿ثُمَّ تَوَلَّىٰ إِلَى الظِّلِّ﴾ أي: استظل بظل شجرة كانت في المكان مما يدل
 على أن الجو كان حارا ثم سأل ربه ﴿فَقَالَ رَبِّ إِنِّي لِمَا أَنزَلْتَ إِلَيَّ مِنْ
 خَيْرٍ فَقِيرٌ﴾ أي: إن ما تيسره لي من طعام فأنا محتاج إليه.

أحكام ومسائل الآيات:

في هذه الآيات: وجوب نصح المؤمن لأخيه وشاهده قول رسول الله ﷺ: (الدين النصيحة) قلنا: لمن؟ قال: (لله ولكتابه ولرسوله ولأئمة المسلمين وعامتهم)^(١). وفيها: وجوب مساعدة المحتاج إذا لم يكن قادراً على الوفاء بحاجته مما يدخل في باب التعاون على البر والتقوى كما قال عز وجل ﴿وَتَعَاوَنُوا عَلَى الْبِرِّ وَالتَّقْوَى﴾^(٢).

﴿فَجَاءَتْهُ إِحْدَاهُمَا تَمْشِي عَلَى أَسْتَحْيَاءٍ قَالَتْ إِنَّكِ ابْنِي
يَدْعُوكَ لِجِزْيِكَ أَجْرَ مَا سَقَيْتَ لَنَا فَلَمَّا جَاءَهُ، وَقَصَّ عَلَيْهِ
الْقَصَصَ قَالَ لَا تَخَفْ نَجَوْتَ مِنَ الْقَوْمِ الظَّالِمِينَ﴾^(٢٥) قَالَتْ
إِحْدَاهُمَا يَتَابَتِ أَسْتَجِرُّهُ إِنَّكِ خَيْرٌ مَنِ اسْتَجَرْتَ الْقَوِيَّ الْأَمِينُ
﴿٢٦﴾ قَالَ إِنِّي أُرِيدُ أَنْ أُنَكِّحَكَ إِحْدَى ابْنَتَي هَاتَيْنِ عَلَى أَنْ تَأْجُرَنِي
ثَمَنِي حَجِجٌ فَإِنْ أَتَمَمْتَ عَشْرًا فَمِنْ عِنْدِكَ وَمَا أُرِيدُ أَنْ أَشُقَّ
عَلَيْكَ سَتَجِدُنِي إِنْ شَاءَ اللَّهُ مِنَ الصَّالِحِينَ﴾^(٢٧) قَالَ ذَلِكَ
بَيْنِي وَبَيْنَكَ أَيَّمَا الْأَجَلَيْنِ قَضَيْتُ فَلَا عُدْوَانَ عَلَيَّ وَاللَّهُ عَلَى مَا
نَقُولُ وَكِيلٌ﴾^(٢٨)

(١) صحيح مسلم بشرح النووي ج ١ ص ٦٥١، كتاب الإيمان، باب بيان أن الدين النصيحة، برقم (٥٥).

(٢) سورة المائدة الآية ٢.

بيان الآيات:

﴿فَجَاءَتْهُ إِحْدَاهُمَا تَمْشِي عَلَى اسْتِحْيَاءٍ﴾ ﴿لَمَّا ذَهَبَتِ الْمَرْأَتَانِ إِلَى أَبِيهِمَا وَأَخْبَرَتَاهُ بِمَا جَرَى لَهُمَا، بَعَثَ إِحْدَاهُمَا فَجَاءَتْ إِلَى مُوسَى مُسْتَحِيَةً مِمَّا يَدُلُّ عَلَى دِينِهَا وَعِفَافِهَا﴾ ﴿قَالَتْ إِنَّ أَبِي يَدْعُوكَ لِيَجْزِيَكَ أَجْرَ مَا سَقَيْتَ لَنَا﴾ ﴿لَمَّا كَانَ مُوسَى عَلَيْهِ السَّلَامُ قَدْ سَقَى لَهُمَا مَتَبَرَعًا وَلَمْ يَكُنْ أَجِيرًا عِنْدَهُمْ قَالَتْ لَهُ بِأَدَبٍ: إِنَّ أَبِي يَدْعُوكَ لِيَكْفِئَكَ عَلَى مَسَاعِدَتِنَا فِي سَقْيِ غَنَمِنَا﴾ ﴿فَلَمَّا جَاءَهُ، وَقَصَّ عَلَيْهِ الْقَصَصَ﴾ ﴿أَي: لَمَّا جَاءَ إِلَى أَبِيهِمَا وَأَخْبَرَهُ بِأَمْرِهِ وَمَا كَانَ لَهُ فِي أَرْضِ مِصْرَ﴾ ﴿قَالَ لَا تَخَفْ نَبَحَتَ مِنَ الْقَوْمِ الظَّالِمِينَ﴾ ﴿أَي: طَمَأَنَّهُ وَأَمَّنَّهُ وَقَالَ لَهُ: لَا تَخَفْ مِنْ فِرْعَوْنَ وَقَوْمِهِ فَنَحْنُ مُسْتَقْلُونَ عَنْهُ وَلَا عِلَاقَةٌ لَهُ بَبِلَدِنَا.

﴿قَالَتْ إِحْدَاهُمَا يَتَّابَتِ اسْتَعْجِرُهُ﴾ ﴿أَي: أَشَارَتْ عَلَى أَبِيهَا أَنْ يَسْتَأْجِرَ مُوسَى لِيَعْمَلَ عِنْدَهُمْ﴾ ﴿إِنَّ خَيْرَ مَنْ اسْتَعْجَرْتَ الْقَوِيُّ الْأَمِينُ﴾ ﴿أَي: وَعِنْدُنَا سَأَلَهَا أَبُوهَا عَنْ عِلْمِهَا بِقُوَّتِهِ وَأَمَانَتِهِ فَقَالَتْ: إِنَّهُ رَفَعَ صَخْرَةً ثَقِيلَةً لَا يَسْتَطِيعُ حَمْلُهَا إِلَّا عِدَّةٌ كَثِيرَةٌ مِنَ الرِّجَالِ كَمَا أَنَّهُ قَالَ لِي: كُونِي مِنْ وَرَائِي، فَإِذَا لَمْ أَعْرِفِ الطَّرِيقَ فَارْمِي بِحِصَاةٍ أَعْرِفْ بِهَا مَسَارَ الطَّرِيقِ، وَقِيلَ: إِنَّهُ قَالَ لَهَا: كُونِي وَرَائِي؛ لِأَنَّهَا كَانَتْ أَمَامَهُ وَهَبَّتِ الرِّيحَ فَكَشَفَتْ عَنْ سَاقِيهَا فَهَذَا مِنْ أَمَانَتِهِ.

وقد أعجب شعيب عليه السلام بجواب ابنته ثم قال لموسى ﴿قَالَ إِنِّي أُرِيدُ أَنْ أُنكِحَكَ إِحْدَى ابْنَتَيَّ هَاتَيْنِ﴾ أي: عرض عليه الزواج من إحدى ابنتيه ﴿عَلَى أَنْ تَأْجُرَنِي ثَمَنِي حَجَاجٍ فَإِنْ أَتَمَمْتَ عَشْرًا فَمِنْ عِنْدِكَ﴾ المراد أن ترعى غنمي لمدة ثمان سنوات فإن زدت اثنتين لتكون عشرا فالأمر إليك ﴿وَمَا أُرِيدُ أَنْ أَشُقَّ عَلَيْكَ﴾ أي: لن أشق عليك في طلب عشر السنين، كما لن أشق عليك في العمل بل ﴿سَتَجِدُنِي إِنْ شَاءَ اللَّهُ مِنَ الصَّالِحِينَ﴾ الذين يحبون الخير لغيرهم ويوفون بعهودهم ﴿قَالَ ذَلِكَ بَيْنِي وَبَيْنَكَ أَيَّمَا الْأَجَلَيْنِ قَضَيْتُ﴾ أي: سوف أوفي بما قلته في هذه الإجارة، أي المدتين أتممت سواء العشر أو الثمان سنوات وأنت تفي فيها كذلك ﴿فَلَا عُدْوَانَ عَلَيَّ﴾ أي: لا حرج ولا إثم علي في أي المدتين أتممت ﴿وَاللَّهُ عَلَى مَا نَقُولُ وَكِيلٌ﴾ أي: شاهد علينا فيما تشارطنا عليه في هذه الإجارة.

أحكام ومسائل الآيات:

في هذه الآيات فضيلة حياء المرأة من الرجال وأن المؤمنات من النساء هن اللاتي يسترن وجوههن ولا يختلطن بالرجال، بل يستحين منهم ولا يتكلمن معهم إلا لداعي الضرورة مع التزام الحياء وخفض الصوت كما قال عز وجل لنساء النبي ﷺ - وهو أمر عام لنساء

المسلمين - ﴿فَلَا تَخْضَعْنَ بِالْقَوْلِ فَيَطْمَعَ الَّذِي فِي قَلْبِهِ مَرَضٌ وَقُلْنَ قَوْلًا مَّعْرُوفًا﴾^(١). وما كان فعل ابنتي نبي الله شعيب وحيأوهما من موسى إلا صفة للمؤمنة التي عرفت أحكام الله وعملت بها. وفيها: أن من المشروع أن يعرض الرجل تزويج ابنته من الرجل الذي يعرف دينه وأمانته كما فعل شعيب وكما فعل عمر بن الخطاب رضي الله عنه حين عرض ابنته حفصة على أبي بكر وعثمان ثم على رسول الله ﷺ الذي تزوجها فكانت إحدى أمهات المؤمنين^(٢).

ومن الأحكام: مشروعية الإجارة للعمل، وأن كفاءة المأجور وقوته وأمانته شرط في الإجارة. ومنها: وجوب الإشهاد على العقود كما قال عز وجل ﴿يَتَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا إِذَا تَدَايَنْتُمْ بِدَيْنٍ إِلَى أَجَلٍ مُّسَمًّى فَاكْتُبُوهُ﴾ إلى قوله ﴿وَاسْتَشْهِدُوا شَهِيدَيْنِ مِنْ رِجَالِكُمْ﴾ الآية^(٣). ومنها: مشروعية إشهاد الله تعالى على العقود لما يكون في ذلك من استشعار المتعاقدين بوجوب أمانتهما في القيام بما اتفقا عليه كما قال رسول الله ﷺ في المتبايعين: (إذا صدقا وبيننا بورك لهما في بيعهما وإن كذبا وكتما محقت بركة بيعهما)^(٤).

(١) سورة الأحزاب من الآية ٣٢ .

(٢) صحيح البخاري مع فتح الباري ج ٩ ص ٨٩، ١٠٨، كتاب النكاح، باب من قال لا نكاح إلا بولي وباب تفسير ترك الخطبة، برقم (٥١٢٩، ٥١٤٥) .

(٣) سورة البقرة من الآية ٢٨٢ .

(٤) صحيح البخاري مع فتح الباري ج ٤ ص ٣٦٢، كتاب البيوع، باب إذا بينَّ البيعان ولم يكتما ونصحا، برقم (٢٠٧٩) .

﴿فَلَمَّا قَضَىٰ مُوسَى الْأَجَلَ وَسَارَ بِأَهْلِهِ﴾ ٢٩ ﴿عَاسَتْ نَارًا قَالَ لِأَهْلِهِ امْكُثُوا إِنِّي آنَسْتُ نَارًا لَّعَلِّي آتِيكُم مِّنْهَا بِخَبَرٍ أَوْ جَذْوَةٍ مِّنَ النَّارِ لَعَلَّكُمْ تَصْطَلُونَ﴾ ٣٠ ﴿فَلَمَّا أَتَاهَا نُودِيَ مِن شَاطِئِ الْوَادِ الْأَيْمَنِ فِي الْبُقْعَةِ الْمُبْرَكَةِ مِنَ الشَّجَرَةِ أَن يَمُوسَىٰ إِنَّكَ أَنَا اللَّهُ رَبُّ الْعَالَمِينَ﴾ ٣١ ﴿وَأَن أَلْقِ عَصَاكَ فَلَمَّا رَآهَا نَهَزْتُ كَأَنهَا جَانٌّ وَلَّى مُدْبِرًا وَلَمْ يُعَقِّبْ يَمُوسَىٰ أَقْبِلْ وَلَا تَخَفْ إِنَّكَ مِنَ الْآمِنِينَ﴾ ٣٢ ﴿أَسْلَكَ يَدَكَ فِي جَيْبِكَ تَخْرُجُ بَيْضَاءَ مِنْ غَيْرِ سُوءٍ وَأَضْمَمَ إِلَىٰكَ جَنَاحَكَ مِنَ الرَّهْبِ فَذَنُوكَ بُرْهَانًا مِنْ رَبِّكَ إِلَىٰ فِرْعَوْنَ وَمَلَئِهِ إِنَّهُمْ كَانُوا قَوْمًا فَاسِقِينَ﴾ ٣٣ ﴿

بيان الآيات:

﴿فَلَمَّا قَضَىٰ مُوسَى الْأَجَلَ﴾ أي: الأكمل من الأجلين المشار إليهما في الإجارة ﴿وَسَارَ بِأَهْلِهِ﴾ أملا في العودة إلى مصر بعد غياب طويل محاولا التخفي من فرعون حين يقدم إليها ﴿عَاسَتْ نَارًا قَالَ لِأَهْلِهِ امْكُثُوا إِنِّي آنَسْتُ نَارًا﴾ سوف أذهب لأراها ﴿لَّعَلِّي آتِيكُم مِّنْهَا بِخَبَرٍ﴾ أي: يتبين لي من خلالها معرفة الطريق ﴿أَوْ جَذْوَةٍ مِّنَ النَّارِ﴾ أي: قطعة من النار ﴿لَعَلَّكُمْ تَصْطَلُونَ﴾ أي: تستدفئون منها

وفي هذا دليل على أنهم كانوا يعانون من البرد.

﴿ فَلَمَّا أَتَاهَا نُودِيَ مِنْ شَاطِئِ الْوَادِ الْأَيْمَنِ ﴾ أي: من جانب الوادي الأيمن مما يلي الجبل ﴿ فِي الْبُقْعَةِ الْمُبْرَكَةِ مِنَ الشَّجَرَةِ ﴾ وكانت النار تلوح في شجرة خضراء بارزة في سفح الجبل فناداه الله بقوله عز وجل ﴿ أَنْ يَمْوِسَىٰ إِفِّ أَنْأَ اللَّهُ رَبُّ الْعَالَمِينَ ﴾ أي: أنا الإله الذي لا إله غيره وأنا رب العالمين الذين لا رب لهم سواي ﴿ وَأَنْ أَلْقِ عَصَاكَ ﴾ أي: ارم عصاك التي تحملها في يدك ﴿ فَلَمَّا رَأَاهَا اهْتَزُّوا كَأَنَّهُمَا جَانٌّ وَلِيٌّ مُدْبِرٌ ﴾ أي: لما رآها تتحرك مثل الجان في حركاته، وأنها أصبحت تضطرب وتتحرك على نحو سريع ومخيف ذهب بعيدا عنها ﴿ وَلَمْ يُعَقِّبْ ﴾ أي: لم يلتفت لفرعه منها ﴿ يَمْوِسَىٰ أَقِيلَ وَلَا تَخَفْ إِنَّكَ مِنَ الْأَمِينِينَ ﴾ لما سمع هذا النداء توقف في مكانه فقال الله له ﴿ أَسَلُّكَ يَدَكَ فِي جَيْبِكَ تَخْرُجُ بَيْضَاءَ مِنْ غَيْرِ سَوْءٍ ﴾ أي: أدخل يدك في قميصك ثم أخرجها منه، وحينئذ سترها ببيضاء شديدة في لمعانها من غير أن يكون فيها مرض كالبرص ﴿ وَأَضْمَمْنَا إِلَيْكَ جَنَاحَكَ مِنْ الرَّهْبِ ﴾ أي: ضع يدك على صدرك، والمراد أن يهدأ بذلك روعه ﴿ فَذَنِّكَ بُرْهَانَ مِنْ رَبِّكَ ﴾ المراد أن إلقاء العصي وتحولها إلى ثعبان وإدخال موسى يده في جيبه وخروجها ببيضاء من غير سوء هما: آيتان من آيات الله تدلان على عظيم قدرته، كما أنهما آيتان للدلالة

على نبوة موسى ورسالته ﴿إِلَىٰ فِرْعَوْنَ وَمَلَئِهِ﴾ المراد به حاكم مصر آنذاك وقومه ﴿إِنَّهُمْ كَانُوا قَوْمًا فَسِيقِينَ﴾ أي: عاصين لله مستكبرين عن عبادته وظالمين لعباده.

أحكام ومسائل الآيات:

في هذه الآيات: وجوب الوفاء بالشرط الذي يشرطه الإنسان على نفسه؛ لأن الشرط عهد، ومن الواجب الوفاء بالعهد كما قال عز وجل ﴿وَأَوْفُوا بِالْعَهْدِ إِنَّ الْعَهْدَ كَانَ مَسْئُولًا﴾^(١). وفيها: أن حمل العصا أمر مشروع كما قال عز وجل عن موسى ﴿قَالَ هِيَ عَصَايَ أَتَوَكَّؤُا عَلَيْهَا وَاهْتَسِبُ بِهَا عَلَىٰ غَنَمِي وَلِي فِيهَا مَارِبٌ أُخْرَىٰ﴾^(٢). وفيها: الإشارة إلى أن وضع اليد على الصدر حال الخوف يهدئ بإذن الله من روع القلب.

﴿قَالَ رَبِّ إِنِّي قَتَلْتُ مِنْهُمْ نَفْسًا فَأَخَافُ أَنْ يَقْتُلُونِ﴾^(٣٣) وَأَخِي هَارُونُ هُوَ أَفْصَحُ مِنِّي لِسَانًا فَأَرْسَلْهُ مَعِيَ رِدْءًا يُصَدِّقُنِي إِنِّي أَخَافُ أَنْ يُكَذِّبُونِ^(٣٤) قَالَ سَنَشُدُّ عَضُدَكَ بِأَخِيكَ وَنَجْعَلُ لَكُمَا سُلْطٰنًا فَلَا يَصِلُونَ إِلَيْكُمَا بِأَيْنَتِنَا أُنْتُمَا وَمَنْ أَتَّبَعَكُمَا الْغٰلِبُونَ^(٣٥)﴾.

بيان الآيات:

﴿قَالَ رَبِّ إِنِّي قَتَلْتُ مِنْهُمْ نَفْسًا﴾ لما أمر الله موسى أن يذهب

(١) سورة الإسراء من الآية ٣٤ .

(٢) سورة طه الآية ١٨ .

إلى فرعون لإبلاغه الرسالة استذكر قتله القبطي وما قد يتعرض له من القتل، بسبب تلك الحادثة كما قال ﴿فَأَخَافُ أَنْ يَقْتُلُونِ﴾ ثم قال لربه ﴿وَإِخِي هَارُوتُ هُوَ أَفْصَحُ مِنِّي لِسَانًا﴾ أي: أقدر على الدعوة مني؛ لكونه أفضل مني في البيان والفصاحة. ﴿فَأَرْسَلَهُ مَعِيَ رِدْءًا يُصَدِّقُنِي﴾ أي: يكون معينا لي على دعوتهم ويصدقني فيما أدعوهم إليه ﴿إِنِّي أَخَافُ أَنْ يُكَذِّبُونِ﴾ أي: أخشى ألا يصدقوني حين أبين لهم الرسالة ﴿قَالَ سَنَشُدُّ عَضُدَكَ بِأَخِيكَ﴾ أي: سوف نجعل أخاك هارون معينا لك، يقوي دعوتك ويصدق مقالتك ﴿وَنَجْعَلُ لَكُمَا سُلْطٰنًا﴾ أي: سنجعل لكما دليلا وبرهانا تغلبونهم به ﴿فَلَا يَصِلُونَ إِلَيْكُمَا بِآيٰتِنَا﴾ أي: لن يكون لهم سبيل إلى إيدائكما ﴿أَنَّمَا وَمَنْ أَتَّبَعُكُمَا أَلْغَلِبُونَ﴾ أي: إنك أنت وأخوك ومن يتبعكما ستغلبون فرعون وقومه.

أحكام ومسائل الآيات:

في هذه الآيات: الإشارة إلى أن عقوبة القاتل معروفة في الحضارات القديمة كالحضارة الفرعونية، ولهذا فهم موسى عليه السلام أن القبط سوف يقتصون منه. وفيها: أن من يكلف بمهمة يقوم بها يحق له سؤال من كلفه ببذل المساعدة له، كما طلب موسى من ربه أن يشد أزره بأخيه هارون.

﴿فَلَمَّا جَاءَهُمْ مُوسَى بِآيَاتِنَا بَيِّنَاتٍ قَالُوا مَا هَذَا إِلَّا سِحْرٌ مُفْتَرًى وَمَا سَمِعْنَا بِهَذَا فِي آبَائِنَا الْأُولِينَ﴾ (٣٦) وَقَالَ مُوسَى رَبِّي أَعْلَمُ بِمَن جَاءَ بِالْهُدَى مِنْ عِنْدِهِ وَمَن تَكُونُ لَهُ عَاقِبَةُ الدَّارِ إِنَّهُ لَا يُفْلِحُ الظَّالِمُونَ ﴿٣٧﴾.

بيان الآيتين:

﴿فَلَمَّا جَاءَهُمْ مُوسَى بِآيَاتِنَا بَيِّنَاتٍ﴾ أي: لما عرض موسى على فرعون وقومه ما معه هو وأخيه هارون من الآيات الواضحة، وهي آية العصا، وآية اليد، وغيرهما من الآيات ﴿قَالُوا مَا هَذَا إِلَّا سِحْرٌ مُفْتَرًى﴾ أي: إن ما أتيتما به ما هو إلا سحر مخلوق ﴿وَمَا سَمِعْنَا بِهَذَا فِي آبَائِنَا الْأُولِينَ﴾ أي: لم نسمع من آبائنا الأولين مثل ما أنتم تقولون الآن ﴿وَقَالَ مُوسَى رَبِّي أَعْلَمُ بِمَن جَاءَ بِالْهُدَى مِنْ عِنْدِهِ﴾ هذا جواب موسى لفرعون، والمراد أنكم إذا لم تقبلوا ما جاءكم من البينات، فالله يعلم من هو الذي جاء بالهدى هل نحن أم أنتم؟ وسيحكم بيننا وبينكم ﴿وَمَن تَكُونُ لَهُ عَاقِبَةُ الدَّارِ﴾ أي: وستعرفون من تكون له العاقبة في الدنيا والآخرة أنتم أم نحن ﴿إِنَّهُ لَا يُفْلِحُ الظَّالِمُونَ﴾ أي: لا ينتصر ولا يعز المشركون والكافرون.

أحكام ومسائل الآيتين:

في هاتين الآيتين: تقرير أن الطغاة لا يحبون سماع الحق، بل يلجؤون إلى اتهام من يدعوهم بمختلف الأوصاف التي يرون أنها تقلل من دعوتهم. وفيهما: تقرير أن من الواجب الرفق في الدعوة حتى لو كان المدعو طاغية وشاهده قول الله عز وجل ﴿ادْعُ إِلَى سَبِيلِ رَبِّكَ بِالْحُكْمَةِ وَالْمَوْعِظَةِ الْحَسَنَةِ وَجَدِلْهُمْ بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ﴾^(١). وفيهما: الحكم بأن الظلمة والطغاة لا يمكن أن يكون لهم فلاح أو وجود مهما طالت مدة طغيانهم.

﴿وَقَالَ فِرْعَوْنُ يَتَأْتِيَهَا الْمَلَأُ مَا عَلِمْتُ لَكُم مِّنْ إِلَهِ غَيْرِي فَأَوْقِدْ لِي يَهْمَنُنْ عَلَى الطِّينِ فَأَجْعَلَ لِي صَرْحًا لَّعَلِّي أَطَّلِعُ إِلَى إِلَهِ مُوسَى وَإِنِّي لَأَظُنُّهُ مِنَ الْكَاذِبِينَ﴾ (٣٨) وَأَسْتَكْبَرُ هُوَ وَجُنُودُهُ فِي الْأَرْضِ بِغَيْرِ الْحَقِّ وَظَنُّوا أَنَّهُم إِلَيْنَا لَا يُرْجَعُونَ (٣٩) فَأَخَذْنَاهُ وَجُنُودَهُ فَنَبَذْنَاهُمْ فِي الْيَمِّ فَاُنظُرْ كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الظَّالِمِينَ (٤٠) وَجَعَلْنَاهُمْ أَيْمَةً يَدْعُونَ إِلَى التَّكْوِينِ وَيَوْمَ الْقِيَامَةِ لَا يُنصَرُونَ (٤١) وَاتَّبَعْنَاهُمْ فِي هَذِهِ الدُّنْيَا لَعْنَةً وَيَوْمَ الْقِيَامَةِ هُمْ مِنَ الْمَقْبُوحِينَ (٤٢) وَلَقَدْ آتَيْنَا مُوسَى الْكِتَابَ مِنْ بَعْدِ مَا أَهْلَكْنَا الْقُرُونَ الْأُولَىٰ بَصَائِرَ لِلنَّاسِ

وَهْدَىٰ وَرَحْمَةً لَّعَلَّهُمْ يَتَذَكَّرُونَ ﴿٤٢﴾

بيان الآيات:

﴿وَقَالَ فِرْعَوْنُ يَتَأَيُّهَا الْمَلَأُ مَا عَلِمْتُ لَكُم مِّنْ إِلَهِ غَيْرِي﴾ لما رأى فرعون سوء حيلته أمام قومه بعد ما جاءه موسى بالبينات وألان له في القول قال لهم بأنه لا يعلم أن هناك إلها غيره، وحتى يبعد عن قومه أي تفكير فيما جاء به موسى قال لهم: سوف أتأكد من زعم موسى أن هناك إلها غيري لهذا أمر وزيره هامان أن يتخذ له لبنا من الآجر ليبني له قصرا عاليا ليطلع إلى الله كما حكى الله عزو جل عنه ﴿فَأَوْقَدْ لِي يَهْمَنُ عَلَى الطِّينِ فَاجْعَل لِّي صَرْحًا لَّعَلِّي أَطَّلِعُ إِلَى إِلَهِ مُوسَى﴾ وقوله في الآية الأخرى ﴿وَقَالَ فِرْعَوْنُ يَهْمَنُ ابْنُ لِي صَرْحًا لَّعَلِّي أَبْلُغُ الْأَسْبَابَ﴾ (١). ﴿أَسْبَابَ السَّمَوَاتِ فَأَطَّلِعُ إِلَى إِلَهِ مُوسَى وَإِنِّي لأَظُنُّهُ كَذِبًا﴾ (٢).

قوله ﴿وَإِنِّي لأَظُنُّهُ مِنَ الْكَاذِبِينَ﴾ أي: يريد أن يقول إن موسى كاذب في قوله؛ لأن فرعون يقول لقومه: ليس هناك رب غيري كما قال ﴿أَنَا رَبُّكُمْ الْأَعْلَى﴾ (٣). والأعجب أن قوم فرعون قد صادروا عقولهم وصدقوه وآمنوا بما كان يقوله لهم من الكذب الفاضح مما يدل على

(١) سورة غافر الآية ٣٦ .

(٢) سورة غافر من الآية ٣٧ .

(٣) سورة النازعات من الآية ٢٤ .

سفاهتهم وجهلهم وخفتهم كما قال عز وجل ﴿فَاسْتَخَفَّ قَوْمَهُ، فَاطَاعُوهُ إِنَّهُمْ كَانُوا قَوْمًا فَسِيقِينَ﴾^(١). فاستحقوا بذلك جميعاً عذاب الله كما قال عز وجل ﴿النَّارُ يُعْرَضُونَ عَلَيْهَا غُدُوًّا وَعَشِيًّا وَيَوْمَ تَقُومُ السَّاعَةُ أَدْخِلُوا آلَ فِرْعَوْنَ أَشَدَّ الْعَذَابِ﴾^(٢).

قوله ﴿وَأَسْتَكْبَرَهُوَ وَجُنُودُهُ فِي الْأَرْضِ﴾ أي: عتا وتكبر هو وملؤه في أرض مصر ﴿بِغَيْرِ الْحَقِّ﴾ أي: بتكذيبه موسى وما جاء به من الآيات البينات الدالة على نبوته وصدقه ﴿وَوَظَنُوا أَنَّهُم إِلَٰهِنَا لَا يُرْجَعُونَ﴾ أي: اعتقدوا أنهم لن يبعثوا يوم القيامة ويحاسبوا على كفرهم وطغيانهم ﴿فَأَخَذْنَاهُ وَجُنُودَهُ فَنَبَذْنَاهُمْ فِي الْيَمِّ﴾ أي: أهلكناه وجنوده بالغرق في البحر في أسوأ مיתה وأكبر خزي لهم في الدنيا والآخرة ﴿فَانْظُرْ كَيْفَ كَانَتْ عَاقِبَةُ الظَّالِمِينَ﴾ أي: انظر يا نبينا محمداً كيف كانت عاقبة هؤلاء الظالمين وما آلوا إليه وحذر المشركين مما قد يصيبهم مثل ما أصاب فرعون وقومه.

﴿وَجَعَلْنَاهُمْ أَيْمَةً يَدْعُونَ إِلَى الْتَّكَارِ﴾ أي: جعلنا فرعون وقومه أئمة في الكفر والطغيان لمن عمل مثل عملهم وسلك طريقهم في الاستكبار عن دعوة الله وتكذيب رسله ﴿وَيَوْمَ الْقِيَمَةِ لَا يُنْصَرُونَ﴾ أي: لن يجدوا يوم القيامة ولما يوالاهم أو ناصرهم

(١) سورة الزخرف الآية ٥٤ .

(٢) سورة غافر الآية ٤٦ .

يُنصِرُهُمْ ﴿١٠﴾ وَاتَّبَعَتْهُمْ فِي هَذِهِ الدُّنْيَا لَعْنَةٌ ﴿١١﴾ أَي: وزيادة على عذابهم في الآخرة أتبعهم الله لعنة يلعنهم المؤمنون جزاء جحودهم ربوبية الله وألوهيته ﴿١٢﴾ وَيَوْمَ الْقِيَمَةِ هُمْ مِنَ الْمَقْبُوحِينَ ﴿١٣﴾ أَي: المبعدين من رحمة الله بما أصابهم من غضبه ومقته.

﴿١٤﴾ وَلَقَدْ آتَيْنَا مُوسَى الْكِتَابَ ﴿١٥﴾ المراد به التوراة ﴿١٦﴾ مِنْ بَعْدِ مَا أَهْلَكْنَا الْقُرُونَ الْأُولَى ﴿١٧﴾ أَي: بعد أن أهلكنا الأمم السابقة من قوم نوح وعاد وثمود وغيرهم ممن كذبوا رسلهم ﴿١٨﴾ بِصَايِرَ لِلنَّاسِ ﴿١٩﴾ أَي: ضياءاً للذين أرسل إليهم وهم بنو إسرائيل ﴿٢٠﴾ وَهَدَىٰ وَرَحْمَةً ﴿٢١﴾ لِمَن يُوْمَنُ وَيَعْمَلُ بِهِ مِنْهُمْ ﴿٢٢﴾ لَعَلَّهُمْ يَتَذَكَّرُونَ ﴿٢٣﴾ أَي: يعرفون أن هذا الكتاب بصيرة لهم من العمى وهدى ورحمة لهم من الضلال، إن هم آمنوا وصدقوا وعملوا بما فيه ولكنهم للأسف لم يفعلوا فغضب الله عليهم.

أحكام ومسائل الآيات:

في هذه الآيات: تقرير أن فرعون يعترف في نفسه بربوبية الله كما قال الله عز وجل ﴿٢٤﴾ وَجَحِّدُوا بِهَا وَاسْتَيْقِنَتْهَا أَنْفُسُهُمْ ظُلُمًا وَعُلوًّا ﴿٢٥﴾ (١). وما منع فرعون من الاعتراف بربوبية الله علانية وتصديق موسى إلا الطغيان والضلال، وخشيته من أن ينقلب عليه قومه فيضيع ملكه.

وفيها: تقرير سفاهة الطغاة وافتراءهم على أمهم والتلبيس عليهم بزعمهم القدرة كما فعل فرعون من أمر وزيره هامان ببناء يطلع منه إلى الله (تعالى الله عما يقول الظالمون علوا كبيرا). وفيها: الحكم بأن مصير الطغاة والظلمة الهلاك. وفيها: أن الطغاة والظلمة يكونون أئمة لمن يصدقهم ويتبعهم فتكون أوزارهم مضاعفة كما قال عز وجل ﴿وَلِيَحْمِلُوا أَثْقَالَهُمْ وَأَثْقَالًا مَعَ أَثْقَالِهِمْ وَلَيَسَّ لُنَّ يَوْمَ الْقِيَمَةِ عَمَّا كَانُوا يَفْتَرُونَ﴾^(١).

﴿وَمَا كُنْتَ بِجَانِبِ الْغَرْبِيِّ إِذْ قَضَيْنَا إِلَى مُوسَى الْأَمْرَ وَمَا كُنْتَ مِنَ الشَّاهِدِينَ﴾^(٤٤) وَلَكِنَّا أَنشَأْنَا قُرُونًا فَتَطَاوَلَ عَلَيْهِمُ الْعُمُرُ وَمَا كُنْتَ ثَاوِيًا فِي أَهْلِ مَدْيَنَ تَتْلُو عَلَيْهِمْ آيَاتِنَا وَلَكِنَّا كُنَّا مُرْسِلِينَ ﴿٤٥﴾ وَمَا كُنْتَ بِجَانِبِ الطُّورِ إِذْ نَادَيْنَا وَلَكِنْ رَحْمَةً مِّن رَّبِّكَ لِتُنذِرَ قَوْمًا مَّا أَتَتْهُمْ مِّن نَّذِيرٍ مِّن قَبْلِكَ لَعَلَّهُمْ يَتَذَكَّرُونَ ﴿٤٦﴾ وَلَوْلَا أَن تُصِيبَهُم مُُّصِيبَةٌ يَمَّا قَدَّمْتُ أَيْدِيَهُمْ فَيَقُولُوا رَبَّنَا لَوْلَا أَرْسَلْتَ إِلَيْنَا رَسُولًا فَنَتَّبِعَ آيَاتِكَ وَنَكُونُ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ ﴿٤٧﴾

بيان الآيات:

﴿وَمَا كُنْتَ بِجَانِبِ الْغَرْبِيِّ﴾ أي: ما كنت يا محمد بجانب الطور

الغربي ﴿إِذْ قَضَيْنَا إِلَى مُوسَى الْأَمْرَ﴾ أي: حين قضائنا له وهو إرساله بالرسالة إلى فرعون وقومه ﴿وَمَا كُنْتَ مِنَ الشَّاهِدِينَ﴾ أي: ما كنت شاهدا على ما حدث لموسى، ولكننا أخبرناك بما جرى له. ولما كان المشركون يقولون: إن رسالة محمد ﷺ حادثة ولم تكن قد سبقتها رسالة إلى آبائهم، بين الله أنه أرسل موسى على حين فترة من الرسل بعد هلاك الأمم السابقة من قوم نوح وهود وصالح ولوط، وقد نشأ بعد موسى أقوام طالت بهم الحياة فنسوا دين الله واندرست معالمه فكانت بعثة محمد ﷺ ورسالته تدعو إلى عبادة الله وحده والبراءة من الشرك به وهو معنى قوله عز وجل ﴿وَلَكِنَّا أَنْشَأْنَا قُرُونًا فَتَطَاوَلَ عَلَيْهِمُ الْعُمُرُ﴾ أي: طالت بهم الحياة فنسوا أحكام الله فأنزلنا عليك الذكر لإبلاغ رسالتنا وقصصنا عليك خبر موسى ﴿وَمَا كُنْتَ ثَاوِيًا فِي أَهْلِ مَدْيَنَ تَتْلُو عَلَيْهِمْ آيَاتِنَا﴾ أي: لم تكن يا محمد مقيما في مدين حتى تعرف قصة موسى مع شعيب ﴿وَلَكِنَّا كُنَّا مُرْسِلِينَ﴾ والمراد أنك عرفت ما حدث لموسى وإجارته مع شعيب وإقامته عشر سنين مدة هذه الإجارة ولم يكن في مقدورك أن تعرف هذا إلا لأنك رسول من عندنا قصصنا عليك ما حدث.

﴿وَمَا كُنْتَ بِجَانِبِ الطُّورِ إِذْ نَادَيْنَا﴾ أي: حين نادينا موسى وبعثناه إلى فرعون وقومه يبلغهم رسالتنا وهي عبادة الله وحده لا

شريك له، ولأنك لم تكن بجانب الطور حين نادينا موسى ولم يكن في إمكانك أن تعرف ما حدث إلا بعد أن أوحينا إليك به فكان ذلك دليلاً على رسالتك ﴿وَلَكِنْ رَحْمَةٌ مِّن رَّبِّكَ لِتُنذِرَ قَوْمًا مَّا أَتَتْهُمْ مِّن نَّذِيرٍ مِّن قَبْلِكَ﴾ فكانت رسالتك القاطعة رحمة من ربك لكي تنذر قومك؛ لأنه لم يسبق أن جاءهم نذير من قبلك ﴿لَعَلَّهُمْ يَتَذَكَّرُونَ﴾ ماجئت به إليهم ليكون في ذلك خيرهم في الدنيا والآخرة.

﴿وَلَوْلَا أَن تُصِيبَهُمْ مُّصِيبَةٌ بِمَا قَدَّمَتْ أَيْدِيهِمْ فَيَقُولُوا رَبَّنَا لَوْلَا أَرْسَلْتَ إِلَيْنَا رَسُولًا﴾ أي: وكما كان إرسالك رحمة لهم فهو حجة قاطعة عليهم إذا جاءهم العذاب فلا يقولون حينئذ لم يأتنا رسول يبلغنا ما يجب علينا أن نأتمر به وينهانا عما يجب أن ننتهي عنه وهو معنى قولهم ﴿فَتَتَّبِعْ آيَاتِنَا وَنَكُونُ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ﴾.

أحكام ومسائل الآيات:

في هذه الآيات: الحكم بقطعية نبوة ورسالة رسول الله محمد ﷺ فقد أوحى الله إليه أخبار وقصص الأنبياء والأمم التي لم يكن شاهداً أو حاضراً لها كما قال عز وجل ﴿تِلْكَ مِنْ أَنْبَاءِ الْغَيْبِ نُوحِيهَا إِلَيْكَ مَا كُنْتَ تَعْلَمُهَا أَنْتَ وَلَا قَوْمُكَ مِنْ قَبْلِ هَذَا﴾ (١). وقوله ﴿وَمَا كُنْتَ لَدَيْهِمْ إِذْ يُلْقُونَ أَقْلَامَهُمْ أَيُّهُمْ يَكْفُلُ مَرِيماً وَمَا كُنْتَ لَدَيْهِمْ

إِذْ يَخْصِمُونَ ﴿١﴾. وفيها: أن نبوته ورسالته عليه الصلاة والسلام كانت في وقت اندرست فيه معالم الدين، وساد فيه الجهل وعم البلاء فبعثه الله رحمة للعالمين كما قال عز وجل ﴿وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلَّا رَحْمَةً لِّلْعَالَمِينَ﴾ ﴿٢﴾. وفيها: أن الغاية من إرسال الرسل إلى العباد ومنهم محمد ﷺ هي دعوتهم إلى الهداية، فإن آمنوا فقد اهتدوا وإن تولوا قامت الحجة عليهم بما قد يصيبهم من عذاب الله.

﴿فَلَمَّا جَاءَهُمُ الْحَقُّ مِنْ عِنْدِنَا قَالُوا لَوْلَا أُوتِيَ مِثْلَ مَا أُوتِيَ مُوسَىٰ أَوَلَمْ يَكْفُرُوا بِمَا أُوتِيَ مُوسَىٰ مِنْ قَبْلُ قَالُوا سِحْرَانِ تَظَاهَرَا وَقَالُوا إِنَّا بِكُلِّ كَافِرُونَ ﴿٤٨﴾ قُلْ فَأْتُوا بِكِتَابٍ مِّنْ عِنْدِ اللَّهِ هُوَ أَهْدَىٰ مِنْهُمَا أَتَّبِعُهُ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ ﴿٤٩﴾ فَإِنْ لَّمْ يَسْتَجِيبُوا لَكَ فَاعْلَمْ أَنَّمَا يَتَّبِعُونَ أَهْوَاءَهُمْ وَمَنْ أَضَلُّ مِمَّنْ اتَّبَعَ هَوَاهُ بِغَيْرِ هُدًى مِّنَ اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ ﴿٥٠﴾﴾ وَلَقَدْ وَصَّلْنَا لَهُمُ الْقَوْلَ لَعَلَّهُمْ يَتَذَكَّرُونَ ﴿٥١﴾﴾

بين الآيات:

﴿فَلَمَّا جَاءَهُمُ الْحَقُّ مِنْ عِنْدِنَا﴾ لما بين الله حال المشركين الذين سيحتجون إذا جاءهم العذاب بأنه لم يأتهم رسول قال عز ذكره إنه

(١) سورة آل عمران من الآية ٤٤ .

(٢) سورة الأنبياء الآية ١٠٧ .

لما جاءهم الحق وهو محمد ﷺ يحمل رسالة الله ويبلغهم إياها قالوا ﴿لَوْلَا أُوتِيَ مِثْلَ مَا أُوتِيَ مُوسَى﴾ و مرادهم أن يكون له مثل الآيات التي كانت لموسى وهي العصا واليد وإغراق فرعون في البحر حتى نؤمن به ونصدقّه، وقد رد الله عليهم حجّتهم الكاذبة؛ ذلك أن كفار قريش لما بدأ الناس يدخلون في دين الله أفواجا وعرفوا أن صفة رسول الله ﷺ قد وردت في التوراة وأنه رسول من عند الله فزعوا فكذبوا التوراة وقالوا: إن التوراة والقرآن تعاونا على السحر وفي ذلك قال الله عز وجل ﴿أَوَلَمْ يَكْفُرُوا بِمَا أُوتِيَ مُوسَى مِنْ قَبْلُ قَالُوا سِحْرَانِ تَظَاهَرَا وَقَالُوا إِنَّا بِكُلِّ كَافِرُونَ﴾.

﴿قُلْ فَأَتُوا بِكِتَابٍ مِّنْ عِندِ اللَّهِ هُوَ أَهْدَىٰ مِمَّامَا اتَّبَعْتُمْ إِن كُنْتُمْ صَادِقِينَ﴾ أي: قل لهم هاتوا كتاباً من عند الله أهدى من التوراة والقرآن أتبعه إن كنتم صادقين والله يعلم أنهم أعجز وأضعف من أن يفعلوا ذلك ﴿فَإِنْ لَّمْ يَسْتَجِيبُوا لَكَ﴾ أي: لم يأتوا بكتاب مثلهما وهذا مؤكد ﴿فَاعْلَمْ أَنَّمَا يُتَّبَعُونَ أَهْوَاءَهُمْ﴾ أي: ليس لديهم حجة ولا برهان وإنما يتبعون أهواءهم التي سولها لهم الشيطان ليضلهم ﴿وَمَنْ أَضَلُّ مِمَّنْ اتَّبَعَ هَوَاهُ بِغَيْرِ هُدًى مِّنَ اللَّهِ﴾ أي: ليس ثمة أضل وأعمى ممن يتبع هواه ﴿إِنَّ اللَّهَ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ﴾ أي: لا يدلهم على سبيل الهدى والرشاد

بسبب ظلمهم وكفرهم ﴿وَلَقَدْ وَصَّلْنَا لَهُمُ الْقَوْلَ﴾ أي: فصلنا للمشركين من كفار قريش أخبار من سبقوهم من الامم ومن نُجِّيَ منهم بسبب إيمانه واتباع ما جاء به رسوله ومن هلك منهم؛ بسبب كفره وتكذيبه لرسوله. ﴿لَعَلَّهُمْ يَنْذَكُرُونَ﴾ أي: يتعظون بما سمعوه فيؤمنوا بالله ويتقوه.

أحكام ومسائل الآيات:

في هذه الآيات: تقرير أن المشركين المكذبين لرسول الله يكفرون بالكتب المنزلة. وفيها: أنهم أعجز وأضعف من أن يأتوا بمثلها كما قال عز وجل ﴿قُلْ لِّئِنْ أَجْتَمَعَتِ الْإِنْسُ وَالْجِنُّ عَلَى أَنْ يَأْتُوا بِمِثْلِ هَذَا الْقُرْآنِ لَا يَأْتُونَ بِمِثْلِهِ وَلَوْ كَانَ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ ظَهِيرًا﴾^(١). وفيها: أن المشركين والكافرين إنما يتبعون أهواءهم، وأنه ليس هناك أضل وأعمى ممن يتبع هواه كما قال عز وجل ﴿أَفَرَأَيْتَ مَنْ اتَّخَذَ إِلَهَهُ هَوَاهُ وَأَضَلَّهُ اللَّهُ عَلَى عِلْمٍ وَخَتَمَ عَلَى سَمْعِهِ وَقَلْبِهِ وَجَعَلَ عَلَى بَصَرِهِ غِشَاوَةً فَمَنْ يَهْدِيهِ مِنْ بَعْدِ اللَّهِ﴾^(٢). وفيها: الحكم بأن الله فصل للمشركين أخبار الأمم الماضية وما أصاب بعضها من الهلاك بسبب تكذيبهم لرسولهم لعلمهم يعتبرون.

(١) سورة الإسراء الآية ٨٨ .

(٢) سورة الجاثية من الآية ٢٣ .

﴿الَّذِينَ آمَنَتْهُمْ أَكْتَبَ مِنْ قَبْلِهِ هُمْ بِهِ يُؤْمِنُونَ﴾ ٥٢ ﴿وَإِذَا يُنْزِلُ عَلَيْهِمْ قَالُوا آمَنَّا بِهِ إِنَّهُ الْحَقُّ مِنْ رَبِّنَا إِنَّا كُنَّا مِنْ قَبْلِهِ مُسْلِمِينَ﴾ ٥٣ ﴿أُولَئِكَ يُؤْتَوْنَ أَجْرَهُمْ مَرَّتَيْنِ بِمَا صَبَرُوا وَيَدْرُءُونَ بِالْحَسَنَةِ السَّيِّئَةَ وَمِمَّا رَزَقْنَاهُمْ يُفْسِقُونَ﴾ ٥٤ ﴿وَإِذَا سَمِعُوا اللَّغْوَ أَعْرَضُوا عَنْهُ وَقَالُوا لَنَا أَعْمَلُنَا وَلَكُمْ أَعْمَلُكُمْ سَلَمٌ عَلَيْكُمْ لَا نَبْغِي الْجَاهِلِينَ﴾ ٥٥ ﴿

بيان الآيات:

﴿الَّذِينَ آمَنَتْهُمْ أَكْتَبَ مِنْ قَبْلِهِ هُمْ بِهِ يُؤْمِنُونَ﴾ المراد أن الذين أوتوا التوراة فآمنوا بها وصدقوها ولم يبدلوا يؤمنون بالقرآن ويصدقونه ﴿وَإِذَا يُنْزِلُ عَلَيْهِمْ قَالُوا آمَنَّا بِهِ إِنَّهُ الْحَقُّ مِنْ رَبِّنَا﴾ أي إذا قرئ عليهم قالوا: آمنا به أي: صدقناه كما أنزل من ربنا ﴿إِنَّا كُنَّا مِنْ قَبْلِهِ مُسْلِمِينَ﴾ أي: كنا قبل نزوله مسلمين لله بقلوبنا وجوارحنا. وقيل في سبب نزول هذه الآية: أن النجاشي لما بعث سبعين من القساوسة إلى رسول الله ﷺ قرأ عليهم ﴿يَس﴾ (١) ﴿وَالْقُرْآنَ الْحَكِيمَ﴾ (٢) حتى أتمها فجعلوا يبكون ثم أسلموا (٣).

﴿أُولَئِكَ يُؤْتَوْنَ أَجْرَهُمْ مَرَّتَيْنِ بِمَا صَبَرُوا﴾ أي: كتب الله لهم هذا

(١) سورة يس الآية ١.

(٢) سورة يس الآية ٢.

(٣) تفسير القرآن العظيم لابن كثير ج ٣ ص ٢٨٠.

الأجر المضاعف بما صبروا؛ لأنهم آمنوا بما أنزل من الكتاب التوراة والإنجيل قبل القرآن ثم لما نزل القرآن آمنوا به كما فعل عبد الله بن سلام وغيره من أهل الكتاب الذين آمنوا برسالة رسول الله ﷺ وبما جاء به ﴿وَيَذَرُونَ بِالْحَسَنَةِ السَّيِّئَةَ﴾ أي: من صفات هؤلاء أنهم يعفون ويتسامحون في تعاملهم فلا يقابلون السيئة بالسيئة، وإنما يقابلون السيئة بالحسنة ﴿وَمِمَّا رَزَقْنَاهُمْ يُنفِقُونَ﴾ أي: لا يبخلون بما آتاهم من المال على أهلهم وأقاربهم وعلى المحاييج من المسلمين ﴿وَإِذَا سَمِعُوا اللَّغْوَ أَعْرَضُوا عَنْهُ﴾ أي: يعرضون عن الكلام الذي لا فائدة منه مما يكون مدعاة للقول الباطل ﴿وَقَالُوا لَنَا أَعْمَلْنَا وَلَكُمْ أَعْمَلُكُمْ سَلَمٌ عَلَيْكُمْ لَا نَبْنِئُ الْجَاهِلِينَ﴾ أي: إذا تعرض لهم أحد بسفه أو جهل أعرضوا عنه، فلم يقابلوا سوءه بسوء، بل يعاملونه بالكلمة الطيبة ويقولون له إننا لا نتحدث ولا نتعامل مع الجاهلين.

أحكام ومسائل الآيات:

في هذه الآيات: تقرير فضل الكتابي الذي يؤمن بنبيه ويؤمن بمحمد ﷺ. وفي حديث أبي موسى الأشعري: أن رسول الله ﷺ قال: (ثلاثة يؤتون أجرهم مرتين .. ومؤمن من أهل الكتاب الذي كان مؤمناً ثم آمن بالنبي ﷺ) الحديث^(١). وفيها: تقرير فضل الصبر كما قال

(١) صحيح البخاري مع فتح الباري ج ٦ ص ١٦٩، كتاب الجهاد والسير، باب فضل من أسلم من أهل الكتابين، برقم (٣٠١١).

عزوجل ﴿وَبَشِّرِ الصَّابِرِينَ﴾^(١). وفيها: فضل مقابلة السيئة بالحسنة كما قال تعالى ﴿وَلَا تَسْتَوِ الْحَسَنَةُ وَلَا السَّيِّئَةُ ادْفَعْ بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ فَإِذَا الَّذِي بَيْنَكَ وَبَيْنَهُ عَدَاوَةٌ كَأَنَّهُ وَلِيٌّ حَمِيمٌ﴾^(٢). وما يُلقَّها إِلَّا الَّذِينَ صَبَرُوا وما يُلقَّها إِلَّا الَّذِينَ صَبَرُوا وَحَظٌّ عَظِيمٌ^(٣). وفيها: فضل النفقة من المال الحلال على الأهل والأقارب والمساكين ومحاييغ المسلمين. وفيها: وجوب الإعراض عن أهل اللغو وعدم التعامل مع السفهاء والجاهلين كما قال عز وجل في وصف المؤمنين ﴿وَإِذَا مَرُّوا بِاللَّغْوِ مَرُّوا كِرَامًا﴾^(٤). وقوله ﴿وَإِذَا خَاطَبَهُمُ الْجَاهِلُونَ قَالُوا سَلَامًا﴾^(٥).

﴿إِنَّكَ لَا تَهْدِي مَنْ أَحْبَبْتَ وَلَكِنَّ اللَّهَ يَهْدِي مَنْ يَشَاءُ وَهُوَ أَعْلَمُ بِالْمُهْتَدِينَ﴾^(٦) وقالوا إِنْ تَتَّبِعِ الْهُدَى مَعَكَ نُخَاطِفُ مِنْ أَرْضِنَا أَوْلَمْ نُمْكِنْ لَهُمْ حَرَمًا آمِنًا يُجْبَى إِلَيْهِ ثَمَرَاتُ كُلِّ شَيْءٍ رِزْقًا مِنْ لَدُنَّا وَلَكِنَّ أَكْثَرَهُمْ لَا يَعْلَمُونَ^(٧) وَكَمْ أَهْلَكْنَا مِنْ قَرْيَةٍ بَطَرَتْ مَعِيشَتَهَا فَإِنَّكَ مَسْكِنُهُمْ لَمْ تُسْكِنْ مِنْ بَعْدِهِمْ

(١) سورة البقرة من الآية ١٥٥ .

(٢) سورة فصلت الآية ٣٤ .

(٣) سورة فصلت الآية ٣٥ .

(٤) سورة الفرقان من الآية ٧٢ .

(٥) سورة الفرقان من الآية ٦٣ .

إِلَّا قَلِيلًا وَكُنَّا نَحْنُ الْوَارِثِينَ ﴿٥٨﴾ وَمَا كَانَ رَبُّكَ مُهْلِكَ الْقُرَىٰ
حَتَّىٰ يَبْعَثَ فِي أُمَمٍ رَّسُولًا يَتْلُوا عَلَيْهِمْ ءَايَاتِنَا وَمَا كُنَّا مُهْلِكِي
الْقُرَىٰ إِلَّا وَأَهْلُهَا ظَالِمُونَ ﴿٥٩﴾

بيان الآيات:

﴿إِنَّكَ لَا تَهْدِي مَنْ أَحْبَبْتَ﴾ الخطاب لرسول الله ﷺ والمراد
إنك لا تستطيع أن تهدي إلى الحق من تحب، وإن الذي عليك هو
البلاغ له وقد نزلت هذه الآية - كما سبق ذكره - في عم رسول الله ﷺ
أبي طالب فلما حضرته الوفاة جاءه رسول الله ﷺ فوجد عنده أبا
جهل بن هشام وعبد الله بن أبي أمية بن المغيرة فقال رسول الله
ﷺ: (يا عم قل لا إله إلا الله كلمة أحاج لك بها عند الله) فقال أبو
جهل وعبد الله بن أبي أمية: يا أبا طالب أترغب عن ملة عبدالمطلب؟
فلم يزل رسول الله ﷺ يعرض عليه الشهادة ويقولان له نفس
مقولتهما، فأطاعهما وأبى أن ينطق بالشهادة فقال رسول الله ﷺ:
(والله لأستغفرن لك ما لم أنه عنك) فنزل عليه قول الله تعالى ﴿مَا
كَانَ لِلنَّبِيِّ وَالَّذِينَ ءَامَنُوا أَنْ يَسْتَغْفِرُوا لِلْمُشْرِكِينَ وَلَوْ كَانُوا
أُولَىٰ قُرْبَىٰ﴾ (١). كما أنزل قوله تعالى هذه الآية ﴿إِنَّكَ لَا تَهْدِي
مَنْ أَحْبَبْتَ﴾.

(١) أسباب نزول القرآن للواحدي ص ٥٤١، والآية في سورة التوبة من الآية ١١٣.

﴿وَلَكِنَّ اللَّهَ يَهْدِي مَنْ يَشَاءُ﴾ أي: هو الذي يهدي من يشاء من عباده ﴿وَهُوَ أَعْلَمُ بِالْمُهْتَدِينَ﴾ أي: هو العليم بمن يتبع الحق فيهديه ومن يتبع الباطل فيضله ﴿وَقَالُوا إِن نَّتَّبِعِ الْهُدَى مَعَكَ نُخْطَفُ مِنْ أَرْضِنَا﴾ أي: قال الكفار معتذرين لرسول الله ﷺ عن عدم إيمانهم قائلين بأننا نخشى على أنفسنا إذا آمنا؛ لأن العرب المشركين سوف يؤذوننا ويكيدون لنا ويخطفوننا من أرضنا وقد كذبهم الله بقوله عز ذكره ﴿أَوَلَمْ نُمَكِّنْ لَهُمْ حَرَمًا آمِنًا﴾ أي: أنهم لم يكونوا صادقين؛ لأن الله حرم البلد الذي يقيمون فيه وهو مكة ﴿يُجْبَىٰ إِلَيْهِ ثَمَرَاتُ كُلِّ شَيْءٍ﴾ أي: يحمل إليه من كل الثمرات التي تنبت في الأرض التي حوله ﴿رِزْقًا مِّن لَّدُنَّا﴾ أي: رزقا لأهله من عندنا ﴿وَلَكِنَّ أَكْثَرَهُمْ لَا يَعْلَمُونَ﴾ أي: لا يعرفون الحق ولو عرفوه لما عملوا به، ولهذا قالوا مقالتهم التي يعتذرون بها وهم كاذبون ﴿وَكَمْ أَهْلَكْنَا مِن قَرْيَةٍ بَطَرَتْ مَعِشَتَهَا﴾ أي: لقد أهلكنا كثيرا من الأمم التي أنعم الله عليها بنعمه مثل عاد وثمود ثم كفرت بهذه النعم ﴿فَلَيْكَ مَسْكِنُهُمْ لَّمْ تُمْسِكْ مِنْ بَعْدِهِمْ إِلَّا قَلِيلًا﴾ أي: وبسبب هلاكهم بادت ديارهم فلم تبق إلا أثارها لتكون عبرة للمؤمنين ﴿وَكُنَّا نَحْنُ الْوَارِثِينَ﴾ أي: نرث الأرض ومن عليها.

﴿وَمَا كَانَ رَبُّكَ مُهْلِكَ الْقُرَىٰ حَتَّىٰ يَبْعَثَ فِي أُمِّهَا﴾ أي: ما كان

ربك يا محمد ليهلك أهل القرى والمراد بهم الأمم حتى يبعث في أمها
 أي: مكة ﴿رَسُولًا يَتْلُوا عَلَيْهِمْ آيَاتِنَا﴾ والمراد به رسول الله ﷺ
 فقد بعثه الله من مكة وأنزل عليه القرآن ليتلوه على العباد لكي
 يؤمنوا بالله وحده ويتبرؤوا من الشرك به ﴿وَمَا كُنَّا مُهْلِكِي
 الْقُرَى إِلَّا وَأَهْلُهَا ظَالِمُونَ﴾ أي: إن الله لم ولن يهلك أهل
 بلد إلا بسبب ظلمهم.

أحكام ومسائل الآيات:

الحكم بأنه لا أحد يستطيع، سواء كان ملكاً مقرباً أو نبياً مرسلًا
 أن يهدي أحداً إلا إذا كان الله قد هداه كما قال تعالى ﴿لَيْسَ عَلَيْكَ
 هُدَاهُمْ وَلَٰكِنَّ اللَّهَ يَهْدِي مَنْ يَشَاءُ﴾^(١). وفيها: الحكم بأن الله
 حرم مكة فجعلها حرماً آمناً وامتن على أهلها بنعمه بحيث تأتيهم
 أرزاقهم من كل مكان كما قال على لسان نبيه إبراهيم ﴿وَإِذْ قَالَ
 إِبْرَاهِيمُ رَبِّ اجْعَلْ هَذَا بَلَدًا آمِنًا وَارْزُقْ أَهْلَهُ، مِنَ الثَّمَرَاتِ مَنْ آمَنَ
 مِنْهُمْ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ﴾ الآية^(٢). وفيها: الحكم بأن الله يهلك الأمم
 التي ينعم عليها فتكفر بنعمه كما قال عز وجل ﴿وَضَرَبَ اللَّهُ مَثَلًا
 قَرْيَةً كَانَتْ آمِنَةً مُطْمَئِنَّةً يَأْتِيهَا رِزْقُهَا رَغَدًا مِنْ كُلِّ مَكَانٍ

(١) سورة البقرة من الآية ٢٧٢ .

(٢) سورة البقرة من الآية ١٢٦ .

فَكَفَرْتُ بِأَنْعَمِ اللَّهِ فَأَذَقَهَا اللَّهُ لِبَاسَ الْجُوعِ وَالْخَوْفِ بِمَا كَانُوا يَصْنَعُونَ ﴿١﴾. وفيها: الحكم بأن الله لا يهلك أمة إلا إذا كانت ظالمة؛ لأنه عز وجل حرم على نفسه الظلم، وحرمه على عباده بقوله في الحديث القدسي: (يا عبادي إني حرمت الظلم على نفسي وجعلته بينكم محرماً فلا تظالموا) (٢).

﴿وَمَا أُوتِيتُمْ مِنْ شَيْءٍ فَمَتَّعُ الْحَيَاةَ الدُّنْيَا وَزَيَّنْتُهَا وَمَا عِنْدَ اللَّهِ خَيْرٌ وَأَبْقَى أَفَلَا تَعْقِلُونَ﴾ ﴿٦٥﴾ أَفَمَنْ وَعَدْنَاهُ وَعْداً حَسَناً فَهُوَ لَعِينٌ لَهُ كَأَنَّمَتَّعْنَاهُ مَتَّعْنَاهُ مَتَّعُ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا ثُمَّ هُوَ يَوْمُ الْقِيَمَةِ مِنَ الْمُخْضَرِينَ ﴿٦٦﴾.

بيان الآيتين:

﴿وَمَا أُوتِيتُمْ مِنْ شَيْءٍ فَمَتَّعُ الْحَيَاةَ الدُّنْيَا وَزَيَّنْتُهَا﴾ أي: إن ما تتناولونه في الدنيا من المال أو الجاه أو الولد ما هو إلا متاع دنيوي سرعان ما يزول؛ أما الذي يبقى ولا يزول فهو العمل الصالح الذي يدخر لصاحبه في الآخرة فيتنعم به أبد الأبدين وهو معنى قوله عز وجل ﴿وَمَا عِنْدَ اللَّهِ خَيْرٌ وَأَبْقَى﴾ قوله ﴿أَفَلَا تَعْقِلُونَ﴾ أي: أفلا تتفكرون في أمر الدنيا وزوالها فتعملون للآخرة ﴿أَفَمَنْ وَعَدْنَاهُ

(١) سورة النحل الآية ١١٢.

(٢) صحيح مسلم بشرح النووي ج ١٠ ص ٦٥٩٢ ، كتاب البر والصلة ، باب تحريم الظلم ، برقم (٢٥٧٧).

وَعَدًا حَسَنًا فَهُوَ لِقَائِهِ كَمَنْ مَنَعْنَاهُ مَتَعَ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا ﴿١٦﴾ هذا استفهام إنكاري مفاده هل يتساوى من كان مؤمناً صادقاً في إيمانه مصداقاً بوعده الله له بوعده الحسن وهو الجنة بمن كان كافراً مكذباً ببقاء الله؟ ﴿١٧﴾ ثُمَّ هُوَ يَوْمَ الْقِيَمَةِ مِنَ الْمُحْضَرِينَ ﴿١٨﴾ للحساب والجزاء فيجد أنه ليس له عمل صالح يشفع له عند الله فيكون مصيره العذاب والجواب أن هذا وذاك لا يتماثلان ولا يتساويان من قريب أو بعيد.

أحكام ومسائل الآيتين:

في هاتين الآيتين: تقرير عدم التساوي بين زينة الحياة الدنيا الفانية وبين خير الآخرة الباقية كما قال عز وجل ﴿بَلْ تُؤْثِرُونَ الْحَيَاةَ الدُّنْيَا﴾ (١). ﴿وَالْآخِرَةُ خَيْرٌ وَأَبْقَى﴾ (٢). وقال رسول الله ﷺ: (والله ما الدنيا في الآخرة إلا مثل ما يجعل أحدكم إصبعه في اليم فلينظر بم رجع إليه) (٣). وفيهما: تقرير أن من آتاه الله عقلاً وجب عليه أن يتدبر به لكي يفرق بين ما ينفعه وما يضره.

﴿يَوْمَ يُنَادِيهِمْ فَيَقُولُ أَيْنَ شُرَكَائِيَ الَّذِينَ كُنْتُمْ تَزْعُمُونَ﴾
 قَالَ الَّذِينَ حَقَّ عَلَيْهِمُ الْقَوْلُ رَبَّنَا هَؤُلَاءِ الَّذِينَ أَغْوَيْنَاهُمْ كَمَا غَوَيْنَا

(١) سورة الأعلى الآية ١٦.

(٢) سورة الأعلى الآية ١٧.

(٣) صحيح مسلم بشرح النووي ج ١١ ص ٦٨٠، كتاب صفة الجنة، باب فناء الدنيا وبيان الحشر

يوم القيامة، برقم (٢٨٥٨).

تَبَرَّأْنَا إِلَيْكَ مَا كَانُوا إِيَّانَا يَعْبُدُونَ ﴿٦٣﴾ وَقِيلَ ادْعُوا شُرَكَاءَكُمْ فَدَعَوْهُمْ فَلَمْ يَسْتَجِيبُوا لَهُمْ وَرَأَوُا الْعَذَابَ لَوْ أَنَّهُمْ كَانُوا يَهْتَدُونَ ﴿٦٤﴾ وَيَوْمَ يُنَادِيهِمْ فَيَقُولُ مَاذَا أَجَبْتُمُ الْمُرْسَلِينَ ﴿٦٥﴾ فَعَمِيَتْ عَلَيْهِمُ الْأَنْبَاءُ يَوْمَئِذٍ فَهُمْ لَا يَتَسَاءَلُونَ ﴿٦٦﴾ فَأَمَّا مَنْ تَابَ وَآمَنَ وَعَمِلَ صَالِحًا فَعَسَىٰ أَن يَكُونَ مِنَ الْمُفْلِحِينَ ﴿٦٧﴾

بيان الآيات:

﴿وَيَوْمَ يُنَادِيهِمْ فَيَقُولُ أَيُّ شُرَكَائِيَ الَّذِينَ كُنْتُمْ تَزْعُمُونَ﴾ لما بين الله حال من تمتع في الحياة الدنيا وترك الآخرة وأحضر يوم القيامة للجزاء بين أنه يوم القيامة ينادى المشركين والكفار نداء توبيخ وتقريع فيسألهم عز وجل عن الأوثان والأصنام التي كانوا يعبدونها من دون الله وما إذا كانت تنفعهم في ذلك اليوم.

﴿قَالَ الَّذِينَ حَقَّ عَلَيْهِمُ الْقَوْلُ﴾ المراد بهم أئمة الكفر والضلال ﴿رَبَّنَا هَؤُلَاءِ الَّذِينَ أَغْوَيْنَا أَغْوَيْنَهُمْ كَمَا غَوَيْنَا﴾ أي: يقول أئمة الضلال إننا ضللنا أنفسنا وأضللنا غيرنا فاتبعونا طواغية منهم ﴿تَبَرَّأْنَا إِلَيْكَ مَا كَانُوا إِيَّانَا يَعْبُدُونَ﴾ ونحن نتبرأ اليوم منهم، لأنهم لم يكونوا يعبدوننا ﴿وَقِيلَ ادْعُوا شُرَكَاءَكُمْ﴾ أي يقال للمشركين على وجه الاستهزاء بهم: ادعوا من كنتم تعبدونهم من دون الله

﴿فَدَعَوْهُمْ﴾ أي: نادوهم ﴿فَلَمْ يَسْتَجِيبُوا لَهُمْ﴾ لأن من المستحيل عليهم أن يفعلوا ذلك ﴿وَرَأَوْا الْعَذَابَ لَوْ أَنَّهُمْ كَانُوا يَهْتَدُونَ﴾ أي: رأوا النار محيطة بهم، وأن مصيرهم إليها وتمنوا حينئذ أنهم كانوا من المهتدين في الدنيا حتى يسلموا من العذاب وأنى لهم ذلك.

﴿وَيَوْمَ نُنَادِيهِمْ فَيَقُولُ مَاذَا أَجَبْتُمُ الْمُرْسَلِينَ﴾ أي: وفي ذلك اليوم يناديهم الله فيسألهم عما إذا أجابوا المرسلين الذين أرسلوا إليهم ليدلوهم على الحق وينهونهم عن الضلال، وحينئذ لا يستطيعون الجواب كما قال عز وجل ﴿فَعَمِيَّتْ عَلَيْهِمُ الْأَنْبَاءُ يَوْمَئِذٍ فَهُمْ لَا يَتَسَاءَلُونَ﴾ أي: عمي عليهم الجواب عن السؤال ولم يستطيعوا التساؤل بينهم حوله؛ لأنهم يعرفون أنهم قد كذبوا رسلهم وادّوهم وكفروا بما جاؤوهم به من عند الله فلم يكن لهم حجة يقولونها.

﴿فَأَمَّا مَنْ تَابَ وَآمَنَ وَعَمِلَ صَالِحًا﴾ أي: إن من تاب في الدنيا و آمن بالله وعمل عملاً صالحاً ﴿فَعَسَىٰ أَن يَكُونَ مِنَ الْمُفْلِحِينَ﴾ أي: تكتب له النجاة من العذاب يوم القيامة وهذا من رحمة الله ولطفه بعباده أنهم إذا تابوا من الشرك والكفر وأخلصوا عملهم لله عفا عن سيئاتهم كما قال عز وجل ﴿قُلْ لِلَّذِينَ كَفَرُوا إِنْ يَنْتَهُوا يُغْفَرْ لَهُمْ مَا قَدْ سَلَفَ﴾ (١).

أحكام ومسائل الآيات:

في هذه الآيات تقرير أن أئمة الكفر والضلال يتبرؤون يوم القيامة من تابعيهم كما قال عز وجل ﴿وَقَالَ الشَّيْطَانُ لَمَّا قُضِيَ الْأَمْرُ إِنَّ اللَّهَ وَعَدَكُمْ وَعْدَ الْحَقِّ وَوَعَدْتُكُمْ فَأَخْلَفْتُكُمْ وَمَا كَانَ لِي عَلَيْكُمْ مِنْ سُلْطَانٍ إِلَّا أَنْ دَعَوْتُكُمْ فَاسْتَجَبْتُمْ لِي فَلَا تَلُمُونِي وَلُومُوا أَنْفُسَكُمْ مَا أَنَا بِمُصْرِخِكُمْ وَمَا أَنْتُمْ بِمُصْرِخِيَّ إِنِّي كَفَرْتُ بِمَا أَشْرَكْتُمُونِ مِنْ قَبْلُ﴾ الآية (١). وقوله ﴿قَالَ الَّذِينَ اسْتَكْبَرُوا لِلَّذِينَ اسْتَضَعِفُوا أَنَحْنُ صَدَدْنَاكُمْ عَنِ الْهُدَىٰ بَعْدَ إِذْ جَاءَكُمْ بَلْ كُنْتُمْ ثَجْرَ مِينَ﴾ (٢). وفيها: تقرير أن المشركين والكفرة ينادون لإحضار من كانوا يعبدونهم، كما ينادون لسؤالهم عن إجابتهم للرسل الذين أرسلوا إليهم فلا يجدون أحدا يجيبهم ممن كانوا يعبدونه، ثم يجدون أنفسهم حيارى عن الجواب عما يسألوا عنه كما قال عز وجل ﴿وَيَوْمَ يَقُولُ نَادُوا شُرَكَاءِيَ الَّذِينَ زَعَمْتُمْ فَدَعَوْهُمْ فَلَمْ يَسْتَجِيبُوا لَهُمْ وَجَعَلْنَا بَيْنَهُم مَّوْبِقًا﴾ (٣). ﴿وَرَاءَ الْمُجَرِّمُونَ النَّارَ فَظَنُّوا أَنَّهُمْ مُوَاقِعُوهَا وَلَمْ يَجِدُوا عَنْهَا مَصْرِفًا﴾ (٤).

(١) سورة إبراهيم من الآية ٢٢ .

(٢) سورة سبأ الآية ٣٢ .

(٣) سورة الكهف الآية ٥٢ .

(٤) سورة الكهف الآية ٥٣ .

﴿وَرَبُّكَ يَخْلُقُ مَا يَشَاءُ وَيَخْتَارُ مَا كَانَ لَهُمُ الْخِيَرَةُ سُبْحَانَ اللَّهِ وَتَعَالَى عَمَّا يُشْرِكُونَ ﴿٦٨﴾ وَرَبُّكَ يَعْلَمُ مَا تُكِنُّ صُدُورُهُمْ وَمَا يُعْلِنُونَ ﴿٦٩﴾ وَهُوَ اللَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ لَهُ الْحَمْدُ فِي الْأُولَى وَالْآخِرَةِ وَلَهُ الْحُكْمُ وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ ﴿٧٠﴾﴾

بيان الآيات:

﴿وَرَبُّكَ يَخْلُقُ مَا يَشَاءُ وَيَخْتَارُ﴾ هذا بيان من الله عز وجل أنه هو الذي يخلق الخلق بمشيئته وإرادته المطلقة، وأنه هو الذي يختار هذا الخلق، فاقضى هذا أن كل الخلق مربوبون وأنهم محكومون بما وضعه لهم من الأحكام والشرائع. ومن هذه الأحكام أنه الإله الذي تجب له العبادة وحده، وأنه ليس للمخلوقين أن يختاروا خالقا يعبدونه غيره كما قال عز ذكره ﴿مَا كَانَ لَهُمُ الْخِيَرَةُ﴾ أي: ليس لهم حق الاختيار بين من يعبدونه، فإن اختاروا غيره لهذه العبادة حق عليهم العذاب، وليس لهم حجة في ذلك؛ لأنه أرسل لهم الرسل الذين بينوا لهم الأحكام وأولها وأعظمها عبادته وحده لا شريك له في ربوبيته ولا في ألوهيته ولا في أسمائه أو صفاته ﴿سُبْحَانَ اللَّهِ وَتَعَالَى عَمَّا يُشْرِكُونَ﴾ أي: تنزهه وتقدس عن الشرك به ﴿وَرَبُّكَ يَعْلَمُ مَا تُكِنُّ صُدُورُهُمْ وَمَا يُعْلِنُونَ﴾ وحقيقة تفرد بالخلق والاختيار والتدبير اقتضت حكما أنه الذي يعلم ما تكنه صدور خلقه وما يعلنونه

﴿وَهُوَ اللَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ لَهُ الْحَمْدُ فِي الْأُولَى وَالْآخِرَةِ﴾ أي: أنه الإله الواحد الأحد الفرد الصمد مستحق الحمد والشكر والتعظيم على ما تفضل به على خلقه من خلقهم وإرسال الرسل إليهم لهدايتهم لما فيه خيرهم ﴿وَلَهُ الْحُكْمُ﴾ أي: هو الذي يقضي بالقضاء النافذ في كل ما يريد ﴿وَالِيَهُ تُرْجَعُونَ﴾ أي: إليه رجوع جميع الخلق يوم القيامة فيجازي كلا منهم بعمله .

أحكام ومسائل الآيات:

في هذه الآيات: الحكم بأنه ليس للخلق الاختيار فيما يريدون أو يرغبون، بل الله هو الذي يخلقهم ويختار لهم ما يشاء من الحياة والموت والرزق والمرض والصحة. كما أنه ليس لهم الحق في اختيار ما يريدون من الشرائع والأحكام، بل الله هو الذي يختار لهم ما يشاء منها؛ لأنه أعرف بأحوالهم وما ينفعهم في دينهم ودنياهم وفي هذا قال عز وجل ﴿وَمَا كَانَ لِمُؤْمِنٍ وَلَا مُؤْمِنَةٍ إِذَا قَضَى اللَّهُ وَرَسُولُهُ أَمْرًا أَنْ يَكُونَ لَهُمُ الْخِيَرَةُ مِنْ أَمْرِهِمْ﴾^(١). وفيها: تقرير أن الحكم لله، فلا حاكم إلا هو، ولا مدبر إلا هو كما قال عز وجل ﴿إِنَّ الْحُكْمَ إِلَّا لِلَّهِ أَمَرَ أَلَّا تَعْبُدُوا إِلَّا إِيَّاهُ ذَلِكَ الدِّينُ الْقَيِّمُ﴾^(٢).

(١) سورة الأحزاب من الآية ٣٦ .

(٢) سورة يوسف من الآية ٤٠ .

﴿قُلْ أَرَأَيْتُمْ إِنْ جَعَلَ اللَّهُ عَلَيْكُمُ اللَّيْلَ سَرْمَدًا إِلَى يَوْمِ الْقِيَمَةِ مَنْ إِلَهُ غَيْرُ اللَّهِ يَأْتِيكُمْ بِضِيَاءٍ ۖ أَفَلَا تَسْمَعُونَ﴾ (٧١) قُلْ أَرَأَيْتُمْ إِنْ جَعَلَ اللَّهُ عَلَيْكُمُ النَّهَارَ سَرْمَدًا إِلَى يَوْمِ الْقِيَمَةِ مَنْ إِلَهُ غَيْرُ اللَّهِ يَأْتِيكُمْ بِاللَّيْلِ تَسْكُنُونَ فِيهِ أَفَلَا تُبْصِرُونَ﴾ (٧٢) وَمِنْ رَحْمَتِهِ جَعَلَ لَكُمُ اللَّيْلَ وَالنَّهَارَ لِتَسْكُنُوا فِيهِ وَلِتَبْتَغُوا مِنْ فَضْلِهِ وَلَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ﴾ (٧٣)

بيان الآيات:

﴿قُلْ أَرَأَيْتُمْ إِنْ جَعَلَ اللَّهُ عَلَيْكُمُ اللَّيْلَ سَرْمَدًا إِلَى يَوْمِ الْقِيَمَةِ﴾ هذا استفهام تقريرى وبيان من الله عن فضله وامتنانه ونعمه على خلقه فأمر نبيه ورسوله محمداً ﷺ أن يقول للمشركين: إن ربكم لو جعل الليل دائماً لكان في ذلك أعظم الضرر لكم، لأنكم لن تستطيعوا فيه الحركة لمعاشكم وأرزاقكم ولهذا قال عز ذكره ﴿مَنْ إِلَهُ غَيْرُ اللَّهِ يَأْتِيكُمْ بِضِيَاءٍ﴾ أي: من الذي يقدر أن يجعل لكم ضياء تبصرون فيه وتعملون وتعيشون ﴿أَفَلَا تَسْمَعُونَ﴾ أي: أفلا تسمعون هذه الحقيقة؛ لأن السمع في الليل أكثر استيعاباً ﴿قُلْ أَرَأَيْتُمْ إِنْ جَعَلَ اللَّهُ عَلَيْكُمُ النَّهَارَ سَرْمَدًا إِلَى يَوْمِ الْقِيَمَةِ مَنْ إِلَهُ غَيْرُ اللَّهِ يَأْتِيكُمْ بِاللَّيْلِ تَسْكُنُونَ فِيهِ﴾ وهذا أيضاً أمر لنبيه ورسوله محمد ﷺ أن يقول لهم كذلك أرايتم لو جعل

الله عليكم النهار دائماً لكان في ذلك أعظم الضرر لكم؛ لأنكم لن تستطيعوا أن تريحوا أبدانكم، ولسوف يكون في ذلك مشقة كبرى عليكم ﴿أَفَلَا تَبْصُرُونَ﴾ هذه الآيات الدالة على عظمة الله وأشار إلى البصر؛ لأنه انفذ في النهار .

﴿وَمِنْ رَحْمَتِهِ جَعَلَ لَكُمُ اللَّيْلَ وَالنَّهَارَ لِتَسْكُنُوا فِيهِ وَلِتَبْتَغُوا مِنْ فَضْلِهِ﴾ أي: إن من لطف الله بكم أن جعل لكم الليل، لتهدأ فيه نفوسكم وأجسامكم وجعل لكم النهار تعملون فيه لمعاشكم وحياتكم ﴿وَلَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ﴾ أي: تشكرون الله على هذه النعم العظيمة.

أحكام ومسائل الآيات:

في هذه الآيات: الحكم بعظمة الله وقدرته أن جعل الليل غير دائم حتى يكون ثمة ضياء يستطيع فيه الخلق الحركة التي لا تتم إلا مع البصر؛ لأنه لو جعل الليل دائماً لستموا من ظلمته وعدم إبصارهم فيه، ولو جعل النهار دائماً لوجدوا في ذلك العنت والمشقة حيث تتعب أجسامهم وأسماعهم. وفيها: مناسبة ذكر السمع مع الليل؛ لأنه أبلغ في سماعه، لقلة الحركة فيه وذكر البصر مع النهار؛ لأنه أبلغ فيه.

﴿وَيَوْمَ يُنَادِيهِمْ فَيَقُولُ أَيْنَ شُرَكَائِيَ الَّذِينَ كُنْتُمْ تَزْعُمُونَ﴾
 ﴿٧٦﴾ وَنَزَعْنَا مِنْ كُلِّ أُمَّةٍ شَهِيدًا فَقُلْنَا هَاتُوا بُرْهَانَكُمْ فَعَلِمُوا أَنَّ
 الْحَقَّ لِلَّهِ وَضَلَّ عَنْهُمْ مَا كَانُوا يَفْتَرُونَ ﴿٧٧﴾

بيان الآيتين:

﴿وَيَوْمَ يُنَادِيهِمْ فَيَقُولُ أَيْنَ شُرَكَاءِيَ الَّذِينَ كُنْتُمْ تَزْعُمُونَ﴾

هذا أيضا بيان من الله أنه ينادي المشركين يوم القيامة فيقول لهم: أين شركائي الذين كنتم تعبدونهم من دوني وتزعمون أنهم شركاء لي ﴿وَنَزَعْنَا مِنْ كُلِّ أُمَّةٍ شَهِيدًا فَقُلْنَا هَاتُوا بُرْهَانَكُمْ فَعَلِمُوا أَنَّ الْحَقَّ لِلَّهِ﴾ المراد إذا حضر هؤلاء المشركون أخذ من كل أمة رسولها، ليشهد عليها بما كانت تعمله في الدنيا فيقول الله لهم: هاتوا برهانكم على شرككم فهل أمرتكم به أو أمرتكم به رسلي أم أمرتكم به الكتب التي أنزلت إليكم وتليت عليكم؟ وحينئذ لا يجدون جوابا فيدركون أن الهوى هو الذي أضلهم، وأنه ليس لهم فيما فعلوا حجة أو برهان فعلموا في ذلك الموقف العظيم أن الحق لله وأنه لا إله غيره وأن عبادتهم لغيره ضلال مبين قوله ﴿وَضَلَّ عَنْهُمْ مَّا كَانُوا يَقْتُرُونَ﴾ أي: تولى عنهم من كانوا يشركونهم مع الله فباؤوا بالخسران.

أحكام ومسائل الآيتين:

في هاتين الآيتين: تقرير مساءلة المشركين ومن في حكمهم من الكفرة؛ لكي تقوم الحجة عليهم فيعترفوا أن عملهم كان ضلالا، وأن الله لن يظلمهم بما سيعاقبهم به. وفيهما: أن المشركين ومن في حكمهم لا يستطيعون الكذب كما كانوا يفعلون في الدنيا، وذلك لأن رسلهم

يشهدون عليهم كما تشهد عليهم أنفسهم كما قال عز وجل ﴿يَوْمَ تَشْهَدُ عَلَيْهِمْ أَلْسِنَتُهُمْ وَأَيْدِيهِمْ وَأَرْجُلُهُمْ بِمَا كَانُوا يَعْمَلُونَ﴾ (١).

﴿إِنَّ قُرُونًا كَانَتْ مِنْ قَوْمِ مُوسَى فَبَغَى عَلَيْهِمْ وَءَايَيْنَاهُ مِنَ الْكُنُوزِ مَا إِنَّ مَفَاتِحَهُ لَتَنُوءَ بِالْعُصْبَةِ أُولَى الْقُوَّةِ إِذْ قَالَ لَهُ قَوْمُهُ لَا تَفْرَحْ إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ الْفَرِحِينَ﴾ (٧٦) ﴿وَابْتَغِ فِيمَا آتَاكَ اللَّهُ الدَّارَ الْآخِرَةَ وَلَا تَنْسَ نَصِيبَكَ مِنَ الدُّنْيَا وَأَحْسِنْ كَمَا أَحْسَنَ اللَّهُ إِلَيْكَ وَلَا تَبْغِ الْفُسَادَ فِي الْأَرْضِ إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ الْمُفْسِدِينَ﴾ (٧٧) ﴿قَالَ إِنَّمَا أُوتِيتُهُ عَلَى عِلْمٍ عِنْدِي أَوَلَمْ يَعْلَم أَنَّ اللَّهَ قَدْ أَهْلَكَ مِنْ قَبْلِهِ مِنَ الْقُرُونِ مَنْ هُوَ أَشَدُّ مِنْهُ قُوَّةً وَأَكْثَرُ جَمْعًا وَلَا يُسْأَلُ عَنْ ذُنُوبِهِ الْمُجْرِمُونَ﴾ (٧٨).

بيان الآيات:

﴿إِنَّ قُرُونًا كَانَتْ مِنْ قَوْمِ مُوسَى﴾ قارون من بني إسرائيل ﴿فَبَغَى عَلَيْهِمْ﴾ أي: تكبر واستعلى عليهم بما أعطاه الله من المال كما قال عز وجل ﴿وَأَيَّانَهُ مِنَ الْكُنُوزِ مَا إِنَّ مَفَاتِحَهُ لَتَنُوءَ بِالْعُصْبَةِ أُولَى الْقُوَّةِ﴾ أي: آتاه الله من الأموال التي بلغت من الكثرة أنها صار حمل مفاتيح خزائنها يثقل على عدد من أصحاب القوة ﴿إِذْ

قَالَ لَهُ قَوْمُهُ لَا تَفْرَحْ ﴿١﴾ أَيُّ قَالَ الناصحون له من قومه وخاصته:
 لا تفرح بهذا المال الذي أعطاك الله وتتكبر وتستعلي به ﴿٢﴾ إِنَّ اللَّهَ لَا
 يُحِبُّ الْفَرِحِينَ ﴿٣﴾ الذين يفرحون بالمال ويبطرون به ﴿٤﴾ وَأَبْتَغِ فِيمَا
 ءَاتَاكَ اللَّهُ الدَّارَ الْآخِرَةَ وَلَا تَنْسَ نَصِيبَكَ مِنَ الدُّنْيَا ﴿٥﴾
 أي: اجعل ما وهبك الله من الأموال في عمل الخير بما يرضي الله
 ويقربك إليه يوم القيامة، ولا تنس منافعك الدنيوية من المأكل
 والمشرب والملابس الطيبة ﴿٦﴾ وَأَحْسِنْ كَمَا أَحْسَنَ اللَّهُ إِلَيْكَ ﴿٧﴾
 أي: وكما أحسن الله إليك بمنحك هذه الأموال العظيمة أحسن إلى
 الفقراء والمساكين والمحاييج ﴿٨﴾ وَلَا تَبْغِ الْفُسَادَ فِي الْأَرْضِ ﴿٩﴾ أي: ولا
 يكون المال الذي لديك سببا في إفسادك في الأرض والتكبر على خلق
 الله ﴿١٠﴾ إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ الْمُفْسِدِينَ ﴿١١﴾ أي: يمقتهم ويبغضهم ﴿١٢﴾ قَالَ
 إِنَّمَا أُوتِيتُهُ عَلَىٰ عِلْمٍ عِنْدِي ﴿١٣﴾ لما سمع قارون نصيحة خاصته قال
 لهم: إن هذا المال الذي أوتيته قد ملكته بجهدي ومعرفتي ﴿١٤﴾ أَوَلَمْ
 يَعْلَم أَنَّ اللَّهَ قَدْ أَهْلَكَ مِنْ قَبْلِهِ مِنَ الْقُرُونِ مَنْ هُوَ أَشَدُّ مِنْهُ
 قُوَّةً وَأَكْثَرُ جَمْعًا ﴿١٥﴾ هذا استنكار لما قاله والمراد: ألم يعلم هذا
 الكاذب أن الله قد أهلك قبله العديد من الأمم كقوم هود وقوم صالح
 الذين كانوا أشد منه قوة وأكثر عددا وعدة ﴿١٦﴾ وَلَا يُسْأَلُ عَنْ ذُنُوبِهِمْ

﴿الْمُجْرِمُونَ﴾ أي: إذا أكثر هؤلاء الذنوب وعتوا وطفغوا وصارت كل أعمالهم سيئات حاق بهم العذاب بغتة دون أن يسألوا عن أعمالهم؛ لأن الله قد علمها منهم.

أحكام ومسائل الآيات:

في هذه الآيات: تقرير أن كثرة الأموال قد تطغي أصحابها وتعمي بصائرهم فيكفرون بالله كما قال عز وجل ﴿كَلَّا إِنَّ الْإِنْسَانَ لِرَبِّهِ لَكَنَّاظٍ﴾ (١). ﴿أَنْ رَّاهُ اسْتَغْنَى﴾ (٢). وفيها: تقرير وجوب توجيه المال وإنفاقه في طرق الخير التي تقرب العبد إلى الله مع الاستعانة به في أمور الدنيا المباحة من المأكّل والمشرب والملبس في غير خيلاء ولا سرف. وفيها: وجوب النصح للطغاة بالمال وغيره؛ لأن تركهم على طغيانهم يؤدي إلى فساد الأرض فيحق على أهلها العذاب. وفيها: تحريم المال إذا أدى إلى الفساد في الأرض. وفيها: الحكم أنه لا أحد يستطيع الحصول على المال إلا إذا كان الله قد يسهّره له وهو في كل الأحوال امتحان لصاحبه لي شكر أم يكفر.

﴿فَخَرَجَ عَلَى قَوْمِهِ فِي زِينَتِهِ ۖ قَالَ الَّذِينَ يُرِيدُونَ الْحَيَاةَ الدُّنْيَا يَلِيتَ لَنَا مِثْلَ مَا أُوتِيَ قُرُونُ إِنَّهُ لَذُو حَظٍّ عَظِيمٍ﴾ (٧١) وَقَالَ

(١) سورة العلق الآية ٦.

(٢) سورة العلق الآية ٧.

الَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ وَيَلَكُمْ ثَوَابُ اللَّهِ خَيْرٌ لِمَنْ ءَامَنَ وَعَمِلَ صَالِحًا
وَلَا يُلْقِهَا إِلَّا الصَّابِرُونَ ﴿٨٠﴾

بيان الآيتين:

﴿فَخَرَجَ عَلَى قَوْمِهِ فِي زِينَتِهِ﴾ يبين الله تعالى أن قارون خرج ذات يوم في زينة له من الملابس والمركب ونحوه مفتخرا بما لديه من الأموال والجاه والقوة ﴿قَالَ الَّذِينَ يُرِيدُونَ الْحَيَاةَ الدُّنْيَا﴾ أي: الذين تعجبهم الدنيا ويحبونها ﴿يَلَيْتَ لَنَا مِثْلَ مَا أُوتِيَ قَارُونُ﴾ أي: تمنوا أن يكون لهم مثل الذي لقارون من المال والجاه ﴿إِنَّهُ لَذُو حَظٍّ عَظِيمٍ﴾ أي: له حظ ونصيب كبير ﴿وَقَالَ الَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ﴾ أي: من آتاهم الله علما وبصيرة يدركون بها أن المال ليس غاية للمؤمنين ﴿وَيَلَكُمْ﴾ أي: تبا لكم ﴿ثَوَابُ اللَّهِ خَيْرٌ لِمَنْ ءَامَنَ وَعَمِلَ صَالِحًا﴾ أي: إن فضل الله وثوابه الذي يدخره لعباده الصالحين في الآخرة خير من زخارف المال الذي ترونه عند قارون ﴿وَلَا يُلْقِهَا إِلَّا الصَّابِرُونَ﴾ أي: لا يلقى نعيم الجنة إلا الذين صبروا على طاعة الله، وعن ارتكاب محارمه، وما أرشدهم إليه وهذا يشهد له قول الله جل ذكره ﴿وَلَا تَمُدَّنَّ عَيْنَيْكَ إِلَى مَا مَتَّعْنَا بِهِ أَزْوَاجًا مِنْهُمْ زَهْرَةَ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا لِنَفْتِنَهُمْ فِيهِ وَرِزْقُ رَبِّكَ خَيْرٌ وَأَبْقَى﴾ (١).

أحكام ومسائل الآيتين:

في هاتين الآيتين: الإشارة إلى أن الأغنياء أو بعضهم غالبا ما يستبد بهم طغيان المال فيسرفون في حياتهم، ويبطرون في سلوكهم وتصرفاتهم. وفيها: أن من الناس من تعجبه الحياة الدنيا وزينتها فيتمنى أن يكون له مال مثل الأغنياء ليقلدهم ويصنع صنيعهم. وفيها: أن من العباد من يهتم بالآخرة ويرى أن العمل الصالح الذي يجد أجره عند الله خير من الدنيا وزخارفها. وفيها: الحكم بأن الجنة لا يدخلها إلا الصابرون الذين صبروا على طاعة الله، وعصموا أنفسهم عن محارمه، وإن كتب الله لهم نصيبا من الدنيا لم ينسوا الآخرة، وكانت أمورهم في غاية الصلاح وإن لم يكتب لهم نصيبا من الدنيا صبروا وشكروا الله في كل حال.

﴿فَخَسَفْنَا بِهِ وَبِدَارِهِ الْأَرْضَ فَمَا كَانَ لَهُ مِنْ فِئَةٍ يَنْصُرُونَهُ مِنْ دُونِ اللَّهِ وَمَا كَانَتْ مِنَ الْمُنتَصِرِينَ ﴿٨١﴾ وَأَصْبَحَ الَّذِينَ تَمَنَّوْا مَكَانَهُ بِالْأَمْسِ يَقُولُونَ وَيَكَاثُرُ اللَّهُ يَبْسُطُ الرِّزْقَ لِمَنْ يَشَاءُ مِنْ عِبَادِهِ وَيَقْدِرُ لَوْ لَا أَنْ مَنَّ اللَّهُ عَلَيْنَا لَخَسَفَ بِنَا وَيَكَانَهُ لَا يُفْلِحُ الْكَافِرُونَ ﴿٨٢﴾﴾

بيان الآيتين:

﴿فَخَسَفْنَا بِهِ وَبِدَارِهِ الْأَرْضَ﴾ أي: انشقت الأرض به وبداره فأصبح في سفلها ﴿فَمَا كَانَ لَهُ مِنْ فِئَةٍ يَنْصُرُونَهُ مِنْ دُونِ اللَّهِ﴾

أي: لم يشفع له ماله ولا زينته ولا أعوانه وأنصاره ﴿وَمَا كَانَتْ مِنْ
الْمُنْتَصِرِينَ﴾ أي: ولم يستطع هو نصر نفسه ومنع ما حدث له من
الخسف والهلاك ﴿وَأَصْبَحَ الَّذِينَ تَمَنَّوْا مَكَانَهُ بِالْأَمْسِ﴾ المراد
بهم الذين تمنوا أن يكون لهم من الأموال مثل ما عنده وأن تكون
حظوظهم مثل حظه ﴿يَقُولُونَ وَيَكُنْ اللَّهُ يَبْسُطُ الرِّزْقَ لِمَنْ
يَشَاءُ مِنْ عِبَادِهِ وَيَقْدِرُ﴾ المراد نعجب ونعلم أن الله يوسع الرزق
ويضيقه على من يشاء من عباده، وأن ذلك كله بقدره وحكمته وهذا
على أن (وي) للتعجب وقيل: إنها بمعنى (ويلك) (اعلم أن) فخفف
فقيل: (ويك).

﴿لَوْلَا أَنْ مَنَّ اللَّهُ عَلَيْنَا لَخَسَفَ بِنَا﴾ أي: لولا رحمة الله لخسف
بنا مثل ما خسف بقارون ﴿وَيَكُنْ اللَّهُ لَا يُفْلِحُ الْكَافِرُونَ﴾ أي: ونعجب
ونعلم أن الكافرين لا يفوزون في الدنيا ولا في الآخرة.

أحكام ومسائل الآيتين:

في هاتين الآيتين: تقرير أن الهلاك عاقبة البطر بالنعمة والاستعلاء
بها وجحود فضل المنعم بها. وفيهما: أن الطغاة لا يجدون أحدا
ينصرهم عند محنتهم ولا يستطيعون لأنفسهم نصرا. وفيهما: الحكم
بأن الباسط للرزق والقباض له هو الله وحده وأن أحدا من العباد لا
يستطيع أن يزيد فيه أو ينقص.

﴿تِلْكَ الدَّارُ الْآخِرَةُ نَجْعَلُهَا لِلَّذِينَ لَا يُرِيدُونَ عُلُوًّا فِي الْأَرْضِ وَلَا فَسَادًا وَالْعَاقِبَةُ لِلْمُتَّقِينَ﴾ (٨٣) مَنْ جَاءَ بِالْحَسَنَةِ فَلَهُ خَيْرٌ مِنْهَا وَمَنْ جَاءَ بِالسَّيِّئَةِ فَلَا يُجْزَى الَّذِينَ عَمِلُوا السَّيِّئَاتِ إِلَّا مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ ﴿٨٤﴾

بيان الآيتين:

﴿تِلْكَ الدَّارُ الْآخِرَةُ نَجْعَلُهَا لِلَّذِينَ لَا يُرِيدُونَ عُلُوًّا فِي الْأَرْضِ وَلَا فَسَادًا﴾ لما ذكر الله عز وجل ما آل إليه قارون من الهلاك؛ بسبب بطره وعلوه بين عز ذكره أنه أعد الجنة لعباده المتقين المتواضعين الخاضعين لعظمته وجلاله، فلا يستعلون في الأرض ولا يتكبرون على عباد الله ولا يبتغون في الأرض فسادا، بل دأبهم الصلاح والتقوى والخشوع لعظمة الله ﴿وَالْعَاقِبَةُ لِلْمُتَّقِينَ﴾ أي: إن للمتقين العاقبة الحسنة في الدنيا بما يكون لهم فيها من العزة والتمكين وفي الآخرة بما يكون لهم فيها من نعيم الجنة.

﴿مَنْ جَاءَ بِالْحَسَنَةِ فَلَهُ خَيْرٌ مِنْهَا﴾ أي: من جاء بالحسنة يوم القيامة فله أعظم منها وهو مضاعفتها إلى عشر أمثالها ﴿وَمَنْ جَاءَ بِالسَّيِّئَةِ فَلَا يُجْزَى الَّذِينَ عَمِلُوا السَّيِّئَاتِ إِلَّا مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ﴾ أي: لا يجزى إلا مثلها وهذا من رحمة الله بعباده أنه يضاعف لهم الحسنات ولا يضاعف لهم السيئات.

أحكام ومسائل الآيتين:

في هاتين الآيتين: الحكم بأن الله حرم الكبر بكل أنواعه كما قال عزوجل ﴿وَلَا تَمْشِ فِي الْأَرْضِ مَرَحًا إِنَّكَ لَن تَخْرِقَ الْأَرْضَ وَلَن تَبْلُغَ الْجِبَالَ طُولًا﴾^(١). وفي الحديث عن رسول الله ﷺ أنه (لا يدخل الجنة من كان في قلبه مثقال ذرة من كبر)^(٢). وعنه عليه الصلاة والسلام أنه قال: (إن الله أوحى إلي أن تواضعوا حتى لا يفخر أحد على أحد ولا يبغي أحد على أحد)^(٣). وينبغي التفريق بين الكبر بمعنى الاستعلاء على الناس وبين الظهور بالمظهر الحسن لما ثبت أن رجلا قال: يا رسول الله إن الرجل يحب أن يكون ثوبه حسنا ونعله حسنة قال: (إن الله جميل يحب الجمال)^(٤). وفي هاتين الآيتين أيضا تقرير فضل الله على عباده بمضاعفته حسناتهم وعدم مضاعفة سيئاتهم. وفيهما: الحكم بأن العاقبة الحسنی لعباد الله المتقين في الدنيا بما يكون لهم فيها من العزة والتمكين، وفي الآخرة بما يكون لهم فيها من النعيم المقيم.

(١) سورة الإسراء الآية ٣٧ .

(٢) أخرجه مسلم في كتاب الإيمان، باب بيان تحريم الكبر وبيانه، برقم (٩١)، صحيح مسلم بشرح النووي ج ١ ص ٧٣٥ .

(٣) صحيح مسلم بشرح النووي ج ١١ ص ٧٧٠، كتاب صفة الجنة، باب الصفات التي يعرف بها في الدنيا أهل الجنة وأهل النار، برقم (٢٨٦٥) .

(٤) صحيح مسلم بشرح النووي ج ١ ص ٧٣٥، كتاب الإيمان، باب بيان تحريم الكبر وبيانه، برقم (٩١) .

﴿إِنَّ الَّذِي فَرَضَ عَلَيْكَ الْقُرْآنَ لَرَادُّكَ إِلَىٰ مَعَادٍ قُلْ رَبِّي أَعْلَمُ مَنْ جَاءَ بِالْهُدَىٰ وَمَنْ هُوَ فِي ضَلَالٍ مُّبِينٍ﴾ (٨٥) ﴿وَمَا كُنْتَ تَرْجُو أَنْ يُلْقَىٰ إِلَيْكَ الْكِتَابُ إِلَّا رَحْمَةً مِّن رَّبِّكَ فَلَا تَكُونَنَّ ظَهِيرًا لِّلْكَافِرِينَ﴾ (٨٦) ﴿وَلَا يَصُدُّكَ عَنْ ءَايَاتِ اللَّهِ بَعْدَ إِذْ أَنزَلَتْ إِلَيْكَ وَأَدْعُ إِلَىٰ رَبِّكَ وَلَا تَكُونَنَّ مِنَ الْمُشْرِكِينَ﴾ (٨٧) ﴿وَلَا تَدْعُ مَعَ اللَّهِ إِلَهًا آخَرَ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ كُلُّ شَيْءٍ هَالِكٌ إِلَّا وَجْهَهُ لَهُ الْحُكْمُ وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ﴾ (٨٨).

بيان الآيات:

﴿إِنَّ الَّذِي فَرَضَ عَلَيْكَ الْقُرْآنَ﴾ أي: إن الله الذي أنزل عليك - يا محمد - القرآن لتبلغه وتبينه للناس سيردك إليه يوم القيامة، وسوف يسألك عما عملته وهو أعلم به. وقد يكون المراد بقوله ﴿لَرَادُّكَ إِلَىٰ مَعَادٍ﴾ أي: إلى مكة التي أخرجت منها فيعيدك الله إليها فاتحاً منتصراً^(١). ﴿قُلْ رَبِّي أَعْلَمُ مَنْ جَاءَ بِالْهُدَىٰ وَمَنْ هُوَ فِي ضَلَالٍ مُّبِينٍ﴾ أي: قل يا محمد لمن عصاك من المشركين وأنت تبلغ القرآن وتبينه له إن ربي هو أعلم بالمهتدي مني ومنكم ومن هو ضال عن الحق متبع لهواه ﴿وَمَا كُنْتَ تَرْجُو أَنْ يُلْقَىٰ إِلَيْكَ الْكِتَابُ إِلَّا رَحْمَةً مِّن رَّبِّكَ﴾ أي: لم تكن تنتظرا نزول القرآن إليك ولكن رحمة الله بك وبخلقه أنزله إليك؛ ليكون سعادة لكم في الدنيا والآخرة إذا عملتم

(١) الجامع لأحكام القرآن ج ١٣ ص ٣٢١.

به ﴿فَلَا تَكُونَنَّ ظَهِيرًا لِلْكَافِرِينَ﴾ أي: لا تكن معينا ولا ناصرا لهم بل كن عدوا لهم إلى أن يسلموا ويتبعوك.

﴿وَلَا يَصُدُّكَ عَنْ آيَاتِ اللَّهِ بَعْدَ إِذْ أُنْزِلَتْ إِلَيْكَ﴾ أي: لا تتأثر بما يضعونه أمامك من العقبات ليصدوا عباد الله عن سبيله بل استقم كما أمرت واعلم أن الله معينك وناصرك ومظهرك عليهم ﴿وَادْعُ إِلَىٰ رَبِّكَ﴾ أي: ادع إلى توحيد ربك وطاعته وعبادته ﴿وَلَا تَكُونَنَّ مِنَ الْمُشْرِكِينَ﴾ الذين حبطت أعمالهم وباؤوا بالخسران ﴿وَلَا تَدْعُ مَعَ اللَّهِ إِلَهًا آخَرَ﴾ أي: اجعل عبادتك وعملك خالصا لله لا تشوبه شائبة ﴿لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ﴾ أي: لا إله في الوجود المستحق للعبادة إلا هو وأن كل ما عداه باطل ﴿كُلُّ شَيْءٍ هَالِكٌ إِلَّا وَجْهَهُ﴾ أي: كل شيء يفنى ويزول إلا وجهه الكريم ﴿لَهُ الْحُكْمُ﴾ أي: هو الحاكم المالك المدبر المتصرف في خلقه ﴿وَالِيَهُ تُرْجَعُونَ﴾ أي: ترجعون إليه يوم القيامة كما خلقكم أول مرة.

أحكام ومسائل الآيات:

في هذه الآيات: الحكم بأن الله سوف يسأل الرسل عن أعمالهم كما قال عز وجل ﴿يَوْمَ يَجْمَعُ اللَّهُ الرُّسُلَ فَيَقُولُ مَاذَا أَجَبْتُمُ﴾^(١). وقال عز ذكره ﴿فَلَنَسْأَلَنَّ الَّذِينَ أُرْسِلَ إِلَيْهِمْ وَلَنَسْأَلَنَّ الْمُرْسَلِينَ﴾^(٢).

(١) سورة المائدة من الآية ١٠٩ .

(٢) سورة الأعراف الآية ٦ .

وفيها: الحكم بتحريم معاونة الكفار على المؤمنين وفيها: وجوب الإعراض عن أقوال المشركين ومجادلتهم الباطلة وصدّهم عن سبيل الله. وفيها: وجوب القيام بالدعوة إلى الله مع الإخلاص في العبادة له وحده لا شريك له. وفيها: الحكم بأن كل شيء في الوجود يزول إلا الله، فهو الحي الباقي الذي لا يحول ولا يزول ﴿هُوَ الْأَوَّلُ وَالْآخِرُ وَالظَّاهِرُ وَالْبَاطِنُ وَهُوَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ﴾^(١).



(١) سورة الحديد الآية ٣ .

فهرس المجلد السادس

٥ تفسير سورة الأنبياء
٥ تفسير قوله تعالى ﴿اقْتَرَبَ لِلنَّاسِ حِسَابُهُمْ..﴾ ١ - ٦
٧ أحكام ومسائل الآيات
٧ بيان قرب قيام الساعة
٧ بيان عداوة المشركين للرسالة
	أن الأمم قد لا تصدق بالمعجزات فيكون ذلك سبباً
٧ في هلاكهم
	تفسير قوله تعالى ﴿وَمَا أَرْسَلْنَا قَبْلَكَ إِلَّا رِجَالًا نُّوحِي
٧ إِلَيْهِمْ..﴾ ٧-١٠
٩ أحكام ومسائل الآيات
٩ بشرية الرسل
٩ وجوب سؤال أهل العلم
	أن الله قد صدق رسله وأتباعهم ما وعدهم به من النصر
٩ على أعدائهم
	أن الله عز وجل أنزل القرآن على رسوله ليكون شرعاً
٩ ومنهاجاً لأمته
١٠ تفسير قوله تعالى ﴿وَكَمْ قَصَمْنَا مِنْ قَرْيَةٍ..﴾ ١١-١٥
١١ أحكام ومسائل الآيات
١١ سوء عاقبة الظلم
١١ مشروعية السخرية والتشفي من الظلمة إذا حلّ بهم العذاب
١١ حسرة الظلمة عندما يرون العذاب

تفسير قوله تعالى ﴿وَمَا خَلَقْنَا السَّمَاءَ وَالْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا

لْعَيْنَيْنِ...﴾ ١٦-٢٠ ١١

أحكام ومسائل الآيات ١٢

الحكمة من خلق السماوات والأرض ١٢

أن الله قذف بالحق وهو القرآن على الباطل ١٢

تقرير أن الملائكة يعبدون الله ويسبحونه لا يكونون

ولا يفترون ١٣

تفسير قوله تعالى ﴿أَمْ أَخَذُوا إِلَهًا مِّنَ الْأَرْضِ هُمْ

يُنشِرُونِ...﴾ ٢١-٢٥ ١٣

أحكام ومسائل الآيات ١٥

نفي قاطع لتعدد الآلهة ١٥

لا دليل على الشرك، وكل الكتب السماوية متفقة على

إفراد الله بالعبادة ١٥

تفسير قوله تعالى ﴿وَقَالُوا اتَّخَذَ الرَّحْمَنُ وَلَدًا...﴾ ٢٦-٢٩ ١٥

أحكام ومسائل الآيات ١٦

نفي نسبة الولد إلى الله تعالى ١٦

صفات الملائكة ١٦

أحكام الشفاعة الآخروية ١٧

تفسير قوله تعالى ﴿أَوَلَمْ يَرِ الَّذِينَ كَفَرُوا أَنَّ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ

كَانَا رَتْقًا فَفَتَقْنَاهُمَا...﴾ ٣٠-٣٣ ١٧

أحكام ومسائل الآيات ١٩

بيان من الله عز وجل عن الكيفية التي كانت عليها

- ١٩ السماوات والأرض قبل ففتحهما
- ١٩ بيان قدرة الله عز وجل على تدبير الكون
- بيان من الله عز وجل عن خلقه الليل والنهار والشمس والقمر وسائر الأفلاك وكونها تدور في سرعة أحكمها
- ١٩ وقدرها بقدرته
- تفسير قوله تعالى ﴿وَمَا جَعَلْنَا لِلشَّرِّ مِن قَبْلِكَ
- ١٩ الْخُلْدَ..﴾ ٣٦-٣٤
- ٢٠ أحكام ومساائل الآيات
- ٢٠ حتمية موت البشرية
- ٢١ الحكمة من ابتلاء الله لعباده
- ٢١ تفسير قوله تعالى ﴿خُلِقَ الْإِنسَانُ مِنْ عَجَلٍ..﴾ ٣٧-٤٠
- ٢٢ أحكام ومساائل الآيات
- ٢٢ ذم العجلة
- ٢٢ قيام الساعة بغتة
- تفسير قوله تعالى ﴿وَلَقَدْ أَسْتَهْزِئَ بِرُسُلٍ مِّن
- ٢٣ قَبْلِكَ..﴾ ٤١-٤٤
- ٢٤ أحكام ومساائل الآيات
- ٢٤ عقوبة المستهزئين بالأنبياء والرسل
- وجوب عدم الاغترار بالسعة في الرزق وطول العمر
- ٢٥ ووجوب العمل لليوم الآخر
- ٢٥ تفسير قوله تعالى ﴿قُلْ إِنَّمَا أُنذِرُكُم بِالْوَحْيِ..﴾ ٤٥-٤٧
- ٢٦ أحكام ومساائل الآيات

- ٢٦ عقوبة من يعرض عن ذكر الله
- ٢٦ بيان عدل الله بين عباده يوم القيامة
- تفسير قوله تعالى ﴿وَلَقَدْ آتَيْنَا مُوسَىٰ وَهَارُونَ
- الْفُرْقَانَ...﴾ ٤٨ - ٥٠ ٢٧
- ٢٧ أحكام ومسائل الآيات
- ٢٧ وجوه المقارنة بين دعوة الرسل
- ٢٨ اشتمال القرآن الكريم على أحكام الدين والدنيا
- تفسير قوله تعالى ﴿وَلَقَدْ آتَيْنَا إِبْرَاهِيمَ رُشْدَهُ...﴾ ٥١ - ٥٦ ... ٢٨
- ٢٩ أحكام ومسائل الآيات
- ٢٩ بيان اختيار الله لمن يشاء من عباده لحمل الرسالة
- ٢٩ ذم التقليد بغير علم
- ٢٩ وجوب إقامة الحجة على المدعويين
- ٣٠ وجوب النطق بشهادة ألا إله إلا الله والعمل بمقتضاها
- تفسير قوله تعالى ﴿وَتَأْتِيهِمْ لَأَكِيدَنَّ أَصْنَامَهُمْ...﴾ ٥٧ - ٦٣ ... ٣٠
- ٣١ أحكام ومسائل الآيات
- ٣٢ المعيار الصحيح في وصف الفعل ظلما
- ٣٢ مشروعية الإشهاد
- ٣٢ مشروعية سؤال المتهم عما وجه إليه
- تفسير قوله تعالى ﴿فَرَجَعُوا إِلَىٰ أَنفُسِهِمْ فَقَالُوا إِنَّكُمْ
- أَنْتُمُ الظَّالِمُونَ...﴾ ٦٤ - ٦٧ ٣٢
- ٣٣ أحكام ومسائل الآيات
- ٣٣ وجوب رجوع الظالم عن ظلمه ووجوب توبته

- ٣٣ أهمية قوة حجة الداعي إلى الحق
- ٣٣ وجوب تأنيب أهل الباطل
- ٣٣ تفسير قوله تعالى ﴿قَالُوا حَرِّقُوهُ..﴾ ٦٨ - ٧٠
- ٣٤ أحكام ومسائل الآيات
- ٣٤ بيان معجزة إبراهيم عليه السلام
- توكل إبراهيم عليه السلام على الله وإخلاصه له في
- ٣٤ العبادة كانت حازماً له من النار
- ٣٤ أن كيد الكائدين يرد عليهم بسوء العاقبة
- تفسير قوله تعالى ﴿وَبَجَّيْنَاهُ وَلُوطًا إِلَى الْأَرْضِ الَّتِي بَارَكْنَا
- فِيهَا لِلْعَالَمِينَ..﴾ ٧١ - ٧٥
- ٣٤ أحكام ومسائل الآيات
- ٣٦ فضيلة الدعوة إلى الله
- ٣٦ أن الله يتولى أوليائه الصالحين
- ٣٧ وجوب إقامة الصلاة وإيتاء الزكاة
- ٣٧ ارتكاب المعاصي سبب لهلاك الأمم
- ٣٧ تفسير قوله تعالى ﴿وَنُوحًا إِذْ نَادَىٰ مِنْ قَبْلُ..﴾ ٧٦ - ٧٧
- ٣٨ أحكام ومسائل الآيات
- ٣٨ تقرير إجابة دعوة الداعي إذا دعى الله مخلصاً
- انتصار الله لأوليائه وإهلاك الظالمين بعد أن تقوم
- ٣٨ الحجة عليهم
- تفسير قوله تعالى ﴿وَدَاوُدَ وَسُلَيْمَانَ إِذْ يَحْكُمَانِ فِي
- الْحَرْثِ..﴾ ٧٨ - ٨٢

- ٤١ أحكام ومسائل الآيات
- ٤١ أجر الحاكم المجتهد
- ٤١ وجوب رجوع المجتهد عن الرأي المرجوح
- ٤١ ضمان ما تتلفه البهائم
- ٤٢ تسبيح المخلوقات
- ٤٢ وجوب الاستعداد للحرب
- تقرير أن كل ما يحدث في السموات والأرض إنما هو
- ٤٢ بعلم الله وقدرته
- تفسير قوله تعالى ﴿وَأَيُّوبَ إِذْ نَادَىٰ رَبَّهُ أَنِّي مَسَّنِيَ الضُّرُّ وَأَنْتَ أَرْحَمُ الرَّاحِمِينَ﴾ ٨٣ - ٨٤
- ٤٢ أحكام ومسائل الآيتين
- ٤٣ تقرير عظم الصبر في البأساء والضراء
- ٤٤ تقرير وجوب الشكوى إلى الله ودعائه في رفع الضر
- ٤٤ وجوب الاعتبار من المصائب
- تفسير قوله تعالى ﴿وَإِسْمَاعِيلَ وَإِدْرِيسَ وَذَا الْكِفْلِ كُلٌّ مِّنَ الصَّابِرِينَ﴾ ٨٥ - ٨٦
- ٤٤ أحكام ومسائل الآيتين
- ٤٥ فضل الصبر والثبات والرضا بقضاء الله
- ٤٥ تفسير قوله تعالى ﴿وَذَا النُّونِ إِذْ ذَهَبَ مُغَاصِبًا﴾ ٨٧ - ٨٨
- ٤٧ أحكام ومسائل الآيتين
- ٤٧ تقرير استجابة الله لدعاء الصالحين في الشدائد
- ٤٧ تفسير قوله تعالى ﴿وَزَكَرِيَّا إِذْ نَادَىٰ رَبَّهُ﴾ ٨٩ - ٩٠

- ٤٨ أحكام ومسائل الآيتين
- ٤٨ تقرير مشروعية طلب الذرية الصالحة
- ٤٨ تقرير سؤال الله الزوجة الولود الصالحة
- ٤٨ وجوب المسارعة إلى فعل الخير
- ٤٨ فضيلة الخشوع لله في السر والعلن
- ٤٩ تفسير قوله تعالى ﴿وَالَّتِي أَحْصَنَتْ فَرْجَهَا..﴾ ٩١
- ٤٩ أحكام ومسائل الآية
- ٤٩ وجوب العفة وإحصان الفرج
- ٤٩ تقرير قدرة الله عز وجل على فعل المعجزات
- ٤٩ تفسير قوله تعالى ﴿إِنَّ هَذِهِ أُمَّتُكُمْ أُمَّةً وَاحِدَةً..﴾ ٩٢-٩٤
- ٥٠ أحكام ومسائل الآيات
- ٥٠ دين العباد واحد هو الإسلام
- تقرير أنه لا رب ولا إله في الوجود إلا الله وهو وحده
- ٥٠ المستحق للعبادة
- تقرير أن الأمم اختلفت في أديانها فمنهم المسلم ومنهم
- ٥٠ الكافر ومنهم المشرك
- ٥٠ ثبوت الأجر لمن يعمل صالحاً
- تفسير قوله تعالى ﴿وَحَرَامٌ عَلَى قَرْيَةٍ أَهْلَكْنَاهَا أَنَّهُمْ
- ٥١ لَا يَرْجِعُونَ..﴾ ٩٥ - ٩٧
- ٥٢ أحكام ومسائل الآيات
- ٥٢ تقرير أن من يهلكه الله من الأمم لم يعد له توبة
- ٥٢ شروط قبول التوبة

٥٢ ١٠٣ - ٩٨	تفسير قوله تعالى ﴿إِنَّكُمْ وَمَا تَعْبُدُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ حَصَبُ جَهَنَّمَ...﴾
٥٤	أحكام ومسائل الآيات
٥٤	أجر المؤمنين وجزاء المشركين يوم القيامة
٥٤ ١٠٤	تفسير قوله تعالى ﴿يَوْمَ نَطْوِي السَّمَاءَ كَطَيِّ السِّجِلِّ لِلْكُتُبِ...﴾
٥٥	أحكام ومسائل الآية
٥٥	حال الخلائق يوم القيامة
٥٥ ١٠٧ - ١٠٥	تفسير قوله تعالى ﴿وَلَقَدْ كَتَبْنَا فِي الزَّبُورِ مِنْ بَعْدِ الذِّكْرِ أَنَّ الْأَرْضَ يَرِثُهَا عِبَادِيَ الصَّالِحُونَ...﴾
٥٦	أحكام ومسائل الآيات
٥٦	تقرير أن الأرض يرثها عباد الله الصالحون
٥٧	شروط الولاية في الأرض
٥٧	أن في القرآن الكريم ما يكفي لمن آمن بما فيه واتبع أحكامه أن يصل إلى مبتغاه
٥٧	فضل رسول الله محمد ﷺ
٥٨ ١١٢ - ١٠٨	تفسير قوله تعالى ﴿قُلْ إِنَّمَا يُوحِي إِلَيَّ أَنَّمَا إِلَهُكُمُ إِلَهٌُ وَاحِدٌ...﴾
٦٠	أحكام ومسائل الآيات
٦٠	تقرير توحيد الألوهية
٦٠	ثبوت قيام الساعة
		الله وحده يعلم أحوال خلقه جهرهم وسرهم وما في

- ٦٠ ضمائرهم
- ٦٠ الحكمة من تأخير عقوبة المكذبين
- ٦١ تفسير سورة الحج
- ٦١ تفسير قوله تعالى ﴿يَأْتِيهَا النَّاسُ اتَّقُوا رَبَّكُمْ..﴾ ٤-١ ...
- ٦٢ أحكام ومسائل الآيات
- تقرير حقيقة الزلزلة قبل قيام الساعة وبيان الأحوال
- ٦٢ العظام وما يصيب الناس فيها من الخوف
- ٦٣ حرمة الجدل بالباطل
- ٦٣ الحذر من موالاة الشياطين
- تفسير قوله تعالى ﴿يَأْتِيهَا النَّاسُ إِنْ كُنْتُمْ فِي رَيْبٍ مِّنَ الْبَعْثِ فَإِنَّا خَلَقْتُكُمْ مِّنْ تُرَابٍ..﴾ ٧-٥
- ٦٣ أحكام ومسائل الآيات
- ٦٦ دروس وعبر من مراحل خلق الإنسان
- ٦٧ ثبوت الإرث للمولود إذا استهل
- ٦٧ ثبوت قيام الساعة
- تفسير قوله تعالى ﴿وَمِنَ النَّاسِ مَن يُجَادِلُ فِي اللَّهِ بِغَيْرِ
- ٦٧ عِلْمٍ..﴾ ٨ - ١٠
- ٦٨ أحكام ومسائل الآيات
- ٦٨ تحريم المجادلة بالباطل
- ٦٩ تحريم الكبر
- تفسير قوله تعالى ﴿وَمِنَ النَّاسِ مَن يَعْبُدُ اللَّهَ عَلَى
- ٦٩ حَرْفٍ..﴾ ١١-١٣

- ٧١ أحكام ومسائل الآيات
- ٧١ بطلان عبادة الشاك في دينه
- ٧١ عبادة الأصنام سفه في العقل
- تفسير قوله تعالى ﴿إِنَّ اللَّهَ يُدْخِلُ الَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ..﴾ ١٤
- ٧١ أحكام ومسائل الآية
- ٧١ تقرير وعد الله المؤمنين بالجنة
- أن الله بمشيئته النافذة وقدرته المطلقة يفعل ما يريد
- ٧٢ بحكمته وتقديره
- تفسير قوله تعالى ﴿مَنْ كَانَ يَظُنُّ أَنْ لَنْ يَنْصُرَهُ اللَّهُ فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ فَلْيَمْدُدْ بِسَبَبٍ إِلَى السَّمَاءِ..﴾ ١٥ - ١٦
- ٧٢ أحكام ومسائل الآية
- ٧٣ نصر الله دينه ورسوله محمد ﷺ
- اشتمال القرآن الكريم بالبيان الجلي لشرع الله
- وأوامره ونواهيه
- ٧٣ تفسير قوله تعالى ﴿إِنَّ الَّذِينَ ءَامَنُوا وَالَّذِينَ هَادُوا..﴾ ١٧
- ٧٣ أحكام ومسائل الآية
- ٧٤ جزاء المؤمنين وعقوبة المشركين يوم القيامة
- تفسير قوله تعالى ﴿الَّذِينَ تَرَأَتْ اللَّهَ يَسْجُدُ لَهُ مِنْ فِي السَّمَوَاتِ وَمَنْ فِي الْأَرْضِ..﴾ ١٨
- ٧٤ أحكام ومسائل الآية
- ٧٥ تذكير رسول الله ﷺ والمراد أمته أن كل شيء في

- ٧٥ الوجود يسجد لله عز وجل
- ٧٦ تسبيح المخلوقات
- أن المستثنى من عدم السجود والتسبيح بعض بني آدم
- ٧٦ وهم قد استوجبوا بذلك العقاب لتكبرهم عن السجود
- تفسير قوله تعالى ﴿هَٰذَا خِطْمَانِ أَخْضَمُو فِي رِيحِهِمْ...﴾ ٢٢-١٩
- ٧٧ أحكام ومسائل الآيات
- تقرير استمرارية الخصومة بين المؤمنين والكافرين إلى
- ٧٧ يوم القيامة
- تفسير قوله تعالى ﴿إِنَّ اللَّهَ يُدْخِلُ الَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ جَنَّاتٍ تَجْرَى مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ...﴾ ٢٣-٢٤
- ٧٨ أحكام ومسائل الآيات
- ٧٨ تقرير أن الله خص المؤمنين بالنعيم
- تفسير قوله تعالى ﴿إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا وَيَصُدُّونَ عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ وَالْمَسْجِدِ الْحَرَامِ...﴾ ٢٥
- ٧٩ أحكام ومسائل الآيات
- ٨٠ أحكام إيجار وبيع دور مكة
- تفسير قوله تعالى ﴿وَإِذْ بَوَّأْنَا لِإِبْرَاهِيمَ مَكَانَ الْبَيْتِ أَنْ لَا تُشْرِكْ فِي شَيْءٍ...﴾ ٢٦-٢٩
- ٨١ أحكام ومسائل الآيات
- ٨٤ وجوب تطهير البيت الحرام طهارة روحية ودينية
- ٨٤ وطهارة مادية

- ٨٥ جواز الاتجار في الحج
- ٨٥ فضيلة الأكل من ذبائح الهدى
- ٨٥ أحكام يوم النحر
- ٨٥ وجوب الحلق أو التقصير بعد رمي جمرة العقبة
- ٨٥ وجوب الوفاء بالنذور المشروعة
- ٨٥ تفسير قوله تعالى ﴿ذَلِكَ وَمَنْ يُعْظَمْ حُرْمَتِ اللَّهِ فَهُوَ خَيْرٌ لَهُ، عِنْدَ رَبِّهِ..﴾ ٣٠ - ٣١
- ٨٦ أحكام ومسائل الآيتين
- ٨٧ وجوب تعظيم حرمان الله
- ٨٧ تحريم عبادة غير الله
- ٨٨ تحريم قول الزور
- ٨٨ تفسير قوله تعالى ﴿ذَلِكَ وَمَنْ يُعْظَمْ شَعَائِرَ اللَّهِ فَإِنَّهَا مِنْ تَقْوَى الْقُلُوبِ..﴾ ٣٢ - ٣٣
- ٨٨ أحكام ومسائل الآيتين
- ٨٩ وجوب تعظيم شعائر الله
- ٨٩ مشروعية الانتفاع من البدن والهدايا
- ٨٩ تفسير قوله تعالى ﴿وَلِكُلِّ أُمَّةٍ جَعَلْنَا مَنْسَكًا..﴾ ٣٤ - ٣٥
- ٩٠ الله شرع للامم ديناً واحداً وهو الإسلام
- ٩٠ وجوب ذكر الله عند ذبح قربان
- ٩٠ تقرير البشرى للمخبتين
- ٩٠ تفسير قوله تعالى ﴿وَالْبُدْنَ جَعَلْنَاهَا لَكُمْ مِنْ

- ٩٠ شَعَكَرِ اللّٰهَ... ﴿٣٦﴾
- ٩١ أحكام ومسائل الآية
- ٩١ وجوب ذكر الله عند ذبح بهيمة الأنعام
- ٩٢ الأمر بإطعام الفقراء
- ٩٢ وجوب شكر الله على ما أنعم على عباده
- تفسير قوله تعالى ﴿لَنْ يَنَالَ اللَّهُ لُحُومَهَا وَلَا دِمَآؤَهَا
وَلَكِنْ يَنَالُهُ النِّقَوى مِنْكُمْ...﴾ ٣٧
- ٩٢ أحكام ومسائل الآية
- ٩٣ وجوب التسمية والتكبير عند ذبح الهدايا والأضاحي
- ٩٣ وكل ذبح يتقرب به إلى الله
- ٩٣ تفسير قوله تعالى ﴿إِنَّ اللَّهَ يَدْفَعُ عَنِ الَّذِينَ ءَامَنُوا...﴾ ٣٨
- ٩٤ أحكام ومسائل الآية
- ٩٤ وعد الله للمؤمنين بالدفاع عنهم
- ٩٤ تحريم الخيانة والغدر
- تفسير قوله تعالى ﴿أُذِنَ لِلَّذِينَ يُقَتَلُونَ بِأَنَّهُمْ
ظَلَمُوا...﴾ ٣٩ - ٤٠
- ٩٤ أحكام ومسائل الآية
- ٩٦ أحكام الجهاد في سبيل الله
- ٩٦ الإذن للمؤمنين أن يقاتلوا من أجل دينهم
- ٩٦ وعد الله المؤمنين بالنصر
- من أخرج من دياره يعد مظلوماً ويحق له الإذن بقتال
من ظلمه

من سنن الله في خلقه أنه يدفع بأناس عن أناس آخرين

- ٩٦ حتى لا يعم الفساد في الأرض
- تفسير قوله تعالى ﴿الَّذِينَ إِنْ مَكَّنَّاهُمْ فِي الْأَرْضِ أَقَامُوا
- ٩٧ الصَّلَاةَ...﴾ ٤١
- ٩٧ أحكام ومسائل الآية
- ٩٧ الله سبحانه يجعل السلطان والقوة في الأرض للمؤمنين
- ٩٨ الحكمة من ابتلاء الله للمؤمنين
- تفسير قوله تعالى ﴿وَلَنْ يُكْذِبُوكَ فَقَدْ كَذَّبَتْ قَبْلَهُمْ
- ٩٨ قَوْمُ نُوحٍ...﴾ ٤٢ - ٤٦
- ١٠٠ أحكام ومسائل الآيات
- ١٠٠ بيان حال المكذبين للرسول من الأمم المختلفة
- ١٠٠ الحكم أن الله بقدرته يهلك الأمم الظالمة
- ١٠٠ تقرير أن العبرة ليست في البصر والسمع، وإنما هي العقل
- تفسير قوله تعالى ﴿وَيَسْتَعْجِلُونَكَ بِالْعَذَابِ وَلَنْ يُخْلِفَ اللَّهُ
- ١٠٠ وَعَدَهُ...﴾ ٤٧ - ٤٨
- ١٠١ أحكام ومسائل الآيتين
- ١٠١ تقرير سفاهة عقول المشركين
- ١٠٢ تأكيد أن الله يحقق وعده عاجلاً أو عاجلاً
- اختلاف حساب الأيام والشهور والسنين عند الله عما
- ١٠٢ عند العباد
- ١٠٢ تقرير أن الله يمهل الظالمين ثم يأخذهم بالعذاب
- تفسير قوله تعالى ﴿قُلْ يَتَأَيَّهَا النَّاسُ إِنَّمَا أَنَا لَكُمْ نَذِيرٌ

- ١٠٢ مُبِينٌ .. ﴿٤٩-٥١
- ١٠٣ أحكام ومسائل الآيات
- ١٠٣ دعوة النبي محمد ﷺ وتبليغه لرسالة الله
- ١٠٣ مغفرة الله لذنوب المؤمنين المخلصين
- ١٠٣ الوعيد لمن يصرف المؤمنين ويصدهم عن سبيل الله
- ١٠٣ تفسير قوله تعالى ﴿وَمَا أَرْسَلْنَا مِنْ قَبْلِكَ مِنْ رَسُولٍ وَلَا نَبِيٍّ إِلَّا إِذَا تَمَنَّى أَلْقَى الشَّيْطَانُ فِي أُمْنِيَّتِهِ...﴾ ٥٢-٥٤
- ١٠٥ أحكام ومسائل الآيات
- ١٠٥ عصمة الأنبياء والرسول من وساوس الشيطان وكيدته
- تقرير أن الإلقاء من الشيطان فتنة لمرضى القلوب من
- ١٠٥ المشركين والمنافقين والكافرين
- ١٠٥ تقرير أن الظالمين يكونون في بعد عن الحق
- تفسير قوله تعالى ﴿وَلَا يَزَالُ الَّذِينَ كَفَرُوا فِي مَرِيَةٍ مِنْهُ
- ١٠٦ حَتَّى تَأْتِيَهُمُ السَّاعَةُ بَغْتَةً...﴾ ٥٥-٥٧
- ١٠٧ أحكام ومسائل الآيات
- ١٠٧ كون الكفار في شك وريب مما جاء به القرآن الكريم
- ١٠٧ تقرير أن الساعة لا تقوم إلا بغتة
- ١٠٧ حكم الله يوم القيامة بين عباده
- تفسير قوله تعالى ﴿وَالَّذِينَ هَاجَرُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ ثُمَّ
- ١٠٧ قُلُوا أَوْ مَا تَوَلَّوْا لِرِزْقِهِمْ اللَّهُ رِزْقًا حَسَنًا...﴾ ٥٨-٦٠
- ١٠٨ أحكام ومسائل الآيات
- ١٠٨ فضيلة الخروج في سبيل الله

- ١٠٨ ثبوت الأجر لمن خرج في سبيل الله وأدركه الموت دون قتال ...
- ١١٠ جواز المعاقبة بالمثل
تفسير قوله تعالى ﴿ ذَٰلِكَ بِأَنَّ اللَّهَ يُولِجُ اللَّيْلَ فِي
النَّهَارِ... ﴾ ٦١ - ٦٢ ١١٠
- ١١١ أحكام ومسائل الآيتين
تقرير عظمة الله في ربوبيته وألوهيته وأسمائه وصفاته
وأنه مدبر الكون المتصرف فيه ١١١
تفسير قوله تعالى ﴿ أَلَمْ تَرَ أَنَّ اللَّهَ أَنزَلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً
فَتُصْبِحُ الْأَرْضُ مُخْضَرَّةً... ﴾ ٦٣ - ٦٦ ١١١
- ١١٣ أحكام ومسائل الآيات
الدلائل والبيانات على ربوبية الله وعظمته ١١٣
لطف الله بعباده في عدم مؤاخذته لهم بذنوبهم ١١٣
تفسير قوله تعالى ﴿ لِكُلِّ أُمَّةٍ جَعَلْنَا مَنْسَكًا هُمْ
نَاسِكُوهُ... ﴾ ٦٧ - ٦٩ ١١٤
- ١١٥ أحكام ومسائل الآيات
سنة الله في بعث الرسل ١١٥
التوجيه بترك الجدل بالباطل ١١٥
تفسير قوله تعالى ﴿ أَلَمْ تَعْلَمْ أَنَّ اللَّهَ يَعْلَمُ مَا فِي السَّمَاءِ
وَالْأَرْضِ... ﴾ ٧٠ ١١٥
- ١١٦ أحكام ومسائل الآيات
دلالة الآية على ربوبية الله وإحاطته المطلقة بما في الوجود ... ١١٦
الحكم بأن جميع أمور الخلق والكون مسجلة في

- ١١٦ اللوح المحفوظ
- تفسير قوله تعالى ﴿وَيَعْبُدُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ مَا لَمْ يَنْزِلْ بِهِ سُلْطَانًا...﴾ ٧١ - ٧٢ ١١٦
- ١١٧ أحكام ومسائل الآيتين
- ١١٧ تقرير أن الله لا يعزب عنه مثقال ذرة مما في الكون
- ١١٨ تقرير جهل عبدة الأصنام
- ١١٨ بيان حال الكفار عندما تتلى عليهم آيات الله
- تفسير قوله تعالى ﴿يَتَأْتِيهَا النَّاسُ ضُرْبَ مَثَلٍ فَاسْتَمِعُوا لَهُ...﴾ ٧٣ - ٧٤ ١١٨
- ١١٩ أحكام ومسائل الآيتين
- ١١٩ مشروعية ضرب الأمثال
- ١١٩ الحكم بأنه لا أحد من الخلق يستطيع خلق أحقر شيء
- ١٢٠ الوعيد لمن جعل شريكاً مع الله في عبادته
- تفسير قوله تعالى ﴿اللَّهُ يَصْطَفِي مِنَ الْمَلَائِكَةِ رُسُلًا وَمِنْ النَّاسِ...﴾ ٧٥ - ٧٦ ١٢٠
- ١٢٠ أحكام ومسائل الآيتين
- ١٢٠ تقرير أن الله يختار لإبلاغ رسالته من يشاء من عباده
- ١٢١ تقرير عظمة الله وقدرته المقتضية لوجوب إفراده بالعبادة ...
- تفسير قوله تعالى ﴿يَتَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا أَرْكَعُوا وَاسْجُدُوا...﴾ ٧٧ - ٧٨ ١٢١
- ١٢٣ أحكام ومسائل الآيتين
- ١٢٣ الأمر بأداء الصلوات المفروضة

- الأمر بفعل الخير ١٢٣
- الأمر بالجهاد في سبيل الله لإعلاء كلمة الله ١٢٣
- الحث على قول الحق ١٢٣
- رفع الحرج عن الأمة بمفهومه الشامل ١٢٣
- شرف هذه الأمة ١٢٤
- تفسير سورة المؤمنون ١٢٥
- تفسير قوله تعالى ﴿قَدْ أَفْلَحَ الْمُؤْمِنُونَ ..﴾ ١ - ١١ ١٢٥
- أحكام ومسائل الآيات ١٢٧
- وجوب الخشوع في الصلاة ١٢٧
- وجوب حفظ الفروج إلا على الأزواج ١٢٧
- تحريم نكاح المتعة ١٢٧
- وجوب أداء الأمانة ١٢٨
- وجوب المحافظة على الصلوات في أوقاتها ١٢٨
- تفسير قوله تعالى ﴿وَلَقَدْ خَلَقْنَا الْإِنْسَانَ مِنْ سُلَالَةٍ مِّنْ طِينٍ ..﴾ ١٢ - ١٦ ١٢٨
- أحكام ومسائل الآيات ١٣٠
- الأدلة البينة على كيفية خلق الله للإنسان ١٣٠
- الحكم بأن مصير الإنسان بعد تدرجه في الحياة هو الموت ثم البعث والحساب ١٣١
- تفسير قوله تعالى ﴿وَلَقَدْ خَلَقْنَا فَوْقَكُمْ سَبْعَ طَرَائِقٍ ..﴾ ١٧ ١٣١
- أحكام ومسائل الآيات ١٣٢

- ١٣٢ تذكير الإنسان المنكر للبعث بقدرة الله في تصرفه في الكون
- ١٣٣ أن الله جل ثناؤه يقوم على رعاية الكون بكل ما فيه
- ١٣٣ تفسير قوله تعالى ﴿وَأَنْزَلْنَا مِنَ السَّمَاءِ مَاءً بِقَدَرٍ...﴾ ١٨ - ٢٢ ..
- ١٣٥ أحكام ومسائل الآيات
- ١٣٥ فضل الله على عباده بإنزال الماء لهم من السماء
- ١٣٥ تحريم الإسراف في الماء
- ١٣٥ بيان القيمة الغذائية لزيت الزيتون
- ١٣٥ فصل الله على الإنسان بأن سخر له الأنعام
- ١٣٦ تفسير قوله تعالى ﴿وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا نُوحًا إِلَى قَوْمِهِ...﴾ ٢٣ - ٢٥ ..
- ١٣٧ أحكام ومسائل الآيات
- ١٣٧ تقرير توحيد الألوهية
- تقرير أن الذين يكذبون دعوة الرسل هم الرؤساء
- ١٣٧ المتنفذون في قومهم خشية فقدانهم سيادتهم
- ١٣٧ على الدعاة إلى الحق أن يصبروا على ما يلاقونه من الأذى
- ١٣٨ تفسير قوله تعالى ﴿قَالَ رَبِّ انصُرْنِي بِمَا كَذَّبُون...﴾ ٢٦ - ٣٠ ..
- ١٣٩ أحكام ومسائل الآيات
- ١٣٩ مصير المكذبين للرسل
- ١٤٠ استحباب التسمية عند ركوب وسائل النقل
- ١٤٠ استحباب قراءة دعاء السفر
- تفسير قوله تعالى ﴿ثُمَّ أَنْشَأْنَا مِنْ بَعْدِهِمْ قَرْنًا
- ءَاخَرِينَ...﴾ ٣١ - ٤١ ..
- ١٤٣ أحكام ومسائل الآيات

- الحكم بأن دعوة الرسل واحدة ١٤٣
- ذم الترف ١٤٣
- عاقبة الكفر والظلم ١٤٣
- تفسير قوله تعالى ﴿ثُمَّ أَنفَسْنَا مِنْ بَعْدِهِمْ قُرُونًا
- ءَاخِرِينَ ..﴾ ٤٢ - ٤٤ ١٤٣
- أحكام ومسائل الآيات ١٤٤
- الحكم بأن آجال الأمم مثل آجال الأفراد ١٤٤
- تقرير أن الله يبعد عن رحمته الكافرين ١٤٥
- تفسير قوله تعالى ﴿ثُمَّ أَرْسَلْنَا مُوسَى وَأَخَاهُ هَارُونَ
- بِآيَاتِنَا ..﴾ ٤٥ - ٥٠ ١٤٥
- أحكام ومسائل الآيات ١٤٦
- قصة موسى عليه السلام مع فرعون ١٤٦
- تقرير إهلاك الله الكافرين ومنكري الحق ١٤٧
- التوكيد على قدرة الله وعظمته في خلق الولد بلا أب ولا أم ١٤٧
- تفسير قوله تعالى ﴿يَأْتِيهَا الرُّسُلُ كُلُّهَا مِنَ الطَّبِئَتِ وَأَعْمَلُوا
- صَالِحًا ..﴾ ٥١ - ٥٦ ١٤٧
- أحكام ومسائل الآيات ١٤٩
- الحكم بوجوب الأكل من الحلال ١٤٩
- الحكم بأن دين الأنبياء واحد ١٤٩
- دين الإسلام قد نسخ الأديان السابقة ١٤٩
- التنديد بالذين فرقوا دينهم ١٤٩
- التوكيد على أن الأمم التي تكفر بنعم الله مصيرها إلى الهلاك .. ١٤٩

تفسير قوله تعالى ﴿إِنَّ الَّذِينَ هُمْ مِنْ خَشْيَةِ رَبِّهِمْ

- مُشْفِقُونَ... ﴿٥٧ - ٦١ ١٤٩
- أحكام ومسائل الآيات ١٥٠
- الحث على خشية الله ١٥٠
- الحث على الوجل والخوف من عدم قبول العمل ١٥١
- تفسير قوله تعالى ﴿وَلَا تُكَلِّفُ نَفْسًا إِلَّا وُسْعَهَا... ﴿٦٢-٦٧ ١٥١
- أحكام ومسائل الآيات ١٥٢
- الحكم بأن الله سبحانه لا يكلف عباده ما لا يطيقونه ١٥٢
- تنزيه الله عز وجل عن الظلم ١٥٣
- الأمر بالتوبة قبل حلول الأجل ١٥٣
- تقرير ذم السمر في الليل لا سيما إذا كان بالباطل ١٥٣
- تفسير قوله تعالى ﴿أَفَلَمْ يَدَّبَّرُوا الْقَوْلَ.. ﴿٦٨-٧٥ ١٥٣
- أحكام ومسائل الآيات ١٥٦
- التنديد بمن لم يتدبر القرآن ١٥٦
- الحذر من خطر الهوى ١٥٦
- التوكيد أن دين الإسلام هو الطريق إلى السعادة ١٥٦
- تفسير قوله تعالى ﴿وَلَقَدْ أَخَذْنَاهُمْ بِالْعَذَابِ.. ﴿٧٦-٨٣ ١٥٦
- أحكام ومسائل الآيات ١٥٩
- وجوب الشكر على نعم الله ١٥٩
- التنديد بمن لا يلجأ إلى الله في الشدائد ١٥٩
- الوعيد لمنكري البعث ١٥٩
- تفسير قوله تعالى ﴿قُلْ لِمَنِ الْأَرْضُ وَمَنْ فِيهَا... ﴿٨٤-٩٠ ... ١٥٩

- ١٦١ أحكام ومسائل الآيات
الحث على دعوة المعرض عن الحق وتوجيهه بالدليل
- ١٦١ العقلي على وحدانية الله
على الدعاة التحلي بالصبر
- ١٦١ تفسير قوله تعالى ﴿ مَا آتَخَذَ اللَّهُ مِنْ وَلَدٍ وَمَا كَانَ مَعَهُ مِنْ إِلَهٍ .. ﴾ ٩٢-٩١
أحكام ومسائل الآيتين
- ١٦٢ الله منزّه عن اتخاذ صاحبة الولد
الاستدلال بالعقل على أن تعدد الآلهة ممتنع
- ١٦٢ تنزيه الله وتعظيمه عن قول الظالمين والجاحدين لألوهيته ...
تفسير قوله تعالى ﴿ قُلْ رَبِّ إِمَّا تُرِيْنِي مَا يُوعَدُونَ .. ﴾ ٩٣-٩٨
- ١٦٤ أحكام ومسائل الآيات
أهمية الدعاء
- ١٦٤ الحكم بدفع السيئة بالحسنة
الحكم بالتعوذ من الشياطين
- ١٦٥ تفسير قوله تعالى ﴿ حَتَّىٰ إِذَا جَاءَ أَحَدَهُمُ الْمَوْتُ قَالَ رَبِّ ارْجِعُونِ .. ﴾ ٩٩-١٠٠
أحكام ومسائل الآيتين
- ١٦٦ الإخبار بأن الكفرة يتمنون الرجوع إلى الدنيا عند رؤيتهم العذاب
تقرير أن الكفرة يعذبون في البرزخ قبل البعث
- ١٦٦ تفسير قوله تعالى ﴿ فَإِذَا نُفِخَ فِي الصُّورِ فَلَا أَنْسَابَ بَيْنَهُمْ

- يَوْمَئِذٍ... ﴿١٠١-١٠٤﴾ ١٦٦
- أحكام ومسائل الآيات ١٦٧
- الحكم بأن إسرائيل ينفخ في الصور ١٦٧
- تقرير المقاصة بين الخلق ١٦٨
- تفسير قوله تعالى ﴿أَلَمْ تَكُنْ أَتِنَىٰ تُنَلَىٰ عَلَيْنَا فَمَا تَكْذِبُونَ﴾ ١٠٥-١٠٧ ١٦٨
- أحكام ومسائل الآيات ١٦٩
- انتفاء حجة الكافرين بغلبة الشقاوة عليهم ١٦٩
- تفسير قوله تعالى ﴿قَالَ أَخْسَأُوا فِيهَا﴾ ١٠٨-١١١ ١٦٩
- أحكام ومسائل الآيات ١٧١
- تحريم السخرية بالمسلم ١٧١
- الأمر بالصبر ١٧١
- تفسير قوله تعالى ﴿قُلْ كَمْ لِيَشْرُ فِي الْأَرْضِ﴾ ١١٦-١١٢ ١٧١
- أحكام ومسائل الآيات ١٧٢
- تقرير سؤال الكافرين عن حياتهم وأعمالهم في الدنيا ١٧٢
- تنزيه الله تعالى عن العبث ١٧٢
- تفسير قوله تعالى ﴿وَمَنْ يَدْعُ مَعَ اللَّهِ إِلَهًا آخَرَ لَا بُرْهَانَ لَهُ بِهِ فَإِنَّمَا حِسَابُهُ عِنْدَ رَبِّهِ﴾ ١١٧-١١٨ ١٧٣
- أحكام ومسائل الآيتين ١٧٣
- الحكم بأن من دعا مع الله إلهاً آخر فهو مشرك ١٧٣
- تقرير عدم فلاح الكافرين في الدنيا والآخرة ١٧٣
- فضل الدعاء وسؤال المغفرة والرحمة من الله عز وجل ١٧٣

- ١٧٤ تفسير سورة النور
- ١٧٤ تفسير قوله تعالى ﴿سُورَةُ أَنْزَلْنَاهَا وَفَرَضْنَاهَا..﴾ ٢-١
- ١٧٥ أحكام ومسائل الآيتين
- ١٧٥ حد الزنا
- ١٧٦ تفسير قوله تعالى ﴿الزَّانِي لَا يَنْكِحُ إِلَّا زَانِيَةً أَوْ مُشْرِكَةً..﴾ ٣
- ١٧٧ أحكام ومسائل الآية
- ١٧٧ الحكم بالألا تتزوج امرأة عفيفة من زان إلا بعد توبته
- ١٧٧ لا تتزوج زانية من رجل عفيف إلا بعد توبتها
- ١٧٧ تفسير قوله تعالى ﴿وَالَّذِينَ يَرْمُونَ الْمُحْصَنَاتِ..﴾ ٥-٤
- ١٧٨ أحكام ومسائل الآيتين
- ١٧٨ حد القذف وعقوبة القاذف
- ١٧٩ تفسير قوله تعالى ﴿وَالَّذِينَ يَرْمُونَ أَزْوَاجَهُمْ..﴾ ١٠-٦
- ١٨٢ أحكام ومسائل الآيات
- ١٨٢ حكم من يقذف زوجته وليس لديه شهود
- ١٨٢ اللعان
- ١٨٢ تفسير قوله تعالى ﴿إِنَّ الَّذِينَ جَاءُوا بِآلِفِكَ عُصْبَةً مِنْكُمْ..﴾ ١١
- ١٨٤ أحكام ومسائل الآية
- ١٨٤ تقرير شرور المنافقين وخطرهم على الأمة
- تفسير قوله تعالى ﴿لَوْلَا إِذْ سَمِعْتُمُوهُ ظَنَّ الْمُؤْمِنُونَ وَالْمُؤْمِنَاتُ بِأَنْفُسِهِمْ خَيْرًا..﴾ ١٣-١٢
- ١٨٥ أحكام ومسائل الآيتين
- ١٨٦ وجوب عدم اتهام أحد من المسلمين دون بينة ظاهرة

- ١٨٦ من اتهم آخر بالإفك عليه أن يأتي بأربعة شهداء
- ١٨٦ تفسير قوله تعالى ﴿وَلَوْلَا فَضْلُ اللَّهِ عَلَيْكُمْ...﴾ ١٥-١٤
- ١٨٧ أحكام ومسائل الآيتين
- ١٨٧ تقرير فضل الله على المؤمنين
- ١٨٧ تقرير وعيد الله بالعذاب لكل من يقذف المحصنات
- ١٨٧ تقرير فضل أم المؤمنين عائشة رضي الله عنها
- تفسير قوله تعالى ﴿وَلَوْلَا إِذْ سَمِعْتُمُوهُ قُلْتُمْ مَا يَكُونُ لَنَا أَنْ
- تَتَكَلَّمُ بِهَذَا...﴾ ١٨-١٦ ١٨٧
- ١٨٨ أحكام ومسائل الآيات
- ١٨٨ الحكم بأن الإفك من أشد الجرائم
- ١٨٨ وجوب حسن الظن بالمسلم
- ١٨٨ وجوب التوبة على من وقع في خطأ القول
- ١٨٨ شدة الجرم والعقاب تزداد على مبتدع الإفك
- ١٨٨ المسلم يتروى فيما يسمع
- تفسير قوله تعالى ﴿إِنَّ الَّذِينَ يُحِبُّونَ أَنْ تَشِيعَ الْفَاحِشَةُ
- فِي الَّذِينَ ءَامَنُوا...﴾ ١٩ ١٨٩
- ١٨٩ أحكام ومسائل الآية
- ١٨٩ الوعيد الشديد لمشييعي الفاحشة
- ١٩٠ تفسير قوله تعالى ﴿وَلَوْلَا فَضْلُ اللَّهِ عَلَيْكُمْ...﴾ ٢١-٢٠ ...
- ١٩١ أحكام ومسائل الآيتين
- ١٩١ فضل الله على العصاة من عباده لإمهالهم ليتوبوا
- ١٩١ تحريم اتباع الشيطان

- تفسير قوله تعالى ﴿وَلَا يَأْتَلِ أُولُوا الْفَضْلِ مِنْكُمْ...﴾ ٢٢ ١٩١
- أحكام ومسائل الآية ١٩٣
- وجوب العفو عن الإساءة ١٩٣
- تفسير قوله تعالى : ﴿إِنَّ الَّذِينَ يَرْمُونَ الْمُحْصَنَاتِ...﴾ ٢٣-٢٥ .. ١٩٣
- أحكام ومسائل الآيات ١٩٤
- تشنيع جريمة قذف المحصنات ١٩٤
- تحريم التعرض لأمهات المؤمنين زوجات رسول الله ﷺ ١٩٤
- الحكم بلعنة القذفة وطردهم من رحمة الله ١٩٤
- أن جوارح القذفة تشهد عليهم يوم القيامة ١٩٤
- تفسير قوله تعالى ﴿الْخَبِيثَاتُ لِلْخَبِيثِينَ...﴾ ٢٦ ١٩٥
- أحكام ومسائل الآية ١٩٦
- تقرير أن الخبث يلصق بأهله ١٩٦
- براءة أم المؤمنين عائشة رضي الله عنها وصفوان بن
المعطل مما نسب له المنافقون ١٩٦
- وعد الله لهما بالمغفرة ١٩٦
- تفسير قوله تعالى ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَدْخُلُوا بُيُوتًا
غَيْرَ بُيُوتِكُمْ حَتَّى تَسْتَأْذِنُوا...﴾ ٢٧-٢٩ ١٩٦
- أحكام ومسائل الآيات ١٩٨
- وجوب الاستئذان قبل دخول بيوت الناس ١٩٨
- آداب الاستئذان ودخول البيوت ١٩٩
- تفسير قوله تعالى ﴿قُلْ لِلْمُؤْمِنِينَ يَغُضُّوا مِنْ أَبْصَارِهِمْ
وَيَحْفَظُوا فُرُوجَهُمْ...﴾ ٣٠ ١٩٩

- أحكام ومسائل الآية ٢٠٠
- وجوب غض البصر عن المحارم ٢٠٠
- وجوب حفظ الفرج عن الحرام ٢٠٠
- تفسير قوله تعالى ﴿وَقُلْ لِلْمُؤْمِنَاتِ يَغْضُضْنَ مِنْ أَبْصَرِهِنَّ وَيَحْفَظْنَ فُرُوجَهُنَّ...﴾ ٣١ ٢٠٠
- أحكام ومسائل الآية ٢٠٣
- وجوب غض البصر للمرأة إذا رأت الرجال الأجانب عنها ٢٠٣
- وجوب حفظ المرأة فرجها ٢٠٣
- وجوب وضع المرأة خمارها على جيبها ٢٠٣
- وجوب إخفاء المرأة زينتها عدا ما تقتضيه الضرورة ٢٠٣
- تحريم إعلان المرأة عن نفسها إذا كانت تسير في الطريق ٢٠٣
- وجوب التوبة إلى الله من تقصير العبد في عبادته ٢٠٤
- تفسير قوله تعالى ﴿وَأَنكِحُوا الْأَيْمَىٰ مِنْكُمْ...﴾ ٣٢-٣٤ ٢٠٤
- أحكام ومسائل الآيات ٢٠٦
- الأمر بتزويج العازبين ٢٠٦
- وجوب العفة على من لم يقدر على النكاح ٢٠٧
- تحريم الزنى إكراهاً واختياراً ٢٠٧
- تفسير قوله تعالى ﴿اللَّهُ تَوَّابٌ عَلِيمٌ...﴾ ٣٥ ٢٠٧
- أحكام ومسائل الآية ٢٠٨
- تقرير أن الله يهدي من يشاء من عباده ٢٠٨
- تقرير ضرب الأمثال للناس ٢٠٨
- تفسير قوله تعالى ﴿فِي بُيُوتٍ أُذِنَ لِلَّهِ أَنْ تَرْفَعَ...﴾ ٣٦-٣٨ ٢٠٩
- أحكام ومسائل الآيات ٢١٠

- ٢١٠ وجوب تعظيم بيوت الله
- ٢١١ مضاعفة أجر الصلوات في المساجد
- ثناء الله على عباده الذين لا تشغلهم التجارة ولا البيع
- ٢١٢ عن ذكر الله
- ٢١٢ تفسير قوله تعالى ﴿وَالَّذِينَ كَفَرُوا أَعْمَالُهُمْ كَسَرَابٍ﴾ ٤٠-٣٩ ..
- ٢١٣ أحكام ومسائل الآيتين
- ٢١٣ تقرير أن أعمال الكافرين هباء وسدى
- تقرير أن من حرمه الله نور الإيمان بسبب كفره
- ٢١٣ وطغيانه فلا أحد يستطيع أن يهديه
- تفسير قوله تعالى ﴿أَلَمْ تَرَ أَنَّ اللَّهَ يُسَبِّحُ لَهُ مَنْ فِي
- السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ﴾ ٤١-٤٢ ..
- ٢١٤ أحكام ومسائل الآيتين
- ٢١٥ الحكم بأن الكون العلوي والسفلي ومن فيهما يسبح
- لله تعالى
- ٢١٥ الله يعلم تسبيح جميع مخلوقاته
- ٢١٥ تفسير قوله تعالى ﴿أَلَمْ تَرَ أَنَّ اللَّهَ يُرْجِي سَحَابًا﴾ ٤٤-٤٣
- ٢١٦ أحكام ومسائل الآيتين
- ٢١٦ تقرير عظمة الله في إنشاء السحاب
- ٢١٦ تقرير حكمة الله في تعاقب الليل والنهار
- ٢١٧ تفسير قوله تعالى ﴿وَاللَّهُ خَلَقَ كُلَّ دَابَّةٍ مِنْ مَّاءٍ﴾ ٤٥
- ٢١٧ أحكام ومسائل الآية
- ٢١٧ تقرير مظاهر قدرة الله وعظمته في كيفية خلقه
- ٢١٨ تفسير قوله تعالى ﴿لَقَدْ أَنْزَلْنَا آيَاتٍ مُبِينَاتٍ﴾ ٤٦

- أحكام ومسائل الآية ٢١٨
- بيان نعم الله على عباده بإنزال القرآن ٢١٨
- الحكم بأن الله يهدي من يتقيه إلى الطريق القويم ٢١٨
- تفسير قوله تعالى ﴿وَيَقُولُونَ ءَامَنَّا بِاللَّهِ ..﴾ ٥٢-٤٧ ٢١٨
- أحكام ومسائل الآيات ٢٢١
- التنديد بالمنافقين لإعراضهم عن التحاكم إلى الله ورسوله ٢٢١
- مدح المؤمنين الذين يستجيبون للتحاكم إلى الله ورسوله ٢٢١
- تفسير قوله تعالى ﴿وَأَقْسَمُوا بِاللَّهِ جَهْدَ أَيْمَانِهِمْ ..﴾ ٥٤-٥٣ ٢٢١
- أحكام ومسائل الآيتين ٢٢٣
- الأمر بوجوب طاعة الله وطاعة رسوله ٢٢٣
- الحكم بكذب المنافقين وعدم تصديقهم ٢٢٣
- تفسير قوله تعالى ﴿وَعَدَ اللَّهُ الَّذِينَ ءَامَنُوا مِنكُمْ وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ لَيَسْتَخْلِفَنَّهُمْ فِي الْأَرْضِ ..﴾ ٥٥ ٢٢٣
- أحكام ومسائل الآية ٢٢٥
- تقرير وعد الله للمؤمنين بالاستخلاف في الأرض ٢٢٥
- الحكم بأن من عبد الله حق عبادته ورث الأرض ٢٢٥
- الأمم التي ينعم الله عليها ثم تتنكر لهذه النعم يسلبها الله منها .. ٢٢٥
- تفسير قوله تعالى ﴿وَأَقِيمُوا الصَّلَاةَ وَءَاتُوا الزَّكَاةَ ..﴾ ٥٦-٥٧ ٢٢٦
- أحكام ومسائل الآيتين ٢٢٦
- الحكم بوجوب إقامة الصلاة وإيتاء الزكاة ٢٢٦
- تقرير قدرة الله على الانتقام من الكافرين ٢٢٦
- تفسير قوله تعالى ﴿يَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا لِيَسْتَعِزَّ بِكُمْ الَّذِينَ مَلَكَتْ أَيْمَانُكُمْ ..﴾ ٥٨-٦٠ ٢٢٧

- أحكام ومسائل الآيات ٢٣٠
- عدم دخول الأطفال غير المميزين والخدم على أهلهم قبل ٢٣٠
- صلاة الفجر ووقت الظهر ٢٣٠
- وجوب الاستئذان على البالغين الحلم ٢٣٠
- الرخصة للقواعد من النساء في كشف وجوههن ٢٣٠
- تفسير قوله تعالى ﴿لَيْسَ عَلَى الْأَعْمَى حَرَجٌ﴾ ٦١ ٢٣٠
- أحكام ومسائل الآية ٢٣٣
- رفع الحرج عن الأكل مع ذوي العاهات ٢٣٣
- رفع الحرج عن الأكل من بيوت الأبناء والآباء والأمهات ٢٣٣
- والأخوات ٢٣٣
- جواز الأكل فرادى أو جماعة ٢٣٣
- استحباب السلام عند دخول البيوت والمساجد ٢٣٣
- تفسير قوله تعالى ﴿إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ الَّذِينَ آمَنُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ...﴾ ٦٢-٦٤ ٢٣٣
- أحكام ومسائل الآيات ٢٣٦
- وجوب التزام المأمور بالطاعة للأمر في غير معصية الله ٢٣٦
- وجوب احترام رسول الله ﷺ وتعظيمه والتأدب معه في ٢٣٦
- الحياة وبعد الممات ٢٣٦
- وجوب الاستئذان ٢٣٦
- وجوب طاعة رسول الله محمد ﷺ ٢٣٧
- التحذير من مخالفة رسول الله محمد ﷺ ٢٣٧

- ٢٣٨ تفسير سورة الفرقان
- تفسير قوله تعالى ﴿تَبَارَكَ الَّذِي نَزَّلَ الْفُرْقَانَ عَلَى عَبْدِهِ لِيَكُونَ
- ٢٣٨ لِلْعَالَمِينَ نَذِيرًا..﴾ ٣-١
- ٢٣٩ أحكام ومسائل الآيات
- ٢٣٩ الحكم بعظمة الله وربوبيته
- ٢٣٩ تنزيه الله وتقديسه عن الولد والشريك
- ٢٣٩ الحكم بسفه المشركين وجهلهم وسوء عاقبتهم
- تفسير قوله تعالى ﴿وَقَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا إِنَّ هَذَا إِلَّا إِفْكُ
- ٢٤٠ أَفْتَرْنَاهُ..﴾ ٦-٤
- ٢٤١ أحكام ومسائل الآيات
- ٢٤١ بيان ضلال المشركين
- ٢٤١ الحكم بأن الله هو الذي أنزل القرآن
- تفسير قوله تعالى ﴿وَقَالُوا مَا لِيَ هَذَا الرَّسُولِ يَأْكُلُ الطَّعَامَ
- ٢٤٢ وَيَمْشِي فِي الْأَسْوَاقِ..﴾ ٩-٧
- ٢٤٣ أحكام ومسائل الآيات
- تقرير ضلال المشركين في طلبهم أن يكون مع رسول
- ٢٤٣ الله ﷺ ملك يصدقه
- تفسير قوله تعالى ﴿تَبَارَكَ الَّذِي إِنْ شَاءَ جَعَلَ لَكَ خَيْرًا
- ٢٤٣ مِنْ ذَلِكَ..﴾ ١٤-١٠
- ٢٤٥ أحكام ومسائل الآيات
- الحكم بأن المشركين لما طلبوا معاينة الملك إنما أرادوا
- ٢٤٥ تكذيب الحق
- ٢٤٥ بيان حال المشركين يوم القيامة

- تفسير قوله تعالى ﴿قُلْ أَذَلِكَ خَيْرٌ أَمْ جَنَّةُ الْخُلْدِ الَّتِي
- وَعِدَ الْمُتَّقُونَ... ﴿١٥-١٦ ٢٤٥
- أحكام ومسائل الآيتين ٢٤٦
- تقرير العهد الذي أخذه الله على نفسه بما أعده من
- النعيم للمتقين ٢٤٦
- تفسير قوله تعالى ﴿وَيَوْمَ يَحْشُرُهُمْ وَمَا يَعْبُدُونَ
- مِنْ دُونِ اللَّهِ... ﴿١٧-١٩ ٢٤٦
- أحكام ومسائل الآيات ٢٤٨
- تقرير سؤال الله للمعبودين يوم القيامة ممن عبدوهم،
- هل هم أضلوهم، أم أنهم عبدوهم من تلقاء أنفسهم ٢٤٨
- التحذير من نسيان أمر الله بسبب ما يرزق العبد من طول
- العمر وسعة الرزق ٢٤٨
- تفسير قوله تعالى ﴿وَمَا أَرْسَلْنَا قَبْلَكَ مِنَ الْمُرْسَلِينَ إِلَّا
- إِنَّهُمْ لِيَأْكُلُوا الطَّعَامَ وَيَمْشُوا فِي الْأَسْوَاقِ... ﴿٢٠ ٢٤٨
- أحكام ومسائل الآية ٢٤٩
- تسليية لرسول الله ﷺ حين عيره المشركون ٢٤٩
- بيان أن الأنبياء والرسل قبل محمد ﷺ قد عملوا في
- التجارة والحدادة والخياطة ٢٤٩
- التوكيد على أن الرزق يدرك بفعل الأسباب ٢٥٠
- الحكم بأن هذه الدار دار ابتلاء وفتن ٢٥٠
- تفسير قوله تعالى ﴿وَقَالَ الَّذِينَ لَا يَرْجُونَ لِقَاءَنَا لَوْلَا أُنْزِلَ
- عَلَيْنَا الْمَلَكُ... ﴿٢١-٢٤ ٢٥٠
- أحكام ومسائل الآيات ٢٥٢

- ٢٥٢ ذم مشركي مكة لإنكارهم البعث وطلبهم إنزال الملائكة
توكيد أن الملائكة حين يقبضون الأرواح يبشرون
- ٢٥٢ المؤمنين بالنعيم والكافرين بالعذاب
أعمال الكافرين تتحول يوم القيامة هباء لا ينتفعون
- ٢٥٣ منها بشيء
تفسير قوله تعالى ﴿وَيَوْمَ تَشْقُقُ السَّمَاءُ بِالْغَمِّمِ ..﴾ ٢٩-٢٥
- ٢٥٥ أحكام ومسائل الآيات
بيان أهوال يوم القيامة
- ٢٥٥ حكم الله بأن الملك له يوم القيامة
توكيد ما يصيب الظلمة من الحسرة والندامة
- ٢٥٦ تفسير قوله تعالى ﴿وَقَالَ الرَّسُولُ يَرْبِّ إِنَّ قَوْمِي اتَّخَذُوا
هَذَا الْقُرْآنَ مَهْجُورًا ..﴾ ٣٠-٣٤
أحكام ومسائل الآيات
- ٢٥٨ تقرير شهادة رسول الله ﷺ على من هجروا القرآن
فلم يستمعوا له
- ٢٥٨ تقرير أنه ما من نبي إلا كان له أعداء
حكمة الله من إنزال القرآن الكريم مفرقاً
- ٢٥٨ تقرير أن المجرمين يحشرون يوم القيامة على وجوههم
تفسير قوله تعالى ﴿وَلَقَدْ آتَيْنَا مُوسَى الْكِتَابَ وَجَعَلْنَا
مَعَهُ أَخَاهُ هَارُونَ وَزِيْرًا ..﴾ ٣٥-٤٠
أحكام ومسائل الآيات
- ٢٦١ تقرير حكم الله من إرسال الرسل إلى أقوامهم

السبب في عدم اتعاظ المشركين بمن أهلكوا من الأمم

- ٢٦١ قبلهم عدم إيمانهم بالبعث
تفسير قوله تعالى ﴿وَإِذَا رَأَوْكَ إِن يَتَّخِذُوكَ إِلَّا هُزُوءًا...﴾ ٤١-٤٤
٢٦١ أحكام ومسائل الآيات
٢٦٣ التنديد بسلوك المشركين تجاه رسول الله ﷺ
٢٦٣ من جعل الهوى معبوده لا يمكن أن يهتدي
٢٦٣ تقرير أن المشركين أضل من الأنعام
٢٦٣ تفسير قوله تعالى ﴿أَلَمْ تَرَ إِلَى رَبِّكَ كَيْفَ مَدَّ الظِّلَّ...﴾ ٤٥-٤٧ ..
٢٦٤ أحكام ومسائل الآيات
٢٦٤ تقرير قدرة الله وحكمته من خلق الظل ومنافعه
تفسير قوله تعالى ﴿وَهُوَ الَّذِي أَرْسَلَ الرِّيحَ بُشْرًا بَيْنَ يَدَيْ رَحْمَتِهِ...﴾ ٤٨-٥٠
٢٦٥ أحكام ومسائل الآيات
٢٦٦ الحكم بطهورية الماء إذا كان باقياً على أصله
٢٦٦ تقرير أن الله عز وجل يصرف نزول الماء من السماء
تفسير قوله تعالى ﴿وَلَوْ شِئْنَا لَبَعَثْنَا فِي كُلِّ قَرْيَةٍ نَذِيرًا...﴾ ٥١-٥٤
٢٦٧ أحكام ومسائل الآيات
٢٦٨ تقرير فضل الله على رسوله محمد ﷺ وعلى أمته بأن جعله رسولاً للناس كافة
٢٦٨ تحريم طاعة الكافرين مع وجوب مجادلهم بالقرآن
٢٦٨ تقرير قدرة الله العظيمة في عدم اختلاط مياه

- ٢٦٨ الأنهار والبحار
بيان مظاهر قدرة الله عز وجل حيث جعل من نقطة الماء
- ٢٦٨ الضعيفة منطلقاً لتكاثر الجنس البشري
تفسير قوله تعالى ﴿وَيَعْبُدُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ مَا لَا يَنْفَعُهُمْ
وَلَا يَضُرُّهُمْ...﴾ ٥٥-٦٠
- ٢٦٩
أحكام ومسائل الآيات
- ٢٧١
تقرير أن الأنبياء عليهم السلام لم يأخذوا أجراً على دعوتهم ..
- ٢٧١
وجوب التوكل على الله تعالى
- ٢٧١
وجوب السجود لله عز وجل خضوعاً وانقياداً وتذلاً إليه
- ٢٧١
وجوب الإيمان باستواء الله على عرشه بما يليق بجلاله
- تفسير قوله تعالى ﴿نَبَارَكُ الَّذِي جَعَلَ فِي السَّمَاءِ
بُرُوجًا...﴾ ٦١-٦٢
- ٢٧١
أحكام ومسائل الآيتين
- ٢٧٣
تقرير ما أنعم الله به على عباده حيث سخر الشمس
والقمر لمنافعهم
- ٢٧٣
تقرير ما أنعم الله به على عباده حيث جعل الليل والنهار
يتعاقبان
- تفسير قوله تعالى ﴿وَعِبَادُ الرَّحْمَنِ الَّذِينَ يَمْشُونَ عَلَى
الْأَرْضِ هَوْنًا...﴾ ٦٣-٦٧
- ٢٧٣
أحكام ومسائل الآيات
- ٢٧٥
وجوب التواضع في السلوك
- ٢٧٥
عدم مخاطبة الجاهلين بمثل مخاطبتهم
- ٢٧٦
فضل قيام الليل والحث عليه

- ٢٧٦ تحريم الإسراف في الإنفاق وبذل المال في غير موضعه
- ٢٧٦ تحريم التقدير والبخل في النفقة على النفس والعيال
- ٢٧٦ استحباب التوسط في الإنفاق
- تفسير قوله تعالى ﴿وَالَّذِينَ لَا يَدْعُونَ مَعَ اللَّهِ إِلَهًا
- ءَاخَرَ..﴾ ٦٨-٧١ ٢٧٦
- ٢٧٨ أحكام ومسائل الآيات
- ٢٧٨ تحريم الشرك
- ٢٧٨ تحريم قتل النفس التي حرم الله إلا بالحق
- ٢٧٨ تحريم الزنا
- ٢٧٨ التوبة تجب ما قبلها
- ٢٧٨ من تاب بدل الله سيئاته حسنات
- ٢٧٩ تفسير قوله تعالى ﴿وَالَّذِينَ لَا يَشْهَدُونَ الزُّورَ..﴾ ٧٢-٧٤
- ٢٨١ أحكام ومسائل الآيات
- ٢٨١ تحريم شهادة الزور
- ٢٨١ ذم اللغو من القول والعمل
- ٢٨١ فضيلة الاستماع إلى كتاب الله وعدم الإعراض عند سماعه
- ٢٨١ فضل الدعاء بالذرية الصالحة
- تفسير قوله تعالى ﴿أُولَٰئِكَ يُجْزَوْنَ الْغُرْفَةَ بِمَا
- صَبَرُوا..﴾ ٧٥-٧٧ ٢٨١
- ٢٨٣ أحكام ومسائل الآيات
- ٢٨٣ وعد الله لعباده الصالحين بالدرجات العالية من الجنة
- ٢٨٣ تلقي الملائكة لأهل الجنة بالتحية والسلام
- ٢٨٣ الحكمة من خلق الخلق عبادة الله وطاعته

- ٢٨٤ تفسير سورة الشعراء
- تفسير قوله تعالى ﴿طَسَمَ ١﴾ تِلْكَ آيَاتُ الْكِتَابِ
- ٢٨٤ ٩-١ ﴿أَلْمُؤْمِنِينَ﴾
- ٢٨٥ أحكام ومسائل الآيات
- ٢٨٥ الحكم بأن كتاب الله بين في آياته وأحكامه
- ٢٨٦ تسلية رسول الله محمد ﷺ عما أصابه من تكذيب قومه
- الحكم بأن الله لا يكره الناس على الإيمان بل خيرهم
- ٢٨٦ بين الطاعة والمعصية
- ٢٨٦ الوعيد للمستهزئين بآيات الله
- ٢٨٦ وجوب الاعتبار بما في الأرض من أصناف النبات والحيوان
- تفسير قوله تعالى ﴿وَإِذْ نَادَىٰ رَبُّكَ مُوسَىٰ أَنْ أُنْتِ الْقَوْمَ
- ٢٨٦ ٢٢-١٠ ﴿الظَّالِمِينَ﴾
- ٢٨٩ أحكام ومسائل الآيات
- ٢٨٩ تقرير أن الله كلم موسى وأمره أن يذهب برسالته إلى فرعون
- ٢٩٠ تقرير أن الخوف من طبيعة البشر
- ٢٩٠ مشروعية طلب العون
- ٢٩٠ تقرير أن القتل من الأمور التي تنكرها طباع البشر
- ٢٩٠ استحباب تذكير الإنسان بإحسانه إلى غيره
- ٢٩٠ أن لفظ الضلال قد يراد به الجهل
- ٢٩٠ تفسير قوله تعالى ﴿قَالَ فِرْعَوْنُ وَمَا رَبُّ الْعَالَمِينَ﴾ ٢٣-٢٨
- ٢٩٢ أحكام ومسائل الآيات
- ٢٩٢ تقرير استكبار الطغاة وعدم قبولهم الحق

الدعاة إلى الحق يتعرضون في الغالب إلى اتهامهم

- بشتى التهم ٢٩٢
- الطغاة يخافون من انتصار أصحاب الحق ٢٩٣
- تفسير قوله تعالى ﴿قَالَ لِيْنِ اُنْخَذَتْ اِلَٰهًا غَيْرِيْ لِأَجْعَلَٰنَكَ مِنْ الْمَسْجُوْنِيْنَ﴾ .. ٢٩-٣٧ ٢٩٣
- أحكام ومسائل الآيات ٢٩٤
- تقرير المجادلة بالحق ٢٩٤
- ثبوت المعجزات لأنبياء الله ٢٩٤
- تقرير أن للسحر حقيقة ٢٩٥
- تفسير قوله تعالى ﴿فَجُمِعَ السَّحَرَةُ لِمِيقَاتِ يَوْمٍ مَّعْلُوْمٍ﴾ .. ٣٨-٤٨ ٢٩٥
- أحكام ومسائل الآيات ٢٩٧
- تقرير أن العامة من الناس يحبون مشاهدة الأخبار العامة .. ٢٩٧
- تقرير طلب الأجر مقابل العمل ٢٩٧
- تقرير انتصار الحق على الباطل مهما كانت قوته ٢٩٧
- تفسير قوله تعالى ﴿قَالَ ءَاْمَنْتُمْ لِهٖ قَبْلَ اَنْ ءَاْذَنَ لَكُمْ﴾ .. ٤٩-٥١ ٢٩٧
- أحكام ومسائل الآيات ٢٩٨
- تقرير كذب التهمة التي لا تستند إلى دليل ٢٩٨
- بيان حال فرعون مع السحرة ٢٩٨
- تقرير أن إيمان المرء بعقيدته يجعله يتحدى كل معاني الخوف .. ٢٩٨
- المؤمن يطمع في رحمة الله ٢٩٩

تفسير قوله تعالى ﴿وَأَوْحَيْنَا إِلَىٰ مُوسَىٰ أَنْ أَسْرِ بِعِبَادِي إِنَّكَ مُتَّبَعُونَ﴾ ٥٩-٥٢ ..

- ٢٩٩
 ٣٠٠ أحكام ومسائل الآيات
 ٣٠٠ استحباب السير في الليل للتخفي عن العدو
 ٣٠٠ استحباب الاستعداد والتعبئة العامة لقتال العدو
 ٣٠٠ تقرير أن من يخشى من عدو عليه أن يحذر منه
 ٣٠٠ تقرير أن الله يورث الأرض من يشاء من عباده لحكمة يراها ...
 ٣٠١ تفسير قوله تعالى ﴿فَاتَّبَعُوهُمْ مُشْرِقِينَ﴾ ٦٠-٦٨
 ٣٠٣ أحكام ومسائل الآيات
 ٣٠٣ تقرير حقيقة الخوف عند البشر
 ٣٠٣ تقرير إرادة الله وحكمته في نصره عباده
 ٣٠٣ تقرير المعجزة الإلهية في فلق البحر وتحويله إلى أرض يابسة ..
 ٣٠٣ انتصار بني إسرائيل على فرعون لم يكن لجنسهم بل لدينهم ..
 ٣٠٣ معيار الأفضلية عند الله عز وجل هو الدين
 ٣٠٣ نفى زعم اليهود أنهم شعب الله المختار
 ٣٠٣ تفسير قوله تعالى ﴿وَأَتْلُ عَلَيْهِمْ نَبَأَ إِبْرَاهِيمَ﴾ ٦٩-٧٧
 ٣٠٥ أحكام ومسائل الآيات
 ٣٠٥ تقرير أهمية الحوار بين الداعي والمدعو
 ٣٠٥ تقرير أن مجرد التبعية للمتبع الضال يعد إثماً كبيراً
 ٣٠٥ الحكم بأن من عبد معبوداً غير الله سيكون عدواً له فيتبرأ منه ..
 ٣٠٥ الحكم بأن عبادة غير الله شرك أكبر
 ٣٠٥ تفسير قوله تعالى ﴿الَّذِي خَلَقَنِي فَهُوَ يَهْدِينِ﴾ ٧٨-٨٢ ..

- أحكام ومسائل الآيات ٣٠٦
تقرير عبودية أبي الأنبياء إبراهيم عليه السلام
- ٣٠٦ وإخلاصه العبادة لله وحده
- ٣٠٦ بيان دعوة إبراهيم عليه السلام لأبيه وقومه
- ٣٠٧ تفسير قوله تعالى ﴿رَبِّ هَبْ لِي حُكْمًا﴾ ٨٣-٨٩
- ٣٠٨ أحكام ومسائل الآيات
- ٣٠٨ تقرير مشروعية الدعاء ووجوبه
- ٣٠٩ مشروعية الدعاء للوالدين غير المشركين
- ٣٠٩ مشروعية الدعاء أن يجعل الله للعبد ذكراً وعملاً صالحاً
- ٣٠٩ تقرير أنه لا ينفع العبد يوم القيامة إلا العمل الصالح
- ٣١٠ تفسير قوله تعالى ﴿وَأُزْلِفَتِ الْجَنَّةُ لِلْمُنْقِذِينَ...﴾ ٩٠-١٠٤
- ٣١٢ أحكام ومسائل الآيات
- تقرير مساءلة المشركين يوم القيامة عما كانوا يعبدونهم
- ٣١٢ من دون الله
- ٣١٢ مخاصمة المشركين يوم القيامة مع من عبدوهم
- ٣١٢ حسرة المشركين وندامتهم يوم القيامة على شركهم
- ٣١٢ تقرير تمنى أهل النار العودة إلى الدنيا للعمل الصالح
- ٣١٢ تفسير قوله تعالى ﴿كَذَبَتْ قَوْمٌ نَبُوءَ الْمُرْسَلِينَ...﴾ ١٠٥-١١٠
- ٣١٣ أحكام ومسائل الآيات
- تقرير أن رسالات الله إلى الناس واحدة وهي الدعوة
- ٣١٣ إلى التوحيد
- ٣١٤ الحكمة من اختيار الله رسله من بين أقوامهم
- ٣١٤ عدم جواز أخذ الأجرة على الدعوة إلى الله

تفسير قوله تعالى ﴿قَالُوا أَنْتُمْ لَكُمْ وَاتَّبَعَكَ

الْأَزْدَلُونَ .. ﴿١١١-١١٥ ٣١٤

أحكام ومسائل الآيات ٣١٥

تقرير أن رؤساء القوم يُكرهون ضعفهم لإبعادهم عن

رسل الله ٣١٥

تقرير تحريم طرد المؤمنين لإرضاء المشركين ٣١٥

معيار الأفضلية عند الله التقوى وليس المال أو القوة

أو الجاه ٣١٥

تفسير قوله تعالى ﴿قَالُوا لَئِنْ لَمْ تَنْتَهِ يَنْتُحِ لَتَكُونَنَّ مِنَ

الْمَرْجُومِينَ .. ﴿١١٦-١٢٢ ٣١٦

أحكام ومسائل الآيات ٣١٧

تقرير إعراض الجبابرة عن سماع الحق وكراهتهم

الجدال الحسن ٣١٧

مشروعية الدعاء على الظالمين ٣١٧

وجوب طلب النصر من الله عز وجل ٣١٧

تفسير قوله تعالى ﴿كَذَبَتْ عَادُ الْمُرْسَلِينَ .. ﴿١٢٣-١٣٥ ٣١٧

أحكام ومسائل الآيات ٣١٩

تقرير أن رسالات الرسل في دعوة أقوامهم هي التوحيد

والبراءة من الشرك ٣١٩

ذم العبث واللغو والإسراف في المساكن ٣١٩

ذم العنف في التعامل ٣١٩

الترغيب والترهيب في الدعوة إلى الله ٣٢٠

تفسير قوله تعالى ﴿قَالُوا سَوَاءٌ عَلَيْنَا أَوَعَضْتَ أَمْ لَمْ تَكُنْ

- ٣٢٠ ﴿مِنَ الْوَاعِظِينَ﴾ ١٤٠-١٣٦
- ٣٢١ أحكام ومسائل الآيات
- ٣٢١ تقرير تمادي الطغاة في غيهم
- ٣٢١ سوء التقليد وكون المقلد يصادر عقله
- ٣٢١ تفسير قوله تعالى ﴿كَذَبَتْ ثُمُودُ الْمُرْسَلِينَ﴾ ١٤١-١٤٥ ...
- ٣٢٢ أحكام ومسائل الآيات
- ٣٢٢ تقرير أن دعوات الرسل لأقوامهم متماثلة
- تفسير قوله تعالى ﴿أَتُركُونَ فِي مَا هَاهُنَا
- ٣٢٢ ءَامِنِينَ﴾ ١٥٢-١٤٦
- ٣٢٣ أحكام ومسائل الآيات
- حكمة الله تعالى من تعجيل العقوبة لبعض العصاة
- وتأجيلها لبعضهم ٣٢٣
- تحذير العباد من طاعة الرؤساء المفسدين في الأرض ٣٢٣
- تفسير قوله تعالى ﴿قَالُوا إِنَّمَا أَنْتَ مِنَ
- ٣٢٤ الْمُسْحَرِينَ﴾ ١٥٩-١٥٣
- ٣٢٥ أحكام ومسائل الآيات
- ٣٢٥ تقرير أن للسحر حقيقة وأنه معروف عند الأمم السابقة
- تقرير أن الله أعطى أنبياءه آيات بينات تساعدهم في
- ٣٢٥ دعوة الناس
- ندامة الكفار على سوء أفعالهم حين يحل بهم العذاب
- ٣٢٥ يوم القيامة

- ٣٢٦ تفسير قوله تعالى ﴿كَذَبَتْ قَوْمٌ لُوطَ الْمُرْسَلِينَ...﴾ ١٦٠-١٦٤ ..
- ٣٢٦ أحكام ومسائل الآيات
- ٣٢٦ أساليب لوط عليه السلام في دعوة قومه
- ٣٢٦ تفسير قوله تعالى ﴿أَتَأْتُونَ الذِّكْرَانَ مِنَ الْعَالَمِينَ...﴾ ١٦٥-١٧٥ ..
- ٣٢٨ أحكام ومسائل الآيات
- ٣٢٨ بيان شناعة جريمة قوم لوط
- ٣٢٩ التحذير من الفساد في الأرض وسوء عاقبته
- ٣٢٩ استجابة الله لدعاء الأنبياء والصالحين
- تفسير قوله تعالى ﴿كَذَبَ أَصْحَابُ لَيْكَةِ
- ٣٢٩ الْمُرْسَلِينَ...﴾ ١٧٦-١٨٠ ..
- ٣٣٠ أحكام ومسائل الآيات
- ٣٣٠ وجوب تقوى الله وطاعته
- وجوب طاعة الرسل الذين أرسلوا قبل مبعث رسول الله
- ٣٣٠ محمد ﷺ وأن هذه الطاعة محدودة بأزمة رسالاتهم
- بعد مبعث رسول الله محمد ﷺ يجب طاعته على كل
- ٣٣٠ الأمم لأن رسالته قد نسخت ما سبقها من الرسالات
- أن الرسل كانوا لا يأخذون أجراً على دعوتهم ومثلهم
- ٣٣٠ الدعاة ويستثنى من الدعاة من في حاجة إلى الأجر
- تفسير قوله تعالى ﴿أَوْفُوا الْكَيْلَ وَلَا تَكُونُوا مِنَ
- ٣٣٠ الْمُخْسِرِينَ...﴾ ١٨١-١٨٤ ..
- ٣٣١ أحكام ومسائل الآيات
- ٣٣١ وجوب الوفاء بالكيل وتحريم التطفيف

- ٣٣١ تحريم بخس الناس حقوقهم
- ٣٣٢ تحريم الفساد في الأرض
- تفسير قوله تعالى ﴿قَالُوا إِنَّمَا أَنْتَ مِنَ الْمُسَحَّرِينَ..﴾ ١٨٥-١٩١
- ٣٣٢ أحكام ومسائل الآيات
- ٣٣٣ إخبار من الله عز وجل لنبيه محمد ﷺ عما لاقاه الأنبياء قبله من التكذيب والأذى
- ٣٣٣ تحذير المشركين المعاصرين لرسول الله محمد ﷺ بأن مصيرهم قد يكون مثل مصير الأمم السابقة
- ٣٣٤ تفسير قوله تعالى ﴿وَلَنَزِيلُ رَبِّ الْعَالَمِينَ..﴾ ١٩٢-١٩٥
- ٣٣٤ أحكام ومسائل الآيات
- ٣٣٥ الحكم بأن القرآن تنزيل من رب العالمين بواسطة جبريل عليه السلام
- ٣٣٥ أن رسول الله ﷺ كان يتلقى نزول القرآن بقلبه
- ٣٣٥ أن هذا القرآن أنزل بلسان رسول الله ﷺ وقومه العرب وهو لسان عربي مبين
- ٣٣٥ الحكمة من كون الرسالات إلى الأمم بالسنتهم
- ٣٣٥ تفسير قوله تعالى ﴿وَلَنَزِيلُ رَبِّ الْأَوَّلِينَ..﴾ ١٩٦-١٩٩
- ٣٣٥ أحكام ومسائل الآيات
- ٣٣٦ الحكم بأن القرآن مذكور في الكتب السماوية السابقة
- ٣٣٧ تقرير أن من اتبع هواه لا ينفع فيه دليل
- تفسير قوله تعالى ﴿كَذَلِكَ سَلَكْنَاهُ فِي قُلُوبِ الْمُجْرِمِينَ..﴾ ٢٠٠-٢٠٩
- ٣٣٧ أحكام ومسائل الآيات

- ٣٣٨ أحكام ومسائل الآيات
تقرير أن المكذب لآيات الله بعد أن تتبين له ينغرس التكذيب
- ٣٣٨ في قلبه فلم يعد يؤمن إلا بعدما يرى العذاب
- ٣٣٨ تقرير سفاهة المشركين وحمقهم في استعجالهم لطلب العذاب..
- ٣٣٩ تقرير أن إمهال الله الكافرين في الدنيا لا يغنيهم شيئاً.....
الحكم بعدل الله وأنه لا يعذب أحداً من خلقه إلا بعد أن
- ٣٣٩ يأتيه البلاغ.....
- ٣٣٩ تفسير قوله تعالى ﴿وَمَا نَزَّلَتْ بِهِ الشَّيَاطِينُ﴾ ٢١٠-٢١٢ ..
- ٣٤٠ أحكام ومسائل الآيات
- ٣٤٠ إبطال دعاوى المشركين أن الشياطين تنزل بالقرآن.....
- ٣٤٠ تقرير عدم قدرة الشياطين على التعرض للقرآن الكريم.....
- ٣٤١ تفسير قوله تعالى ﴿فَلَا تَدْعُ مَعَ اللَّهِ إِلَهًا آخَرَ﴾ ٢١٣-٢٢٠ ..
- ٣٤٢ أحكام ومسائل الآيات
- ٣٤٢ وجوب توحيد الله وتحريم الشرك
- ٣٤٢ تقرير أن الأصل في الدعوة البدء بالأقرب.....
- ٣٤٣ وجوب الرفق بالمدعويين.....
- ٣٤٣ أن المدعويين إذا عصوا الدعوة وجبت البراءة منهم.....
- ٣٤٣ وجوب التوكل على الله.....
- ٣٤٤ التوكيد على أهمية الصلاة.....
تفسير قوله تعالى ﴿هَلْ أُنبِئُكُمْ عَلَىٰ مَنْ نَزَّلَ
- ٣٤٤ الشَّيَاطِينُ﴾ ٢٢١-٢٢٧ ..
- ٣٤٦ أحكام ومسائل الآيات
- ٣٤٦ رد دعاوى المشركين بأن القرآن مما توحى به الشياطين.....

- ٣٤٦ تقرير أن الشياطين تنزل على الأفاكين والفسقة
الأنبياء عليهم السلام منزهون من الكهانة والعلاقة مع
الشياطين ٣٤٦
- ٣٤٦ ذم الشعراء الذين يتهاجون بينهم بالأباطيل
تقرير أن الظلمة والمفترين على الله الكذب سيلقون
جزاءهم يوم القيامة ٣٤٦
- ٣٤٧ تفسير سورة النمل
- ٣٤٧ تفسير قوله تعالى ﴿طَسَّ تِلْكَ ءَايَتُ الْقُرْآنِ ..﴾ ٦-١
- ٣٤٩ أحكام ومسائل الآيات
- ٣٤٩ الحكم بأن القرآن هدى وبشرى للمؤمنين
- ٣٤٩ الحكم بضلال الدهريين والملاحدة
- ٣٤٩ الحكم بأن رسول الله ﷺ قد تلقى القرآن من الله
تفسير قوله تعالى ﴿إِذْ قَالَ مُوسَى لِأَهْلِهِ إِنِّي آنَسْتُ
نَارًا ..﴾ ٧-١٤ ٣٤٩
- ٣٥٣ أحكام ومسائل الآيات
- ٣٥٣ مشروعية الاستطلاع عن أحوال الرعية
- ٣٥٣ تقرير أن الله تجلى في البقعة المباركة وناجاه موسى
- ٣٥٣ تقرير أن الظلم يلزم نفس الظالم
- ٣٥٣ تقرير أن الأنبياء والرسل لا يخافون لأن الله وعدهم بالنصر..
- ٣٥٣ تقرير أن المشركين والكافرين كانوا يوقنون بآيات الله
ولا يؤمنون بها خوفاً من ضياع مصالحهم ٣٥٣
- ٣٥٣ تفسير قوله تعالى ﴿وَلَقَدْ ءَاتَيْنَا دَاوُدَ وَسُلَيْمَانَ

٣٥٣ عَلَمًا.. ﴿١٥-١٩
٣٥٥ أحكام ومسائل الآيات
٣٥٥ تقرير أن الوراثة بين الأنبياء تكون بالنبوة لا بالمال
٣٥٦ الله يتفضل على من يشاء من عباده بفضائل خاصة
٣٥٦ ذكاء النمل
٣٥٦ وجوب شكر الله على نعمه
	تفسير قوله تعالى ﴿وَتَقَدَّ الطَّيْرَ فَقَالَ مَا لِيَ
٣٥٦ لَا أَرَىٰ آلَهُ هُذَ .. ﴿٢٠-٢٦
٣٥٨ أحكام ومسائل الآيات
	أن سليمان قد أعطي خاصية كون جنوده من الإنس
٣٥٨ والجن والطير
٣٥٨ تفقد أحوال الجند
٣٥٨ جواز معاقبة الجنود على مخالفة أمر القائد
٣٥٩ عدم جواز رئاسة المرأة كما كانت في الأمم السابقة
٣٥٩ تحريم السجود لغير الله تعالى
	تفسير قوله تعالى ﴿قَالَ سَنَنْظُرُ أَصَدَقْتَ أَمْ كُنْتَ مِنَ
٣٥٩ الْكَذِبِينَ .. ﴿٢٧-٣١
٣٦٠ أحكام ومسائل الآيات
٣٦٠ وجوب التثبت في الأخبار
٣٦٠ مشروعية التخاطب بين الملوك والرؤساء
	وجوب وقيل باستحباب كتابة البسملة في الرسائل التي
٣٦١ يتم التخاطب فيها بين المسلمين

تفسير قوله تعالى ﴿قَالَتْ يَا أَيُّهَا الْمَلَأُ أَفْتُونِي فِي

أَمْرِي .. ﴿٣٥-٣٢ ٣٦١

أحكام ومسائل الآيات ٣٦٢

وجوب استشارة الحاكم في أموره ٣٦٢

الاستعداد للحرب ولوازمه ٣٦٢

التحذير من فساد الأعداء إذا دخلوا بلاد المسلمين ٣٦٢

تفسير قوله تعالى ﴿فَلَمَّا جَاءَ سُلَيْمَنَ قَالَ اتِمِدُونَنِي

بِمَالِي .. ﴿٣٧-٣٦ ٣٦٣

أحكام ومسائل الآيتين ٣٦٤

تحريم قبول الهدية مقابل مصانعة غير المسلم ٣٦٤

مشروعية التهديد باستعمال القوة ضد العدو ٣٦٤

تفسير قوله تعالى ﴿قَالَ يَا أَيُّهَا الْمَلَأُ أَيُّكُمْ يَأْتِينِي بِعَرْشِهَا

قَبْلَ أَنْ يَأْتُونِي مُسْلِمِينَ .. ﴿٤٠-٣٨ ٣٦٤

أحكام ومسائل الآيات ٣٦٦

تسخير الله الجن لسليمان عليه السلام ٣٦٦

أن استجابة الله لدعاء عباده يستوجب منهم الشكر ٣٦٦

تفسير قوله تعالى ﴿قَالَ نَكِّرُوا لَهَا عَرْشَهَا .. ﴿٤٤-٤١ ٣٦٦

أحكام ومسائل الآيات ٣٦٨

عبادة غير الله تصد العقل وتصرفه عن إدراك الحق ٣٦٨

وجوب نظر العبد في نفسه والتفكر في مخلوقات الله ٣٦٨

تحريم كشف المرأة عن ساقها ٣٦٨

تفسير قوله تعالى ﴿وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا إِلَى ثَمُودَ أَخَاهُمْ

صَالِحًا .. ﴿٥٣-٤٥ ٣٦٨

- ٣٧١ أحكام ومسائل الآيات
بيان سفاهة وجهل الكافرين لمبادرتهم إلى فعل السيئات
- ٣٧١ وترك الحسنات
- ٣٧٢ تحريم التشاؤم
- ٣٧٢ تحريم الفساد في الأرض
- ٣٧٢ الحكم بأن ديار الظالمين والمفسدين عرضة للزوال
تفسير قوله تعالى ﴿وَلَوْ طَآءَ إِذْ قَالَ لِقَوْمِهِ أَتَأْتُونَ
الْفَاحِشَةَ وَأَنْتُمْ تُبْصِرُونَ﴾ ٥٨-٥٤
- ٣٧٢ أحكام ومسائل الآيات
- ٣٧٤ تحريم اللواط
- ٣٧٤ بيان حال الطغاة والظلمة مع الدعاة إلى الله
أن الله يهلك الظلمة من خلقه وأن من حكمته وعدله ألا
يعذبهم إلا بعد إنذارهم
- ٣٧٤ تفسير قوله تعالى ﴿قُلِ الْحَمْدُ لِلَّهِ وَسَلَامٌ عَلَىٰ عِبَادِهِ
الَّذِينَ اصْطَفَىٰ﴾ ٥٩-٦٤
- ٣٧٥ أحكام ومسائل الآيات
- ٣٧٩ وجوب الحمد لله والشكر له في كل حال
- ٣٧٩ مشروعية السلام على الأنبياء والمرسلين
- ٣٧٩ تحريم الشرك بالله
- الحكم بأن الله هو الذي خلق السموات والأرض المنزل
للماء من السماء
- ٣٧٩ الله يجيب دعوة المضطر
- ٣٨٠ هداية الله الخلق في ظلمات البراري والبحار

- ٣٨٠ إبطال دعاوى المشركين والملاحدين
تفسير قوله تعالى ﴿قُلْ لَا يَعْلَمُ مَنْ فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ
- ٣٨١ الْغَيْبَ إِلَّا اللَّهُ...﴾ ٦٥-٦٦
- ٣٨١ أحكام ومسائل الآيتين
- ٣٨١ لا يعلم الغيب إلا الله
- أهل السموات من الملائكة وأهل الأرض من الناس
- ٣٨٢ يتساوون في عدم علمهم بقيام الساعة
- تفسير قوله تعالى ﴿وَقَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا أَإِذَا كُنَّا تُرَابًا
- ٣٨٢ وَءَابَاؤُنَا إِنَّا لِلْمُخْرَجُونَ...﴾ ٦٧-٧٠
- ٣٨٣ أحكام ومسائل الآيات
- الحكم بأن الله قد أهلك الكافرين الذين أنكروا البعث
- ٣٨٣ تسلية رسول الله ﷺ بعدم الحزن على قومه
- ٣٨٣ تفسير قوله تعالى ﴿وَيَقُولُونَ مَتَى هَذَا الْوَعْدُ إِن كُنتُمْ
- ٣٨٣ صَادِقِينَ...﴾ ٧١-٧٥
- ٣٨٥ أحكام ومسائل الآيات
- ٣٨٥ بيان جهل المشركين وسفاههم في استعجالهم العذاب
- ٣٨٥ الله يعلم ما يسر عباده وما يعلنون
- ٣٨٥ تقرير أن الله يتفضل على عباده بالنعم
- الحكم بأنه ما من حادث في العالم العلوي أو السفلي
- ٣٨٥ إلا وهو مدون في اللوح المحفوظ
- تفسير قوله تعالى ﴿إِنَّ هَذَا الْقُرْآنَ يَفُصُّ عَلَىٰ بَنِي إِسْرَءِيلَ
- ٣٨٥ أَكْثَرَ الَّذِي هُمْ فِيهِ يَخْتَفُونَ...﴾ ٧٦-٨١
- ٣٨٧ أحكام ومسائل الآيات

- ٣٨٧ القرآن الكريم أفضل الكتب السماوية
- ٣٨٨ الله يحكم بين عباده المختلفين والمتخاصمين يوم القيامة
- ٣٨٨ وصف المشركين والكفرة بالأموات
- تفسير قوله تعالى ﴿وَإِذَا وَقَعَ الْقَوْلُ عَلَيْهِمْ أَخْرَجْنَا لَهُمْ دَابَّةً مِّنَ الْأَرْضِ تُكَلِّمُهُمْ...﴾ ٨٢
- ٣٨٨ أحكام ومسائل الآية
- ٣٨٩ خروج الدابة في آخر الزمان
- ٣٨٩ ظهور علامات الساعة
- تفسير قوله تعالى ﴿وَيَوْمَ نَخْشِرُ مِنْ كُلِّ أُمَّةٍ فَوْجًا مِّمَّنْ يُكَذِّبُ بِآيَاتِنَا...﴾ ٨٣-٨٦
- ٣٨٩ أحكام ومسائل الآيات
- ٣٩٠ الحكم بحقيقة البعث يوم القيامة
- ٣٩١ تقرير كفاية آية الليل والنهار للعلم بقدرة الله تعالى وعظمته ..
- تفسير قوله تعالى ﴿وَيَوْمَ يُنْفَخُ فِي الصُّورِ فَفَزِعَ مَنْ فِي السَّمَوَاتِ وَمَنْ فِي الْأَرْضِ إِلَّا مَنْ شَاءَ اللَّهُ...﴾ ٨٧-٩٠
- ٣٩١ أحكام ومسائل الآيات
- ٣٩٢ تقرير واقعة النفخ في الصور لقيام الناس للبعث والحساب ..
- ٣٩٣ تقرير أن من عباد الله من لا يفزع عند النفخ في الصور
- ٣٩٣ حالة الجبال بعد النفخ في الصور
- تفسير قوله تعالى ﴿إِنَّمَا أُمِرْتُ أَنْ أَعْبُدَ رَبَّ هَٰذِهِ الْبَلَدَةِ...﴾ ٩١-٩٣
- ٣٩٣ أحكام ومسائل الآيات
- ٣٩٤ تقرير حرمة مكة المكرمة

- الحكم بأن الله أمر نبيه أن يكون من المسلمين ٣٩٥
- تقرير أن من عمل شيئاً يعود نفعه أو ضرره عليه ٣٩٥
- تفسير سورة القصص** ٣٩٦
- تفسير قوله تعالى ﴿طَسَمَ﴾ ﴿١﴾ تِلْكَ آيَاتُ الْكِتَابِ
- الْمُبِينِ .. ﴿١-٦﴾ ٣٩٦
- أحكام ومسائل الآيات ٣٩٧
- ذم العلو والتكبر وسوء عاقبتهما ٣٩٧
- تقرير أن الله يورث الأرض لعباده المستضعفين ٣٩٨
- تفسير قوله تعالى ﴿وَأَوْحَيْنَا إِلَىٰ أُمِّ مُوسَىٰ أَنْ
- أَرْضِعِيهِ ..﴾ ٧-٩ ٣٩٨
- أحكام ومسائل الآيات ٣٩٩
- الحكم بأن الله إذا قضى أمراً وقع لا محالة ٣٩٩
- دروس وعبر من تربية موسى عليه السلام في بيت فرعون ٤٠٠
- مآل الظالم الهلاك في الدنيا والخسران في الآخرة ٤٠٠
- النية الحسنة توصل صاحبها إلى مراده رغم الموانع ٤٠٠
- تفسير قوله تعالى ﴿وَأَصْبَحَ فُؤَادُ أُمِّ مُوسَىٰ فَرِغًا ..﴾ ١٠-١٣ .. ٤٠٠
- أحكام ومسائل الآيات ٤٠٢
- تقرير حنان الأمومة وعاطفتها ٤٠٢
- قصة موسى عليه السلام مع أمه ٤٠٢
- الحكم بأن قضاء الله نافذ ووعدده حق ٤٠٣
- تفسير قوله تعالى ﴿وَلَمَّا بَلَغَ أَشُدَّهُ، وَاسْتَوَىٰ، ءَايَيْنَاهُ حُكْمًا
- وَعِلْمًا ..﴾ ١٤-١٧ ٤٠٣

- أحكام ومسائل الآيات ٤٠٤
- بيان نعم الله على أنبيائه ورسله بالنبوة ٤٠٤
- وجوب إغاثة المظلوم ٤٠٥
- وجوب التوبة من الخطيئة ٤٠٥
- شروط قبول التوبة ٤٠٥
- تفسير قوله تعالى ﴿فَأَصْبَحَ فِي الْمَدِينَةِ خَائِفًا يَتَرَقَّبُ..﴾ ١٨-١٩ ٤٠٥
- أحكام ومسائل الآيتين ٤٠٦
- تقرير أن الخوف حالة طبيعية ٤٠٦
- الإشارة إلى أن صاحب العقيدة أو الملة يستنجد بأخيه فيها ... ٤٠٧
- تفسير قوله تعالى ﴿وَجَاءَ رَجُلٌ مِّنْ أَقْصَا الْمَدِينَةِ يَسْعَىٰ قَالَ يَمُوسَىٰ إِنَّكَ الْمَلَأَ يَأْتَمِرُونَ بِكَ..﴾ ٢٠-٢٤ ٤٠٧
- أحكام ومسائل الآيات ٤٠٩
- وجوب نصح المؤمن لأخيه ٤٠٩
- وجوب مساعدة المحتاجين ٤٠٩
- تفسير قوله تعالى ﴿فَجَاءَتْهُ إِحْدَاهُمَا تَمْشِي عَلَىٰ أَسْتَحْيَاءٍ..﴾ ٢٥-٢٨ ٤٠٩
- أحكام ومسائل الآيات ٤١١
- فضيلة حياء المرأة من الرجال الأجانب ٤١١
- صفات النساء المؤمنات ٤١١
- قصة ابنة نبي الله شعيب مع موسى عليهما السلام ٤١٢
- مشروعية الإجارة للعمل ٤١٢
- وجوب الإشهاد على العقود ٤١٢

- تفسير قوله تعالى ﴿فَلَمَّا قَضَىٰ مُوسَى الْأَجَلَ وَسَارَ بِأَهْلِهِ﴾
 ٤١٣ ﴿أَنسِكَ مِنْ جَانِبِ الطُّورِ نَارًا﴾ ٣٢-٢٩
 ٤١٥ أحكام ومسائل الآيات
 ٤١٥ وجوب الوفاء بالشرط
 ٤١٥ مشروعية حمل العصا
 الإشارة أن وضع اليد على الصدر يهدأ بإذن الله من
 ٤١٥ روع القلب
 ٤١٥ تفسير قوله تعالى ﴿قَالَ رَبِّ إِنِّي قَنَلْتُ مِنْهُمْ نَفْسًا﴾ ٣٥-٣٣
 ٤١٦ أحكام ومسائل الآيات
 ٤١٦ عقوبة القاتل في الحضارات القديمة
 ٤١٦ مشروعية طلب المساعدة ممن كلف الإنسان بإنجاز مهمة
 تفسير قوله تعالى ﴿فَلَمَّا جَاءَهُمْ مُوسَى بِآيَاتِنَا بَيِّنَاتٍ قَالُوا
 ٤١٧ مَا هَذَا إِلَّا أَسْحَرُ مُفْتَرًى﴾ ٣٧-٣٦
 ٤١٨ أحكام ومسائل الآيتين
 ٤١٨ حال الجبابة مع الدعاة
 ٤١٨ وجوب الرفق في الدعوة
 ٤١٨ أن للجبابة نهاية مهما طاللت مدة طغيانهم
 تفسير قوله تعالى ﴿وَقَالَ فِرْعَوْنُ يَأْتِيَهَا الْمَلَأُ مَا عَلِمْتُ
 ٤١٨ لَكُمْ مِنْ إِلَهٍ غَيْرِي﴾ ٤٣-٣٨
 ٤٢١ أحكام ومسائل الآيات
 ٤٢١ تقرير اعتراف فرعون بربوبية الله تعالى
 ٤٢٢ تقرير سفاهة الطغاة من أمثال فرعون وتلبسهم على أممهم ..

- ٤٢٢ مضاعفة أوزار الطغاة والظلمة يوم القيامة
- تفسير قوله تعالى ﴿وَمَا كُنْتَ بِجَانِبِ الْغَرْبِيِّ إِذْ قَضَيْتَ إِلَى
- ٤٢٢ مُوسَى الْأَمْرَ...﴾ ٤٤-٤٧
- ٤٢٤ أحكام ومسائل الآيات
- ٤٢٤ قطعية رسالة ونبوة محمد ﷺ
- ٤٢٥ كانت بعثة نبي الله محمد ﷺ في زمن سيادة الجهل
- ٤٢٥ الغاية من إرسال الرسل دعوة الناس إلى الهداية
- تفسير قوله تعالى ﴿فَلَمَّا جَاءَهُمْ الْحَقُّ مِنْ
- ٤٢٥ عِنْدِنَا...﴾ ٤٨-٥١
- ٤٢٧ أحكام ومسائل الآيات
- ٤٢٧ بيان حال المكذبين مع الرسل والكتب المنزلة عليهم
- ٤٢٧ التحذير من اتباع الهوى
- ٤٢٧ الحكمة من ذكر قصص الأمم الماضية
- تفسير قوله تعالى ﴿الَّذِينَ آتَيْنَهُمُ الْكِتَابَ مِنْ قَبْلِهِ
- ٤٢٨ هُمْ بِهِ يُؤْمِنُونَ...﴾ ٥٢-٥٥
- ٤٢٩ أحكام ومسائل الآيات
- ٤٢٩ تقرير فضل الكتابي المؤمن بنبيه ونبي الله محمد ﷺ
- ٤٢٩ تقرير فضل الصبر
- ٤٣٠ فضل مقابلة السيئة بالحسنة
- ٤٣٠ فضل النفقة من المال الحلال
- ٤٣٠ وجوب الإعراض عن أهل اللغو
- تفسير قوله تعالى ﴿إِنَّكَ لَا تَهْدِي مَنْ أَحْبَبْتَ وَلَكِنَّ اللَّهَ
- ٤٣٠ يَهْدِي مَنْ يَشَاءُ...﴾ ٥٦-٥٩

- أحكام ومسائل الآيات ٤٣٣
- هداية الناس بيد الله عز وجل ٤٣٣
- حرمة مكة وفضايلها ٤٣٣
- كفران النعم سبب الهلاك ٤٣٣
- الله لا يهلك أمة إلا إذا كانت ظالمة ٤٣٤
- تفسير قوله تعالى ﴿وَمَا أُوْتِيتُمْ مِّن شَيْءٍ فَمَتَّعُ الْحَيَاةَ الدُّنْيَا وَزَيَّنَّهَا...﴾ ٦٠-٦١ ٤٣٤
- أحكام ومسائل الآيتين ٤٣٥
- تقرير عدم التساوي بين زينة الحياة الدنيا الفانية وخير الآخرة الباقية ٤٣٥
- وجوب التدبر وإعمال العقل في التفريق بين النافع والضار ٤٣٥
- تفسير قوله تعالى ﴿وَيَوْمَ يُنَادِيهِمْ فَيَقُولُ أَيْنَ شُرَكَائِيَ الَّذِينَ كُنْتُمْ تَزْعُمُونَ﴾ ٦٢-٦٧ ٤٣٥
- أحكام ومسائل الآيات ٤٣٨
- تقرير براءة أئمة الكفر من تابعيهم يوم القيامة ٤٣٨
- تقرير مساءلة المشركين والكفرة لإحضار ما كانوا يعبدون ٤٣٨
- تفسير قوله تعالى ﴿وَرَبُّكَ يَخْلُقُ مَا يَشَاءُ...﴾ ٦٨-٧٠ ٤٣٩
- أحكام ومسائل الآيات ٤٤٠
- الحكم بأنه ليس للخلق الاختيار فيما يريدون ٤٤٠
- الله هو الحاكم والمدير لشؤون خلقه ٤٤٠
- تفسير قوله تعالى ﴿قُلْ أَرَأَيْتُمْ إِن جَعَلَ اللَّهُ عَلَيْكُمُ اللَّيْلَ سَرْمَدًا إِلَى يَوْمِ الْقِيَمَةِ...﴾ ٧١-٧٣ ٤٤١

- ٤٤٢ أحكام ومسائل الآيات
- ٤٤٢ بيان قدرة الله في خلق الليل والنهار
- ٤٤٢ ذكر السمع مع الليل في الآيات أبلغ لقلة الحركة فيه
- ٤٤٢ منافع تعاقب الليل والنهار
- تفسير قوله تعالى ﴿وَيَوْمُ يُنَادِيهِمْ فَيَقُولُ أَيْنَ شُرَكَاءِي الَّذِينَ كُنْتُمْ تَزْعُمُونَ...﴾ ٧٤-٧٥ ٤٤٢
- ٤٤٣ أحكام ومسائل الآيتين
- ٤٤٣ تقرير مساءلة المشركين والمعاندين للدعوة عما كانوا يعملون ...
- عدم قدرة المشركين على الكذب يوم القيامة وشهادتهم
- ٤٤٣ على أنفسهم
- تفسير قوله تعالى ﴿إِنَّ قُرُونَكُمْ كَانَتْ مِنْ قَوْمِ مُوسَى فَبَغَى عَلَيْهِمْ...﴾ ٧٦-٧٨ ٤٤٤
- ٤٤٦ أحكام ومسائل الآيات
- ٤٤٦ تقرير أن كثرة الأموال قد تطغي أصحابها وتُعمي بصائرهم ..
- ٤٤٦ وجوب توجيه المال وإنفاقه في طرق الخير
- ٤٤٦ تحريم المال إذا أدى إلى الفساد في الأرض
- الحكم بأنه لا يستطيع أحد الحصول على المال إلا إذا
- ٤٤٦ كان الله قد يسره
- تفسير قوله تعالى ﴿فَخَرَجَ عَلَى قَوْمِهِ فِي زِينَتِهِ...﴾ ٧٩-٨٠ ٤٤٦
- ٤٤٨ أحكام ومسائل الآيتين
- ٤٤٨ الحذر من الاستبداد بالمال
- ٤٤٨ آداب التعامل مع الأموال في حال الغنى والفقر
- ٤٤٨ فضل الصابرين ودخولهم الجنة

- تفسير قوله تعالى ﴿فَخَسَفْنَا بِهِ وَبِدَارِهِ الْأَرْضَ...﴾ ٨١-٨٢ ٤٤٨
- أحكام ومسائل الآيتين ٤٤٩
- تقرير أن الهلاك عاقبة البطر والاستعلاء ٤٤٩
- أن الطغاة عند محنتهم لا يجدون أحداً ينصرهم ٤٤٩
- الباسط للرزق والقابض له هو الله تعالى ٤٤٩
- تفسير قوله تعالى ﴿تِلْكَ الدَّارُ الْآخِرَةُ نَجْعَلُهَا لِلَّذِينَ لَا يُرِيدُونَ عُلُوًّا فِي الْأَرْضِ وَلَا فَسَادًا...﴾ ٨٣-٨٤ ٤٥٠
- أحكام ومسائل الآيتين ٤٥١
- تحريم الكبرياء بكل أنواعه ٤٥١
- معنى الكبر ٤٥١
- تقرير فضل الله على عباده بمضاعفة حسناتهم وعدم مضاعفة سيئاتهم ٤٥١
- الحكم بأن عاقبة الحسنى لعباد الله المتقين ٤٥١
- تفسير قوله تعالى ﴿إِنَّ الَّذِي فَرَضَ عَلَيْكَ الْقُرْآنَ لَرَادُّكَ إِلَىٰ مَعَادٍ...﴾ ٨٥-٨٨ ٤٥٢
- أحكام ومسائل الآيات ٤٥٣
- الحكم بأن الله سوف يسأل الرسل عن أعمالهم ٤٥٣
- تحريم معاونة غير المسلمين على المؤمنين ٤٥٤
- وجوب الإعراض عن أقوال المشركين ومجادلتهم الباطلة ٤٥٤
- وجوب القيام بالدعوة إلى الله مع الإخلاص في العبادة ٤٥٤
- الحكم بأن كل شيء في الوجود يزول إلا الله ٤٥٤

